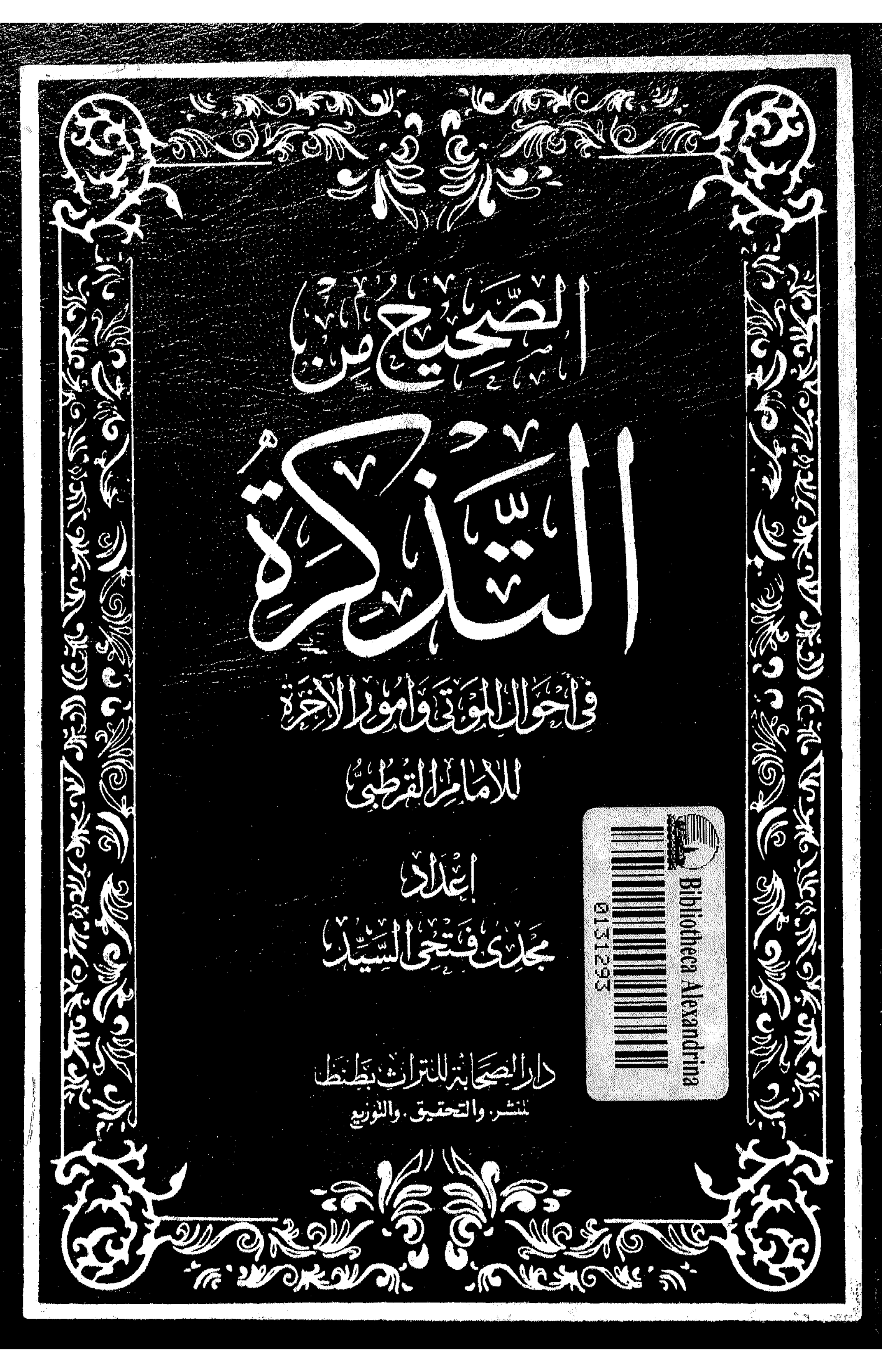

الصحيح من
التذكرة
في أحوال الموتى وأمور الآخرة
للإمام القرطبي
إعداد
مجدي فتحي السيد
دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر . والتحقيق . والتوزيع
Bibliotheca Alexandrina
0131293







الصحيح من التذكرة

في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام القرطبي

أعداد

مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

للناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

المراسلات :
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب : ٤٧٧
الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

صحيح التذكرة

فى أحوال الموتى وأمور الآخرة

للعلامة القرطبى

وتحتوى على ما يلى :

١ - تقديم

٢- أهمية صحيح التذكرة للقارئ المسلم

٣- منهج العمل فى هذا الصحيح

٤- خلاصة تقدمة الكتاب الكامل

٥- كلمة أخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله .... نحمده ونستعينه ،ونستغفره .

ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأن محمداً عبده ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1]

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [2]

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [3]

ثم أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبعد ....

فهذا كتاب«صحيح التذكرة » للعلامة القرطبى ، يسر دار الصحابة للتراث بطنطا أن تقدمه للقارئ المسلم بعد أن قدمت له الأصل كاملاً ، محققاً.

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠- ٧١

(٢) أهمية صحيح التذكرة للقارئ المسلم

في البدء أقول :

كم كان المرء يحزن عندما يستمع إلى الأحاديث الضعيفة والباطلة التي تروى في شأن الموت والقبر ، والدار الآخرة.؟!

وكم كان يود أن لو يجد كتاباً يحتوى على أحاديث صحيحة ، وآثار حسان تروى في شأن الخوف من الجليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ؟!.

وكم كان المرء يشعر بقمة الأسى عندما يجد كتاب «التذكرة » غير محقق ، ولا مبيناً لما فيه مما لم تصح نسبته إلى النبي ﷺ ، وصحبه الكرام .

مع أن هذا الكتاب يعد من أكبر ما صنف في الباب ، وهو عمدة المتأخرين عند الحديث عن الموت والسكرات ، والقبر والظلمات ، والتحذير من دنو الأجل ، وقرب الممات وقيام الساعة والحسرات .

فهذا داعية ينقل من التذكرة عشرات الصفحات غير مبين لما فيها من الضعيف والموضوعات .

وهذا واعظ يقص على الناس أخباراً من التذكرة ، ولا يتفطن إلى كونها من الإسرائيليات ، بل ومنها ما حكم عليه بنكارة المتونات .

وهذا قارئ ينصح غيره بشراء الكتاب حيث ان كل ما فيه من الأمور المرهبات والمرغبات !! وكل تلك الاعتبارات كانت كل النشرات التي صدرت خلالها طبعات الكتاب تخلو من تحقيق النصوص ، وبيان صحيحها وسقيمها، والمقبول منها ومردودها .

لذا كان من توفيق الله تعالى لنا القيام بتلك المهمة التي نسأل الله تعالى أن نكون من المخلصين فيها ، والقائمين بها حق قيامها .

فلما تم تحقيق الكتاب كاملاً لأول مرة ، كان من المفيد ، والجدير بالعناية أن يتم فصل الصحيح من الضعيف ، وبيان المقبول من المردود .

ومن خلال هذا التهذيب لكتاب « التذكرة » يتسنى لكل داعية النقل من الكتاب ، وهو مطمئن إلى صحة ما ينقل .

ومن خلال هذا التهذيب لكتاب « التذكرة» يستطيع الواعظ أن يعظ الناس وهو مطمئن إلى صحة العظة التى يقصها على المستمعين له .

ومن خلال هذا التهذيب لكتاب التذكرة يستطيع القارئ أن يقرأ صفحات الكتاب ، وهو غير حائر ، ولا يرتاب فى صحة تلك المعلومات التى يقرأها .

ومن أراد التمييز بين الصحيح والضعيف كان لديه النسخة الكاملة المحققة .

فإلى كل داعية وواعظ.. عليك بالحرص على صحة الأحاديث والآثار التى تنقلها إلى جمهور المدعوين من المسلمين والمسلمات .

منهج العمل فى هذا الصحيح

هذا الكتاب هو تهـذيب للأصل الكامل ، والمكون من جزئين ، وقد اتبعنا فيه الخطوات التالية :

١- أبقينا على الآيات الكريمة برمتها ، وما دار حولها من كلام للمصنف .

٢- تركنا أبواب الكتاب على ما عليه من الترتيب والتسمية .

٣- حذفنا الأبواب التى لم يصح فيهـا أحاديث أو آثار ،ولم يأت المصنف فيها بآيات قرآنية .

٤- أبقينـا على صحيح الأحـاديث ، والآثار وبعض الأخبـار التى صح سندها إلى قـائليهـا ، مع كتـابة درجـة كل منها بجـانبهـا ، وتجـد تخريج ذلك مـفصـلاً فى النسخة الكاملة.

٥- حذفنا كل حـديث ضعيف ، وأثر ، وما رتب عليه مـن كلام المصنف إن كان شرحًا ، أو تعليقاً ، إذ الأمر كما قال بعضهم : ابنى العرش أولاً ثم انقشه!!

٦-أبقينا على ترقيم فقرات الكتاب الأصل حتى يسهل الرجوع إليها لمعرفة ما بها من تخريجات وتعليقات .

والحمد لله أولاً وآخراً
ظاهراً وباطناً

أبو مريم .

خلاصة تقدمة الكتاب الكامل

أخى المسلم .....أختى المسلمة .

تلك خلاصة وافية لما قد كتبناه فى تقدمة الكتاب الأصل قبل التهذيب.

بدأت فى تقدمتى للكتاب ببيان الحذر من دار الغرور ، والاستعداد ليوم البعث والنشور ، فالمؤمن من يعلم أن القبر أول منزل من منازل الدار الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا .

لذا فطوبى لمن مهد فى دنياه قبره ، وعمره قبل أن يسكنه وأرضى ربه قبل أن يلقاه لينال رضاه .

فالعاقل الفطن من دان نفسه فى الدنيا ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وتزود من التقوى لما بعد الموت والشقى هو من تمنى على الله الأمانى الغرور ، وتخدعه الدنيا بقشور .

لذا فلقد كان سلفنا الصالح على ما كانوا عليه من تقوى وصلاح ، وعلم وعمل ، يخافون من الله خوفًا شديدًا ، ويستعدون للموت قبل مجيئه، ويعدون للقبر قبل سكناه .

وأما اليوم فقد ذهب الخوف من القلوب ، وتراكمت الذنوب بعد الذنوب ، لذا فهذا كلام رب العالمين عن الدار الآخرة ، وكلام النبى ﷺ عن الدنيا والدار الآخرة، ومع آثار السلف الصالح الداعية إلى طاعة علام الغيوب ، وجلاء الران عن

القلوب ،كل ذلك فى « التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة » .

ثم تحدثت بعد ذلك عن الإيمان بالدار الآخرة عقيدة إسلامية .

فلقد مدح الله أهل الإيمان بأنهم يؤمنون بالغيب،كما قال الله تعالى :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾(١)

فالغيب فى كلام العرب كل ما غاب عنك ، وهو كل ما جاء فى القرآن الكريم ، وأخبر به رسول الله ﷺ كالإيمان بالله تعالى ، وأشراط الساعة الكبرى والموت والقبر والصراط والميزان ، والجنة والنار كلها من الغيب الذى أمرنا بالإيمان به.

ومن فوائد وثمار الإيمان بالغيب أنه سلاح المؤمن فى أوقات الفتن والشدائد ، وعمدة أهل الإيمان فى صد المادية وأهل الطغيان .

والإيمان بالغيب يعين المرء على طاعة الله تعالى ، ويحرك فيه عوامل الإسراع فى إعداد الزاد ، والاستعداد ليوم المعاد .

أما من خفت فى قلبه حرارة الإيمان بالغيب ، أو مات فى قلبه الإيمان بالغيب تراه يحيا عابثًا لاهيًا ، مضيعاً لأيام عمره ، تاركاً لكل الطاعات ، بدءا من الصلوات.

فما أحوجنا فى هذا الوقت الذى طغت فيه الماديات ، وأنكرت الغيبيات التأكيد على أهمية الإيمان بالغيب ، وتقوية أواصره فى القلوب ، ولعل من الكتب

---

(١) سورة البقرة : ٢- ٣

الجديرة بالمطالعة فى هذا الباب كتاب « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة » للقرطبى .

وبعد ذلك تحدثت عن ترجمة المصنف ونشأته العلمية .

فهو أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى، القرطبى .

تلقى العلم مبكراً ، فمن شيوخه الحافظ أحمد بن عمر القرطبى «صاحب المفهم » ، وأبو الحسن بن محمد البكرى ، وأبو الحسن على بن محمد اليحصبى .

ولما استكمل ما ينبغى لمثله من العلم الشرعى ، أخذ فى التعبد ، فكانت كل أوقاته معمورة ، مشغولة ما بين العبادة ومدارسة العلم الشرعى .

وقد صنف مصنفات عديدة ، وألف تواليف كثيرة ، فمنها المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود ، فمن كتبه المطبوعة :

١- الجامع لأحكام القرآن .

٢- «الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » طبع بدار الصحابة للتراث بطنطا .

٣- « قمع الحرص بالزهد والقناعة » طبع بدار الصحابة للتراث بطنطا .

٤- «التذكار فى أفضل الأذكار » .

ومن كتبه المخطوطة :

١- « شرح التقصى » وهو شرح مطول لموطأ مالك رحمه الله .

٢-« التقريب لكتاب التمهيد»

٣- « أرجوزة فى أسماء النبى ﷺ » .

٤- « الانتهاز فى قراء أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام ، وأهل الحجاز » .

٥- «الإعلام بما فى دين النصارى ، وإظهار محاسن دين الإسلام » .

ومن ثناء العلماء عليه : قول العلامة الذهبى - رحمه الله -عنه :

« إمام متفنن ، متبحر فى العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه، ووفور عقله وفضله ، وقد سارت بتفسيره الركبان ، وله أشياء تدل على إمامته ، وذكائه ، وكثرة اطلاعه» .

«قد رحل ، وكتب وسمع ، وكان يقظاً فهمًا ، حسن الحفظ ، مليح النظم ، حسن المذاكرة ، ثقة ، حافظاً .

ولكن كل عالم وله زلة ، وكل يؤخذ منه ، ويرد عليه ، فمما انتقد على القرطبى :

١- مخالفة عقيدة السلف الصالح فى بعض المسائل العلمية كما فى نفيه صفة العلو لله تعالى ، وقد أثبتها السلف الصالح ، الإيمان بكلام الله تعالى بصوت يسمعه من شاء من خلقه ، وبحرف سمعه موسى ﷺ من غير واسطة ، ومن أذن له من ملائكته ، وتأويله لصفة النزول ، والسلف يثبتونها من غير تمثيل ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، وقد بينت كل ذلك فى موضعه من باب الدين النصيحة ، وأن الحق أحب إلينا مما سواه (١) .

---

(١) ويمكنك قراءة تفصيل ذلك فى الكتاب الأصل .

وقد توفى الإمام القرطبى فى سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وذلك فى منية ابن خصيب فى القاهرة .

ثم تحدثت بعد ذلك عن أهمية الكتاب ومحتوياته :

ففحوى هذا الكتاب هو الحديث عن أمر الموت ، والدار الآخرة ، لذا لم يخل أى كتاب من كتب السنة من حديث عن هذين الموضوعين .

بل من السلف الصالح من أفرد أحد هذين الموضوعين كالبيهقى ، ومن قبله ابن أبى الدنيا ، ومن بعدهما ابن القيم ، وابن رجب الحنبلى ، والسيوطى ، وابن طولون

فمن أهمية كتاب « التذكرة » فى هذا الشأن :

أنه كتاب اشتمل على كل ما ورد فى هذا الباب مما كان منثوراً فى بطون الكتب ، مما صح ، أو لم يصح فى هذا الموضوع .

ومحتويات الكتاب تدور فى إطارين :

الأول : هو أحوال الموتى ، وهذا يستدعى الحديث عن سكرات الموت ، وخروج الروح ، وملك الموت وأعوانه ، والقبر وضغطته ، وزيارته .

الثانى : هو الحديث عن أشراط الساعة الكبرى ، والصغرى ، وهذا بدوره يستدعى الحديث عن البعث والنشور ، والصراط والميزان ، والجنة والنار .

وبعد ذلك تحدثت عن وصف نسخ الكتاب وتوثيقها ، ثم ختمت ذلك بالحديث عن عملنا فى الكتاب ، والحمد لله أولاً وآخراً .

كتبه أبو مريم /

مجدى فتحى السيد .

كلمة أخيرة

لعل من الملامح المميزة ، والسمات البارزة فى هذا الكتاب هو الوقوف على صحيح المرفوع والموقوف .

وإذا أتينا على تلك النقطة فيجدر هنا أن أذكر كلمة أخيرة فى هذا المقام ، وهى أننى حاولت قدر استطاعتى توخى اختيار الصواب ، وإثبات صحيح الكتاب ، ومن الله تعالى التوفيق والسداد .

لذا فهذا جهد المقل ، فإن أصبت الصواب والسداد ، فمن الله وحده بفضله وكرمه ، وإن كانت الأخرى فمن نفسى ، وإن الدين النصيحة ، فمن وجد خيراً فليدع لى بدوام التوفيق والسداد ، ومن وجد غير ذلك ، فقد أبى الله تعالى أن يكون الكمال إلا لكتابه ، ولكن الأذن لكل ناصح صاغية ، والقلب مستمع ، والنفس منتصحة ، ورحم الله رجلاً أهدى إلىّ عيوبى ، ولكن طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس .

أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعنى به ، وسائر المسلمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم / مجدى فتحى السيد إبراهيم

طنطا – مصر



في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام القرطبي

إعداد

مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

يقول العبد الفقير إلى ربه . المتنصل من ذنبه ، الراجى رحمة ربه : محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى ثم القرطبى، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين : آمين .

الحمد لله العلى الأعلى ، الولى المولى الذى خلق فأحيا ، وحكم على خلقه بالموت والفناء ، والبعث إلى دار الجزاء ، والفصل والقضاء ، ﴿**لتجزى كل نفس بما تسعى**﴾ . كما قال فى كتابه جل وعلا :﴿ **إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**﴾ .

وبعد :فإنى رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً ، يكون تذكرة لنفسى ، وعملاً صالحاً بعد موتى ، فى ذكر الموت ، وأحوال الموتى ، وذكر الحشر والنشر ، والجنة والنار ، والفتن والأشراط ، نقلته من كتب الأئمة ، وثقات أعلام هذه الأمة حسب ما رأيته ورويته، وسترى ذلك منسوباً مبيناً ، إن شاء الله تعالى . وسميته :(كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وبوبته باباً باباً ، وجعلت عقب كل باب فصلاً أو فصولاً ، نذكر فيه ما يحتاج إليه، من بيان غريب ، أوفقه فى حديث ، أو إيضاح مشكل ، لتكمل فائدته ، وتعظم منفعته ، إذ التفقه فى حديث رسول الله ﷺ هو المعنى المقصود ، والرأى المحمود ، والعمل الموجود فى المقام المحمود واليوم المشهود ، جعله الله خالصاً لوجهه ، ومقرباً من رحمته ، بمنه وكرمه .لا رب سواه ولا معبود إلا هو سبحانه .

باب النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر نزل في المال والجسد

١- (روى) مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيًا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي » أخرجه البخاري (أيضا) [**حديث صحيح**].

٢- وعنه قال:قال رسول الله ﷺ :«لا يتمنين أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً » [**حديث صحيح**].

٣-(وقال) البخاري : « لا يتمنين أحدكم الموت : إما محسنا فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب » [**حديث صحيح**].

٤-(البزار) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة» [**حديث حسن**].

٥-(**فصل**) قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار ، وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة ، في قوله(تعالى) ﴿ **فأصابتكم مصيبة الموت** ﴾ فالموت هوالمصيبة العظمى والرزية الكبرى . قال علماؤنا : وأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكر فيه ، وترك العمل له ، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر.

٦- ويروى أن أعرابيا كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً ، فنزل الأعرابي عنه ، ،وجعل يطوف به ويتفكر فيه ، ويقول : مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث؟ ، هذه أعضاؤك كاملة ، وجوارحك سالمة ، ما شأنك ؟ ما الذي كان يحملك ؟ ما الذي كان يبعثك ؟ ما الذي صرعك ؟ ما الذي عن الحركة منعك ؟ ثم تركه وانصرف متفكراً في شأنه ، متعجباً من أمره ، وأنشدوا في بعض الشجعان مات حتف أنفه :

جـاء ته من قـبل المنون إشـــارة | فـهوى صـريـعـاً للـيـدين وللـفم
ورمى بمحكم درعه وبرمحه | وامتد ملقى كالفنيق الأعظم
لا يستجيب لصارخ إن يدعه | أبداً ولا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر عرامه | لما رأى حبل المنية يرتمى
يا ويحه من فارس ما باله | ذهبت مروته ولما يكلم
هذى يداه وهذه أعضاؤه | ما منه من عضو غداً بمثلم
هيهات ما حبل الردى محتاجة | للمشرفى ولا اللسان اللهذم
هى ويحكم أمر الإله وحكمه | والله يقضى بالقضاء المحكم
يا حسرتا لو كان يقدر قدرها | ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه | وكأننا فى حالنا لم نعلم

٧- وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول : حدثنا قتيبة بن سعيد والخطيب بن سالم ، عن عبد العزيز الماجشون ، عن محمد بن المنكدر قال : مات ابن لآدم عليه (الصلاة و)السلام فقال: يا حواء ، قد مات ابنك ، فقالت : وما الموت ؟ قال : لا يأكل ولا يشرب ، ولا يقوم ولا يقعد ، فَرَنَّتْ ، فقال آدم عليه السلام : عليك الرنة وعلى بناتك أنا وبنى منها برآء [**إسناه صحيح**] .

٨-(**فصل**) : قوله : فلعله أن يستعتب . الاستعتاب : طلب العتبى ، وهو الرضى ، وذلك لايحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب ، قال الجوهرى : استعتب: طلب أن يعتب ، تقول : استعتبته فأعتبنى ، أى استرضيته فأرضانى ، وفى التنزيل فى حق الكافرين : ﴿ **وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين**﴾ .

٩- وروى عن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال : لا يتمنى أحدكم الموت إلا ثلاثة : رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل .

١٠- وروى أن ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام جاء إلى إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام خليل الرحمن عز وجل ليقبض روحه ، فقال :
إبراهيم : يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك

الموت عليه الصلاة والسلام إلى ربه فقال : قل له : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟فرجع فقال اقبض روحى الساعة[**خبر من الإسرائيليات وصح بنحوه**] .

١١- وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : ما من مؤمن إلا والموت خير له فمن لم يصدقنى فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وما عند الله خير للأبرار**﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً**﴾ [**إسناده ضعيف وصح عن ابن مسعود**]

١٢- وقال حيان بن الأسود : « الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب» .

باب جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين

قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه(الصلاة و)السلام: ﴿**توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** ﴾ وعن مريم عليها السلام فى قولها :﴿ **يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا** ﴾ .

١٣- وعن مالك عن أبى الزناد، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه » [**حديث صحيح**] .

١٤- (**فصل**) : قلت : لا تعارض بين هذه الترجمة والتى قبلها لما نبينه ، أما يوسف عليه (الصلاة و) السلام . فقال قتادة : لم يتمن الموت أحد : نبى ولا غيره إلا يوسف عليه (الصلاة و)السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل ، اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال : ﴿ **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى**﴾ الآية ، فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل ، وقيل إن يوسف عليه(الصلاة و) السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى (الوفاة) على الإسلام ، أى إذاجاء أجلى توفنى مسلماً . وهذا هو القول المختار فى تأويل الآية عند أهل التأويل ، والله أعلم [**خبر صحيح**] .

وأما مريم عليها السلام فإنما تمنت الموت لوجهين :

أحدهما : أنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها وتعير ، فيفتنها ذلك .

الثانى : لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والزور ، والنسبة إلى الزنا ، وذلك مهلك لهم ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى عز وجل فى حق من افترى على عائشة رضى الله عنها : ﴿**والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾ وقال : ﴿**وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم**﴾ وقد اختلف فى مريم عليها السلام : هل هى صديقة لقوله تعالى : ﴿**وأمه صديقة**﴾ أو نبية لقوله تعالى : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا**﴾ وقوله : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك**﴾ الآية ، وعليه فيكون الافتراء عليها أعظم والبهتان فى حقها أشد ، وفيه يكون الهلاك حقًا ، فعلى هذا الحد الذى ذكرناه من التأويلين يكون تمنى الموت فى حقهاجائزًا ، والله أعلم .

وأما الحديث فإنما هو خبر : أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس ، من فساد الحال فى الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء فى جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه.

١٥- ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه(الصلاة و)السلام :« اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت - ويروى أدرت - فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون » . رواه مالك [**حديث صحيح**] .

١٦- ومثل هذا قول عمر رضى الله عنه : « اللهم قد ضعفت قوتى وكبرت سنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر » فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله ، رواه مالك أيضاً [**خبر صحيح**] .

١٧ - وذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد والاستذكار من حديث زاذان(بن)عمر عن عليم الكندى قال : كنت جالساً مع عابس الغفارى على سطح فرأى ناساً يتحملون من الطاعون فقال : يا طاعون ، خذنى إليك (يقولها ثلاثاً) فقال عليم : لم تقول هذا ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب» فقال عابس :(إنما) سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بادروا بالموت ستاً : إمرة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافاً بالدم ، وقطيعة الرحم، ونشئا يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون الرجل

ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً » [حديث صحيح] .

وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الفتن ، إن شاء الله تعالى » .

باب ذكر الموت [وفضله] والاستعداد له

١٨- النسائى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر هادم اللذات » يعنى الموت ، أخرجه ابن ماجه ، والترمذى أيضًا [حديث صحيح] .

١٩- وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى ابن سعيد (عن سعيد) بن المسيب عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هادم اللذات » قلنا يا رسول الله: وما هادم اللذات؟ قال : « الموت » [حديث صحيح] .

٢٠- ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار ، فسلم على النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، أى المؤمنين أفضل؟ قال : « أحسنهم خلقاً » قال : فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس » أخرجه مالك أيضاً، وسيأتى فى الفتن، إن شاء الله تعالى[حديث حسن] .

٢٢- وروى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الموت ، فإنه يمحص الذنوب ، ويزهد فى الدنيا » [حديث صحيح] .

٢٥- وقال السدى في قوله تعالى :﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ أى أكثركم للموت ذكراً ، وله أحسن استعدادا ، ومنه أشد خوفا وحذراً [خبر حسن] .

٢٦- (فصل):قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قوله عليه (الصلاة و) السلام: « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت » كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة ، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلا ففى قوله عليه الصلاة والسلام: « أكثروا ذكر هادم اللذات» مع قوله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت**﴾ ما يكفل

السامع له، ويشغل الناظر فيه ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينهما ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد ؟
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

٢٧- (فصل) : إذا ثبت ما ذكرناه ، فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية ، والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتى ضيق وسعة ، ونعمة ومحنة، فإن كان فى حال ضيق ومحنة . فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنه لا يدوم ، والموت أصعب منه ، أو فى حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها ، والسكون إليها ، لقطعه عنها . ولقد أحسن من قال :

اذكر الموت هادم اللذات ... وتجهز لمصرع سوف يأتى

وقال غيره :

واذكر الموت تجد راحة ... فى اذكار الموت تقصير الأمل

٢٨- وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمن معلوم ، ولا مرض معلوم ، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعداً لذلك ، وكان بعض الصالحين ينادى بليل على سور المدينة : الرحيل ، الرحيل. فلما توفى فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه ، فقيل : إنه قد مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

٢٩- وكان يزيد الرقاشى يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك (بعد) الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من

الموت طالبه والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه .

٣٠- وقال التيمى : شيئان قطعا عنى لذة الدنيا : ذكر الموت ، وذكر الموقف بين يدى الله تعالى . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت ، والقيامة ،والآخرة ، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

٣١- وقال أبو نعيم : كان الثورى إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً فإن سئل عن شيء قال : لا أدرى لا أدرى [**خبر صحيح**] .

٣٣- وقال الدقاق : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة* ، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة .

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا للموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، وكفى بالموت مقرحاً ، ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، وهادماً للذات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ،

وأخذت من فراشك ، وغطائك إلى عرر، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر ، فيا جامع المال ، والمجتهد فى البنيان ، ليس لك والله من مال إلا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب ، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا ، بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك ، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**﴾ أى: اطلب فيما أعطاك الله فى الدنيا ، الدار الآخرة وهى الجنة ، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة ، لا فى الطين ، والماء ، والتجبر ، والبغى ، فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذى هو الكفن ، ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله : رداءان تلوى فيهما ، وحنوط×

وقال الآخر :

هى القناعة لا تبغى بها بدلاً انظر ... فيها النعيم وفيها راحة البدن
لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن ؟

باب ما يذكر الموت والآخرة ويزهد في الدنيا

٣٨- مسلم عن أبي هريرة قال : زارالنبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : « استأذنت ربى (فى) أن يغفر لها فلم يؤذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت » [**حديث صحيح**] .

٣٩- وعن ابن ماجه ، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة »
[**حديث صحيح**] .

٤٠- (**فصل**) : زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء ، مختلف فيه للنساء ، أما الشواب فحرام عليهن الخروج ، وأما القواعد فمباح لهن ذلك ، وجائز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف في هذا إن شاء الله تعالى، وعلى هذا المعنى يكون قوله عليه الصلاة والسلام : « زوروا القبور » عاماً ، وأما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل ، فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتن ، وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزوراً (غير مأجور) وهذا واضح . والله أعلم .

٤١- وقد رأى بعض أهل العلم : أن لعن النبى ﷺ زوارات القبور كان قبل أن يرخص فى زيارة القبور ، فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء وما ذكرناه لك أولاً أصح ، والله أعلم .

٤٢- وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه خرج إلى المقبرة، فلما أشرف عليها قال : يا أهل القبور أخبرونا عنكم ، أو نخبركم ، أما خبر من قبلنا : فالمال قد اقتسم ، والنساء قد تزوجن ، والمساكن قد سكنها قوم غيركم ، ثم قال : أما والله لو استطاعوا لقالوا : لم نر زاداً خيراً من التقوى .

٤٣- ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول :

وحاسبوا أنفسهم وأبصروا	يا عجباً للناس لو فكروا
فإنما الدنيا لهم معبر	وعبروا الدنيا إلى غيرها
غداً إذا ضمهم المحشر	لا فخر إلا فخر أهل التقى
والبر كانا خير ما يدخر	ليعلمن الناس أن التقى
وهو غداً فى قبره يقبر	عجبت للإنسان فى فخره
وجيفة آخره يفجر	ما بال من أوله نطفة
يرجو ولا تأخير ما يحذر	أصبح لا يملك تقديم ما
فى كل ما يقضى وما يقدر	وأصبح الأمر إلى غيره

٤٤- « فصل » : قال العلماء رحمة الله عليهم : ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها :الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ(والتذكير)، والتخويف والترغيب ، وأخبار الصالحين ، إن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها .

الثانى : ذكر الموت ، فيكثر من ذكر هادم اللذات ، ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات ،كما تقدم فى الباب قبل ، يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها ، فقالت لها : أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ، ففعلت ذلك فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها ، قال العلماء : تذكر الموت يردع عن المعاصى ، ويلين القلب القاسى ، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

الثالث : مشاهدة المحتضرين ، فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ، ونزعاته ، وتأمل صورته بعد مماته ، ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويبعث على العمل ، ويزيد فى الاجتهاد والتعب .

٤٥- يروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله ، بغير اللون الذى خرج به من عندهم ، فقالوا له : الطعام يرحمك الله ، فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

فهذه ثلاثة أمور ينبغى لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه ، أن يستعين بها على دواء

دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغـوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظم عليه ران القلب ، واستـحكمت فيه دواعى الذنب ، فزيارة قـبور الموتى تبلغ فى دفع ذلك مـالا يبلغـه الأول ، والثـانى ، والثـالث ، ولـــذلك قـال عليـه(الصـلاة و)السـلام : «زوروا القـبور فـإنهـا تذكر الموت والآخـرة ، وتزهد فى الدنيـا » ، فـالأول: سمـاع بالأذن ، والثانى : إخبار للقلب بما إليه المصير ، وقـائم له مقام التخويف والتحذير فى مشاهدة من احتضر، وزيارة قبـر من مات من المسلمين معاينة ، فلذلك كانا أبلغ من الأول والثانى [**خبر حسن**] .

٤٦- قال ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره إلا أن الاعتبار بحال المحتضـرين غير ممكن فى كل الأوقات ، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه فى ساعة من الساعات ، وأما زيارة القبور : فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجدر ، فينبغى لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه فى إتيانها ، ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث فـقط ، فإن هذه حالة تشاركه فيهـا بهيمة ، ونعوذ بالله من ذلك، بل يـقصد بزيارته : وجه الله تـعالى ، وإصلاح فسـاد قلبه ، أو نفع الميت مما يتلوه عنده مـن القرآن ، على مـا يأتى بيانه إن شـاء الله تعالى. ويجـتنب المشى على المقـابر ، والجلوس عليـهـا إذا دخل المقـابر ، ويخلع نعليـه .كـما جـاء فى أحاديث ، ويسلم إذا دخل المقابر ، ويخاطبهم خطاب الحاضرين ، فيقـول : « السلام عليكم دار قوم مـؤمنين » ، وكذلك كان علـيه الصلاة والسـلام يقول، وكنى بالدار عن عمـارها وسكانها ، ولذلك خاطبـهم بالكاف والميم لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله ، وإذا وصل إلى قـبر مـيتـه الذى يعرفـه سلم عليه أيضـاً فيـقول : عليك الـسلام [**حديث صحيح**] .

٤٧- روى الترمذى فى جامعه : أن رجلاً دخل على النبى ﷺ ، فقال: عليك السلام ، فقال ﷺ : « لا تقل عليك السـلام ، فإن عليك السـلام تحية الميـت » وليأته من تلقاء وجـهه فى زيارته كمـخاطبتـه حياً ، ولو خـاطبه حيـاً لكان الأدب استقـباله بوجـــهـه ، فكذلـك ههنا ، ثم يعـتـبـر بمن صـار تحـت التـراب، وانقـطع عن الأهل والأحباب ، بعـد أن قاد الجيوش والعسـاكر ، ونافس الأصحاب والعـشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فجاءه الموت فى وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه فليتأمل الزائر

حال من مضى من إخوانه ، ودرج من أقرانه ، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت فى القبور أجزاؤهم ، وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم **[حديث صحيح]** .

٤٨- وليتذكر ترددهم فى المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمؤاتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب ، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا فى أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه ، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمؤاتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كمآله ، وعند هذا التذكر والاعتبار، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد فى دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه ، والله أعلم .

٥١- قلت :ويبينه حديث مسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله : أين أبى ؟ قال : « **فى النار**» فلما قفا دعاه قال : « **إن أبى وأباك فى النار**» .

[حديث صحيح] .

باب منه ، وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندها

٥٦- أبو داود عن بريدة بن خصيب قال : قال رسول الله ﷺ : «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن فى زيارتها تذكرة» ، وذكر النسائى عن بريدة أيضاً عن النبى ﷺ قال : « من أراد أن يزور قبراً فليزره ، ولا تقولوا «هجراً » بمعنى سوءاً

[حديث صحيح].

٥٨- مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : كيف أقول إذا دخلت المقابر ؟ قال : « قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » خرجه مسلم من حديث بريدة أيضاً ، وزاد : « أسأل الله لنا

ولكم العافية » [**حديث صحيح**] .

٥٩- وفى الصحيحين أنه عليه السلام مر بامرأة تبكى عند قبر لها فقال لها : « اتقى الله واصبرى » الحديث [**حديث صحيح**] .

٦٠- (**فصل**) : هذه الأحاديث تشتمل على فقه عظيم ، وهو جواز زيارة القبور للرجال والنساء والسلام عليها ، ورد الميت السلام على من يسلم عليه، وجواز بكاء النساء عند القبر ، ولو كان بكاؤهن وزيارتهن حراماً لنهى النبى ﷺ المرأة ولزجرها زجراً يزجر مثله من أتى محرما وارتكب منهياً وما روى من نهى النساء عن زيارة القبور فغير صحيح ، والصحيح ما ذكرت لك من الإباحة ، إلا أن عمل النساء فى خروجهن مما لا يجوز لهن من تبرج أو كلام أو غيره فذلك المنهى عنه . وقد ذكرت لك فى الباب قبل الفرق بين المتجالة والشابة ، فتأمله ، وقد أبيح لك أن تبكى عند قبر ميتك حزناً عليه أو رحمة له مما بين يديه ، كما أبيح لك البكاء عند موته . والبكاء عند العرب يكون البكاء المعروف وتكون النياحة ، وقد يكون معهما الصياح ، وضرب الخدود وشق الجيوب . وهذا محرم بإجماع العلماء ، وهو الذى ورد فيه الوعيد من قوله عليه السلام : « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق » خرجه مسلم .

وأما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الإباحة عند القبر ، وعند الموت، وهو بكاء الرأفة والرحمة التى لا يكاد يخلو منها إنسان، وقد بكى النبى ﷺ لما مات ابنه إبراهيم ، وقال عمر : دعهن يبكين على أبى سلمان ما لم يكن نقع أو لقلقة » النقع : ارتفاع الصوت : واللقلقة : تتابع ذلك . وقيل : النقع : وضع التراب على الرأس . والله أعلم [**حديث صحيح**] .

باب المؤمن يموت بعرق الجبين

٦١- ابن ماجه عن بريدة أن النبى ﷺ قال : « المؤمن يموت بعرق

الجبين » خرجه الترمذى وقال فيه : حديث حسن [**حديث صحيح**] .

٦٣- قال عبد الله : إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه فيجازف بها عند الموت أى يجازى ، فيعرق لذلك جبينه. وقال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفته ، لأن ما سفل منه قد مات ، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا ، والحياء فى العينين ، وذلك وقت الحياء والكافر في عمى عن هذا كله ، والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به . وإنما العرق الذى يظهر لمن حلت به الرحمة ، فإنه ليس من ولي ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه ، مع البشرى والتحف والكرامات [**صحيح موقوف**] .

قلت : وقد تظهر العلامات الثلاث ، وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان وقد شاهدنا عرق الجبين وحده ، وذلك بحسب تفاوت الناس فى الأعمال ، والله أعلم .

٦٤- وفى حديث ابن مسعود : « موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيجازف بها عند الموت » أى يشدد لتمحص عنه ذنوبه [**حديث صحيح**] .

باب منه في خروج نفس المؤمن والكافر

٦٥- خرج أبو نعيم من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار ، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها » [**صحيح موقوف منكر مرفوع**] .

باب ما جاء أن للموت سكرات وفي تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يصير الإنسان إليه

٦٦- وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات :

الأولى : قوله الحق ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾ .

الثانية:قوله تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت**﴾ .

الثالثة : قوله تعالى :﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم**﴾ .

الرابعة (قوله) : ﴿ **كلا إذا بلغت التراقى**﴾ .

(روى) البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء . فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله، إن للموت سكرات » ثم نصب يديه فجعل يقول : « فى الرفيق الأعلى »حتى قبض ومالت يده [**حديث صحيح**] .

٦٧- وخرج الترمذى عنها قالت : « ما أغبط أحدا بهون موت . بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ » [**صح بنحوه**] .

٦٨- وفى البخارى عنها قالت : « مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى .

فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبى ﷺ.الحاقنة : المطمئن بين الترقوة والحلق ، والذاقنة : نقرة الذقن . وقال الخطابى : الذاقنة : ما تناله الذقن من الصدر [**حديث صحيح**] .

٧١- وذكر المحاسبى فى « الرعاية » : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : « يا خليلى كيف وجدت الموت؟» قال : كسفود محمى جعل فى صوف رطب ، ثم جذب قال : « أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم ».

٧٣- وقال عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و) السلام : « يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة » يعنى سكرات الموت .

٧٤ - وروى : أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض.

٧٦- وفى الخبر من حديث حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ « أن الملائكة تكتنف العبد ، وتحبسه ، ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت » وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام : إذا تولى الله قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول : « وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن» ذكره القاضى أبو بكر بن العربى .

٧٧- وعن شهر بن حوشب قال : سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته ؟ فقال : « إن أهون الموت بمنزلة حسكة كانت فى صوف ، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف » ؟ .

وأنشدوا :

أذكر الموت ولا أرهبه ... إن قلبى لغليظ كالحجر

أطلب الدنيا كأنى خالد ... ووارئى الموت يقفو بالأثر

وكفى بالموت فاعلم واعظا ... لمن الموت عليه قد قدر

والمنايا حوله ترصده ... ليس ينجى المرء منهن المفر

٨٠- وقال آخر :

بينا الـفـتى مـرح الخـطـا فـرح بمـا	يسعى له إذ قيل: قـد مـرض الفتى
إذ قـيل : بات بـليـلة مـا نـا مـهـا	إذ قـيل : أصبح مـثـخناً ما يرتجى
إذ قيل : أصـبـح شاخصًا وموجـها	ومـعللاً إذ قـيل : أصبح قـد قـضى

٨١- (فصل) أيها الناس :قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحان للغافل أن يتنبه مـن غفلته قبل هجوم الموت بمرارة (كـؤوسه) ، وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبره ، ومقامه بين أرماسه .

وروى عن عـمـر بن عـبـد العزيز أنه كـتب إلى أنـاس من أصـحـابه يوصيهم فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم :

« أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله العظيم ، والمراقبة له ، واتخذوا التـقوى والورع زاداً ، فـإنكم في دار عـما قـريب تنقلـب بـأهلهـا ، والله فـي عرصات القيامة وأهوالها . يسألكم عـن الفتيل والنقير ، فالله الله عباد الله ، اذكروا الموت الذى لا بد منه ، واسمعوا قـول الله (سبحانه و)تعالى : ﴿ كل نفس ذائـقـة الموت﴾ . وقـوله عـز وجل :﴿ كل من عليـها فـان﴾ . وقـولـه عـز وجـل: ﴿ فكيف إذا توفـتـهم الملائكة يضربون وجـوههم وأدبارهم﴾ فـقد بلغني- والله أعلم - أنـهم يضربون بسـياط من نار.وقـال جل ذكـره: ﴿ قل يتـوفـاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ .

٨٤- فـخـيل لنفـسك يا ابـن آدم إذا أخـذت من فـراشك ، إلى لوح مـغـتـسلك فـغـسلك الغـاسل ، وألـبـست الأكـفـان ، وأوحش منك الأهل

والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل أين زوجة فلان تحالله ؟ وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدًا ؟ وأنشدوا :

ألا أيها المغرور مالك تلعب ... تؤمل آمالاً وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد ... سفينته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعاً ... عليك يقيناً طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى تراهم ... وأمهم الثكلى تنوح وتندب
تغص بحزن ثم تلطم وجهها ... يراها رجال بعد ما هى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ... ويحثى عليك الترب والعين تسكب

٨٥- (فصل) : قول عائشة رضي الله عنها : « كانت بين يديه ركوة أو علبة » العلبة : قدح من خشب ضخم يحلب فيه ، (قاله) ابن فارس فى « المجمل» وقال الجوهرى فى « الصحاح » العلبة محلب من جلد ، والجمع:علب وعلاب ، والمعلب الذى يتخذها .

قال الكميت يصف خيلاً :

سقينا دما القوم طوراً ، وتارة ... صبوحاً لإقتار الجلود المعلب

وقيل : أسفله جلد وأعلاه خشب مدور مثل إطار الغربال ، وهو الدائر به، وقيل : هو عس يحلب فيه ، والعس : القدح الضخم ، وقال اللغوى أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى فى كتاب « التلخيص » له : والعلبة : قدح للأعراب مثل العس ، والعس يتخذ من جنب جلد البعير والجمع : علاب ، وقوله : « إن للموت سكرات » أى شدائد ،

وسكرة الموت شدته .

٨٦- (فصل) : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولين ؟ وعن الاستعداد له متخلفين ؟﴿ **قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون**﴾ قالوا : وما جرى على الأنبياء صلوات الله (وسلامه)عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته ، فله فائدتان :

إحداهما : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج روحه، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم: شدة ألمه، مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه،ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتى ذكره .

٨٧- **الثانية** : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء : أحباب الله ، وأنبياؤه ورسله ، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين ، كما قال فى قصة إبراهيم : « أما إنا قد هونا عليك » . فالجواب : « أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » كما قال نبينا عليه (الصلاة و)السلام .خرجه البخارى ، وغيره ، فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ، ورفعة لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك فى حقهم نقصاً، ولا عذاباً ، بل هو كما قال ، كمال رفعة ، مع رضاهم بجميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق ، سبحانه ، أن يختم لهم بهذه الشدائد ، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ، ليرفع منازلهم ،

ويعظم أجورهم قبل موتهم .

كما ابتلى إبراهيم بالنار ، وموسى بالخوف والأسفار ، وعيسى بالصحارى والقفار ، ونبينا محمداً ﷺ بالفقر فى الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة فى أحوالهم ، وكمال فى درجاتهم ، ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم ، ومؤاخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا [**حديث صحيح**] .

٩١- (**فصل**) : إذا ثبت ما ذكرناه ، فاعلم : أن الموت هو الخطب الأفظع ، والأمر الأشنع والكأس التى طعمها أكره وأبشع ، وأنه الحارث الأهذم للذات ، والأقطع للراحات ، والأجلب للكريهات ، فإن أمراً يقطع أوصالك ، ويفرق أعضاءك ، ويهدم أركانك ، لهو الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم .

٩٢- (**ويحكى**) أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه ماؤه أى : بوله مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء ، فجعل يستعرض القوارير، حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصى ، فإنه قد انحلت قواه ، وتداعت بنيته ، ولما استعرض باقى المياه أقيم فذهب ، فيئس الرشيد من نفسه (وأنشد) :

إن الطبيب بطبه ودوائه   لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى   قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوى ، والمداوى والذى   جلب الدواء وباعه ومن اشترى

٩٣- (**وبلغه**) أن الناس أرجفوا بموته ، فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه فاسترخت فخذاه ، فقال : أنزلونى ، صدق المرجفون ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال:

ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه . فمات من ليلته ، فما ظنك - رحمك الله - بنازل ينزل بك فيذهب رونقك وبهاك ويغير منظرك ورؤياك، ويمحو صورتك وجمالك ، ويمنع من اجتماعك واتصالك ، ويردك بعد النعمة والنضرة ، والسطوة والقدرة ، والنخوة والعزة إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك ، وأرحمهم بك ، وأعطفهم عليك، فيقذفك فى حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها ، مظلمة أرجاؤها،محكم عليك حجرها وصيدانها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك تمكن منك الأعدام وتختلط بالرغام ،وتصير تراباً توطأ بالأقدام ،وربما ضرب منك إناء فخار،أو أحكم بك بناء جدار، أو طلى بك محس ما ، أو موقد نار .

٩٤- كما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال : الله أعلم كم فيك من عين كحيل ، وخد أسيل .

٩٥- و(يحكى) أن رجلين تنازعا وتخاصما فى أرض فأنطق الله عز وجل لبنة من حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان فيم تتنازعان ؟ وفيم تتخاصمان ؟ إنى كنت ملكاً من الملوك ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت تراباً ، فبقيت كذلك ألف سنة ثم أخذنى خزاف - يعنى: فخارا فعمل منى إناء فاستعملت حتى تكسرت ثم عدت ترابا فبقيت ألف سنة . ثم أخذنى رجل فضرب منى لبنة ، فجعلنى فى هذا الحائط ، ففيم تنازعكما وفيم تخاصمكما ؟

٩٦- قلت :(قد ذكر أبو محمد عبد الحق فى هذا المعنى حكايات كثيرة فى كتاب«العاقبة») والوجود شاهد بتجديد ما دثر، وتغيير ما غير وعن ذلك يكون الحفر والإخراج ، واتخاذ الأوانى وبناء الأبراج ، ولقد كنت فى زمن الشباب أنا وغيرى ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة وقد اختلط بعظام من هناك وعظمهم ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين يصنعون القرمد للشقف .

٩٧- « قال » علماؤنا رضوان الله عليهم : وهذا التغير إنما يحل بجسدك ، وينزل ببدنك لا بروحك ، لأن الروح لها حكم آخر ، وما مضى منك فغير مضاع ، وتفرقة لا تمنع من الاجتماع ، قال الله تعالى : ﴿**قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**

وعندنا كتاب حفيظ ﴾ وقال : ﴿ فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾.

باب الموت كفارة لكل مسلم

٩٩- (فصل) : إنما كان الموت كفارة ، لكل ما يلقاه الميت في مرضه من الآلام والأوجاع ، وقد قال ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى ، من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » خرجه مسلم [**حديث صحيح**] .

١٠٠- « وفى الموطأ» عن أبى هريرة (قال : قال) رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يصب منه » [**حديث صحيح**] .

١٠٢- قلت : وفى مثل هذا المعنى ما خرجه أبو داود بسند صحيح فيما ذكر أبو الحسن بن الحصار عن (عبيدة) بن خالد السلمى وكانت له صحبة عن النبى ﷺ: « موت الفجأة أخذة أسف للكافر » ، ورواه أيضًا مرسلاً [**حديث صحيح**] .

١٠٤- (وروى) عن ابن عباس (رضى الله عنه) أن داود عليه (الصلاة و)السلام مات فجأة يوم السبت

١٠٥- وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: « إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً فى الدنيا ، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار » . ذكره أبو محمد عبد الحق .

١٠٦- (وخرج) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار ، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها » ذكره أبو محمد عبد الحق [**صحيح موقوف منكر مرفوع**] .

١٠٧- وذكر ابن المبارك أن أبا الدرداء- رضى الله عنه – قال : «أحب الموت

اشتياقاً إلى ربى ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتى ، وأحب الفقر تواضعًا لربى عز وجل» . [خبر صحيح].

باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن وفي الخوف من الله تعالى

١٠٨- مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أخرجه البخارى

[حديث صحيح].

١١٠- « ابن ماجه » ، عن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال : « كيف تجدك ؟ » فقال :أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف) . ذكره ابن أبى الدنيا أيضاً ، وخرجه الترمذى ، وقال : هذا حديث حسن غريب [حديث حسن] .

(وقد روى) بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبى ﷺ مرسلاً .

١١١- (وذكر) الترمذى الحكيم في الأصل السادس والثمانين من (نوادر الأصول) : حدثنا يحيى بن حبيب عن عدى قال : حدثنا بشر المفضل عن عوف عن الحسن أنه قال : بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال : قال ربكم عز وجل:« لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين، فمن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته في الآخرة » [حديث حسن وإسناده مرسل].

١١٣- (فصل):حسن الظن بالله تعالى ، ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغى لجلسائه أ ن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى: « أنا عند ظن عبدي بى فليظن بى ما شاء» [حديث صحيح] .

١١٥- (وروى) عن ابن عمر أنه قال : « عمود الدين وغاية مجده وذروة

سنامه : حسن الظن بالله ، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله (تعالى) دخل الجنة مدلاً» أى منبسطاً لا خوف عليه .

١١٦- (وقال) عبد الله بن مسعود : « والله الذى لا إله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده » [**لا بأس به**] .

١١٨- وقال الفضيل : « الخوف أفضل من الرجاء ، ما كان العبد صحيحاً فإذا نزل به الموت ، فالرجاء أفضل من الخوف » [**خبر صحيح**] .

١١٩- وذكر ابن أبى الدنيا : قال : حدثنا يحيى بن عبد الله البصرى . قال: حدثنا سوار بن عبد الله قال: حدثنا المعتمر ، قال:قال أبى حين حضرته الوفاة : « يا معتمر ، حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله وأنا حسن الظن به » [**خبر صحيح**] .

١٢٠- قال : وحدثنا عمرو بن محمد الناقد ،، قال : حدثنا خلف بن خليفة عن حصين عن إبراهيم قال : « كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت ، حتى يحسن ظنه بربه عز وجل » [**خبر حسن**] .

١٢١- وقال ثابت البنانى : كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهى تقول : يا بنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا ، قال : يا أماه إن لى رباً كثير المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لا يعدمنى بعض معروفه ، فقال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بالله فى حاله تلك [**خبر حسن**] .

١٢٣- وكان يحيى بن زكريا إذا لقى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام : عبس ، وإذا لقيه عيسى ، تبسم ، فقال له عيسى : « تلقانى عابساً كأنك آيس » ؟ فقال له يحيى : « تلقانى ضاحكاً كأنك آمن»؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما : « إن أحبكما إلى أحسنكما ظنا بى» ذكره الطبرى [**الخبر من الإسرائيليات**] .

١٢٤- وقال زيد بن أسلم : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : انطلقوا به إلى النار فيقول : يا رب فأين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله تعالى : « اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى » .

[**إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات**]

وفى التنزيل : ﴿ **قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾ وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى باب سعة رحمة الله وعفوه يوم القيامة ، إن شاء الله تعالى .

باب تلقين الميت : لا إله إلا الله

١٢٥- مسلم عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لقنوا موتاكم « لا إله إلا الله » [**حديث صحيح**] .

١٢٩- (**فصل**) : قال علماؤنا : تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون ، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وصححه أبو محمد عبد الحق ، ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته ، على ما يأتى [**حديث صحيح لغيره**] .

١٣٠- فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين ، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه ، قال ابن المبارك : « لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه » قال أبو محمد عبد الحق : وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج عليه بها أن يتبرم ويضجر ، ويثقلها الشيطان عليه ، فيكون سبباً لسوء الخاتمة . وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . قال الحسن بن عيسى : قال لى ابن المبارك : لقنى – يعنى الشهادة – ولا تعد على إلا أن أتكلم بكلام ثان ، والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله عز وجل ، لأن المدار على القلب ، وعمل القلب هو الذى ينظر فيه ، وتكون النجاة به ، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ، ولا عبر عندها.

١٣١- قلت : وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبو نعيم أن أبا زرعة كان فى السوق وعنده أبو حاتم ، ومحمد ابن سلمة . و المنذر بن شاذان ، وجماعات من العلماء ، فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبى زرعة فقالوا : يا أصحابنا تعالوا نتذاكر الحديث . فقال محمد بن سلمة : حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم ، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي

غـريب ولـم يجـاوزه .وقـال أبو حاتم : حـدثنا بنـدار ، حدثنا أبـو عاصم ، عن عبـد الحميد بن جعفر ، عن صـالح بن أبي غريب ولم يجاوزه والباقون سكوت ، فقال أبو زرعة وهو فى السوق : حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر ،عن صالح بن أبي غريب ، عن كثير بن مرة الحضرمى ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من كـان آخـر كلامـه لا إله إلا اللـه دخل الجنة » وفى رواية «حـرمـه الله على النار » وتوفى رحمه الله [**خبر صحيح**] .

١٣٢– ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قـال : دخلت مع عامر الشعبى على مريـض نعوده فوجـدناه لما به ، ورجل يلقنه الشـهادة ويقـول له : (قل)لا إله إلا الله وهو يكثر عليه فقال له الشـعبى : ارفق به ، فتكلم المريض وقال: إن تلقنى أو لا تلقنى . فإنـى لا أدعها ثـم قرأ ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ فقال الشعـبى : الحمد لله الذى نجـى صـاحبنـا هذا ، وقيل للجنيد رحمـه الله عند موته : قل : لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيته فأذكره .

باب من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير وكيف الدعاء للميت إذا مات وفي تغميضه

١٣٥– مسلم عـن أم سلمة رضى الله عنهـا قالت:قـال رسول الله ﷺ: « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » .

قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله « إن أبا سلمة قد مات فقال : « قولى : اللهم اغفر لى وله واعـقبنى منه عقبى حسنة» قالت فقلت : فأعقبنى الله من هو خير منه : رسول الله ﷺ [**حديث صحيح**] .

١٣٦– وعنهـا قالت : دخل رسـول الله ﷺ على أبى سلمـة وقد شق بصـره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله ، فقال : « لا تدعوا على أنفسكـم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تـقولون » ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره . ونور له فيه » [**حديث صحيح**] .

١٣٧- (فصل) : قال علماؤنا : قوله عليه (الصلاة و)السلام : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً» أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت ، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك ، ولهذا استحب العلماء : أن يحضر الميت الصالحون ، وأهل الخير حالة موته ليذكروه ، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيراً فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه .

باب منه وما يقال عند التغميض

١٣٨- ابن ماجه . عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح ، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت » [**حديث حسن**] .

١٣٩- وذكر الخرائطى أبو بكر محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا : إسماعيل بن علية عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم الحسن قالت : كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال : فلان بالموت ، فقالت لها انطلقى فإذا احتضر فقولى السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين [**خبر صحيح**] .

١٤٠- وخرج من حديث سفيان الثورى عن سليمان التيمى عن بكر ابن عبد الله المزنى قال : إذا غمضت الميت فقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ وسبح . ثم تلا سفيان ﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم**﴾ قال أبو داود: تغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح . سمعت محمد بن أحمد المقرى قال سمعت أبا ميسرة ، وكان رجلاً عابداً يقول : غمضت جعفر المعلم وكان رجلاً عاقلاً في حالة الموت فرأيته فى منامي يقول: أعظم ما كان على تغميضك قبل أن أموت [**خبر صحيح**] .

باب ما جاء أن [الشيطان] يحضر [الميت] عند موته وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

١٤٢- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضرت وفاة أبي أحمد ، وبيدى

الخرقة لأشد لحييه ، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده : لا بعد لا بعد ، فعل هذا مراراً فقلت له : يا أبت ، أى شيء ما يبدو منك ؟ فقال : إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول : يا أحمد فتنى وأنا أقول لا . بعد لا ، حتى أموت .

١٤٥- وقال الربيع بن مرة بن معبد الجهنى وكان عابداً بالبصرة : أدركت الناس بالشام وقيل لرجل : يا فلان قل : لا إله إلا الله قال : اشرب واسقنى ، وقيل لرجل بالأهواز يا فلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : ده يازده دوازده ، تفسيره : عشرة ، أحد عشر ، اثنا عشر . كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان ، فغلب عليه الحساب والميزان . ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق ، قال الربيع : وقيل لرجل ها هنا بالبصرة يا فلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجاب

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد : هذا رجل قد استدلته امرأة إلى الحمام ، فدلها إلى منزله فقاله عند الموت .

١٤٦- وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية فى كتاب(العاقبة)له فقال : هذا الكلام له قصة ، وذلك أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره ، وكان يشبه باب حمام ، فمرت به جارية لها منظر وهى تقول : أين الطريق إلى حمام منجاب ؟ فقال لها : هذا حمام منجاب . وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها ، فلما رأت نفسها معه فى داره وليس بحمام علمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفى تلك الدار وقالت له : يصلح (أن يكون) معنامـا نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا، فقال لها : الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين ، فخرج وتركها فى الدار ولم يقفلها ، وتركها محلولة على حالها ومضى، فأخذ ما يصلح لهما ورجع ، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً ، فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وجعل يمشى فى الطرق والأزقة وهو يقول :

يا رب قائلة يوماً قد لغبت: أين الطريق إلى حمام منجاب

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهى تقول :

هلا جعلت لها ظفرت بها حرازاً على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر . فنعوذ بالله من المحن والفتن .

١٤٧- قلت : ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو سبب من أسبابها ، حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاء عنده الموت فقيل له : قل : لا إله إلا الله ،فجعل يقول : ثلاثة ونصف ، أربعة ونصف ، غلبت عليه(حب) السمسرة .

ولقد رأيت بعض الحساب وهو فى غاية المرض ، يعقد بأصابعه ويحسب ، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا ، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله ، فجعل يقول : عقلك الحمارة، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : البقرة الصفراء ، غلب عليه حبها والاشتغال بها . نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه .

ولقد حكى ابن ظفر فى كتاب(النصائح)له قال : كان يونس بن عبيد - رحمه الله تعالى - بزازاً ، وكان لا يبيع فى طرفى النهار ولا فى يوم غيم ، فأخذ يوماً ميزانه فرضه بين حجرين فقيل له : هلا أعطيته الصانع فأصلح فساده ؟ فقال : لو علمت فيه فساداً لما أبقيت من مالى قوت ليلة . قيل له : فلم كسرته ؟ قال : حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له : قل لا إله إلا الله ، فامتعض ، فألححت عليه فقال : ادع الله لى فقال : هذا لسان الميزان على لسانى يمنعنى من قولها ، قلت : أفما يمنعك إلا من قولها ؟ فقال : نعم . قلت : وما كان عملك به ؟ قال : ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً فى علمى، غير أنى كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره. فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتى بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه .

باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

١٤٨- مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة »

[حديث صحيح وهو متواتر] .

١٤٩- وفى البخارى عن سهل بن سعد ، عن النبى ﷺ قال : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » [**حديث صحيح**] .

١٥٠- قال أبو محمد عبد الحق : اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، وما سمع بهذا ، ولا علم به - والحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل ، أو إصرار على الكبائر ، وإقدام على العظائم . فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة ، والعياذ بالله ثم العياذ بالله ، أو يكون ممن كان مستقيماً ، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ، ويأخذ فى طريقه ، فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته وشؤم عاقبته ، كإبليس الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة ، وبلعام بن باعوراء الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض ، واتباع هواه، وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه : ﴿**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر**﴾ .

١٥١- ويروى : أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ، فافتتن بها وترك الأذان ، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له : ما شأنك ؟ ما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت:لماذا ؟ قال لها :(قد) سلبت لبى ، وأخذت بمجامع قلبى ، قالت : لا أجيبك إلى ريبة ، قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأنا نصرانية وأبى لا يزوجنى منك ، قال لها :أتنصر . قالت : إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوجها ، وأقام معهم فى الدار ، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط منه فمات ، فلا هو بدينه ولا هو بها . فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة .

١٥٢- ويروى أن رجلاً علق بشخص وأحبه ، فتمنع عنه واشتد نفاره فاشتد

كلف البائس إلى أن لزم الفراش ، فلم تزل الوسائط تمشى بينهما حتى وعد بأن (يعوده)، فأخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره ، وانجلى عنه بعض ما كان يجده ، فلما كان في بعض الطريق رجع ، وقال: والله لا أدخل مداخل الريب ، ولا أعرض بنفسى لمواقع التهم فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط فى يده ، ورجع إلى أسوأ ما كان به وبدت علامات الموت وأماراته عليه .

قال الراوى : فسمعته يقول وهو فى تلك الحال :

سلام يا راحة العليل ... وبرد ذل الدنف النحيل

رضاك أشهى إلى فؤادى ... من رحمة الخالق الجليل

قال : فقلت له : يا فلان ، اتق الله تعالى فقال : قد كان ما كان . فقمت عنه ، فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه . فنعوذ بالله من سوء العاقبةوشؤم الخاتمة .

١٥٣- قال المؤلف رحمه الله : وروى البخارى عن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان النبى(ﷺ) يحلف : «لا ومقلب القلوب » ومعناه يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكراهية وغير ذلك من الأوصاف. وفى التنزيل ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما يصنع . بيانه :﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ أى عقل ، واختار الطبرى أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى بأنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل [**حديث صحيح**] .

١٥٤- وقالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى ﷺ يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبى على طاعتك » فقلت : يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى ؟ قال : « وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه » [**حديث صحيح**] .

١٥٥- (قال العلماء) : وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة ، والاستقامة

على مشيئته موقوفة ، والعاقبة مغيبة ، والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره ، فمهما افتخرت بذلك ، كنت كالمفتخر بمتاع غيره ، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير ، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، فأصبحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم ، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم .

١٥٦- (روى) النسائى عن عثمان رضى الله عنه قال : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد ، فعلقت به امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها فطفقت الجارية كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضت إلى امرأة وضيئة -أى جميلة- عندها غلام ، وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على ، أو تشرب من هذه الخمر كأساً أو تقتل هذا الغلام (قال): قال : فاسقينى من هذه الخمر؟ فسقته كأساً قال : زيدونى، فلم يزل يشرب حتى وقع عليها وقتل الغلام . فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه » [**خبر صحيح**] .

١٥٧- ويروى أن رجلاً أسيراً مسلماً ، وكان حافظاً للقرآن ، خص بخدمة راهبين ، فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر المسلم ، وقيل له : ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه ، قال : لا أرجع إليه أبداً فقتل، وفى الخبر قصته ، والحكايات كثيرة فى هذا الباب نسأل الله السلامة والممات على الشهادة .

١٥٨- وأنشد بعضهم :

قد جرت الأقلام فى ذى الورى ... بالختم من أمر الحكيم العليم

فمن سعيد وشقى ومن ... مثر من المال وعار عديم

ومن عزيز رأسه فى السها ... ومن ذليل وجهه فى التخوم

ومن صحيح شيدت أركانه ... : وآخر واهى المباني سقيم

كل على منهاجه سالك ... (ذلك تقدير العزيز العليم)

١٥٩- وقال الربيع : سئل الشافعي عن القدر فأنشأ يقول :

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن
ومنهم شقي ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم غنى ومنهم فقير	وكل بأعماله مرتهن

باب ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة

١٦١- وفى البخارى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة » يقال أعذر فى الأمر: أى بالغ فيه أى أعذر غاية الإعذار بعبده وأكبر الأعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته عليهم ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ وقال : ﴿ **وجاءكم النذير**﴾ قيل : هو القرآن . وقيل : هو الرسل إليهم . وعن ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى قالوا : هو الشيب فإنه يأتى فى سن الاكتهال . فهو علامة لمفارقته سن الصبا الذى هو سن اللهو واللعب قال :

رأيت الشيب من نذير المنايا	لصاحبه وحسبك من نذير

وقال آخر :

تقول النفس غير لون هذا	عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى	ولست مسوداً وجه النذير

وقال آخر :

وقائلة : تخضب فالغوانى	نوافر عن معاينة النذير

وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى عليه :

كم تصابى وقد علاك المشيب ... وتعامى جهلاً وأنت اللبيب

كيف تلهو وقد أتاك نذير ... وشباك الحمام منك قريب

يا مقيمًا قد حان منه رحيل ... بعد ذاك الرحيل يوم عصيب

إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذ أتتك طبيب

ثم تثوى حتى تصير رهيناً ... ثم يأتيك دعوة فتجيب

بأمور المعاد أنت عليم ... فاعملن جاهداً لها يا أريب

وتذكر يوماً تحاسب فيه ... إن من يذكر الممات ينيب

ليس فى ساعة من الدهر إلا ... للمنايا عليك فيها رقيب

كل يوم ترميك منها بسهم ... إن يخطئ يوماً فسوف يصيب

وله أيضاً رضى الله عنه :

ثلاث وستون قد جزتها ... فماذا تؤمل أو تنتظر

وحل عليك نذير المشيب ... فما ترعوى أو فما تزدجر

تمر لياليك مرأحثيثاً ... وأنت على ما أرى مستمر

فلو كنت تعقل ما ينقضى ... من العمر لاعتضت خيراً بشر

فما لك - ويحك - لا تستعد ... إذن لدار المقام ودار المقر

أترغب عن فجأة للمنون ... وتعلم أن ليس منها وزر

فإما إلى جنة أزلفت ... وإما إلى سقر تستعر

وللفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى ذمنين رحمه الله تعالى آمين :

الموت فى كل حين ينشر الكفنا   ونحن فى غفلة عما يداوينا

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها   وإن توشحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا   أين الذين همو كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية   فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

[حديث صحيح]

وقيل : كمال العقل الذى تعرف به حقائق الأمور ، ويفصل به بين الحسنات والسيئات ، فالعاقل يعمل لآخرته ، ويرغب فيما عند ربه ، فهو نذير، والنذير بمعنى الإنذار والإنذار والإعذار قريب بعضه من بعض ، وأكبر الإعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ثم الشيب أو غيره كما بينا . وجعل الستين غاية الإعذار لأن الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله ، وترقب المنية ، ولقاء الله ففيه إعذار بعد إعذار ، وإنذار بعد إنذار .

الأول : بالنبى ﷺ .

والثانى : بالشيب وذلك عند كمال الأربعين ، قال الله تعالى : ﴿ **وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك** ﴾ فذكر عز وجل : أن من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها .

١٦٣- وقال مالك رحمه الله : أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يأتى لأحدهم أربعون سنة فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس .

(**تنبيه**) : هذا الباب هو الأصل فى إعذار الحكام إلى المحكوم عليه مرة بعد أخرى ، وكان هذا لطفاً بالخلق ولتنفيذ القيام عليهم بالحق .

١٦٤- حكى عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحات كثيراً وكان يخلو فى بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم فبينما هو فى البستان إذ رأى رجلاً يتخلل الشجر فغضب وقال : من أذن لهذا؟ وجاء الرجل فجلس أمامه ، وقال : ما

ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أن له مدافعة تدفعه عنه ؟ فقال : ينظره الحاكم بقدر ما يرى . قال السائل : قد ضرب له الحاكم أجلاً فلم يأت بمنفعة ولا أقلع عن اللدد والمدافعة، قال يقضي عليه . قال فإن الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة!! فأطرق الفقيه وتحدر عرق وجهه وذهب السائل ، ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل ، فقال البواب : ما دخل أحد عليكم ولا خرج من عندكم أحد ، فقال لأصحابه : انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك إلا في مجلس يذكر فيه العلم .

١٦٥- **فصل** : وقد رأيت أن أصل بهذه الحكاية حكايات في الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير .

حكى عن بعض المترفين أنه رفض ما كان فيه بغتة على غير تدريج ، فسئل عن السبب فقال ما معناه : كانت لي أمة لا يزيدني طول الاستمتاع منها إلا غراماً بها فقلبت شعرها يوماً فإذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت : وقالت أرني فأريتها فقالت : ﴿**جاء الحق وزهق الباطل**﴾ ثم نظرت إلي وقالت : اعلم أنه لو لم تفترض على طاعتك لما أويت إليك فدع لي ليلي أو نهاري لأتزود فيه لآخرتي ،فقلت : لا ولا كرامة. فغضبت وقالت: أتحول بيني وبين ربي وقد آذنني بلقائه ؟ اللهم بدل حبه لي بغضاً قال: فبت وما شيء أحب إلي من بعدها عني وعرضتها للبيع فأتاني من أعطاني فيها ما أريد ، فلما عزمت على البيع بكت فقلت: أنت أردت هذا، فقالت: والله ما اخترت عليك شيئاً من الدنيا هل لك إلى ما هو خير لك من ثمني ؟ قلت : وما هو ؟ قالت : تعتقني لله عز وجل ، فإنه أملك لك منك لي وأعودعليك منك علي ، فقلت : قد فعلت ، فقالت : أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف أملك. وتزهدت فبغضت إلى الدنيا ونعيمها .

١٦٩- وفي الآثار النبوية : « من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة» [**حديث صحيح**] .

والأخبار في هذا الباب كثيرة ، وكذلك الشعر اكتفينا منه بما ذكرنا وبالله توفيقنا .

١٧١- وقال أعرابي في الشيب والخضاب :

يا بؤس من فقد الشباب وغيرت منه مفارق رأسه بخضاب
ومصير كل عمارة لخراب ومصير كل عمارة لخراب
عيناى حتى يؤذنا بذهاب عيناى حتى يؤذنا بذهاب
إنى وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الأحباب

باب متى تنقطع معرفة العبد من الناس وفى التوبة وبيانها ، وفى التائب من هو ؟

١٧٣- **فصل** : قوله : إذا عاين ، يريد إذا عاين ملك الموت أو الملائكة والله أعلم ، وهو معنى قوله عليه (الصلاة و)السلام فى الحديث الآخر:« إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » خرجه الترمذى أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان ، كما قال تعالى فى محكم البيان **﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾** وقال تعالى : **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن﴾** فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح ، وذلك عند غرغرته بالروح ، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين ، فشخص من الصدر إلى الحلقوم . فعندها المعاينة ، وعندها حضور الموت ، فاعلم ذلك ، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة ، وهو معنى قوله تعالى :**﴿ثم يتوبون من قريب﴾** .

١٧٤- قال ابن عباس والسدى : من قريب : قبل المرض والموت .

١٧٥- وقال أبو مجلز والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم : قبل المعاينة للملائكة والسوق وأن يغلب المرء على نفسه ، ولقد أحسن محمود الوراق حيث قال :

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن

بادر بـه غلق النفـوس فـإنهـا ذخـر وغنـم للمنـيـب المحسـن

قـال علمـاؤنا – رحـمـهم الله– وإنما صـحت منـه التـوبة فى هذا الوقت لأن الرجـاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الـفعل . وقـيل: المعنى : يتوبون على قـرب عهـد من الذنب من غيـر إصرار . والمبادرة فى الصـحة أفضل وألحق لأمـله من العمل الصـالح والبـعد كل البعـد من الموت ، وأمـا ما كـان قـبل الموت فهـو قـريب . عن الضحاك أيضاً .

ولها شروط أربعة : الندم بالقلب ، وترك المعصية فى الحال ، والعزم على أن لا يعود إلى مـثلها ، وأن يكون ذلك حـياء من الله تعـالى ، وخوفـاً منه لا من غيـره فإذا اختل شـرط من هذه الشروط لم تصح التـوبة . وقد قيل : مـن شروطها : الاعـتراف بالذنب وكثـرة الاستغفار الـذى يحل عقد الإصرار ويثـبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان . فأما من قال بلسانه : أسـتغفر الله وقلبه مصر على معصيتـه فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر .

١٧٧– وروى عن الحسن البصرى أنه قال : استغفارنا يحتاج إلى استغفار .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا مقوله فى زمانه فكيف في زماننا هذا الذى يرى فيـه الإنسان مكباً على الظلم حـريصاً عليه لا يقلع والسـبحة في يده زاعـماً أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف . وهو ممن اتخذ آيات الله هزواً وفى التنزيل ﴿ **ولا تتخذوا آيات الله هزواً** ﴾ .

١٧٨– وروى عن على رضى اللـه عنه أنه رأى رجـلاً قـد فـرغ من صـلاته ، وقال : اللهـم إنى أسـتغفـرك وأتوب إليك ، سريعاً فـقال له : يا هذا إن سرعـة اللسان بالاستـغفار توبة الكذابين وتوبتـك تحتاج إلى توبة، قـال: يا أمير المؤمنين :ومـا التوبة؟ قال : اسم يقع علـى ستة مـعان:على الماضى من الذنوب، الندامـة،ولتضـييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم إلى أهلها ، وأدئب النفـس فى الطاعة كما أدأبتها فى المعـصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وأن تزين نفسك فى طاعة الله كما زينتها فى معصية الله ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

١٧٩– وقـال أبو بكر الـوراق : التـوبة أن تكون نصـوحـًـا ، وهو أن تضـيق

عليك الأرض بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك ، كالثلاثة الذين خلفوا .

١٨٠- وقيل : التوبة النصوح هى رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات وقيل : غير هذا ، وبالجملة فالذنوب التى يتاب منها إما كفر أو غيره ، فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سالف كفره ، وليس مجرد الإيمان نفس التوبة ، وغير الكفر : إما حق الله وإما حق لغيره ، فحق الله تعالى يكفى فى التوبة منه الترك غير أن منها ما لم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك ، بل أضاف إلى ذلك فى بعضها قضاء ، كالصلاة والصوم ، ومنها ما أضاف إليه كفارة كالحنث فى الأيمان وغير ذلك وأما حقوق الآدميين فلابد من إيصالها إلى مستحقيها فإن لم يوجدوا تصدق عنهم ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعساره، فعفو الله مأمول وفضله مبذول . فكم ضمن من التبعات وبدل من السيئات بالحسنات ، وعليه أن يكثر من الأعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات فهذا الكلام في حقيقة التوبة .

١٨٢- قال العلماء : إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غصبهم من مال أو خانهم أو غلهم أو اغتابهم أوخرق أعراضهم أو شتمهم أوسبهم فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك ، فإن انقرضوا فإن كان لهم قبله مال رده إلى الورثة ، وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ويستغفر لهم بعد الموت ، ويدعو : اللهم عوض الذم والغيبة لا خلاف فى هذا ، وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلال ، وإن كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطمار متوسطة ، وتغيير المجلس : هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والأحداث . ويجالس العلماء ومجالس الذكر والفقراء والصالحين ويتقرب إلى قلوبهم بالخدمة وبما يستطيع ويصافحهم . وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجانب ما كان من شبهة أو شهوة ، ويغير أوقات أكله ، ولا يقصد اللذيذ من الأطعمة، وتغيير النفقة هو بترك الحرام وكسب الحلال ، وتغيير الزينة بترك التزين فى الأثاث،والبناء ، واللباس ،والطعام ، والشراب، وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ما كان يشغله بالبطالة والغفلة والمعصية كما قال الله تعالى : ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾. وتغيير الخلق هو بأن ينقلب خلقه من الشدة إلى اللين ومن الضيق إلى السعة ومن الشكاسة إلى السماحة . وتوسيع القلب يكون بالإنفاق ثقة بالقيام على كل حال ، وتوسيع الكف بالسخاء

والإيثار بالعطاء ، هكذا يبدل كل ما كان فيه كشرب الخمر بكسره وسقى اللبن والعسل والزنا بكفالة الأرملة واليتيمة وتجهيزهما ويكون مع ذلك نادماً على ما سلف منه ، ومتحسراً على ما ضيع من عمره، فإذا كملت التوبة به على هذه الخصال التى ذكرنا والشروط التى بينا تقبلها الله بكرمه وأنسى حافظيه وبقاع الأرض خطاياه وذنوبه . قال الله تعالى: ﴿ **وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ .

١٨٣- والأصل فى هذه الجملة : حديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الرجل الذى قتل مائة نفس ثم سأل : هل له من توبة ؟ فقال له العالم : ومن يحول بينك وبينها ، انطلق إلى أرض بنى فلان فإن بها ناسا صالحين يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء. الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح [**حديث صحيح**] .

١٨٤- وفى مسند أبى داود الطيالسى : حدثنا زهير بن معاوية ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن زياد وليس بابن أبى مريم ، عن عبد الله بن مغفل قال : كنت مع أبى وأنا إلى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبى : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله عز وجل تاب الله عليه ؟ » فقال: نعم سمعته يقول : « الندم توبة » [**حديث صحيح**] .

١٨٥- وفى صحيح مسلم ، والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه » [**حديث صحيح**] .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فدل القرآن على أن فى الذنوب كبائر وصغائر، خلافاً لمن قال : كلها كبائر ، حسب ما بيناه فى سورة النساء ، وأن الصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتنباب الكبائر قطعاً بوعده الصدق، وقوله الحق ، لا إنه يجب عليه ذلك ، لكن بضميمة أخرى إلي الاجتناب ، وهى إقامة الفرائض كما نص عليه الحديث .

١٨٧- ومثله : ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما

بينهن إذا اجتنبت الكبائر » على هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء ، وهو الصحيح فى الباب. وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها كما بينا ، وقد اختلف فى تعيينها ليس هذا موضع ذكرها ، وسيأتى فى القصاص .

وفى أبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**] .

باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يبشر وأنه يصعد بها

١٨٨- ابن المبارك قال : أخبرنا حيوة قال : أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى قال : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال : السلام عليك يا ولى الله ، الله يقرئك السلام ، ثم نزع بهذه الآية ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم** ﴾ [**خبر حسن**] .

١٨٩- وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام .

١٩٠- وعن البراء بن عازب فى قوله(تعالى) ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه [**خبر حسن**] .

١٩٢- ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان بن فلان فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى . فإذا كان الرجل السوء قال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة وأبشرى بجحيم وغساق ، وآخر

من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث . ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء،ثم تصير إلى القبر » خرجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة .

١٩٣- قال : حدثنا شبابة بن يسار ، سوارعن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، وهذا إسناد صحيح ثابت ،اتفق على رجاله البخارى ومسلم ما عدا ابن أبى شيبة فإنه لمسلم وحده خرجه عبد بن حميد أيضاً عن ابن ذئب قال محمد بن عمر، فحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجى أيتها الروح الطيبة» فذكره مسلم عن أبي هريرة قال : « إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها » .

قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكرالمسك ، قال : ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه . فينطلق بها إلى ربه ثم يقول : انطلقوا بها إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لعناً . ويقول أهل السماء :روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال: فيقال: انطلقوا بها إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا [**حديث صحيح**] .

١٩٤- (أخرجه)البخارى عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة - أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت، فقال : « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه » أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضى الله (عنهم) [**حديث صحيح**] .

١٩٥- **فصل** : هذا الحديث ، وإن كان مفسراً مبينا ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها فى تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانئ ، وقد سألها عما سمعه من أبي هريرة وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج

الصدر واقشعر الجلد تشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . خرجه مسلم [**حديث صحيح**] .

١٩٧ – وخرج الترمذى فى أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً استعمله،فقيل:كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت .قال أبو عيسى هذا حديث صحيح [**حديث صحيح**]

١٩٨– قال الشيخ المؤلف رحمه الله ومنه الحديث الآخر : إذا أراد الله بعبده خيراً عسله . قالوا يا رسول الله وما عسله ؟ قال : يفتح الله له عملاً صالحاً بين يدى موته متى يرضى عنه من حوله[**حديث صحيح**] .

١٩٩–وعن قتادة فى تفسير قوله تعالى:﴿ **فروح وريحان**﴾ قال: الروح : الرحمة ، والريحان : تتلقاه به الملائكة عند الموت [**خبر صحيح**] .

٢٠١– وأما قوله فى الحديث : حتى ينتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى ، فالمعنى أمر الله وحكمه وهى السماء التى عندها سدرة المنتهى التى إليها يصعد ما يعرج به من الأرض ومنها يهبط ما ينزل به منها . كذا فى صحيح مسلم من حديث الإسراء .

وفى حديث البراء أنه ينتهى به إلى السماء السابعة، وسيأتى إن شاء الله تعالى.

٢٠٢– وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم ونظر ، ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله : ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ فذكره له هذا الحديث فما كان منه إلاأن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته وبين أيدينا رطب نأكله ، فقلت له : الحديث صحيح خرجه ابن ماجه في السنن ولا ترد الأخبار بمثل هذا القول، بل تتأول وتحمل على ما يليق من التأويل والذين رووها الذين رووا لنا الصلوات الخمس ، وأحكامها ، فإن صدقوا هنا صدقوا هناك،وإن كذبوا هنا كذبوا هناك ، ولا تحصل الثقة بأحد فيما يرويه.

٢٠٣– وقد خرج البزار فى مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن

النبى ﷺ قال : « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال: ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية**﴾ مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته ،فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطيت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين،وإن الكافرإذا وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة ، فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة ،اخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين » . [**حديث صحيح**]

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فقوله فى روح المؤمن : يذهب بها إلى عليين هو معنى ما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم إلى السماء التى فيها الله، والأحاديث يفسر بعضها بعضاً ولا إشكال .

وذكرته عند بعض من يتسم بالعلم والفقه والقضاء فلم يكن منه إلا أن بادر بلعن من رواه ونقله . فظن منه التجسيم ، فقلت له : الحديث صحيح والذين رووه هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس وغيرها من أمور الدين ، فإن كذبوا هنا كذبوا هنالك ، وإن صدقوا هنا صدقوا هنالك والتأويل مزيل ما توهمته ، وكان في ذلك كلام وحضره جماعة من أهل الفقه والنظر فذكرت له ما ذكرناه ، وذكرت له حديث التنزيل وقوله تعالى: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وما تأوله العلماء فى ذلك ، وسيأتى من ذلك فى هذا الكتاب ما فيه كفاية لمن اهتدى والحمد لله .

وأما قوله ، فى حديث محمد بن كعب أول الباب ، إذا استنقعت نفس المؤمن، فقال شمر لا أعرفه ، وسمعت الزهرى يقول : يعنى إذا اجتمعت فى فيه حين تريد أن تخرج كما يستنقع الماء فى قراره ، والنفس : الروح ها هنا حكاه الهروى .

باب ما جاء في تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض وفي عرض الأعمال

٢٠٤- ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : إذا قبضت

نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير فى الدنيا ، فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض :أنظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان فى كرب شديد قال : فيقبلون عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول : إنه هلك فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية قال : فتعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وقالوا : اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها ، وإن رأوا شراً قالوا: اللهم راجع بعبدك [**خبر حسن موقوف**] .

٢٠٥- قال ابن المبارك : وأخبرنا صفوان بن عمرو ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن أبا الدرداء كان يقول : إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤون قال : يقول أبو الدرداء : اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملاً يخزى به عبد الله بن رواحة [**خبر صحيح موقوف**] .

٢٠٦- وفى رواية : اللهم إنى أعوذ بك من عمل يخزينى عند عبد الله بن رواحة [**خبر صحيح**] .

٢٠٧- أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفى قال : أخبرني عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له : استأذن لى على ابنة أخى ، وهى زوجة عثمان وهى ابنة عمرو بن أوس ، فأستأذنت له فدخل عليها ثم قال : كيف يفعل بك زوجك ؟ قالت : إنه إليَّ لمحسن فيما استطاع فالتفت إلي ثم قال : يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس فقلت : وهل تأتى الأموات أخبار الأحياء ؟ قال : نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه، فإن كان خيراً سر به وفرح وهنئ به، وإن كان شراً ابتأس وحزن به حتى إنهم ليسألون عن الرجل قد مات فيقال : أو لم يأتكم ؟ فيقولون : لا ، خولف به إلى أمه الهاوية [**خبر حسن**] .

٢٠٨- وعن الحسن البصرى رضى الله عنه قال : إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فتلقاه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقول : أو لم يأتكم ؟ فيقولون : لا والله ما جاءنا ولا مر بنا فيقولون : سلك به إلى أمه

الهاوية ... فبئست الأم وبئست المربية[**خبر صحيح**] .

فصل : هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها لا يقال من جهة الرأى.

٢١٠- وقد خرج النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الحديث وفيه : « فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال : أو ما أتاكم ؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية » وذكر الحديث: وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**] .

٢١٤- وقد قيل في قوله عليه الصلاة والسلام : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » : إنه هذا التلاقى ، وقد قيل : تلاقى أرواح النيام والموتى وقيل غير هذا . والله أعلم [**حديث صحيح**] .

باب منه

٢١٧- فقد روى فى الحديث أن النبى ﷺ كان يهدى لصدائق خديجة صلة منه لها وبراً وإذا كان الفعل صلة وبراً ،كان ضده عقوبة وقطيعة وعقوقاً ، وقيل : يجوز أن يكون معنى الحديث : الميت يؤذيه فى قبره من كان يؤذيه فى بيته إذا كان حياً فيكون(ما) بمعنى «من » ويكون ذلك مضمراً فى الكلام ، والإشارة إلى الملك الموكل بالإنسان [**حديث صحيح**] .

باب فى شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد ؟

٢١٩- قال أبو الحسن القابسى رحمه الله : الصحيح من المذهب ، والذى عليه أهل السنة ، أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى فيسألها ، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم : سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة . فيسيرون به فى الجنة على قدر ما يغسل الميت ، فإذا غسل الميت وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس ، من تكلم بخير ومن تكلم بشر .فإذا وصل إلى قبره وصلى عليه، ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ، ودخل عليه الملكان الفتانان على ما يأتي [**خبر صحيح**] .

٢٢٠- وعن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ، ينظر إلى جسده كيف يغسل ، وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس فى قبره .

قال داود : وزاد فى هذا الحديث ، قال : يقال له وهو على سريره : اسمع ثناء الناس عليك ، ذكره أبو نعيم الحافظ فى باب عمرو .

٢٢٣- وعن ابن نباتة وقد رئى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين (يديه) الكريمتين ، وقال : أنت الذى تخلص كلامك حتى يقال : ما أفصحه ! فقلت : سبحانك ، إنى كنت أصفك ، قال ما كنت تقول فى دار الدنيا قلت : أبادهم الذى خلقهم ، وأسكتهم الذى أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم ، وسيجمعهم كما فرقهم . قال لى : صدقت ، اذهب فإنى قد غفرت لك .

٢٢٤- وعن منصور بن عمار أنه رئى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال لى : بماذا جئتنى يا منصور ؟ قلت بست وثلاثين حجة . قال : ما قبلت منها شيئاً ولا واحدة ، ثم قال : بماذا جئتنى يا منصور ؟ قلت : جئتك بثلاثمائة وستين ختمة للقرآن قال : ما قبلت منها واحدة ، ثم قال : فبماذا جئتنى يا منصور ؟ قال : جئتك بك . قال سبحانه : الآن جئتنى ، اذهب فقد غفرت لك ، ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسى سمع النداء : ردوه ، فمنهم من يرد من الحجب ، وإنما يصل إلى الله عارفوه.

باب كيفية التوفي للموتى ؟ واختلاف أحوالهم في ذلك

٢٢٦-ذكر الله التوفى في كتابه مجملاً ومفصلاً : فقال الله تعالى : ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**﴾، وقال:﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم** ﴾، وقال:﴿ **توفته رسلنا وهم لا يفرطون**﴾ ، وقال : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم**﴾ ، فهذا كله مجمل ، وقد بينه رسول الله ﷺ على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وقال : ﴿ **ولو**

ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ ، وقال : **﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾** وهذا مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل ، فيما قاله بعض علمائنا وقد ذكر المهدوى وغيره فى ذلك اختلافا ، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان والله أعلم .

٢٢٧– وروى مسلم فى حديث فيه طول قال أبو زميل : فحدثنى ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ ، يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه لضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثانية » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . وذكر الحديث .

وقال تعالى : **﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم ﴾** أى بالعذاب **﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾** إلى قوله : **﴿تستكبرون﴾** . وقد زادت السنة هذا النوع بياناً على ما يأتى [**حديث صحيح**] .

٢٢٨– **فصل** : إن قال قائل : كيف الجمع بين هذه الآى وكيف يقبض ملك الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب ؟ قيل له : اعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئاً ، فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك ، وتارة إلى أعوانه من الملائكة ، لأنهم قد يتولون ذلك أيضاً، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل :**﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾** وقال :**﴿ وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ﴾** وقال : **﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ﴾** فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره .

وقال الكلبى : يقبض ملك الموت الروح من الجسد ، ثم يسلمها إلى ملائكة

الرحمة إن كان مؤمناً ، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ، وهذا المعنى منصوص فى حديث البراء ، وسيأتى .

٢٣٠- وفى الخبر: أن ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة يكتب فيها له في ليلة النصف من شعبان ، وهى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم من الأرزاق والآجال فى قول بعض العلماء عكرمة وغيره ، والصحيح أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان ، وهو قول قتادة والحسن ومجاهد وغيرهم ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **حمر * والكتاب المبين*إنا أنزلناه** ﴾ يعنى : القرآن ﴿ **فى ليلة مباركة** ﴾ يعنى : ليلة القدر ، وهذا بين .

٢٣١- وقال ابن عباس : إن الله تعالى يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر ، وكان هذا جمعاً بين القولين والله أعلم . فإذا انقضى عمر ذلك الشخص الذى حان قبض روحه، سقطت ورقة من سدرة المنتهى التى فيها اسمه على اسمه فى الصحيفة ، فعرف أن قد فرغ أجله وانقطع أكله.

وفى الخبر أن ملك الموت تحت العرش يسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش ، والصحف هنا : ورق السدرة ، والله أعلم .

وكما فى الخبر قبله : فإذا نظر إلى الإنسان قد نفذ رزقه وانقطع أكله ، ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كرباته ، وأدركته سكراته .

٢٣٤- وروى سليمان بن معمر الكلابى قال : حضرت مالك بن أنس وأتاه رجل فسأله : يا أبا عبد الله ، البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق مالك طويلا ثم قال :(ألها) نفس ؟ قال : نعم ، قال : ملك الموت يقبض أرواحها ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ ذكره الخطيب أبو بكر رحمه الله .

باب ما جاء في صفة ملك الموت
عند قبض روح المؤمن والكافر

٢٣٦- وروى عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن

[٦٣/ صحيح التذكرة / صحابة]

يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له : اصرف وجهك عنى ، فصرف ، ثم نظر إليه فرآه فى صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئاً سوى وجهك كفاه ، ثم قال له : أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال له : لا تطيق ذلك قال : بلى أرنى ، قال : اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ، ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء كأقبح ما أنت راء من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار ، فقال له : والله لو لم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وسيأتى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبى ﷺ فى الملائكة فى حديث البراء وغيره إن شاء الله تعالى .

٢٣٧- وقال ابن عباس أيضاً : كان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً ، وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا هو برجل فى جوف البيت فقال : من أدخلك دارى ؟ فقال : أدخلنيها ربها ، قال إبراهيم : أنا ربها ، قال : أدخلنيها من هو أملك (لها) منك ؟ قال : فمن أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت . قال :(هل)تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، ثم التفت إبراهيم فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه ﷺ .

فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا يتعجب من كون ملك الموت يرى على صورتين لشخصين ، فما ذلك إلامثل ما يصيب الإنسان بتغير الخلقة في الصحة والمرض ، والصغر ، والكبر ، والشباب والهرم وكصفاء اللون بملازمة الحمام وشحوبة الوجه بتغير اللون(و)بلفح الهواجر فى السفر ، غير أن قضية الملائكة عليهم (الصلاة و)السلام يجرى ذلك منهم فى اليوم الواحد والساعة الواحدة ، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا فى الأوقات المتباعدة والسنين المتطاولة ، وهذا بين فتأمله .

باب ما جاء أن ملك الموت عليه [الصلاة و]السلام هو القابض لأرواح الخلق

وأنه يقف على كل بيت في كل يوم خمس مرات وعلى كل ذي روح كل ساعة

وأنه ينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة

قال الله تعالى : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم**﴾.

٢٣٨- وروى عن ابن عمر قال : إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكةوجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها ، فيقول ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام : فيم هذا الجزع ؟ فو الله ما أنقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً ، فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليّ فإني والله مأمور ، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه في ذلك مقهور ، وإن كان ذلك على ربكم فأنتم به كفرة ، وإن لى فيكم عودة ثم عودة ، فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم . خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى فى كتاب (اللؤلؤيات)له .

فقال تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **توفته رسلنا** ﴾ والبارى سبحانه خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل .

٢٤٢- قال الله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها**﴾ وقال : ﴿ **الذى خلق الموت والحياة** ﴾ وقال : ﴿**يحيى ويميت** ﴾ - فملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون ، والله يزهق الروح ، وهذا هو الجمع بين الآى والحديث ، ولكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف الخلق للملك .

٢٤٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : كما فى حديث ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح » الحديث خرجه مسلم وغيره .

وقوله : يجمع خلقه فى بطن أمه ، قد جاء مفسراً عن ابن مسعود رضى الله عنه ، رواه الأعمش عن خيثمة .

قال : قال عبد الله : إن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله سبحانه أن يخلق منها بشراً طارت فى بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر ، ثم تمكث أربعين ليلة ، ثم تنزل فى الرحم فذلك جمعها[**حديث صحيح**] .

٢٤٤- وفى صحيح مسلم أيضاً عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وشعرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم يقول : أى رب أذكر أم أنثى » ؟ وذكر الحديث وما قبله يفسره (ويبينه) ، لأن النطفة لا يبعث الملك إليها إلا بتمام اثنتين وأربعين ليلة فتأمله . ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية ، وإنما صدر عنه فعل ما فى المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدرة الله تعالى وخلقه واختراعه ، ألا تراه سبحانه وتعالى قد أضاف إليه الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال تعالى:﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين إذ لاخالق لشىء من المخلوقات إلا رب العالمين وهكذا القول فى قوله :« **ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح**» أى أن النفخ فيه سبب يخلق الله فيه الروح والحياة ، وكذلك القول فى سائر الأسباب المعتادة فإنه بإحداث الله تعالى لا بغيره فتأمل ذلك ، هذا هو الأصل وتمسك به ففيه النجاة من مذاهب أهل الضلال والقائلين بالطبائع وغيرهم ، وأن الله هو القابض لأرواح جميع الخلق على الصحيح ، وأن ملك الموت وأعوانه وسائط ، وقد سئل مالك بن أنس عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق ملياً ثم قال : ألها نفس ؟ قال:

نعم قال: ملك الموت يقبض أرواحها ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ .

[**حديث صحيح**]

٢٤٦- وذكر أبو نعيم الحافظ عن ثابت البناني قال : الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منه ساعة تأتي على ذى روح إلا وملك الموت قائم عليها، فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب ، وهذا عام فى كل ذى روح [**إسناده حسن**] .

٢٤٧- وفى خبر الإسراء عن ابن عباس فقلت : يا ملك الموت ، كيف تقدر على قبض أرواح جميع من فى الأرض برها وبحرها ؟ الحديث وقد تقدم .

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

٢٥١- ابن ماجه ، عن أم سلمة قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة ، وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال :«إن الروح إذا قبض تبعه البصر » . خرجه مسلم أكمل من هذا وقد تقدم [**حديث صحيح**] .

٢٥٢- وروى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره » ، قالوا : بلى ، قال : « فذلك حين يتبع بصره نفسه» ، وفى غير الصحيح عن النبى ﷺ ، أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن ما رئى قط فذلك حين يمد بصره إليه » [**حديث صحيح**].

فصل : فى قوله عليه السلام : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » وقوله : فذلك حين يتبع بصره نفسه ما يستغنى به عن قول كل قائل فى الروح والنفس ، وإنهما اسمان لمسمى واحد ، وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء فى تزاور الأموات فى قبورهم واستحسان الكفن لذلك

٢٥٣- مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه إن استطاع » .

وخرج أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى السجستانى الحافظ فى

كتاب((الإبانة)عن مذهب السلف الصالح فى القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان) [**حديث صحيح**].

باب الإسراع بالجنازة وكلامها

٢٥٥- البخارى عن أبي سعيد الخدرى : كان النبى ﷺ يقول : « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق » . وقد تقدم من حديث أنس أنها تقول : « يا أهلى ، ويا ولدى » الحديث [**حديث صحيح**] .

٢٥٦- البخارى عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه .. وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » خرجه مسلم أيضاً [**حديث صحيح**].

٢٥٧ -**فصل** : صعق : مات . والإسراع قيل معناه : الإسراع بحملها إلى قبرها فى المشى وقيل : تجهيزها بعد موتها لئلا تتغير، والأول أظهر لما رواه النسائى، قال : أخبرنا (أبو) محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا خالد قال: حدثنا عيينة بن عبد الرحمن قال :حدثنى أبى قال : شهدت جنازة عبدالرحمن بن سمرة ، وخرج زياد يمشى بين يدى السرير ، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون: رويداً رويداً بارك الله فيكم ، فكانوا يدبون حتى إذا كنا ببعض الطريق لحقنا أبو بكرة رضى الله عنه يمشى على بغلة ، فلما رأى الذين يصنعون حمل عليهم ببغلته وأهوى عليهم بالسوط . فقال : خلوا فوالذى كرم وجه أبى القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمل بها رملاً . فانبسط القوم . صححه أبو محمد عبد الحق [**خبر صحيح**] .

٢٥٩- وقال : والذى عليه جماعة أهل العلم فى ذلك الإسراع فوق السجية قليلاً ، والعجلة أحب إليهم من الإبطاء ، ويكره الإسراع الذى يشق على ضعفة من يتبعها . وقال إبراهيم النخعى : نصوا بها قليلاً ولا تدبوا دبيب اليهود والنصارى .السجية : العادة [**خبر صحيح**] .

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويدعى ويستغفر له ويتصدق عليه

ذكره أبو حامد فى كتاب (الإحياء) وأبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له .

٢٦٤- قال محمد بن أحمد المروزى سمعت أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

٢٦٦- قلت : وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذى شقه النبى ﷺ باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » خرجه البخارى ومسلم [حديث صحيح] .

٢٦٧- وفى مسند أبي داود الطيالسى : فوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال : إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء ، قالوا : يستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار ، فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن ؟ [حديث صحيح] .

٢٧٢- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : أصل هذا الباب الصدقة التى لا اختلاف فيها فكما يصل للميت ثوابها ، فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء والاستغفار إذ كل ذلك صدقة فإن الصدقة لا تختص بالمال .

قال ﷺ : وقد سئل عن قصر الصلاة في حالة الأمن فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » [حديث صحيح].

٢٧٣- وقال عليه الصلاة والسلام : « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فإن كل تسبيحة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل

تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لأن القراءة تحفة الميت من زائره [**حديث صحيح**] .

٢٧٦- وقال بعضهم : مات أخ لى فرأيته فى المنام ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعياًدعا لى لرأيت أنه سيضربنى به . والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة ، ذكرها أبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له .وقد ذكر فى هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رضى الله عنه فى كتاب (عيون الأخبار) له حكاية فيها طول ، رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهال ودعاء بالموت والانتقال .

٢٨١- قال أبو محمد عبد الحق : حدثنى أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن أفرند ، وكان هو وأبوه صالحين معروفين . قال : مات أبي رحمه الله فحدثنى بعض إخوانه - ممن يوثق بحديثه - قال لى : زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ، ثم قلت : يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لى؟ قال : فهبت على نفحة مسك غشيتنى ، وأقامت معى ساعة، ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى إلا وقد مشيت نصف الطريق .

٢٨٢- قال أبو محمد : ورأيت لبعض من يوثق به قال : ماتت لى امرأة فقرأت فى بعض الليالى آيات من القرآن ، فأهديتها لها ، ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها ، وسألت ، فلما كان فى اليوم الثانى حدثتنى امرأة تعرفها وتعرفنى قالت لى : رأيت البارحة فلانة فى النوم - تعنى الميتة المذكورة - فى مجلس حسن فى دار حسنة ، وقد أخرجت لنا أطباقاً من تحت سرير كان فى البيت ، والأطباق مملوءة قوارير أنوار ، فقالت لى : هذا أهداه لى صاحب بيتى . قال : وما كنت أعلمت بذلك أحداً .

٢٨٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفى هذا المعنى حديث مرفوع من حديث أنس يأتى فى باب ما يتبع الميت إلى قبره ، وقد قيل : إن ثواب القراءة

للقارئ،وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة.قال (الله) تعالى :﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ .

٢٨٥- وقال عليه(الصلاة و)السلام : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » والقراءة فى معنى الدعاء ، وذلك صدقة من الولد ، ومن الصاحب والصديق والمؤمنين ، حسب ما ذكرنا وبالله التوفيق .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى :﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ وهذا يدل على أنه لا ينفع أحداً عمل أحد . قيل له : هذه آية اختلف فى تأويلها أهل التأويل .

فروى عن ابن عباس : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ فيجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء فى الأبناء والأبناء فى الآباء . ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿ **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً** ﴾ وقال الربيع بن أنس : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ يعنى : الكافر . وأما المؤمن فله ما سعى ، وما سعى له غيره .

قلت : وكثير من الأحاديث تدل على هذا القول ، ويشهد له ، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره [**حديث صحيح**] .

٢٨٦- وفى الصحيح عن النبى ﷺ : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه» [**حديث صحيح**] .

٢٨٧- وقال عليه (الصلاة و)السلام للرجل الذى حج عن غيره (قبل) أن يحج عن نفسه « حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » [**حديث صحيح**] .

٢٨٨- وروى أن عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد

موته وأعتقت عنه ، وقال سعد للنبى ﷺ : « إن أمــى توفيــت أفأتصــدق عنها ؟ قال: « نعم » فـأى الصدقـة أفضل ؟ قـال : « سقى المـاء» وفى الموطأ عن عبـد الله بن أبى بكر عن عمته ، أنها حدثته عن جدته أنها جعلت على نفـسها مشياً إلى مسجد قباء ، فماتت ولم تقضه ، فأفتى عبد الله بن عباس ابنتها أن تمشى عنها .

٢٨٩- قلت : ويحـتمل أن يكون قولـه تعالى :﴿ **وأن ليس للإنسـان إلا مـا سعى** ﴾ خاصاً فى السيئة بدلـيل ما فى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال ، : قال الله عـز وجل « إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملهـا كتبتهـا له حسنة ، فإن عملها كتبتها له عشراً إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عمـلها كتبـتها سيئة واحدة » والقرآن دال على هذا ، قـال الله تعالى :﴿ **من جاء بالحسنة فله عشـر أمثالها**﴾ وقـال تعالـى :﴿ **مثل الذين ينفـقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبـة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة** ﴾ الآية وقال فى الآيـة الأخرى : ﴿ **كمثل جنة بربوة أصابها وابل**﴾ وقال : ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة** ﴾ وهذا كله تفضل مـن الله تعالى، وطريق العدل:﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾،إلا أن الله عز وجل يتـفضل عليـه بما لم يجب له ،كمـا أن زيادةالأضـعاف فـضل منه كتب لهم بالحـسنة الواحدة : عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة [**حديث صحيح**] .

وإنما طولنا النفس في هذا الباب، لأن الشـيخ الفقيه القاضى الإمـام مفتى الأنام عبـد العزيز بن عبد السـلام رحمه الله،كـان يفتى بأنه لا يصل للميت ثواب مـا يقرأ، ويحتج بقوله تعالى:﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾، فلما توفى رحمه الله، رآه بعض أصحابه ممن كان يجالسه وسأله عن ذلك،فقال له:إنك كنت تقول:إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليـه ، فكيف الأمر ؟ فقـال له : إنى كنت أقول ذلك فى دار الدنيا والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى فى ذلك : وأنه يصل

إليه ذلك .

باب يدفن العبد في الأرض التي خلق منها

٢٩٢- أبو عيسى الترمذى ، عن مطر بن عكامس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة » أو قال : « بها حاجة » .

قال أبو عيسى : وفى الباب عن أبى عزة ، وهذا حديث (حسن) غريب، لا يعرف لمطر بن عكامس عن النبى ﷺ غير هذا الحديث [**حديث صحيح**] .

٢٩٣- وعن أبي عزة : قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض ، جعل له إليها حاجة » أو قال : « بها حاجة » قال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو عزة له صحبة واسمه يسار بن عبيد ، وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة　　　دعته إليها حاجة فيطير

[**حديث صحيح**]

٢٩٤- وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول ، عن أبي هريرة :خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحى المدينة ، وإذا بقبر يحفر ، فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : « لمن هذا » ؟ قيل : لرجل من الحبشة ، فقال : « لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها »

[**حديث صحيح**].

٢٩٥- وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا كان أجل العبد بأرض أوثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب هذا ما استودعتنى » خرجه ابن ماجه أيضاً [**حديث صحيح**] .

٢٩٦- **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فائدة هذا الباب : تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة، وقضاء الدين، وإتيان الوصية بماله أو عليه فى الحضر،فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، فإنه لا يدرى أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأنشد بعضهم :

مـشـــيناهـا خطى كـتــبت عـلينا ومن كـتــبت عـليـه خـطى مـشــاهـا
وأرزاق لـــنـا مـــتـفــرقـــات فـــمـــن لـم تأتـــه منـــا أتـــاهــا
ومن كـتـــبت منيـــتـــه بأرض فـليـس يموت فـى أرض ســـواهـــا

باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب حفرته وفي الرزق والأجل ، وبيان قوله تعالى ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾

٢٩٨- أبونعيم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته » .

قال أبو عاصم النبيل : ما نجد لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فضيلة مثل هذه ، لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ أخرجه فى باب ابن سيرين ، عن أبي هريرة، وقال : هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه إلا من حديث أبى عاصم النبيل، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة [**حسن بشواهده**] .

٢٩٩- وروى مرة ، عن ابن مسعود أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ، فيضعها على كفه ، ثم يقول : يا رب ، مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال مخلقة ، قال : يا رب ما الرزق ؟ وما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقول : انظر فى أم الكتاب، فينظر فى اللوح المحفوظ ، فيجد فيه رزقه ، وأثره ، وأجله ، وعمله ويأخذ التراب الذى يدفن في بقعته ويعجن به نطفته.

فذلك قوله تعالى :﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم** ﴾ خرجه الترمذى الحكيم ، وأبو عبد الله في نوادر الأصول .

٣٠٠- وذكر عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه ، فقال : أى رب أمخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة لم تكن نسمة ، وقذفتها الأرحام دماً ، وإن قال : مخلقة ، قال : أى رب

أذكر أم أنثى ؟ أشقى ، أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر؟ وما الرزق ؟ وبأى أرض تموت ؟ فيقول : اذهب إلى أم الكتاب ، فإنك ستجد هذه النطفة فيها ، فيقال للنطفة: من ربك ؟ فتقول : الله فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله،فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها ، وتطأ أثرها ، فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى ذلك المكان ، فالأثر : هو التراب الذى يؤخذ فيعجن به ماؤه [**حديث صحيح**] .

٣٠١- وقال محمد بن سيرين : لو حلفت حلفت صادقاً باراً ، غير شاك ولا مستثن ، أن الله(تعالى)ما خلق نبيه محمداً ﷺ ، ولا أبا بكر ، ولا عمر ، إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة .

قلت : وممن خلق من تلك التربة : عيسى ابن مريم عليه(الصلاة و)السلام على ما يأتى بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى ، وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو الذى خلقكم من طين**﴾.

وقوله(تعالى) : ﴿ **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين**﴾ ولا تعارض فى شيء من ذلك على ما بينا في كتاب الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان وهذا الباب يجمع لك ذلك كله فتأمله .

باب
ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته
وما يبقى معه فيه

٣٠٢- مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » [**حديث صحيح**] .

٣٠٣- وروى أبو نعيم من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: « سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو فى قبره : من علم علماً أو أجرى

نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته » هذا الحديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ النخعي عن العزرمى محمد بن عبد الله عن قتادة ، وخرجه الإمام أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى فى سننه من حديث الزهرى [**حديث حسن**] .

٣٠٤- حدثنى أبو عبد الله الأغر ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علمه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته » [**حديث حسن**] .

وقال إسماعيل بن رافع : ما من ذى رحم أوصل لذى رحمه ، من رجل أتبع ذا رحم بحج أو عتق أو صدقة .

باب ما جاء في هول المطلع

٣٠٧- تقدم من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتمنوا الموت ، فإن هول المطلع شديد » الحديث [**حديث حسن**] .

٣٠٨- ولما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال له رجل : إنى لأرجو أن لا تمس جلدك النار .فنظر إليه ثم قال : إن من غررتموه لمغرور، والله لو أن لى ما على الأرض لافتديت به من هول المطلع [**خبر صحيح**] .

٣٠٩- وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث ، أضحكنى : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه لا يدرى أأرضى الله أم أسخطه ؟ وأبكانى : فراق الأحبة محمد ﷺ وحزبه ، وأحزننى هول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدى الله (تعالى) يوم تبدو السريرة علانية ثم لايدرى إلى الجنة أو إلى النار، أخرجه ابن المبارك، قال : أخبرنا غير واحد عن معاوية بن قرة قال : قال أبو الدرداء : فذكره [**خبر حسن**] .

٣١٠- قال : وأخبرنا محمد ، بلغ به أنس بن مالك قال : ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن : أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى، إما برضاه

وإما بسخطه، ويوم تعرض فيه على ربك آخذاً كتابك ، إما بيمينك وإما بشمالك ، وليلة تستأنف فيها المبيت فى القبور لم تبت فيها (ليلة)قط ، وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة [خبر صحيح] .

باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده وفي حكمه والاستعداد له

٣١١- ابن ماجه عن هانئ بن عثمان قال : كان عثمان - رضى الله عنه - إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » [**حديث حسن**] .

٣١٢- قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه » أخرجه الترمذى وزاد رزين قال : وسمعت عثمان ينشد على قبر شعراً :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجياً

[**حديث حسن**]

٣١٣- ابن ماجه عن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال : « يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا » [**حديث حسن**] .

٣١٤- **فصل** : القبر واحد القبور في الكثرة وأقبر فى القلة ويقال للمدفن : مقبر .

قال الشاعر :

لكل أناس مقبر بفنائهم وهم ينقصون والقبور تزيد

واختلف في أول من سن القبر ؟ فقيل : الغراب لما قتل قابيل هابيل . وقيل : بنو إسرائيل ، وليس بشيء ، وقد قيل : كان قابيل يعلم الدفن ولكن ترك أخاه بالعراء استخفافاً به ، فبعث الله غراباً يبحث التراب على هابيل ليدفنه . فقال عند ذلك :

﴿**يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين**﴾ حيث رأى إكرام الله لهابيل بأن قيض الله الغراب له حتى واراه . ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل : ندمه إنما كان على فقده ، لا على قتله .

٣١٥- قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة، ويقال : إنه لما قتله قعد يبكى عند رأسه ، إذ أقبل غرابان فاقتتلا . فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ، ففعل القاتل بأخيه كذلك ، فبقى ذلك سنة لازمة في بنى آدم ، وفى التنزيل ﴿**ثم أماته فأقبره**﴾ أى جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافى . قاله الفراء .

٣١٦- وقال أبو عبيدة : أقبره : جعل له قبراً وأمر أن يقبر.

قال أبو عبيدة : ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ، ودخلوا عليه : أقبرنا صالحاً . فقال : دونكموه . وحكم القبر : أن يكون مسنماً ، مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً غير مبنى بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهى عنه.

٣١٧- وروى مسلم عن جابر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه . وخرجه الترمذى أيضاً عن جابر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح [**حديث صحيح**] .

٣١٨- وقال علماؤنا رحمهم الله : وكره مالك تجصيص القبور ، لأن ذلك من المباهاة وزينة الحياة الدنيا ، وتلك منازل الآخرة ، وليس بموضع المباهاة ، وإنما يزين الميت فى قبره عمله ، وأنشدوا :

وإذا وليت أمور قوم ليلة ... فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ... ولعله من تحته مغلول

[**حديث صحيح**]

٣١٩- وفى صحيح مسلم ، عن أبي الهياج الأسدى ، قال : قال لى على ابن أبى طالب -رضى الله عنه -: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته [**حديث صحيح**] .

٣٢١- قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - يسنم القبر ليعرف كى يحترم ويمنع من الارتفاع الكثير الذى كانت الجاهلية تفعله ، فإنها كانت تعلى عليها ، وتبنى فوقها تفخيماً لها وتعظيماً ، وأنشدوا :

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرا ... على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم ... فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحرير
إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الغنى على الفقير ؟

يا هذا ، أين الذى جمعته من الأموال ، وأعددته للشدائد والأهوال ، ولقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفراً ، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقراً ، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره ويا من سلب من أهله ودياره ؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد ، إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد ، أو ما علمت يا مغرور ، أن لابد من الارتحال ، إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثم قيل ولا قال، بل يعد عليك بين يدى الملك الديان ، ما بطشت اليدان، ومشت القدمان ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإن رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النيران ، يا غافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتحسب أن الأمر صغير ، وتزعم أن الخطب يسير ؟ وتظن أن سينفعك حالك ، إذا آن ارتحالك ، أو ينقذك مالك ، حين توبقك أعمالك ، أو يغنى عنك ندمك إذا زلت بك قدمك، أو يعطف عليك معشرك ، حين يضمك محشرك،

كلا والله ساء ما تتوهم ولا بد لك أن ستعلم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظات تستمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تنقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء ، ويعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يا نائماً في غفلة وفي خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم أن ستترك سدى ، وأن لا تحاسب غداً أم تحسب أن الموت يقبل الرشا ، أم تميز بين الأسد والرشا ، كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى ،﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى**﴾ فانتبه من هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار عامل بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله في الخلوات ، رب الأرض والسموات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أو ما سمعت الرسول حيث يقول ،لما جلس على القبور:« يا إخواني ، لمثل هذا فأعدوا» أو ما سمعت الذي خلقك فسواك يقول:﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾.

٣٢٢- وأنشدوا :

تزود من معاشك للمعاد ... وقم لله واعمل خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيراً ... فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد ؟

وقال آخر :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر :

الموت بحر طافح موجه ... تذهب فيه حيلة السابح

يا نفس إني قائل فاسمعي ... مقالة من مشفق ناصح

لا ينفع الإنسان في قبره غير التقى والعمل الصالح

وقال آخر :

أسلمني الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عني فيا وحشتا

وغادروني معدماً بائساً ما بيدي اليوم إلا البكا

وكل ما كان كأن لم يكن وكل ما حذرته قد أتى

وذا كم المجموع والمقتني قد صار في كفي مثل الهبا

ولم أجد لي مؤنسا ها هنا غير فجور موبق أو بقا

فلو تراني وترى حالتي بكيت لي يا صاح مما ترى

وقال آخر :

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً والقوم حولك يضحكون سروراً

فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكا مسروراً

٣٢٣- وروى عن محمد القرشي أنه قال : سمعت شيخنا يقول : أيها الناس: إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعملوا في ظلمة الليل لظلمة القبر ، وصوموا في الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور، وتصدقوا مخافة يوم عسير .

٣٢٤- وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه : أيها المقبور في حفرته ، المتخلي في القبر بوحدته ، المستأنس في بطن الأرض بأعماله ، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي أحوالك اغتبطت ، ثم يبكي حتى يبل عمامته ، ويقول : استبشر- والله -بأعماله الصالحة، واغتبط - والله - بإخوانه المعاونين له على طاعة الله(تعالى) ، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما يصرخ الثور - وسيأتي أن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه ، وما فيه من الموعظة إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في اختيار البقعة للدفن

في فقء موسى عليه السلام عين ملك الموت

٣٢٧- وخرج البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة ، قال : أرسل ملك الموت

إلى موسى عليه(الصلاة و)السلام ، فلما جاء صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال: أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه ، وقل له : يضع يده على متن جلد ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أى رب، ثم مه ؟ قال : ثم الموت قال ، فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله ﷺ : « لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر » .

وفى رواية ، قال : جاء ملك الموت إلى موسى عليه(الصلاة و)السلام ، فقال له : أجب ربك ؛ قال : فلطم موسى عين الملك ففقأها ، وذكر نحوه .

[حديث صحيح]

[في فضل الموت في المدينة المنورة]

٣٢٨- قال الترمذى ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنى أشفع لمن مات بها » صححه أبو محمد عبد الحق **[حديث صحيح]** .

٣٢٩- وفى الموطأ أن عمر رضى الله عنه ، كان يقول : « اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك » **[خبر صحيح]** .

٣٣٠- وكان سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ؛ قد عهدا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فيدفنا بها ، وذلك- والله أعلم- لفضل علموه هناك ؛ قال : فإن فضل المدينة غير منكور ولا مجهول ؛ ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين والفضلاء من الشهداء وغيرها لكفى .

٣٣١- وروى عن كعب الأحبار أنه قال لبعض أهل مصر : لما قال له : هل لك من حاجة؟ فقال : نعم ، جراب من تراب سفح المقطم ؛ يعنى : جبل مصر ؛ قال فقلت له : يرحمك الله ، وما تريد منه ؟ قال : أضعه فى قبرى ، قال له : تقول هذا وأنت بالمدينة وقد قيل فى البقيع ما قيل : قال ، إنا نجد فى الكتاب الأول أنه مقدس ما بين القصير إلى اليحموم .

٣٣٢- **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : البقاع لا تقدس أحداً ولا تطهره ، وإنما الذى يقدسه من وضر الذنوب ودنسها التوبة النصوح مع الأعمال الصالحة ، أما إنه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما ، وهو إذا عمل العبد فيها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته ، وترجح ميزانه ، وتدخله الجنة ، وكذلك تقديسه إذا مات على معنى التتبع لصالح (العمل) ، لا أنها توجب التقديس ابتداء .

٣٣٣- وقد روى مالك ؛ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : ما أحب أن أدفن بالبقيع ، لأن أدفن فى غيره أحب إلى . ثم بين العلة ، فقال : مخافة أن تنبش لى عظام رجل صالح ؛ أو نجاور فاجراً ، وهذا تستوى فيه سائر البقاع ، فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالمجمع عليه ، وقد يستحسن الإنسان أن يدفن بموضع قرابته وإخوانه وجيرانه ، لا لفضل ولا لدرجة .

فصل : إن قال قائل : كيف جاز لموسى عليه (الصلاة و)السلام أن يقدم على ضرب ملك الموت حتى فقأ عينه ؟ فالجواب من وجوه ستة :

الأول : أنها كانت عيناً متخيلة ، لا حقيقة لها ، وهذا القول باطل ، لأنه يؤدى إلى أن ما يراه الأنبياء ، من صور الملائكة لا حقيقة لها، وهذا مذهب السالمية .

الثانى : أنها كانت عيناً معنوية فقأها بالحجة ، وهذا مجاز لا حقيقة له .

الثالث : أنه لم يعرفه ، وظنه رجلاً دخل منزله بغير إذنه ، يريد نفسه فدافع عنها ، فلطمه : ففقأ عينه ، وتجب المدافعة فى مثل هذا بكل ممكن ، وهذا وجه حسن ، لأنه حقيقة فى العين والصك ، قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة إلا أنه اعترض بما فى الحديث نفسه ، وهو أن ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام لما رجع إلى الله تعالى ، قال : يا رب أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا القول من ملك الموت .

الرابع : أن موسى عليه السلام كان سريع الغضب ، وسرعة غضبه كانت سبباً لصكه ملك الموت ؛ قاله ابن العربي فى الأحكام ، وهذا فاسد، لأن الأنبياء معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا فى الرضا والغضب .

الخامس : ما قاله ابن مهدى- رحمه الله- : أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء ، فكأن موسى عليه (الصلاة و)السلام لطمه وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه .

السادس: وهو أصحها إن شاء الله (تعالى)،وذلك أن موسى عليه (الصلاة و)السلام كان عنده ما أخبر نبينا عليه(الصلاة و)السلام من أن الله تعالى لا يقبض روحه حتى يخبره-خرجه البخاري وغيره-فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذى أعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه،فلطمه ففقئت عينه امتحاناً لملك الموت.إذ لم يصرح له بالتخيير،ومما يدل على صحة هذا:أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت،اختار الموت، واستسلم، والله بغيبه أعلم وأحكم ، وذكره ابن العربى فى قبسه بمعناه والحمد لله [**حديث صحيح**] .

٣٣٤- وقد ذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك الموت عليه(الصلاة و)السلام يأتى الناس عياناً ، حتى أتى موسى عليه(الصلاة و)السلام فلطمه ففقأ عينه»الحديث بمعناه ، وفى آخره« فكان يأتى الناس بعد ذلك فى خفية» [**حديث صحيح**] .

باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم

٣٣٨-**فصل** : قال علماؤنا : ويستحب لك - رحمك الله- أن تقصد بميتك قبور الصالحين ، ومدافن أهل الخير، فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم، وتسكنه فى جوارهم ، تبركًا بهم ، وتوسلاً إلى الله عز وجل بقربهم ، وأن تجتنب به قبور من سواهم ، ممن يخاف التأذى بمجاورته ، والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء فى الحديث .

٣٣٩- ويروى أن امرأة دفنت بقرطبة - أعادها الله (للإسلام)- فأتت أهلها فى النوم فجعلت تعتبهم ، وتشكوهم ، وتقول : ما وجدتم أن تدفنونى إلا إلى فرن الجير فلما أصبحوا نظروا فلم يروا فى ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير ، فبحثوا وسألوا عن من كان مدفوناً بإزائها ؟ فوجدوه رجلاً سيافاً كان لابن عامر وقبره إلى قبرها ، فأخرجوها من جواره ذكر هذا أبو محمد عبد الحق في كتاب(**العاقبة**) له .

وعن أعرابى أنه قال لولده : ما فعل الله بك ؟ قال : ما ضرنى إلا أنى دفنت بإزاء فلان ، وكان فاسقاً ، قد روعنى ما يعذب به من أنواع العذاب .

باب ما جاء أن الموتى يتزاورون في قبورهم واستحسان الكفن لذلك

٣٤٢- وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه » [**حديث صحيح**] .

باب ما جاء في كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه

٣٤٤- وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسين الجعفى ، عن مالك ابن مغول ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لساناً ينطق به فيقول : ابن آدم ،كيف نسيتنى ؟ أما علمت أنى بيت (الأكلة وبيت) الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة ؟ [**خبر صحيح**] .

٣٤٥- قال : وحدثنا وكيع ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن القبر ليبكى ويقول فى بكائه : أنا بيت الوحشة ، وأنا بيت الوحدة وأنا بيت الدود [**خبر صحيح**] .

٣٤٦- وذكر أبو عمر بن عبد البر ، روى يحيى بن جابر الطائى ، عن ابن عائذ الأزدى عن غضيف بن الحارث قال : أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد ابن عمير ، قال : فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول :إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ، ما غرك بى ؟ ! ألم تعلم أنى بيت الوحدة ؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة ؟ ألم تعلم أنى بيت الحق ؟ يا ابن آدم ، ما غرك بى؟ ! لقد كنت تمشى حولى فداداً ، قال ابن عائذ : قلت لغضيف : ما الفداد يا أبا إسماعيل ؟ قال : كبعض مشيتك يا ابن اخى . قال غضيف : فقال صاحبى – وكان أكبر منى – لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً فماذا له ؟ قال : يوسع له فى قبره ويجعل منزله أخضر، ويعرج بروحه إلى السماء ، ذكره فى كتاب(التمهيد)

[**خبر صحيح**].

٣٤٨- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا داود بن نافذ قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغني أن الميت يقعد في حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شيء أول من (يكلمه)حفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم ، أليس قد حذرتني ، وحذرت ضيقي ، وظلماتي ، ونتني ، وهولي ، هذا ما أعددت لك فما أعددت لي ؟ الوخط والوخد : سرعة السير في المشي [**خبر صحيح**] .

٣٤٩- وقال سفيان الثوري : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره ، وجده حفرة من حفر النار .

٣٥٠- وقال أحمد بن حرب : تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه ، ويسوي فراشه للنوم ، وتقول : يا ابن آدم ، ألا تذكر طول رقادك في جوفي ، وما بيني وبينك شيء؟ .

٣٥١- وقيل لبعض الزهاد :ما أبلغ العظات ؟ قال: النظر إلى محلة الأموات .

٣٥٢- ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول :

وعظتك أجداث صمت ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سبت
وأرتك نفسك في القبور وأنت حي لم تمت

٣٥٣- وروى عن الحسن البصري أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعتها، حتى وصلوا بها إلى حفرتها ، فنادت امرأة فقالت : يا أهل القبور ، لو عرفتم من نقل إليكم لأعززتموه ؟ قال الحسن : فسمعت صوتاً من الحفرة وهو يقول : قد والله نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن لي أن آكله حتى يعود رميماً ، قال : فاضطربت الجنازة فوق النعش . وخر الحسن مغشياً عليه .

باب ما جاء في ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا

٣٥٤- النسائي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « هذا الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ،

لقد ضم ضمة ثم فرج عنه » قال أبو عبد الرحمن النسائى يعنى: سعد بن معاذ .

[حديث صحيح]

٣٥٥- ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين -رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ :« إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ » **[حديث صحيح]** .

٣٥٦- وذكر هناد بن السرى ، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبى مليكة قال : ما أجير من ضغطة القبر أحد . ولا سعد بن معاذ ، الذى منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها **[خبر صحيح]** .

٣٥٧- قال : وحدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال: ولقد بلغنى أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، لم ينزلوا إلى الأرض قط .

ولقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة »

[خبر صحيح] .

٣٥٨- وخرج علي بن معبد فى كتاب (الطاعة والمعصية) عن نافع قال : أتينا صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهى فزعة . فقلنا : ما شأنك ؟ قالت : جئت من عند بعض نساء النبى ﷺ فحدثتنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن كنت لأرى أن أحداً لو أعفى من عذاب القبر لأعفى منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة »

[صحيح لغيره] .

٣٦٠- وخرج أيضاً بسنده عن إبراهيم الغنوى عن رجل ، قال : كنت عند عائشة (رضى الله عنها)فمرت جنازة صبى صغير فبكت ، فقلت لها : ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ فقالت: هذا الصبى بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر.

قلت : وهذا الخبر ، وإن كان موقوفاً على عائشة -رضى الله عنها -، فمثله لا يقال من جهة الرأى .

باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه وهم من شر الناس له

٣٦٣- **فصل** : قال علماؤنا -رحمة الله عليهم- : قال بعض العلماء أو

أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحى (عليه)، إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره، كما قال :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقى على الحبيب يا ابنة معبد

٣٦٤- وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (الاستيعاب) من حديث أبي موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « الميت يعذب ببكاء الحى عليه ، إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ » [**حديث حسن**] .

٣٦٥- وذكر البخارى من حديث النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ، وتقول : واجبلاه ، واكذا ، واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أأنت كذلك ؟ فلما مات لم تبك عليه وهذا أيضا لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ، ولا من اختياره ، ولا مما أوصى به ، (فنصابه) فى الدين أجل وأرفع من أن (كان) يأمر بهذا أو يوصى به [**خبر صحيح**] .

٣٦٦- وروى أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زاذان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعذب الميت بصياح أهله عليه » فقال له رجل : يموت بخراسان ويناح عليه ها هنا ؟ فقال عمران : صدق رسول الله ﷺ وكذبت.

قال المؤلف- رضى الله عنه -: وهذا بظاهره أن بنفس الصياح يقع التعذيب وليس كذلك ، وإنما هو محمول على ما ذكرناه . والله أعلم .

وقال الحسن : إن من شر الناس للميت : أهله يبكون عليه ، ولا يقضون دينه [**حديث صحيح**] .

باب ما يقال عند وضع الميت في قبره وفي اللحد في القبر

اللحد : هو أن يحفر للميت فى جانب القبر . إن كانت الأرض صلبة، وهو أفضل من الشق فإنه الذى اختاره الله لنبيه ﷺ .

٣٦٨- روى ابن ماجه عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، بعثوا إلى أبى عبيدة ، وكان يضرح كضريح أهل مكة ، وبعثوا إلى أبى طلحة وكان هو الذى يحفر لأهل المدينة ، وكان يلحد. فبعثوا إليهما رسولين ، قالوا : اللهم خر لرسولك ، فوجدا أبا طلحة فجيء به ، ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله ﷺ [**خبر صحيح لغيره**] .

٣٦٩- وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «اللحد لنا ، والشق لغيرنا » خرجه ابن ماجة والترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وأنشدوا :

ضعوا خدى على لحدى ضعوه ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفانا رقاقا وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا : هذا فلان هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى تقادم عهده فنسيتموه

وقال آخر :

وألحدوا محبوبهم وانثنوا وهمهم تحصيل ما خلفا
وغادروه مسلماً مفرداً فى رمسه رهناً بما أسلفا
ولم يزود من جميع الذى باع به أخراه إلا لفا

[**حديث حسن**]

باب الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

٣٧٤- مسلم عن ابن شماسة المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت ، الحديث ، وفيه : « فإذا دفنتمونى فشنوا عليّ التراب شناً ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا

أراجع به رسل ربى عز وجل ؟» أخرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة [**خبر صحيح**] .

٣٧٥- قال : حدثنى يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه وقال فيه : وشدوا على إزارى فإنى مخاصم ، وشنوا على التراب شناً فإن جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجراً وإذا واريتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم

[**خبر صحيح**] .

٣٧٦- أبو داود عن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل » [**حديث حسن**] .

٣٧٩- **فصل** قال الآجرى أبو بكر ، محمد بن الحسين في كتاب النصيحة : يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً ، والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات ، فيقال : اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ، ولا نعلم منه إلا خيراً، وقد أجلسته لتسأله ، اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة ، كما ثبته فى الحياة الدنيا ، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره، قال أبو عبد الله الترمذى : فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة ، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل للميت ، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتانى القبر - على ما يأتى - والجزور بفتح الجيم من الإبل .

والجزرة من الضأن والمعز خاصة . قاله فى الصحاح .

٣٨٠- **فصل** : قول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار . توصية منه باجتناب هذين الأمرين ، لأنهما من عمل الجاهلية ولنهى النبى ﷺ .

وقال العلماء : ومن ذلك الضجيج بذكر الله سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز والبناء على المقابر، والاجتماع فى الجبانات والمساجد للقراءة وغيرها لأجل الموتى وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعة الطعام ، والمبيت عندهم ،

كل ذلك من أمر الجاهلية ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم السابع ،فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة (للميت و)الترحم عليه . وهذا محدث لم يكن فيما تقدم ، ولا هو مما يحمده العلماء . قالوا : وليس ينبغى للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الخدود ، ونشر الشعور، وشق الجيوب واستماع النوح ، وكذلك الطعام الذى يصنعه أهل الميت كما-ذكرنا -فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم **[خبر صحيح]** .

٣٨١- وقال أحمد بن حنبل:هو من فعل (أهل) الجاهلية ، قيل له : أليس قد قال النبى ﷺ اصنعوا لآل جعفر طعاماً ؟ فقال : لم يكونوا هم اتخذوا،إنما اتخذ لهم، فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ، ولا يرخص لهم ،فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى-الله عز وجل-،وأعانهم على الإثم والعدوان ، والله تعالى يقول: **﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾**

قال العلماء : معناه أدبوهم وعلموهم **[حديث صحيح]** .

٣٨٢- وروى ابن ماجه فى سننه عن جرير بن عبد الله البجلى ، قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة وفى حديث شجاع بن مخلد قال : كانوا يرون إسناده صحيح ، وذكر الخرائطى عن هلال بن خباب ، قال : الطعام على الميت من أمر الجاهلية **[خبر صحيح]** .

٣٨٣- وخرج الآجرى عن أبي موسى قال : ماتت أخت لعبد الله بن عمر ، فقلت لامرأتى : اذهبى فعزيهم وبيتى عندهم ، فقد كان بيننا وبين آل عمر الذى كان ، فجاءت ، فقال : ألم آمرك أن تبيتى عندهم ؟ فقالت : أردت أن أبيت ، فجاء ابن عمر فأخرجنا ، وقال :اخرجن لا تبيتن أختى بالعذاب ، وعن أبي البخترى قال : بيتوتة الناس عند أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهلية .

٣٨٥- قال رسول الله ﷺ : « إنك لا تدع شيئًا إلا عوضك الله خيراً منه.

[حديث صحيح].

٣٨٧- **فصل** : ومن هذا الباب ما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »

[حديث صحيح].

٣٨٨- وفيهما أيضًا عن أبى بردة بن أبي موسى قال : وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه فى حجرامرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال :إنى برىء ممن برئ منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة [**حديث صحيح**] .

٣٨٩-وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة بن أبى موسى قالا : أغمى على أبي موسى وأقبلت امرأته تصيح برنة، قالا : ثم أفاق، قال : ألم تعلمى - وكان يحدثها - أن رسول الله ﷺ قال : « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق » ؟ [**حديث صحيح**] .

٣٩٠- ابن ماجه عن أبى أمامة : أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها ، والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور. إسناده صحيح [**حديث صحيح**] .

٣٩١- وقال حاتم الأصم : إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه ، وأظهر حزنه ، فعزيته فقد أشركته فى إثمه وإنما هو صاحب منكر، يحتاج أن تنهاه .

٣٩٢- قال أبو سعيد البلخى : من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً، فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا :

عجبت لجازع ، باك مصاب ... بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب داعى الويل جهلاً ... كأن الموت كالشيء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبى الله منه لم يحاب
له ملك ينادى كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته شهادة الإخلاص في لحده

٣٩٦- قال المؤلف (رحمه الله): قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى : ينبغي أن يرشد الميت فى قبره حيث يوضع فيه إلى جواب السؤال، ويذكر بذلك فيقال له : قل : الله ربى . والإسلام دينى ، ومحمد رسولى ، فإنه عن ذلك

يسأل ،كما جاءت به الأخبار على ما يأتي إن شاء الله، وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك ، فيقال: قل :هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب (عليه) ، ولا يعارض هذا بقوله تعالى :﴿ **وما أنت بمسمع من فى القبور** ﴾ ، وقوله: ﴿ **إنك لا تسمع الموتى** ﴾

٣٩٧- لأن النبى ﷺ قد نادى أهل القليب وأسمعهم وقال : « ما أنتم بأسمع منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جواباً » [**حديث صحيح**] .

٣٩٨- وقد قال فى الميت : « إنه ليسمع قرع نعالهم ، وأن هذا يكون فى حال دون حال ووقت دون وقت » . وسيأتى استيفاء هذا المعنى فى باب:(ما جاء أن الميت يسمع ما يقال) : إن شاء الله (تعالى) [**حديث صحيح**] .

باب فى نسيان أهل الميت ميتهم وفى الأمل والغفلة

٤٠٠- ويروى أن الله -عز وجل -لما مسح على ظهر آدم عليه (الصلاة و)السلام، فاستخرج ذريته قالت الملائكة : رب ، لا تسعهم الأرض، قال الله تعالى : « إنى جاعل موتا » : قالت : رب لا يهنيهم العيش ، قال :« إنى جاعل أملاً » فالأمل رحمة من الله تعالى ينتظم به أسباب المعاش ، ويستحكم به أمور الدنيا ، ويتقوى به الصانع على صنعته، والعابد على عبادته، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطال ، حتى أنسى العاقبة وثبط عن صالح الأعمال ، قال الحسن : الغفلة والأمل : نعمتان عظيمتان على ابن آدم ، ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق . يريد : لو كانوا من التيقظ، وقصر الأمل، وخوف الموت بحيث لا ينظرون إلى معاشهم ، وما يكون سبباً لحياتهم . لهلكوا ونحوه . وقال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى ؟ لخشيت ذهاب عقلى ، ولكن الله سبحانه من على عباده بالغفلة عن الموت ، لولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق .

باب [ما جاء] فى رحمة الله [تعالى]بعبده إذا أدخل فى قبره

٤٠١- قال عطاء الخراسانى : أرحم ما يكون الرب بعبده ، إذا دخل فى قبره

وتفرق الناس عنه وأهله ، وروى عن ابن عباس مرفوعاً .

٤٠٢- وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبى أمامة الباهلى بالشام ، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبى أمامة وعنده عم له وهو يقول : يا عدو الله ، ألم آمرك ؟ ألم أنهك ؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن الله (تبارك وتعالى) دفعنى إلى والدتى ، كيف كانت صانعة بى ؟ قال : تدخلك الجنة ، قال : الله أرحم بى من والدتى ، وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع ، قلت له مالك ؟ قال : فسح له فى قبره ، وملىء نوراً [**إسناده حسن**] .

٤٠٣- وكان أبو سليمان الدارانى يقول فى دعائه :يا من لا يأنس بشيء أبقاه، ولا يستوحش من شيء أفناه ، ويا أنيس كل غريب ، ارحم فى القبر غربتى ، ويا ثانى كل وحيد ، آنس فى القبر وحدتى ، ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مفاوز السلمى الكاتب أحد البلغاء بشرق الأندلس حيث يقول :

أيها الواقف اعتباراً بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا من ذنوبى وآيسوا من نعيم
قلت : لا تجزعوا على فإنى حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعونى بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولى كريم

باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد؟
وبيان قوله تعالى :﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾
وقوله تعالى :﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾

٤٠٦- ووجد بمدينة قرطبة على قبر الوزير الكبير أبي عامر بن شهيد مكتوباً ، وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبى مروان الزجاجى ، وكأنه يخاطبه ودفنا فى بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه :

يا صاحبى قم فقد أطلنا أنحن طول المدى هجود؟

فقال لى : لن نقوم منها ... ما دام من فوقنا الصعيد
نذكر كم ليلة نعمنا ... في ظلها والزمان عيد ؟
وكم ينير همى علينا ... سحابة ثرة بجود؟
كل كأن لم يكن تقضى ... وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ ... وضمه صادق شديد
يا حسرتا إن تنكبتنا ... رحمة من بطشه شديد
يا رب عفواً فأنت مولى ... قصر فى حقه العبيد

باب فى سؤال الملكين للعبد وفى التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار

٤٠٧- البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً» ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره أربعون ذراعا ، قال مسلم : سبعون ذراعاً ، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس قال : « أما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ، ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » .

قلت : ليس عند مسلم ، ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره وإنما هو عند البخارى ، فحديثه أكمل . وقول الملكين « ولا تليت » :

قال النحويون : الأصل فى هذه الكلمة : الواو ، أى ولا تلوت إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت ، وقد جاء من حديث البراء : « لادريت ولا تلوت » على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل ، أى : لم تدر ولم تتل القرآن ، فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك [**حديث صحيح**] .

عند قوله مرزبة من حديد : « لو اجتمع عليه الثقلان لم ينقلوها فيضرب بها ضربة فيصير ترابا، ثم تعاد فيه الروح ، فيضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال : افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار » وزاد فيه عند قوله: وانقطاع من الدنيا : «نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسرابيل من قطران يحتوشونه فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل يقطع معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء وكل ملك في الأرض » [**حديث صحيح**] .

٤١٧- وخرج أبو عبد الرحمن النسائي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون:ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال : ما أتاكم ؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية ، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : ماأنتن هذه الريح ؟ حتى يأتوا به أرواح الكفار» [**حديث صحيح**] .

٤١٨- وخرج أبو داود الطيالسي قال : حدثنا حماد عن قتادة ، عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :« إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم ، وتسل نفسه في حريرة بيضاء، فيقولون : ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه فيسألونه فيقولون : ارفقوا به فإنه خرج من غم الدنيا فيقولون:ما فعل فلان؟ما فعلت فلانة ؟ قال:« وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض:ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيهبط به إلى أسفل الأرض » . [**حديث صحيح**].

الرد على الملحدة :

قلت : وهنا فصول ستة في الرد على الملحدة :

٤٠٨- ابن مـاجـه ، عن أبى هريـرة عن النبى ﷺ قـال :« إن الميت يصيـر إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشغوف ، ثم يقال له: فيم كنت ؟ فيقول : كنت في الإسلام فيقال : ما هذا الرجل ؟ فيقول :محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند الله فـصدقناه ، فـيقـال له: هل رأيت الله ؟ فـيقـول :لا، وما ينبـغى لأحد أن يرى الله!فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله،ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظـر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له:هذا مقعدك .

ويقال لـه : على اليقين كنت ، وعليـه مت ، وعليه تبـعث إن شاء الله تـعالى ، ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعاً مرعوباً فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدرى ، فيـقال له : ما هذا الرجـل ؟ فيقـول : سمعت الناس يقـولون قولاً فقـلته . فيـفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرفه الله عنك ، ثم يفرج له فرجـة قبل النار فينظر إليهـا يحطم بعضهاً بعـضاً ، فيقال : هذا مـقعدك ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**] .

٤٠٩- الترمذى عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قـال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أقبر الميت – أو قال أحدكم – أتاه ملكـــان أسـودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكيـر .فيقـولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فـيقول : ما كـان يقول فـيه :هو عـبـد الله ورسولـه أشهـد أن لا إله إلا الله ، وأن مـحمـداً عـبده ورسـوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له فى قـبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم ينور له فيه ، ثم يقـال له : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبـرهـم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليـه،حتى يبعثه الله من مـضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقـولون قولاً ، فقلت مثله : لا أدرى ، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقـول ذلك فيقال للأرض : التئمـى عليه ،(فتلتئم عليه)، فـتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبـعثه الله من مضجعه ذلك » قال: حديث حسن غريب [**حديث حسن**] .

٤١٠- أبو داود عن أنس أن رسـول الله ﷺ دخل نخلاً لبنى النجار ، فسمع صوتاً ففزع ، فقال : « من أصحـاب هذه القبور ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ناس ماتوا

فى الجاهلية ، فقال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال » قالوا : ومم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « إن المؤمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك فيقول له : ما كنت تعبد ؟ فإن هداه الله، قال : كنت أعبد الله فيقال : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شيء غيرها ، فينطلق به إلى بيت كان له فى النار . فيقال له : هذا بيتك كان فى النار ، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتاً فى الجنة فيقول: دعونى حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له : اسكن» .

وإن الكافر إذا وضع فى قبره أتاه ملك فينتهره ويقول(له):ما كنت تعبد؟فيقول:لا أدرى ،(فيقال له:لادريت،ولا تليت فيقال (له):ما كنت تقول فى هذا الرجل؟فيقول:لا أدرى) ،كنت أقول كما يقول الناس، فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غيرالثقلين».

[حديث صحيح]

٤١١- وخرج أبو داود أيضاً عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال :« استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثا ، قال : « وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟وقال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ قال : فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ؟ قال : قرأت كتاب الله فآمنت وصدقت » قال : « فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة » قال : « فيأتيه من روحها وطيبها »قال : «يفسح له مد بصره » .

قال : وإن الكافر فذكر موته قال : « وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول:هاه هاه لا أدرى فيقولان: ما هذا الرسول الذى بعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه . لا أدرى . قال : فينادى مناد: أن كذب

عبدى،فأفرشوه من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار »قال :« فيأتيه من حرها وسمومها » قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه »زاد فى حديث جرير قال : « ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً » قال : « فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح » [**حديث صحيح**] .

٤١٣- وفى الأخبار : أن من الناس من يستحيل عمله خنوصاً - وهو ولد الخنزير - ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : نبيى محمد ، لأنه كان ناسياً لسنته ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول الكعبة قبلتى ، لقلة تحريه فى صلاته ، أو فساده فى وضوئه ، أو التفات في صلاته ، أو اختلال فى ركوعه وسجوده ، ويكفيك ما روى فى فضائلها ، أن الله لا يقبل صلاة من عليه صلاة ، ومن عليه ثوب حرام ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : إبراهيم أبي،لأنه سمع كلاما يوماً أو همه أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، فإذا هو شاك مرتاب ، فيفعل به ما يفعل بالآخرين وقال أبو حامد: وكل هذه الأنواع كشفناها في كتاب (الإحياء) .

وأما الفاجر فيقولان له:من ربك ؟ فيقول : لا أدرى ! فيقولان له : لا دريت ، ولا عرفت، ثم يضربانه بتلك المقامع حتى (يتجلجل)فى الأرض السابعة ، ثم تنفضه الأرض فى قبره ، ثم يضربانه سبع مرات ، ثم تفترق أحوالهم . فمنهم من يستحيل عمله كلباً ينهشه حتى تقوم الساعة ، وهم الخوارج ، ومنهم من يستحيل خنزيراً يعذب به فى قبره وهم المرتابون ، وهم أنواع ، وأصله أن الرجل إنما يعذب فى قبره بالشيء الذى كان يخافه فى الدنيا ، فمن الناس من يخاف من الجرو أكثر من الأسد وطبائع الخلق متفرقة ، نسأل الله السلامة والغفران . قبل الندامة .

٤١٤- **فصل** : جاء فى حديث البخارى ومسلم : سؤال الملكين ، وكذلك فى حديث الترمذى ونص على اسميهما ونعتهما ، وجاء فى حديث أبى داود : سؤال ملك واحد ، وفى حديثه الآخر : سؤال ملكين ولا تعارض فى ذلك والحمد لله ، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص فرب شخص يأتيانه جميعاً ، ويسألانه جميعاً فى حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة فى حقه أشد وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام واجترح من سيئ الأعمال ،

وآخر يأتيـانه قبل انصـراف الناس عنه وآخر يأتيه أحـدهما على الانفـراد فيكون ذلك أخف في السؤال وأقل في المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال .

وقـد يحتـمل حـديث أبي داود وجـهاً آخـر وهو : أن الملكين يأتـيان جـمـيعـاً ويكون السائل أحـدهما ، وإن تشـاركا في الإتيان فـيكون الراوي اقتـصر على الملك السائل وترك غـيره ، أنه لم يقل في الحديـث أنه لايأتيه إلى قبـره إلا ملك واحد ، ولو قاله هكـذا صريحاً لكان الجـواب عنه ما قـدمناه من أحوال الناس . واللـه أعلم . وقد يكون من الناس من يوقى فتنتـهما ولا يأتيه أحـد منهما على ما يأتي بيـانه إن شاء الله تعالى .

واختـلفت الأحـاديث أيضـاً في كـيـفيـة السـؤال والجـواب . وذلك بحـسب اختلاف أحوال الناس ، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ، ومنهـم من يسـأل عن كلها ، فـلا تناقض . ووجه آخر هو : أن يكون بعض الرواة اقـتصـر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال ، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع . كما جـاء في حـديث البـراء المذكـور والله أعلم . وقـول المسؤول : هـاه هاه هي حكاية صوت المبهور من تعب أو جرى أو حمل ثقيل.

باب ذكر حديث البراء المشهور
الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

٤١٥- أخرجه أبـو داود الطيالسي وعبد بن حـميد في مسنديهـما ، وعلى بن معبـد في (كتاب الطاعة والمعـصية) ، وهناد بن السرى في زهده ، وأحـمد بن حنبل في (مسنده) وغـيرهـم ، وهو حديث صـحيح له طرق كثيـرة، تهـمم بتخـريج طرقه على بن معبد . فـأما أبو داود الطيالسـي فقال : حـدثنا أبو عوانة عن الأعـمش ، قال هناد وأحمد : حدثنا أبو معاوية عـن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، وقال أبو داود: حدثنـا عمرو بن ثابـت سمعـه من المنهال بن عـمرو عن زاذان عن البـراء - يعنى ابن عازب - وحـديث أبي عـوانة أتمهـما ، وقال البـراء : خرجنا مع رسـول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصـار فـانتـهيـنا إلى القبـر ، ولما يلحـد ، فـجلس رسـول الله ﷺ وجلسنا حوله ، كـأنما على رؤوسنا الطير ، وقال عـمرو بن ثابت : وقع، ولم يقله أبو

عوانة ، فجعل يرفع بصره، وينظر إلى السماء ،ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض ثم قال : «أعوذ بالله من عذاب القبر » قالها مراراً ثم قال: « إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول اخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء » قال : عمرو فى حديثه : ولم يقله أبو عوانة : « وإن كنتم ترون غير ذلك ، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، ومعهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها ، فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين » قال : « فذلك قوله تعالى :﴿ **توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾ قال : فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذه الروح ؟ فيقال فلان ، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به أبواب سماء الدنيا ، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة ، فيقال : اكتبوا كتابه فى عليين ﴿ **وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون**﴾ فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، وقال : فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك؟ فيقول : ربى الله ودينى الإسلام ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله . فيقولان : وما يدريك؟ فيقول :جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت ،قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ قال : وينادى منادى السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره ، ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب ، فيقول : أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول : بشرك الله بخير ،من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير ؟ فيقول : هذا يومك الذى كنت

توعد أو الأمر الذى كنت توعد، أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً . فيقول يا رب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى قال : « فإن كان فاجرا وكان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاء ملك ، فجلس عند رأسه فقال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط من الله وغضبه ، فتنزل الملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين ، قال : فتفرق فى جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبتل ، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض ، إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه إلى الأرض إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال : فيرمى به من السماء . قال : وتلا هذه الآية :﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** ﴾ ، قال : « فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه ، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول: لا أدرى ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال : محمد ، فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك قال : فيقال : لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب ، فيقال : أبشر بعذاب الله وسخطه ، فيقول : من أنت فوجهك الذى جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله » .

قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى ﷺ : « فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار تراباً » أو قال : «رميما فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى » لفظ أبى داود الطيالسى وخرجه علي بن معبد الجهنى من عدة طرق بمعناه : وزاد فيه : « ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربة فيدق بها من ذؤابته إلي خصره ثم يعاد فيضربه ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره » وزاد فى بعض طرقه

الفصل الأول

تأمل يا أخي وفقني الله وإياك هذا الحديث وما قبله من الأحاديث ، ترشدك إلى أن الروح والنفس شيء واحد وأنه جسم لطيف مشابه للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج . وفي أكفانه يلف ويدرج ، وبه إلى السماء يعرج ، ولا يموت ولا يفنى وهو مما له أول ، وليس له آخر . وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيب وخبيث وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض.

٤١٩- وقد قال بلال في حديث الوادي : أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بنفسك . وقال رسول الله ﷺ مقابلاً له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي: « يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا في حين غير هذا » وقال رسول الله ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» وقال : «فذلك حين يتبع بصره نفسه » وهذا غاية في البيان،ولا عطر بعد عروس ، وقد اختلف الناس في الروح اختلافاً كثيراً ، أصح ما قيل فيه: ما ذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة : أنه جسم ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾. قال أهل التأويل: يريد الأرواح ، وقد قال تعالى :﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم**﴾ يعني النفس عند خروجها من الجسد، وهذه صفة الجسم ولم يجر لها ذكر في الآية لدلالة الكلام عليها ، كقول الشاعر :

أما وى ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وكل من يقول : إن الروح يموت ويفنى فهو ملحد . وكذلك من يقول : بالتناسخ أنها إذا خرجت من هذا ركبت في شيء آخر:حمار أو كلب أو غيرذلك ، وإنما هي محفوظة بحفظ الله إما منعمة وإما معذبة . على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح وإسناده مرسل**] .

الفصل الثاني

الإيمان بعذاب القبر وفتنته : واجب . والتصديق به : لازم حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل

فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة أو هوان . وبهذا نطقت الأخبار عن النبى المختار ﷺ وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة.ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه (الصلاة و)السلام غير ما ذكرنا . وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا .

وفى حديث البراء : « فتعاد روحه فى جسده » وحسبك : وقد قيل : إن السؤال والعذاب إنما يكون على الروح دون الجسد ،وما ذكرناه لك أولاً أصح والله أعلم [**حديث صحيح**] .

الفصل الثالث

أنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة : عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة ، واحتجوا بأن قالوا : إنا نكشف القبر فلم نجد فيه ملائكة عمياً ولاصماً يضربون الناس بفطاطيس من حديد ولا نجد فيه حيات ولا ثعابين ولا نيراناً ولا تنانين ، وكذلك لو كشفناً عنه في كل حالة لوجدناه فيه لم يذهب ولم يتغير ، وكيف يصح إقعاده ، ونحن لو وضعنا الزئبق بين عينيه لوجدناه بحاله فكيف يجلس. ويضرب ولا يتفرق ذلك ؟ وكيف يصح إقعاده وما ذكرتموه من الفسحة ؟ ونحن نفتح القبر فنجد لحده ضيقاً ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يتغير علينا ، فكيف يسعه ويسع الملائكة السائلين له ؟ وإنما ذلك كله إشارة إلى حالات ترد على الروح من العذاب الروحانى ، وإنها لا حقائق لها على موضوع اللغة .

والجوا ب : أنا نؤمن بما ذكرناه ، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك بل يغيبه عنا . فلا يبعد فى قدرة الله تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز فإنا لو شئنا لأزلنا الزئبق عن عينيه ، ثم نضجعه ونرد الزئبق مكانه وكذلك يمكننا أن نعمق القبر ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلاً عن القعود. وكذلك يمكننا أن نوسع القبر مائتى ذراع فضلاً عن سبعين ذراعاً ، والرب سبحانه أبسط منا قدرة ، وأقوى منا قوة ، وأسرع فعلاً ، وأحصى منا حساباً ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ ولا رب لمن يدعي الإسلام

إلا من هذه صفته فإذا كشفنا نحن عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان ، نعم لو كان الميت بيننا موضوعاً فلا يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألاه من غير أن يشعر الحاضرون بهما ، ويجيبهما من غير أن يسمع الحاضرون جوابه . ومثال ذلك : نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب ، ولا يشعر بذلك أحد ممن حولهما من المتنبهين ، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه .

وقد قال بعض علمائنا : إن دخول الملك القبور جائز أن يكون تأويله: اطلاعه عليها وعلى أهلها ، وأهلها مدركون له عن بعد من غير دخول ولا قرب ويجوز أن يكون الملك للطافة أجزائه يتولج فى خلال المقابر فيتوصل إليهم من غير نبش ويجوز أن ينبشها ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركه أهل الدنيا .

ويجوز أن يكون الملك يدخل من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدى الإنسان إليها .

وبالجملة : فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا فى حياتهم ، فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا . وهذا مما لا خلاف فيه ، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مماهنالك . فإن قالوا : كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخطئة ناقله ، ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لا يسأل ولا يحيى وكذلك يشاهد الميت على سريره وهو لا يجيب سائلا ولا يتحرك ، ومن افترسته السباع ، ونهشته الطيور ، وتفرقت أجزاؤه فى أجواف الطير ، وبطون الحيتان وحواصل الطيور ، وأقاصى التخوم ، ومدارج الرياح . فكيف تجتمع أجزاؤه؟ أم كيف تتألف أعضاؤه؟ وكيف تتصور مساءلة الملكين لمن هذا وصفه ؟ أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟ والجواب عن هذا من وجوه أربعة :

أحدها : أن الذى جاء بهذا هو الذى جاء بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك .

الثانى : ما ذكره القاضى على لسان الأمة وهو: أن المدفونين فى القبور يسألون والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجرى

عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليهم السلام لهم . ومن أنكر ذلك فلينكر نزول جبرائيل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام . وقد قال الله تعالى فى وصف الشياطين ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ .

الثالث : قال بعض العلماء : لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به كما أنا نحسب المغمى عليه ميتاً . وكذلك صاحب السكتة وندفنه على حسبان الموت ، ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة في أجزائه .

٤٢٣- **قلت** : ويعيده كما كان . كما فعل بالرجل الذى أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يذرى حتى تنسفه الرياح « الحديث » وفيه « فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيتك أو قال مخافتك » خرجه البخارى ومسلم وفى التنزيل ﴿ **فخذ أربعة من الطير** ﴾ الآية .

الرابع : قال أبو المعالى : المرضى عندنا : أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو غيره فيحييها ويوجه السؤال عليها وذلك غير مستحيل عقلاً،وقال بعض علمائنا :وليس هذا بأبعد من الذر الذى أخرجه الله تعالى من صلب آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا : بلى .

[حديث صحيح] .

الفصل الرابع

فإن قالوا: ما حكم الصغار عندكم ؟! قلنا: هم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه، وهذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار ، فقد جاء أن القبر ينضم عليه كما ينضم على الكبار ، وقد تقدم .

٤٢٤- وذكر هناد بن السرى قال : حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : « إن كان ليصلى على المنفوس ما أن عمل خطيئة قط فيقول : اللهم أجره من عذاب القبر »

[خبر صحيح] .

الفصل الخامس

فإن قالوا : فما تأويلكم فى القبر : « حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة » ؟ قلنا : وذلك محمول عندنا على الحقيقة لا على المجاز ، وأن القبر يملأ على المؤمن خضراً وهو العشب من النبات ، وقد عينه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : هو الريحان كما فى حق الكافر يفرش له لوحان من نار ، وقد تقدم ، وقد حمله بعض علمائنا على المجاز والمراد خفة السؤال على المؤمن ، وسهولته عليه وأمنه فيه ، وطيب عيشه ووصفه بأنه جنة تشبيهاً بالجنة والنعيم فيها بالرياض يقال : فلان فى الجنة إذا كان فى رغد من العيش وسلامة فالمؤمن يكون فى قبره فى روح وراحة وطيب عيش ، وقد رفع الله عن عينيه الحجاب حتى يرى مد بصره كما فى الخبر ، وأراد بحفرة النار ضغطة القبر وشدة المساءلة والخوف والأهوال التى تكون فيها على الكفرة وبعض أهل الكبائر والله أعلم . والأول أصح لأن الله سبحانه ورسوله يقص الحق ولا استحالة فى شيء من ذلك .

٤٢٩- **فصل** : إن قال قائل : كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفو الأماكن ، متباعدو القبور فى الوقت الواحد ، والجسم الواحد لا يكون فى المكانين في الوقت الواحد وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهى فى نفسها أعراض ؟

فالجواب عن الأول : ما جرى ذكره فى هذا الخبر من عظم جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين فى الجهة الواحدة منهم فى المرة الواحدة : مخاطبة واحدة ، يخيل لكل واحد أن المخاطب هو دون من سواه ويكون الله يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لهما ويسمع هو مخاطبتهما أن لو كانوا معه فى قبر واحد ، وقد تقدم أن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الثقلين . والله سبحانه وتعالى يسمع من يشاء وهو على كل شيء قدير .

والجواب عن الثانى : أن الله (تعالى) يخلق من ثواب الأعمال أشخاصاً حسنة وقبيحة . لا أن العرض نفسه ينقلب جوهراً إذ ليس من قبيل الجواهر . ومثل هذا ما صح فى الحديث : « أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح » ومحال أن ينقلب الموت كبشاً لأن الموت عرض وإنما المعنى أن الله سبحانه يخلق

شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار . وهكذا كلما ورد عليك فى هذا الباب التأويل فيه ما ذكرت لك . والله سبحانه أعلم ، وسيأتى له مزيد بيان إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**] .

باب اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

٤٣٠- جاء فى حديث البخارى ، ومسلم : « أنه يفسح له سبعون ذراعا » وفى الترمذى : « سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً» وفى حديث البراء: « مد البصر » وخرج على بن معبد عن معاذة قالت : قلت لعائشة رضى الله عنها : ألا تخبرينا عن مقبورنا ما يلقى وما يصنع به ؟ فقالت : إن كان مؤمناً فسح له فى قبره أربعون ذراعاً .

قلت : وهذا إنما يكون بعد ضيق السؤال وأما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقاً. فنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

باب ما جاء في عذاب القبر وأنه حق وفي اختلاف عذاب الكافرين وفي قبورهم وضيقها عليهم

٤٣٢- قال الله تعالى :﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا**﴾

قال أبو سعيد الخدرى وعبد الله بن مسعود : ضنكاً قال : عذاب القبر . وقيل فى قوله عز وجل : ﴿ **وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك** ﴾ هو: عذاب القبر، لأن الله (تعالى) ذكره عقب قوله :﴿**فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون**﴾ وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل على أن العذاب الذى هم فيه هو عذاب القبر وكذلك قال ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ لأنه غيب وقال ﴿**وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشياً**﴾ فهذا عذاب القبر فى البرزخ ، وسيأتى . وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **كلا**

ســـوف **تعلمـون** ﴾ مـا ينزل بكـم من العـذاب فى القـبـر ﴿ **ثم كـلا سـوف تعلمون**﴾: فى الآخـرة إذا حل بكم العـذاب، فـالأول فـي القـبـر ، والثـانى فى الآخرة فالتكرير للحالتين [**خبر صحيح**] .

٤٣٣- وروى زر بن حبيش عن على - رضى الله عنه - قال : كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة ﴿ **ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون**﴾ يعنى فى القبـور . وقال أبو هريرة : يضـيق على الكافر قبـره حتى تختلف فيه أضلاعه وهو المعيشة الضنك .

٤٣٧- **فصل** : لا تظن - رحمك الله - أن هذا معـارض للحديث المرفوع : « أنه يسلط على الكافـر أعـمى أصم » فإذا أحـوال الكفار تخـتلف ، منهم من يتـولى عقوبتـه واحد . ومنهم من يتولى عقـوبته جماعة . وكـذلك فلا تناقص بين هذا وبين أكل الحيـات لحمه ، فإنه يمكن أن يتـردد بين هذين العذابين كما قـال تعالى : ﴿ **هذه جـهنم التى يـكذب بهـا المجـرمـون يطوفـون بينـهـا وبين حـمـيم آن** ﴾ فمرة يطعمون الـزقوم ، وأخرى يسقون الـحميم ، ومرة يعرضـون على النار ، وأخرى على الزمهـرير، أجارنا الله من عـذاب القبر ، ومن عـذاب النار برحمتـه وكرامتـه . وآخر يفرش له لوحان من نار.

٤٣٨- وآخر يقال له : نم نومة المنهوس . كمـا أخرجه على بن معبد عن أبى حازم عن أبى هريرة موقوفاً قال : « إذا وضع الميـت في قبره أتاه آت من ربه فيقول له : من ربك ؟ فـإن كـان من أهل التـثبـيت ؟ ثبت . وقـال : الله ربى ثم يقـال له :مـا دينك ؟ فيقول : الإسلام فيقول : من نبيك ؟ فيقول: محمد ﷺ فيرى بشراه ويبشر. فيـقول : دعونى أرجع إلى أهلى فـأبشرهـم.فيـقال له : نم قريـر العين إن لك إخوانا لم يلحقوا . وإن كان من غير أهل الحق والتثبيت قيل له : من ربك ؟ فيقول : هاه ،كالوا له ، ثم يضـرب بمطراق يسـمع صـوته الخلق إلا الجن والإنس . ويقـال له:نم كنومـة المنهوس » .[**خبر حسن**].

قال أهل اللغة : المنهوس بالسين المهملة : الملسوع، نهسته الحية تنهسه ، قال الراجز :

وذات قـــرنين طحـــون الـضـــرس   تـنهس لـو تمكـنت من نـهس

تدير عينا كشهاب القبس

والمنهوس مرة ينتبه لشدة الألم عليه ، ومرة ينام كالمغمى عليه قال النـابغة :

فـبت كـأنى سـاورتنى ضـئيلـة   من الـرقش فى أنيــابهـــا السم نـاقع

تســهـد من ليـل التـمـام سليـمــهـا   كـحلى النســاء فى يديهــا قـعــاقع

يـــادرها الراقـون من ســوء سمــهـا   تـطـلقـــــــه طـوراً وطوراً تـراجـع

[خبر حسن]

باب ما يكون منه عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة فيه بحسب اختلاف معاصيهم

٤٤٠- أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : «أكثر عذاب القبر من البول »   [حديث صحيح] .

٤٤١- والبخارى ومسلم عن ابن عباس قال: مر النبى ﷺ على قبرين فقال : « إنهما ليـعذبان وما يعذبان فى كبيـر ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميـمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله» فدعا بعسيـب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » .

٤٤٢- وفى رواية : « كان لا يستنزه عن البول أو من البول »رواهما مسلم [حديث صحيح لغيره] .

٤٤٣- وفى كتاب أبي داود : « وكان لا يستنثر من بوله » .

٤٤٤- وفى حديث هناد بن السـرى « لا يستبرئ من البول » من الاسـتبراء ، وقال البخارى: « وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير »

٤٤٥- وأخـرجه أبو داود الطـيالسى عن أبى بـكرة قال : بينمـا أنا أمـشى مع

رسول الله ﷺ ومعي رجل ورسول الله ﷺ بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأيكما يأتيني من هذا النخل بعسيب ؟ فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيباً ، فأتيت النبي ﷺ فشقه نصفين من أعلاه فوضع على إحداهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً . وقال : «إنه يهون عليهما ما دام من بلولتهما شيء إنهما يعذبان في الغيبة والبول ».

٤٤٦- قال المؤلف : هذا الحديث والذي قبله يدل على التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطباً لا زيادة معه ، وقد خرجه مسلم من حديث جابر الطويل ، وفيه : فلما انتهى إلى قال : « يا جابر هل رأيت مقامي؟» قلت : نعم يا رسول الله . قال :« فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك » قال جابر : فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته فاندلق لي ، فأتيت الشجرتين فقطعت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ فأرسلت غصناً عن يميني وغصنا عن يساري ، ثم لحقته ، فقلت : قد فعلت ذلك يا رسول الله ، فعند ذاك قال : « إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين » .

ففي هذا الحديث زيادة على رطوبة الغصن وهي : شفاعته ﷺ ، والذي يظهر لي أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة ،كما قال من تكلم على ذلك ، ويدل عليهما سياق الحديث ، فإن في حديث ابن عباس وأبي بكرة عسيباً واحداً شقه النبي ﷺ بيده نصفين وغرسهما بيده ، وحديث جابر بخلافهما ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه [**حديث صحيح**] .

٤٤٧- وقد خرج أبو داود الطيالسي حديث ابن عباس : فقال :حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان في غير كبير ، أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ، وأما الآخر فكان صاحب نميمة ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فوضع نصفاً على هذا القبر، ونصفاً على هذا القبر . وقال :عسى أن يخفف عنهما ما دامتا رطبتين » ثم قيل : يجوز أن يكونا كافرين ، وقوله:«إنهما ليعذبان (وما يعذبان) في كبير » يريد بالإضافة إلى

الكفر والشرك ، وأما إن كانا مؤمنين فقد أخبرك أنهما يعذبان بشيء كان منهما ليس بكفر لكنهما لم يتوبا منه ، وإن كانا كافرين فهما يعذبان في هذين الذنبين زيادة على عذابهما بكفرهما وتكذيبهما وجميع خطاياهما ، وإن يكونا كافرين أظهر والله أعلم. فإنهما لو كانا مؤمنين لعلما لقرب العهد بتدافن المسلمين يومئذ . وقاله ابن برجان في كتاب الإرشاد الهادى إلى التوفيق والسداد .

قلت : والأظهر أنهما كانا مؤمنين وهو ظاهر الأحاديث والله أعلم .

٤٤٩- البخارى عن سمرة بن جندب قال : كان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا»؟ قال : فإن رأى أحد رؤيا قصها ،فيقول ما شاء الله ، فسألنا يوماً فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ » قلنا : لا . قال : « لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق ليأخذه فما يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه . قلت : ما هذا؟ قالا :انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة ، فقلت : ما هذا ؟قالا :انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج ،رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت:ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا ، حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان . وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة ، فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت ، قالا : نعم الذى رأيت يشق شدقه : فكذاب يحدث

بالكذب، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه : فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار . يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذين رأيتهم في الثقب فهم الزناة ، والذى رأيته فى النهر آكل الربا ، والشيخ فى أصل الشجرة : إبراهيم والصبيان حوله : فأولاد الناس . والذى يوقد النار : مالك خازن النار ، والدار الأولى : دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار : فدار الشهداء ، وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسى فإذا فوقى مثل السحاب، قالا : ذلك منزلك ، فقلت : دعانى أدخل منزلى . قال : إنه بقى لك عمر، ولم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك » [**حديث صحيح**] .

٤٥٠- **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا أبين في أحوال المعذبين فى قبورهم من حديث البخارى ، وإن كان مناماً فمنامات الأنبياء عليهم (الصلاة و)السلام وحى ، بدليل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك**﴾ فأجابه ابنه ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر**﴾ وأما حديث الطحاوى فنص أيضاً وفيه رد على الخوارج ، ومن يكفر بالذنوب ، قال الطحاوى : وفيه ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر ، لأن من صلى صلاة بغيرطهور : فلم يصل ، وقد أجيبت دعوته، ولوكان كافراً ما سمعت دعوته لأن الله عز وجل يقول :﴿**وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال**﴾وأما حديث البخارى ومسلم فيدل على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب ، إذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب ، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياساً على البول ، وهذا قول أكثر العلماء ، وبه قال ابن وهب ورواه عن مالك وهو الصحيح في الباب ومن صلى ولم يستنثر فقد صلى بغير طهور .

٤٥٥- وذكر أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال :الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »

[**حديث صحيح**] .

باب ما جاء في بشرى المؤمن في قبره

٤٥٦- قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه : فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فيأتون من قبل رأسه . فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه . فقد أطال ظمأه لله -عز وجل- فى دار الدنيا ، فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه ، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله- عز وجل - لا سبيل لكم عليه . فيأتون من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ، حتى وقعت فى يد الله - عز وجل - ابتغاء لوجهه ، فلا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له : نم هنيئاً ، طبت حياً ، وطبت ميتاً .

قلت : هذا لمن أخلص لله فى عمله وصدق الله فى قوله وفعله وأحسن نيته له فى سره وجهره ، فهو الذى تكون أعماله حجة له ، ودافعة عنه فلا تعارض بين هذا الباب ، وبين ما تقدم من الأبواب . فإن الناس مختلفو الحال في خلوص الأعمال والله أعلم .

باب ما جاء في التعوذ من عذاب القبر وفتنته

٤٥٧ - النسائى عن عائشة -رضى الله عنها - قالت : دخل على رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : إنكم تفتنون فى القبور، فارتاع رسول الله ﷺ وقال : « إنما يفتن يهود » قالت عائشة: فلبثنا ليالى . ثم قال رسول الله ﷺ : « هل شعرت أنه أوحى إلى : أنكم تفتنون فى القبور؟» قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر [**حديث صحيح**] .

٤٥٨- وروى الأئمة عن أسماء عنه ﷺ أنه قال : « وإنه قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قريباً ، أو مثل فتنة الدجال لا أدرى أى ذلك ؟ قالت أسماء : يؤتى بأحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن (لا أدرى أى ذلك قالت أسماء)فيقول :«هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا » ثلاث مرات ، ثم يقال له : « نم قد نعلم أنك لتؤمن به فنم صالحاً» . وأما المنافق أو

المرتاب فيقول : لا أدرى أى ذلك ؟»قالت أسماء : « فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت » لفظ مسلم [**حديث صحيح**] .

٤٥٩- وخرج البخارى عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يدعو : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر . ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات . ومن فتنة المسيح الدجال » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً أخرجها الأثبات الثقات [**حديث صحيح**] .

باب ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر

٤٦٠- مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينما النبى ﷺ في حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ جاء به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة كذا كان الحريرى يقول : فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ » فقال رجل : أنا : . قال : « فمتى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع» [**حديث صحيح**] .

٤٦١- وخرج أيضاً عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخلت على عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ودخل على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إن عجوزين من عجائز يهود المدينة قالتا :إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قال النبى ﷺ « صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم » قالت : فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر . خرجه البخارى أيضاً وقال : « تسمعه البهائم كلها» [**حديث صحيح**] .

٤٦١م – وخرج هناد السرى فى زهده ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش، عن شفيق ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها .

فدخل النبى ﷺ على فذكرت ذلك له ، فقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده إنهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم » [**حديث صحيح**] .

٤٦٢- **فصل** : قال علماؤنا : وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام: « لولا أن لا تدافنوا » (الحديث) . فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن أو يهلك الحى عند سماعه . إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله فى هذه الدار ، لضعف هذه القوى،ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف ، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ، وأين صعقة الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق الحديد التى يسمعها كل من يليه ؟ وقد قال ﷺ فى الجنازة : « ولو سمعها إنسان لصعق » .

قلت : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان . فكيف إذا حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال ؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه .

٤٦٣- **حكاية** : قال أبو محمد عبد الحق : حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان - وكان من أهل العلم والعمل- رحمه الله - أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم من شرق إشبيلية ، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم . فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة كذلك - فعلت مرة بعد أخرى - قال أبو الحكم رحمه الله: فذكرت عذاب القبر ، وقول النبى ﷺ : « إنهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم » والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ،ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارئ هذا الحديث فى عذاب القبر : ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج رضى الله عنه .

باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

٤٦٤ - مسلم عن أنس بن مالك : أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال : إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس . يقول: « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله » قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله

ﷺ حتى انتهى إليهم ، فقال : « يا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله ﷺ حقا فإني وجدت ما وعدني ربى حقاً ؟ » فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً». وعنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً . فقام عليهم فناداهم . فقال : « يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة . يا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدنى ربى حقاً! » فسمع عمر قول النبى ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يسمعون ! وأنى يجيبون ! وقد جيفوا ؟قال:« والذى نفسى بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر

[حديث صحيح] .

٤٦٥- **فصل** : اعلم رحمك الله أن عائشة رضى الله عنها قد أنكرت هذا المعنى . واستدلت بقوله تعالى :﴿ **فإنك لا تسمع الموتى**﴾ وقوله : ﴿ **وما أنت بمسمع من فى القبور**﴾ ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون فى وقت ما ، أوفى حال ما ، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص . قد وجد هنا بدليل ما ذكرناه - وقد تقدم - وبقوله عليه الصلاة والسلام : «وإنه ليسمع قرع نعالهم » وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت فى قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر.

باب قوله تعالى :

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا﴾ الآية

٤٦٧- مسلم عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ قال : نزلت فى عذاب القبر . يقال له : من ربك ؟ فيقول : الله ربى . ونبيى محمد فذلك قوله ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ .

[١١٧/ صحيح التذكرة / صحابة]

وفى رواية أنه قول البراء : ولم يذكر النبى ﷺ .

قلت : وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لا يقال من جهة الرأى فهو محمول على أن النبى ﷺ قاله كما في الرواية الأولى . كما خرجه النسائى وابن ماجه في سننهما والبخارى فى صحيحه ، وهذا لفظ البخارى [**حديث صحيح**] :

٤٦٨- حدثنا جعفر بن عمر قال : حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال : « إذا أقعد العبد المؤمن فى قبره . أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ الآية» ، وخرجه أبو داود أيضاً فى سننه. فقال فيه:عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله(ﷺ) فذلك قوله(تعالى):﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**﴾ وقد مضى هذا المعنى في حديث البراء الطويل مرفوعاً والحمد لله [**حديث صحيح**] .

٤٦٩- وقد روى هذا الخبر، أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدرى . قال أبو سعيد الخدرى : كنا فى جنازة مع النبى ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها . فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال : فما تقول فى هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول له : صدقت فيفتح له باب إلى النار فيقول له : هذا منزلك لو كفرت بربك ، وأما الكافر والمنافق فيقول له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول:لا أدرى . فيقال له: لا دريت ولا تليت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا ، ثم يفتح له باب إلى النار ثم يقمعه الملك قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين » .

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول**

الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾

[حديث صحيح لغيره] .

٤٧٠- **فصل** : صحت الأخبار عن النبى ﷺ فى عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها ، وجاء فيما تقدم من الآثار : أن الكافر يفتن فى قبره ويسأل ويهان ويعذب . قال أبو محمد عبد الحق : واعلم أن عذاب القبر ليس مختصا بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين ، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته وزلله ، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق .

٤٧١- قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب(التمهيد):الآثار الثابتة تدل على : أن الفتنة فى القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام والله أعلم ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويرتاب المبطلون . قال ابن عبد البر : وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ أنه قال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها » ومنهم من يرويه : تسأل ، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، وهذا أمر لا يقطع عليه، والله أعلم .

٤٧٢- وقال أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول : وإنما سؤال الميت فى هذه الأمة خاصة . لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوا وعوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله محمداً(ﷺ) بالرحمة وأمانا للخلق ، فقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ وأمسك عنهم العذاب وأعطى السيف

حتى يدخل فى دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ فى قلبه ، فأمهلوا ، فمن هنا ظهر أمر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا بين المسلمين فى ستر فلما ماتوا قيض الله (عز وجل) لهم فتانى القبر ليستخرج سترهم بالسؤال ، وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الثابت فى الحياة الدنيا ويضل الله الظالمين .

قال المؤلف :(رضى الله عنه) قول أبى محمد عبد الحق أصوب ، والله أعلم ،

فإن الأحاديث التى ذكرناها من قبل تدل على : أن الكافر يسأله الملكان ، ويختبرانه بالسؤال ويضرب بمطارق من حديد على ما تقدم ، والله أعلم .

باب ما ينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك خمسة أشياء : رباط ، قتل ، قول ، بطن ، زمان .

٤٧٣- **الأول**: روى مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان » فالرباط من أفضل الأعمال التى يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء فى حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة » (الحديث) . وقد تقدم وهو حديث صحيح ، انفرد بإخراجه مسلم ، وكذلك ما أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم من أنه يلحق الميت بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه ، كالصدقة بنفادها ، والعلم بذهابه ، والولد الصالح بموته ، والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر ، والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام : «وإن مات أجرى عليه عمله » [**حديث صحيح**] .

٤٧٤- وقد جاء مفسراً مبيناً فى كتاب الترمذى عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » . وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبوداود بمعناه وقال : « يؤمن من فتانى القبر » ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه ، بل هى فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام ، وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة [**حديث صحيح**] .

٤٧٥- وخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان

يعـمل وأجرى عليـه (رزقه) وأمن مـن الفتـان ويبعـثه الله أميناً من الفـزع الأكبـر »
[**حديث صحيح**] .

٤٧٦- وخرج أبو نعيم عـن جبير بن بكير وكبير بن مرة وعـمرو بن الأسود عن العـرباض بن سارية رضى الله عنه : أن رسـول الله ﷺ قال : «كل عـمل ينقطع عن صـاحبه إذا مـات إلا المرابط فى سبيل الله ، فـإنه ينمى عليه عـمله ويجرى عليه رزقه إلى يوم الحساب ».

وفى هذا الحـديث وحـديث فـضـالة بن عـبيـد قـيـد ثان : وهو : الموت حـالة الرباط. والله أعلم [**حديث صحيح**] .

٤٧٧- وروى عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من رابط ليلة فى سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها »[**حديث حسن**] .

٤٧٩- **مسألة الرباط** : هو الملازمة فى سبيل الله ، مأخـوذ من ربط الخيل ثم سـمى مـلازم لثـغـر من ثغـور المسلمين : مـرابطاً . فـارسـاً كـان أو راجـلاً ، واللفظة مأخـوذة من الرباط فى سبيل الله ، والرباط اللغوي هو الأول ، وهو الـذى يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة مـا ، فأما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك ، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين . قاله علماؤنا ، وقد بيناه في كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة آل عمران والحمد لله [**حديث صحيح**] .

٤٨٠- **الثانى** : روى النسـائى عن راشـد بـن سـعـد عن رجل من أصـحـاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قـال : يا رسول الله ، مـابال المؤمنين يفتنون فى قـبورهـم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » [**حديث صحيح**] .

٤٨١- وخرج ابن ماجـه فى سننه والترمذى في جـامعه وغيرهمـا عن المقداد ابن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشـهيد عند الله ست خـصال : يغفر له فى أول دفعة ، ويرى مـقعده من الجنة . ويجار من عذاب القـبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خـير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجـة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقـاربه » لفظ الترمذى ، وقال :حديث حسن صـحيح(غريب) ، وقال ابن ماجه : « يغـفر له فى أول دفعة من

دمـه قـال : ويحلى حلة الإيمان » بـدل : « ويوضع على رأسـه تاج الوقـار » قـال ابن ماجه : حدثنا هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عياش قال : حدثنى بجير بن سعد، وقال التـرمذى: حـدثنا عبد الله بن عـبد الرحـمن قال : حدثنا نعـيم بن حمـاد قال : حدثنا بقـية بن الوليـد ، عن بجيـر بن سعد ، عن خـالد بن معـدان ، عن (المقدام بن) معدى كرب . فذكره

قال المؤلف فى جـميع نسخ الترمـذى وابن ماجه : « ست خـصال » وهى في متن الحـديث : « سبع » وعلى مـا ذكـر ابن مـاجـه : « ويحلى بـحلة الإيمان » تكون ثمانيـة ، وكذا ذكـره أبو بكر أحمـد بن سلمان النجـاد بسنده عن المقدام بن مـعدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ :« للشهيد عند الله ثمانية خصال »

[حديث صحيح] .

٤٨٢- الثالثة : روى الترمذى عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خبـاءه على قبر وهو لا يحـسب أنه قبـر فإذا إنسان يقـرأ سورة الملك حتى ختمـها فأتى النبى ﷺ فـقال : يا رسـول الله ضـربت خـبائى علـى قبـر وأنا لا أحسب أنه قـبر ، فإذا بقبر إنسـان يقرأ سورة الملك حـتى ختمها فـقال (النبى) ﷺ : «هى المانعة هى المنجية تنجيه من عـذاب القبر » . قال :حديث حسن غريب **[حديث صحيح]** .

٤٨٣- وخـرج أيضـاً عنه ﷺ : « أن من قـرأهـا كل ليلة جـاءت تجـادل عن صاحبـها » . وروى أنها المجادلة تجادل عن صـاحبها يعنى قارئهـا في القبر ، وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان **[حديث صحيح]** .

٤٨٦ - وخرج النسائى عن جـامع بن شداد ، قال:سمعت عـبد الله بن يسار يقول: كنت جالساً عند سلمان بن صرد، وخـالد بن عرفطة ، فذكرا: أن رجلا مات ببطنه ، فإذا يشتـهيـان أن يشهدا جنازته ، فقـال أحدهما للآخـر: ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتـله بطنه لم يعذب فى قـبره » أخرجـه أبو داود الطيالسى فـى مسنده ، قال : حدثنا شـعبة ، قال : أخبـرنى جامع بن شداد، فذكره وزاد: فـقال الآخر: بلى **[حديث صحيح]** .

٤٨٧- الخامس : روى الترمذى ، عن ربيعة بن سيف ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » . قال: هذا حديث حسن غريب ، وليس إسناده بمتصل؛ربيعة بن سيف إنما يروى عن عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله ابن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو .

قلت : قد خرجه أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول متصلاً عن ربيعة بن سيف الإسكندرى ، عن عياض بن عقبة الفهرى ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر» وخرجه على بن معبد عنه - أعنى عبد الله بن عمرو - قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر » [**حديث صحيح**].

٤٨٨- وأخرجه أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر ، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء » . غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى الوجيهى وهو مدنى فيه لين عن محمد عن جابر [**حديث صحيح**] .

٤٨٩ - **فصل** : قلت : اعلم رحمك الله أن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب ، بل يخصصها ويبين من لا يسأل فى قبره ولا يفتن فيه ، ممن يجرى عليه السؤال ، ويقاسى تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه ، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد ﷺ .

٤٩١- **فصل** : قوله عليه السلام في الشهيد : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة معناه : أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان، وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق : الفرار والروغان عند ذلك،ومن شأن المؤمن:البذل والتسليم لله نفساً ، وهيجان حمية لله، والتعصب له ، لإعلاء كلمته . فهذا قد أظهر صدق ما فى ضميره حين برز للحرب والقتل ، فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر ؟ قاله الترمذي الحكيم .

قلت : وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً وأعظم أجراً، فهو أحرى أن لا يفتن لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء في قوله تعالى : ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء**﴾ وقد جاء فى المرابط الذى هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا يفتن ، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد ؟ والله أعلم فتأمله .

باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي

٤٩٤ – البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» [**حديث صحيح**] .

٤٩٥ – **فصل**:قوله:«عرض عليه مقعده » ويروى:«عرض على مقعده» قال علماؤنا :وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال فى الدنيا، وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب ، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته . وجاء فى التنزيل فى حق الكافرين ﴿ **النار يعرضون عليها غدوا وعشياً**﴾ فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح في ذلك ، وهل (كل) مؤمن يعرض على الجنان ؟ فقيل ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ، ومن أراد الله إنجاءه من النار ، وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فله مقعدان يراهما جميعا كما أنه يرى عمله شخصين فى وقتين أوفى وقت واحد قبيحا وحسنا وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان، والله أعلم .

ثم قيل : هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة

حين يقعده الملكان ، ويقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة وكيفما كان ، فإن العذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد ، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً فى النائم فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك .

٤٩٦- وقال عبد الله بن مسعود : أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم :هذه داركم فذلك قوله تعالى:﴿ **النار يعرضون عليها غدوا وعشياً** ﴾ وعنه أيضا:أن أرواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها [**خبر حسن**] .

باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة دون أرواح غيرهم

يدل على ذلك قوله عليه (الصلاة و)السلام فى حديث ابن عمر: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله(تعالى) إليه يوم القيامة» وهذه حالة مختصة بغير الشهداء .

٤٩٨- وفى صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية:﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ فقال:«أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة،فقال: هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أى شيء نشتهى، ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء؟ففعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى،فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » [**حديث صحيح**] .

٥٠٠-فإن قيل : فقد روى مالك عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك الأنصارى أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: « إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم

يبعثه»قلنا : قال أهل اللغـة:تعلق بضم اللام تأكل . ويقال علقت تعلق علوقاً . ويروى يعلق تعلق بفتح اللام وهو الأكثر ومعناه: تسرح وهذه حالة الشهداء لا غيرهم بدليل الحديث المتقدم .

وقوله تـعالى : ﴿ **بل أحـياء عند ربهم يرزقـون** ﴾ ولا يرزق إلا حى فـلا يتـعجل الأكل والنعـيم لأحـد إلا للشهـداء فى سبـيل الله بإجـماع من الأمـة . حكاه القاضى أبو بكر بن العـربى فى سراج المريدين ، وغيـر الشهيـد بخلاف هذا الوصف إنما يملأ عليـه قبره خـضراً ويفـسح له فيـه ، وقوله : « نسمـة المؤمن» أى روح المؤمن الشهيد ، يـــدل عليــه قوله فـــى نفس الحـــديث «حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم (القيامة) » [**حديث صحيح**] .

٥٠١- الثاني : فإن قـيل : فقد جـاء أن الأرواح تتلاقى فى السـماء والجنة فى السمـاء يدل عليه قـوله عليه (الصـلاة و)السلام : « إذا دخل رمـضان فـتحت أبواب السماء » وفى رواية « أبواب الجنة ؟ » قلنا : لا يلزم من تلاقى الأرواح فى السماء أن يكون تلاقيـها فى الجنة ، بل أرواح المؤمنين غير الشـهداء تارة تكون فى الأرض على أفنيـة القبـور ، وتارة فى السـماء لا فى الجـنة ، وقد قـيل: إنهـا تزور قبـورها كل يوم جمـعة على الدوام ، ولذلك تسـتحب زيارة القبـور ليلة الجمـعة ويوم الجمـعة وبكرة السبت فيما ذكر العلماء . والله أعلم .

قال ابن الـعربى:وبحديـث الجرائد يستـدل الناس على أن الأرواح فى القـبور تعـذب أو تنعـم،وهو أبين فى ذلك من حـديث ابن عـمـر في الصـحـيح: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى»لأن عرض مقعده (عليه)ليس فيه بيان عن مـوضعـه الذى يراه منه ، وحديث الجـرائد نص على أن أولئك يعذبون في قـبورهم ، وكذلك حديث اليهود .

قلت : ويحـتـمل على مـا ذكـرناه والله أعلم : أن يكون قـوله عليـه (الصـلاة و)السلام : « ما من أحـد يمر بقبر أخيه المسلـم كان يعرفه فى الدنيا وروحـه فى قبره إلا عرفه ورد عليه السلام » حتى لا تتناقض الأخبار . والله أعلم [**حديث صحيح**].

٥٠٢- الثالث: فإن قيل : فقد قال ﷺ : « والذى نفسى بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيى ، ثم قتل ، ثم أحيى ، وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه » .

وهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة ، من حين القتل ولا تكون أرواحهم فى جوف طير ، ولا تكون في قبورهم فأين تكون ؟ [**حديث حسن**] .

٥٠٣- قلنا : قد خرج ابن وهب بإسناده عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً» فلعلهم هؤلاء أو من منعه من دخول الجنة حقوق الآدميين إذ الدين ليس مختصاً بالمال على ما يأتى ، ولهذا قال علماؤنا أحوال الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون ، وقد تقدم قوله عليه (الصلاة و)السلام: «من مات مريضاً مات شهيدا وغدى وريح (عليه) برزقه من الجنة » وهذا نص فى أن الشهداء مختلفو الحال وسيأتى: كم الشهداء؟ إن شاء الله تعالى

[**حديث حسن**] .

٥٠٥- قال رسول الله ﷺ : « من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله ، ومن ترك مالاً فلورثته فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله تعالى يقضى عنه ويرضى خصمه » [**حديث صحيح**] .

٥٠٧- وأما من أدان فى سفه أو سرف فمات ولم يوفه أو ترك له وفاء ولم يوص به أو قدر على الأداء فلم يوفه، فهذا الذى يحبس به صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتى ، فيحتمل أن يكون قوله عليه (الصلاة و)السلام فى شهيد البحر عاماً فى الجميع ، وهو الأظهر، لأنه لم يفرق بين دين ودين ، ويحتمل أن يكون قوله فيمن ادان ولم يفرط فى الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » خرجه البخارى [**حديث صحيح**] .

٥٠٨- على أن حديث أبى أمامة في إسناده لين ، وأعلى منه إسناداً وأقوى ما

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين » ولم يخص براً من بحر [**حديث صحيح**] .

٥٠٩- وكذلك ما رواه أبو قتادة : أن رجلاً قال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفرالله عنى خطاياى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «نعم إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلت » ؟ فقال : « أرأيت إن قتلت فى سبيل الله أيكفر الله عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل قال لى ذلك » [**حديث صحيح**] .

٥١١- وقد روى ابن المبارك : أخبرنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان قال : حدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون، ويرزقون من الجنة. [**خبر صحيح**].

٥١٢- أخبرنا ابن لهيعة قال:حدثنى يزيد بن أبي حبيب أن منصور بن أبى منصور حدثه قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنه-، فقلت أخبرنى عن أرواح المسلمين أين هى حين يتوفون ؟ قال : ما تقولون أنتم يا أهل العراق ؟ قلت : لا أدرى . قال : فإنها صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة . وذكر الحديث [**خبر حسن**] .

قلت : فهذه حجة من قال : إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة ، والله أعلم ، على أنه يحتمل أن يدخله من التأويل ما تقدم - والله أعلم -فيكون المعنى : أرواح المؤمنين الشهداء وكذا فقلت : أخبرنى عن أرواح المؤمنين الشهداء والله أعلم .

٥١٣- وروى ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس -رضى الله عنهما - يقول : « إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر »[**خبر صحيح**] .

٥١٤- **فصل** : وقع فى حديث ابن مسعود : « أرواحهم في جوف طير خضر » وفي حديث مالك : « نسمة المؤمن طائر » وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة قال : سئل عبد الله بن مسعود عن أرواح الشهداء ؟ فقال : أرواح الشهداء عند الله كطير خضر في قناديل تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى

قناديلها،وذكر الحديث .

وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «أرواح الشهداء طير خضر تعلق فى شجر الجنة » وهذا كله مطابق لحديث مالك فهو أصح من رواية من روى أن أرواحهم في جوف طير خضر . قاله أبو عمر فى الاستذكار . وقال أبو الحسن القابسى : أنكر العلماء قول من قال فى حواصل طير لأنها رواية غير صحيحة ، لأنها إذا كانت كذلك فهى محصورة مضيق عليها .

قلت : الرواية صحيحة لأنها فى صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل فيحتمل أن تكون (الفاء) بمعنى (على) فيكون المعنى: أرواحهم على جوف طير خضر كما قال تعالى :﴿ **ولأصلبنكم فى جذوع النخل**﴾ أى على جذور النخل وجائزأن يسمى الظهر جوفاً إذ هو محيط به ومشتمل عليه ، قال أبو محمد عبد الحق: وهو حسن جداً [**حديث صحيح**] .

٥١٥ - وذكر شبيب بن إبراهيم فى كتاب (الإفصاح المنعم) على جهات مختلفة . منها ما هو طائر يعلق من شجر الجنة . ومنها ما هو فى حواصل طير خضر ، ومنها ما يأوى فى قناديل تحت العرش ، ومنها ما هو فى حواصل (طير) بيض ، ومنها ما هو فى حواصل طير كالزرازير ، ومنها ما هو فى أشخاص صور من صور الجنة ، ومنها ما هو فى صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ، ومنها ما تسرح وتعود إلى جثتها تزورها ، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين ، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل . ومنها ما هو فى كفالة آدم ، ومنها ما هو فى كفالة إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام ، وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبارحتى لا تتدافع ، والله بغيبه أعلم وأحكم .

باب كم الشهداء ؟ ولم سمي شهيدا ؟ ومعنى الشهادة

٥١٧- الترمذى ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الشهداء خمسة : المبطون ، والمطعون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله عزوجل » وقال : هذا حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**] .

٥١٨- النسائي عن جابر : قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله :المطعون ، والمبطون ، والغريق ، والحرق ، وصاحب ذات الجنب والذى يموت تحت الهدم ، والمرأة تموت بجمع » قيل: هى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه ، وقيل : إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة ، سواء ألقت ولدها أو ماتت وهو فى بطنها، وقيل : التى تموت بكراً لم يمسها الرجال ، وقيل التى تموت قبل أن تحيض وتطمث .فهذه أقوال لكل قول وجهان ، وفى جمع لغتان ضم الجيم وكسرها ، وفى بعض الآثار : « المجنوب شهيد » يريد : صاحب الجنب ، يقال منه : رجل جنب بكسر النون وفتح الجيم إذا كانت به ذات الجنب وهو الشوصة [**حديث صحيح**] .

٥١٩- وفى كتاب الترمذى وأبى داود والنسائى عن سعيد بن زيد، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . وقال الترمذى :حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**] .

٥٢٠- وروى النسائي من حديث سويد بن مقرن قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد » [**حديث حسن**] .

٥٣١- وخرج مسلم من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ، وإن لم تصبه » [**حديث صحيح**] .

٥٣٢- وعن سهل بن حنيف أن النبى ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه » [**حديث صحيح**] .

٥٣٣- وخرج الترمذى الحكيم من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله ، يأبى لهم الذبح ، وإن لله خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح:أقوام يجعل موتهم على فرشهم ، ويقسم لهم أجور الشهداء ».

٥٣٤- **فصل** : الشهداء جمع الشاهد ، والشهيد : القتيل فى سبيل الله. كذا قال أهل اللغة : الجوهرى وغيره وسمى بذلك لأنه مشهود له بالجنة، فالشهيد بمعنى: مشهود له فعيل بمعنى مفعول ، وقال ابن فارس اللغوى فى (المجمل): والشهيد القتيل

في سبيل الله قالوا : لأن ملائكة الله تشهده . وقيل: سمى شهيداً ، لأن أرواحهم أحضرت دار السلام . لأنهم ﴿ **أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة . فالشهيد بمعنى الشاهد أي : الحاضر للجنة ، وقيل سمى بذلك : لسقوطه بالأرض ، والأرض الشاهدة ، وقيل : سمى بذلك : لشهادته على نفسه لله -عز وجل- حين لزمه الوفاء بالبيعة التى بايعه في قوله الحق :﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ . فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً . ولذلك قال عليه(الصلاة و)السلام : «والله أعلم بمن يكلم في سبيله » [**حديث صحيح**] .

٥٣٥- وقال في شهداء أحد: « أنا شهيد على هؤلاء » لبذلهم نفوسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاءبه ﷺ هذا الكلام فى الشهيد .

فأما الشهادة : فصفة سمى حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد ، وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهى : الحضور ، والوعى ، والأداء ، أما الحضور : فهوشهود الشاهد المشهود ، والوعى : زم ما شاهده وعلمه في شهوده ذلك ، والأداء : هو الإتيان بالشهادة على وجهها فى موضع الحاجة إلى ذلك ، هذا معنى الشهادة ، والشهادة على الكمال ، وإنما هى لله سبحانه وتعالى ، وأن جميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده ، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ **وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق**﴾ والشهداء : هم العدول ، وأهل العدالة فى الدنيا والآخرة هم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم في الدنيا [**حديث صحيح**] .

بابـ منه

٥٣٦- روى النسائى عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : «يختصم الشهداء ، والمتوفون على فرشهم إلى ربنا فى الذين يتوفون من الطاعون ، فيقول الشهداء : قتلوا كما قتلنا ، ويقول المتوفون على فرشهم : إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا؟ فيقول ربنا -عز وجل-: انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم » [**حديث حسن**] .

٥٣٧- وروت عائشة -رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ: « إن فناء أمتي بالطعن والطاعون » قالت : أما الطعن فقد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : «غدة كغدة البعير تخرج في المراق والإباط، من مات منها مات شهيداً» - أخرجه أبو عمر في (التمهيد والاستذكار) [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

٥٣٨- مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » [حديث صحيح] .

٥٣٩- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب » [حديث صحيح] .

٥٤٠- فصل : يقال :عجم وعجب بالميم والباء : لغتان ، وهو جزء لطيف في أصل الصلب ، وقيل : هو رأس العصعص كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدرى قيل : يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : « مثل حبة خردل ومنه تنشؤون » ، وقوله « منه خلق ومنه يركب » أى أول ما خلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى

[حديث حسن] .

باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء ، وأنهم أحياء

قال الله تعالى :﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم . ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم ، وليس هذا موضع ذكرها .

٥٤١- مالك بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان

قبرهما مما يلى السيل ، وكانا في قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده عل جرحه فدفن ، وهوكذلك فأميطت يده عن جرحه،ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة، وقال أبو عمر:هذا حديث لم يختلف عن مالك في انقطاعه وهوحديث يتصل من وجوه صحاح عن جابر [**خبر صحيح**] .

٥٤٢- قال المؤلف - رضى الله عنه - : وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيداً فى سبيل الله ، أو قتل على الحق كأنبيائهم ،وفى الترمذى في قصة أصحاب الأخدود : « وأن الغلام الذى قتله الملك دفن » ، قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل . وقال حديث حسن غريب وقصة الأخدود . مخرجة فى صحيح مسلم ، وكانوا بنجران فى الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ وقد ذكرناها مستوفاة في (البروج) فى كتاب (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان) [**خبر صحيح**] .

٥٤٣- وروى نقلة الأخبار : أن معاوية -رحمه الله- لما أجرى العين التى استنبطها بالمدينة في وسط المقبرة ، وأمر الناس بتحويل موتاهم ، وذلك في أيام خلافته ، وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ، فوجدوا على حالهم حتى إن الكل رأوا المسحاة وقد أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسال منه الدم ، وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس ، وهذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار [**خبر صحيح**] .

٥٤٦- وخرج أبو داود وابن ماجه فى سننهما عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أفضل أيامكم (يوم) الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي» قالوا : يا رسول الله ،كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون: بليت فقال : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » لفظ أبى داود وقال ابن العربى :حديث حسن ، قلت: وخرجه أبو بكر البزار عن شداد بن أوس ، واتفقوا فى السند ، عن حسين بن على ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي

الأشعث الصنعانى(فقالا) ، عن أوس ، بن أوس أو عن شداد بن أوس وقال البزار : لا يعلم أحدا يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس ، ولا نعلم له طريقاً غير هذا الطريق، عن شداد بن أوس ، ولا رواه إلاحسين بن على الجعفى ، وقال أبو محمد عبد الحق ، ويقال : إن عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم قال البخارى وأبو حاتم وهو منكر الحديث ضعيفه **[حديث صحيح]** .

٥٤٧- قلت : وقد خرجه ابن ماجه من غير هذا الطريق فقال : حدثنا عمرو بن سواد المصرى ، وحدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :«أكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود ، تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال: قلت : وبعد الموت ؟ قال : وبعد الموت ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » فنبى الله حى يرزق ﷺ ورواه أبو جعفر الطبرى في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء عن أبي الدرداء قال أبو محمد عبد الحق : وزيد ابن أيمن لا أعلم رواه عنه إلا سعيد بن هلال .

قال المؤلف : (رضى الله عنه)قال البخارى في التاريخ : زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء مرسل روى عنه سعيد بن أبي هلال . والله أعلم .

[حديث حسن لغيره] .

باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين ؟ وذكر البعث والنشر والنار

٥٤٨- مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين يوماً أو أربعين - لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم -عليه(الصلاة و)السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشمال ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى إن أحدكم لو دخل

في كبد جبل لدخلت عليه حتى قبضته، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم وحسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتاً » قال : «فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس » ثم قال : «يرسل الله » أو قال : « ينزل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس: ﴿ **ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾ ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾ ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم ؟ فيقال:من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » قال : «فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق » [**حديث صحيح**] .

٥٤٩- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قالوا : يا أبا هريرة أربعين يوما؟ قال : أبيت.قالوا : أربعين شهراً قال : أبيت. قالوا : أربعين عاماً ؟ قال : أبيت . ثم ينزل الله (تعالى) من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال : « ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً » وفى رواية « لا تأكله الأرض أبدا » وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، وعند ابن وهب فى هذا الحديث : فأربعون جمعة ؟ » قال أبيت . وإسناده منقطع .

فصل : هذان الحديثان مع صحتهما فى غاية البيان فيما ذكرناه ويزيدهما أيضاً بياناً فى أبواب ، ويأتى ذكر الدجال مستوعباً فى الأشراط ، إن شاء الله تعالى ، وأصغى معناه : أمال ، ليتا يعنى صفحة العنق . ويلوط معناه: يطين ويصلح ، وقول أبي هريرة : أبيت : فيه تأويلان .

الأول : أبيت : أى امتنعت من بيان ذلك ، وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أى سمعه من النبى ﷺ .

الثانى : أبيت أى أبيت أن أسأل عن ذلك النبى ﷺوعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك . والأول أظهر وإنما لم يبينه ولأنه لم ترهق لذلك حاجة، لأنه ليس من البينات والهدى الذى أمر بتبليغه [**حديث صحيح**] .

٥٥٠- وفى البخارى عنه أنه قال :حفظت وعائين من علم فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم ، قال أبو عبد الله : (البلعوم : مجرى الطعام) وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاماً ، والله أعلم وسيأتى .

[خبر صحيح] .

٥٥١- وذكر هناد بن السرى قال : حدثنا وكيع عن سفيان ، عن السدى سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ فلم يجبنى فسمعنا أنه ما بين النفختين [خبر صحيح] .

٥٥٢- حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازى عن أبى العالية : (وما بين ذلك) قال : ما بين النفختين . والله أعلم [لا بأس به] .

باب في قول الله تعالى

﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾

وهم الملائكة ، أو الشهداء أو الأنبياء ، أو حملة العرش ، أو جبريل ، أو ميكائيل أو ملك الموت . صعق : مات .

٥٥٣- روى الأئمة عن أبى هريرة قال : قال رجل من اليهود بسوق المدينة : والذى اصطفى موسى على البشر . فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه ، قال : تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ ؟ فذكرت ذلك لرسول الله «قال الله عز وجل ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أوكان ممن استثنى الله ومن قال : أنا خير من يونس بن متى، فقد كذب » لفظ ابن ماجه أخرجه عن أبي بكر بن أبى شيبة عن على بن مسهر، وأخرجه الترمذي عن أبى كريب محمد بن العلاء ، قال حدثنا عبدة بن سليمان جميعاً ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى

هريرة قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وأخرجه البخارى ومسلم بمعناه [حديث صحيح] .

٥٥٤- فصل : واختلف العلماء فى المستثنى : من هو ؟ فقيل: الملائكة، وقيل : الأنبياء ، وقيل : الشهداء واختاره الحليمى قال :وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾ وضعف غيره من الأقوال على ما يأتى وقال شيخنا أبو العباس : والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل .

٥٥٦- قال يحيى بن سلام في تفسيره : بلغنى أن آخر من يبقى منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت(عليهم الصلاة والسلام). ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله -عز وجل -لملك الموت: مت ، فيموت ، وقد جاء هذا مرفوعاً فى حديث أبي هريرة الطويل على ما يأتى ، وقيل : هم حملة العرش وجبريل وميكائيل . وملك الموت .

٥٥٧ - وقال الحليمى : من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل أوميكائيل وملك الموت أو زعم أنه لأجل الولدان والحور العين في الجنة أو زعم أنه لأجل موسى فإن النبى ﷺ قال:«أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأرفع رأسى ، فإذا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش،فلا أدرى أفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله عز وجل»؟فإنه لم يصح شيء منها .

أما الأول:فإن حملة العرش ليسوا من سكان السماوات والأرض لأن العرش فوق السماوات كلها ، فكيف يكون حملته فى السماوات؟وأما جبريل ومكيائيل وملك الموت فمن(الملائكة الصافين المسبحين)حول العرش، وإذا كان العرش فوق السماوات لم يكن الاصطفاف حوله فى السماوات.**كذلك القول الثانى** لأن الولدان والحور فى الجنة والجنات ، وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السماوات ودون العرش ، وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلق الله تعالى للفناء ، وصرفه إلى موسى فلا وجه لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية ، ولهذا لم يعتد فى ذكر اختلاف المتأولين فى الاستثناء

بقـول من قـــال : إلا من شـاء الله ، أى الذين ســبق مـوتهم قـبل نـفخ الصـور ، لأن الاستـثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله فى الجـملة ، فأما من لا يمكن دخـوله في الجملة فيها فلا مـعنى لاستثنائه منها ، والذين ماتواقبل نفخ الصور ليسـوا بغرض أن يصعقوا فلا وجه لا ستثنائهم . وهذا فى موسى موجود فلا وجه لاستثنائه[**حديث صحيح**] .

٥٥٨– وقال النبى ﷺ فى ذكر موسى ما يعـارض الرواية الأولى وهو أن قال : « والناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلي أو جـوزى بصعقة الطور ؟ » فظاهر هذا الحديث : أن هذه صعقـة غشى تكـون يـوم القيـامة، لاصعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور .

(فـإن حمل الحـديث عليـهـا فـذاك ، وإن حمل على صـعـقـة الموت عند نفخ الصور) .وصرف ذكر يوم القيـامة إلى أنه أراد أوائله قيل : المعنى : أن الصور إذا نفخ فيـه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فـإذا بموسى آخذ بقـائمة من قوائم العـرش ، فلا أدرى أفاق قـبلى أو جوزى بصعـقة الطور ؟ أى : فلا أدرى أبعـثه قبلى كـان وهباً له وتفضـيلاً من هذا الوجه ،.كـما فـضل فـى الدنيا بالتكليم ، أو كـان جزاء له بصعـقة الطور ، أى قدم بعثه على بعث الأنبـياء بقدر صـعقـته عندما تجلى ربه لـلجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها .

وما عدا هذا فلا يثبت قال شيخنا أحمد بن عمر : وظاهر حديث النبى ﷺ : يدل على أن ذلك إنما هو بعـد النفخـة الثانية نفـخة البـعث ، ونص القرآن يقـتضى أن ذلك الاستثناءإنما هو بعد نفخة الصـعق . ولما كان هذا قال بعض العلماء : يحتمل أن يكون موسى عليـه (الصلاة و)السـلام ، ممن لم يمت من الأنبياء وهـذا باطل بما تقدم من ذكر موته ، وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق السماوات والأرض، قال: فتستقل الأحاديث والآيات والله أعلم.

قـال شـيخنـا أبو العـباس : وهذا يرده مـا جـاء في الحـديث أنه عليـه (الصـلاة و)السلام حين يـخرج من قبـره يلقى موسى وهو مـتعلق بالعـرش ، وهذا إنما هو عند نفخة البـعث قال شيخنا أحـمد بن عمر والذى يزيح هذا الإشكال إن شـاء الله تعالى أن الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك : أن

الشهـداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقـون ، فرحين مسـتبـشرين ، وهذه صـفة الأحـياء فى الدنيـا وإذا كـان هذا فى الشهـداء كـان الأنبيـاء بذلك أحق وأولى [حديث صحيح] .

٥٥٩- مع أنه قد صح عن النبى ﷺ: « أن الأرض لا تأكل أجسـاد الأنبياء » وأن النبى ﷺ قـد اجتـمع بالأنبيـاء ليلة الإسـراء فى بيت المقـدس ، وفى السـمـاء وخصوصاً بموسى ، وقـد أخبرنا النبى ﷺ بما يقتـضى أن الله تبارك وتعـالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غـير ذلك مما يحصل من جـملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيـبوا عنا بحيث لا ندركهم ، إن كانوا موجودين أحيـاء ، وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم موجـودون أحياء ولا يراهـم أحد من نوعنا إلا من خـصه الله بكرامـة من أوليـائه ، وإذا تقررأنهم أحـياء ، فـإذا نفخ فى الصور نفـخة الصعق، صـعق كل من فى السمـاوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فأما صعق غـير الأنبياء فموت ، وأمـا صعق الأنبياء :فالأظهر: أنه غـشية .فإذا نفـخ فى الصور نفـخة البعث . فمن مات حـيى ومن غشى عليه أفـاق . وكذلك قال ﷺ فى صحيح مسلم والبـخارى:«فأكون أول من يفيق » وهى رواية صحيـحة وحسنة فنبينا ﷺ أول من يخرج من قـبره قبل الناس كـلهم قبل الأنبيـاء وغيرهم إلا مـوسى ، فإنه حصل له فـيه تردد: هل بعث قبله من غـشيته أو بقى على الحـالة التى كان عليهـا قبل نفخـة الصعق مفـيقاً لأنه حوسب بغـشية الطور وهذه فـضيلة عظيمـة فى حق موسى عليـه(الصلاة و) السـلام ولا يلزم من فـضيلة أحـد الأمرين المشـكوك فيـهمـا فضـيلة موسى عليه(الصلاة و) السـلام على محمد ﷺ مطلقاً لأن الشـيء الجزئى لا يوجب أمراً كلياً . والله أعلم .

قال المؤلف (رضى الله عنه): ما اختاره شيخنا هو ما ذكره الحليمى ، واختاره فى قوله فـإن حمل عليه الحديث فـذاك . قال الحليمى : وأمـا الملائكة الذين ذكرناهم صلوات الله عليـهم فإنا لم ننف عنهم المـوت ، ولا أحـلنـاه، وإنما أبينا أن يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذى ذكرناه ، ثم قد وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العـرش وملك الموت وميكائيل ثم يمـيت آخر من يميت :جبـريل ويحيـيه مكانه ويحـيى هـؤلاء الملائكة(الذين) ذكـرناهم ، وأمـا أهل الجنة فلم يأت عنـهم خـبـر :

والأظهر أنهـا دار الخلد . فالذى يدخلهـا لا يموت فيهـا أبداً مع كونه قـابلاً للموت. والذى خلق فيها أولى أن لا يموت فيها أبداً ، وأيضاً فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار ، وأهل الجنة لم يبلغنا أن عليهم تكليـفاً ، فـإن أعفـوا من الموت كمـا أعفوا من التكليف لم يكن بعيداً . فـإن قيل : فقد قال الله تعالى :﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ وهو يدل على أن الجنة نفسهـا تفنى ثم تعاد يوم الجـزاء ، فلم أنكرتم أن يكون الولدان والحور يموتون ثم يحيون ؟ قيل : يحتمل أن يكون معنى قوله : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ أى:ما من شيء إلا وهو قـابلٌ للهلاك فـيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجـهـه أى إلا هو سـبـحـانه، فـإنه تعـالـى قـديم لا يمكن أن يفنى ومـا عـداه محدث، والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقـيه محدثه فإذا حبس البقاء عنه فنى ، ولم يبلغنا فى خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله [**حديث صحيح**] .

٥٦٠-**فصل** : قوله ﷺ فى الحديث : « ومن قال : أنا خـير من يونس ابن متى فقـد كذب»للعلماء فيه تأويلات: أحـسنها وأجـملها مـا ذكره القـاضى أبو بكر بن العربى قال : أخـبرنى غير واحد من أصـحابنا عن إمام الحرمين أبى المعـالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى أنه سئل : هل البارى فى جـهة ؟ فقال : لا، هو متعال عن ذلك ، قيـل له : ما الدليل عليـه ؟ قال الدليل عليه قـول النبى ﷺ : « لاتفضلونى على يونس بن مـتى » فقيل لـه : ما وجه الدليل من هـذا الخبر ؟ فـقال: لا أقـوله حتى يأخـذ ضـيـفى ، هذه ألف دينار، يقـضى بهـا ديناً ، فـقـام رجـلان فـقـالا :هى علينا .فقال:لا يتبع بها اثنين لأنه يشق عليـه، فقال واحد منهم هى على . فقال : إن يونس بن متى رمى بنفسه فى البحر فالتقمه الحوت ، وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ونادى:﴿**لا إله إلا أنت سبـحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ كما أخبر الله (تعالى) ولم يكن محمدﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به صـعداً،حتى انتهى به إلى موضع يسمع فـيه صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجـاه به وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس فى ظلمة البحر [**حديث صحيح**] .

٥٦١- قـال المؤلف (رضى الله عنه): فـالله سبـحانه قـريب من عـباده يسـمع

دعاءهم ، ولا يخفى عليه حالهم ، كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم ، فيسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، تحت الأرض السفلى ، كما يسمع ويرى تسبيح حملة عرشه من فوق السبع السماوات العلى ، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، ولقد أحسن أبو العلاء بن سليمان المغربى حيث يقول :

يا من يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى لحمها والمخ فى تلك العظام النحل
آجالها محتومة أرزاقها مقسومة بعطا وإن لم تسأل
فلقد سألتك بالنبى محمد الهاشمى المدثر المزمل
امنن على بتوبة تمحو بها ما كان منى فى الزمان الأول

باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده

٥٦٢- البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » ؟ [**حديث صحيح**] .

٥٦٣- وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :« يطوى الله السماء يوم القيامة،ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرض بشماله . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » ؟ انفرد به مسلم [**حديث صحيح**] .

٥٦٤- وعن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكى رسول الله ﷺ ؟ قال : « يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه . فيقول : أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول : « أنا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ [**حديث صحيح**] .

٥٦٥- **فصل** : هذه الأحاديث تدل على أن (الله) سبحانه يفنى جميع خلقه أجمع كما تقدم ، ثم يقول الله عز وجل : ﴿ **لمن الملك اليوم**﴾ فيجيب نفسه

المقدسة بقوله ﴿لله الواحد القهار﴾ .

وقيل : إن المنادى ينادى بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها على ما يأتي ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فيجيبه العباد :﴿ لله الواحد القهار﴾ رواه أبو وائل عن ابن مسعود، واختاره أبو جعفر النحاس قال : والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل [خبر صحيح] .

فصل في بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليد والأصابع

٥٦٩- إن قال قائل : ما تأويل اليد عندكم،واليد حقيقتها فى الجارحة المعلومة عندنا . وتلك التى يكون القبض والطى بها ؟ قلنا : لفظ الشمال أشد في الإشكال وذلك فى الإطلاق على الله محال .

والجواب : أن اليد فى كلام العرب لها خمسة معان : تكون بمعنى: القوة . ومنه قوله تعالى :﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ وتكون بمعنى الملك والقوة . ومنه قوله تعالى : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ وتكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لى عند فلان أى كم من نعمةأسديتها إليه . وتكون بمعنى الصلة ومنه قوله تعالى :﴿ مما عملت أيدينا أنعاما﴾ أى مما عملنا نحن . وقال تعالى : ﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ أى الذى له النكاح ، وتكون بمعنى الجا رحة ومنه قوله تعالى :﴿ وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ﴾ وقوله فى الحديث (بيده) عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته ، ويقال : ما فلان إلا فى قبضتى بمعنى : ما فلان إلا فى قدرتى . والناس يقولون: الأشياء فى قبضة الله يريدون في ملكه وقدرته ، وقد يكون معنى القبض والطى إفناء الشيء ، وإذهابه فقوله عز وجل : ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ يحتمل أن يكون المراد به الأرض جميعاً ذاهبة فانية يوم القيامة ، وقوله : ﴿ والسماوات مطويات بيمينه﴾ ليس يريد به

طياً بعلاج وانتصاب ، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب . يقال : قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره ، وانطوى عنا دهر بمعنى : المضى والذهاب .

٥٧٠- فإن قيل : فقد قال فى الحديث : « ويقبض أصابعه ويبسطها » وهذه حقيقة الجارحة قلنا : هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية . والله تعالى متعال عن ذلك ، وإنما المعنى حكاية الصاحب عن النبى ﷺ يقبض أصابعه ويبسطها وليس معنى اليد فى الصفات بمعنى الجارحة ، حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، فدل على أن النبى ﷺ هو الذى يقبض أصابعه ويبسطها . قال الخطابى وذكر الأصابع لم يوجد فى شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتهما .

٥٧١- فإن قيل:فقد ورد ذكر الأصابع فى غير ما حديث ، فما جوابكم عنه؟ فقد روى البخارى ومسلم قال : أتى النبى ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله تعالى يحمل السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع، والخلائق على أصبع ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فأنزل الله عز وجل ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه**﴾ .

[**حديث صحيح**] .

٥٧٢- وروى عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ (يقول): « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها حيث شاء» ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب صرف قلو بنا على طاعتك » ومثله كثير [**حديث صحيح**] .

٥٧٢م -قيل له : اعلم أن الأصبع قد يكون بمعنى الجارحة والله تعالى يتقدس عن ذلك ، ويكون بمعنى القدرة على الشيء ويسارة تقليبه ، كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله : أنا أحمله على أصبعى وأرفعه على أصبعى ، وأمسكه بخنصرى ، كما يقول من أطاع بحمل شيء : أنا أحمله على عينى وأفعله على رأسى ، يعنى به الطواعية وما أشبه ذلك ، قد قال فى معناه وهو كثير ، ومما قال

عنترة ، وقيل: ابن زيادة التيمى :

الرمح لا أملأ كفى به   واللبد لا أتبع تزواله

يريد: أنه لا يتكلف أن يجمع كفه ، فيشتمل على الرمح لكن يطعن به خلساً بأصابعه لخفة ذلك عليه . وقوله : لا أتبع تزواله : أى إذا مال لم أمل معه .

يقول : أنا ثابت على ظهر الخيل لا يضرنى فقد بعض الآلة ، ولا تغير السرج عما يريده الراكب . يصف نفسه بالفروسية فى الركوب والطعن ، فلما كانت السماوات والأرض أعظم الموجودات قدراً وأكبرها خلقاً كان إمساكها بالنسبة إلى الله تعالى كالشىء الحقيرالذى نجعله نحن بين أصابعنا ونهزه بأيدينا ، ونتصرف فيه كيف شئنا فتكون الإشارة بقوله : « ثم يقبض أصابعه ويبسطها » وبقوله : « ثم يهزهن » كما جاء فى بعض طرق مسلم وغيره . أى هى فى قدرته كالحبة مثلاً فى كف أحدنا التى لا نبالى بإمساكها ولا بهزها ولا تحريكها ، ولا القبض والبسط عليها ، ولا نجد فى ذلك صعوبة ولا مشقة ، وقد يكون الأصبع أيضاً فى كلام العرب بمعنى النعمة وهوالمراد بقوله عليه(الصلاة و)السلام : إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن » أى بين نعمتين من نعم الرحمن يقال : لفلان على أصبع، أى أثر حسن إذا أنعم عليه نعمة حسنة ، وللراعى على ما شيته أصبع أى أثر حسن ، وأنشد الأصمعى للراعى :

ضعيف العصى بادى العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب الناس أصبعا

وقال آخر :

صلاة وتسبيح وإعطاء سائل   وذى رحم تبل منك أصبع

أى أثر حسن . وقال آخر:

من يجعل الله عليه أصبعاً   فى الخير والشريلقاه معاً

٥٧٣ - فإن قيل : كيف جاز إطلاق الشمال على الله تعالى وذلك يقتضى النقص؟ قيل : هو مما انفرد به عمر بن حمزة عن سالم ، وقد روى هذا الحديث نافع وعبد الله بن مقسم عن ابن عمر لم يذكرا فيه الشمال . ورواه أبو هريرة وغيره عن النبى ﷺ ولم يذكر فيه واحد منهم الشمال .

قال البيهقى : وروى ذكر الشمال فى حديث آخر فى غير هذه القصة إلا أنه

ضعيف بمرة ، وكيف يصح ذلك وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه يميناً ؟ وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب في ذكر الشمال فى مقابلة اليمين .

قال الخطابى : ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليد شمال ، لأن الشمال محل النقص والضعف . وقد روى : « كلتا يديه يمين » وليس معنى اليد عندنا : الجارحة ، وإنما هى صفةجاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها ، وننتهى إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة المأثورة الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد يكون اليمين فى كلام العرب بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى :﴿ **أو ما ملكت أيمانكم**﴾ يريد بها الملك . وقال : ﴿ **لأخذنا منه باليمين**﴾ أى: بالقوة والقدرة أى: أخذنا قدرته وقوته . قال الفراء : اليمين : القوة والقدرة وأنشد :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقال آخر :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتى بيمينى

فقلت شنيفا ثم فاران بعده وكان على الآيات غير أمين

٥٧٤- قلت : وعلى هذا التأويل تخرج الآية والحديث ، والله أعلم . وقد تكون اليمين فى كلام العرب بمعنى : التبجيل والتعظيم . ويقال : فلان عندنا باليمين أى: بالمحل الجليل ، ومنه قول الشاعر :

أقول لناقتى إذ بلغتنى لقد أصبحت عندى باليمين

أى بالمحل الرفيع وأما قوله : «كلتا يديه يمين » فإنه أراد بذلك : التمام والكمال، وكانت العرب تحب التيامن ، وتكره التياسر، لما فى التياسر من النقصان وفى التيامن من التمام . فإن قيل : فأين يكون الناس عند طى الأرض والسماء ؟ قلنا: يكونون على الصراط على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب البرزخ

٥٧٥- روى هناد بن السرى قال : حدثنا محمد بن فضيل ، ووكيع عن فطر قال : سألت مجاهدا عن قول الله تعالى :﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم**

﴿يبعثون﴾ قال : هو ما بين الموت والبعث . [خبر حسن]

٥٧٦- وقيل للشعبي: مات فلان ، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في برزخ ، والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، ومنه قوله تعالى :﴿ وجعل بينهما برزخا﴾ أي : حاجزاً وكذلك هو في الآية من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ ، وقوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ﴾ أي من أمامهم وبين أيديهم [خبر حسن] .

باب ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور وبيانه

وكيفية البعث وبيانه ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يحيى من الخلق، وبيان السن الذي يخرجون عليه من قبورهم، وفي لسانهم ، وبيان قوله تعالى ﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾ قال الله عز وجل :﴿ يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة ﴾ وقال : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ وقال ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ وقال ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴾ وسماه الله تعالى أيضاً بالناقور في قوله تعالى ﴿ فإذا نقر في الناقور﴾ .

٥٧٧- قال المفسرون : الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتي بيانه ، قال الله تعالى مخبراً عن كفار قريش ﴿ ما ينظرون ﴾ أي ما ينتظرون كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبي جهل وأصحابه - ﴿إلا صيحة واحدة﴾ - يعني: النفخة الأولى التي يكون بها هلاكهم ﴿ تأخذهم وهم يخصمون﴾أي يختصمون في أسواقهم وحوائجهم . قال الله (تعالى) : ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة﴾ ﴿ فلا يستطيعون توصية﴾أي: أن يوصوا ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ أي من أسواقهم وحيث كانوا ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ .

﴿ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث﴾ والنفخة : هى النفخة الثانية نفخة البعث. والصور : قرن من نور يجعل فيه الأرواح يقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق على ما يأتى . قال مجاهد : هو كالبوق ذكره البخارى ، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده ﴿ فإذا هم من الأجداث﴾ أى القبور : ﴿ ينسلون ﴾ أى يخرجون سراعا يقال : نسل ينسل ، وينسل بالضم أيضاً : إذا أسرع فى مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين وفي الخبر : أن بين النفختين أربعين عاماً .

وسيأتى ، وفى البخارى عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿ فإذا نقر فى الناقور﴾ : الصور قال : «والراجفة » النفخة الأولى « والرادفة » : الثانية .

٥٧٨- وروى عن مجاهد أنه قال : للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم ، فإذا صيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم لقوله تعالى :﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وقد أخبر الله تعالى عز وجل عن الكفار أنهم يقولون ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ ؟ فيقول لهم الملائكة أو المؤمنون على اختلاف المفسرين ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ وقيل إن الكفار هم القائلون : ﴿ هذا ما وعد الرحمن ﴾ وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم لبعض : ﴿ ياويلنا من بعثنا من مرقد نا﴾ ، صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ فكذبنا به أقروا حين لم ينفعهم الإقرار ثم يؤمر بحشر الجميع إلى الموقف للحساب .

٥٧٩- وقال عكرمة : إن الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام ، فتلقيها الأمواج إلى الساحل، فتمكث حيناً ثم تصير حائلة نخرة ، ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه. ثم تخمد تلك النار فيجيء الريح فيلقى ذلك الرماد

على الأرض فـإذا جـاءت النـفخة ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ يخـرج أولئك وأهل القبور سواء ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ أى نفخـة واحدة ﴿ فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾.

٥٨٢- الترمذى ، عن عبد الله بن عـمرو بن العاص قال : جاء أعـرابى إلى النبى ﷺ فـقـال : ما الصور ؟ قـال : « قـرن ينفخ فـيه » قـال : هذا حـديث حسن [حديث صحيح] .

٥٨٣- وعن أبي سـعيـد الخـدرى قـال : قال رسـول الله ﷺ :« كـيف أنعم وصاحب الصـور قد التـقم القرن واستـمع الإذن متى يؤمـر بالنفخ ؟ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبى ﷺ فقال لهم : قولوا ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قال : حديث حسن [حديث صحيح] .

٥٨٤- وروى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أطرف صاحب الصور منذ وكل به مستعداً بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان » أخرجه أبو الحسن بن صخر في فوائده وغيره .

[حديث صحيح] .

٥٨٩- وروى في تفسير قـوله تعالى :﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ إن هذا خطاب للأرواح بأن ترجع إلى أجـسادها :﴿إلى ربك راضية ﴾ أى :صاحبك كما تقـول : رب الغلام ، ورب الدار ، ورب الدابة ، أى صاحب الـغلام ، وصاحب الدار ، وصـاحب الدابة، ﴿ فادخلى فى عبادى﴾ أى فى أجسـادهم من مناخرهم كما ورد فى الخبر المتقدم ، وقـد روى أن الله تعالى خلق الصور حين فـرغ من خلق السموات والأرض ، وأن عظم دارته كغلظ السماء والأرض .

٥٩١- فصل : الصور : بالصـاد قـرن ينفخ فيـه النفـخة الأولى للفناء ، وهى نفخة الصعق ويكون معـها نقر لقوله تعالى :﴿فإذا نقر فى الناقور﴾ أى في الصور

فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ ، لتكون الصيحة أشد وأعظم ، ثم يمكث الناس أربعين عاماً ، ثم ينزل الله تعالى ماء كمنى الرجال على ما تقدم ، فتكون منه الأجسام بقدرة الله تعالى حتى يجعلهم بشراً كما روى فى قصة الذين يخرجون من النار ، قد صاروا حمماً، إنهم يغتسلون من نهر بباب الجنة فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل، وعن ذلك عبر في حديث أبي هريرة المتقدم فى صحيح مسلم وغيره : « فينبتون نبات البقل » فإذا تهيأت الأجسام ، وكملت نفخ في الصور نفخة البعث من غير نقر ، لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنقيرها من أجسادها فالنفخة الأولى للتنقير ، وهى نظير صوت الرعد الذى قد يقوى فيمات منه ، ونظير الصيحة الشديدة التي يصيحها الرجل بصبى فيفزع منه فيموت ، فإذا نفخ للبعث من غير نقركما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التى هى فيه فتأتى كل روح إلى جسدها فيحيها الله، كل ذلك في لحظة كما قال تعالى : ﴿**فإذا هم قيام ينظرون**﴾ ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾

وعند أهل السنة : أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم . قال بعضهم : بأوصافها . فيعاد الوصف أيضاً كما يعاد الجسم واللون . قال القاضى أبو بكر ابن العربى : وذلك جائز في حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه ، ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر .

قلت : فيه أخبار كثيرة فى هذا الباب بعد هذا .

٥٩٢- فصل : وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أى نفخ فى صور الموتى بدليل الأحاديث المذكورة ، والتنزيل يدل على ذلك . قال الله تعالى: ﴿**ثم نفخ فيه أخرى**﴾ ولم يقل: فيها، فعلم أنه ليس جمع صورة . قال الكلبى : لا أدرى ما الصور ؟ ويقال : هو جمع صورة مثل بسرة وبسر، أى : ينفخ في صور الموتى: الأرواح وقرأ الحسن ﴿**يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة**﴾ .

٥٩٣- قلت: وإلى هذا التأويل في أن الصور بمعنى الصور جمع صورة . ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو مردود بما ذكرنا ، وأيضاً لا ينفخ في الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرة واحدة ، وإسرافيل عليه [الصلاة و] السلام ينفخ فى

الصور الذى هو القرن ، والله سبحانه يحيى الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى ﴿ **فنفخنا فيه من روحنا**﴾ و ﴿ **نفخت فيه من روحى**﴾ . قال ابن زيد : يخلق الله الناس في الأرض الخلق الآخر ثم يأمر السماء فتمطر عليهم أربعين يوماً ، فينبتون فيها ، حتى تنشق عن رؤوسهم كما تنشق عن رأس الكمأة . فمثلها يومئذ مثل الماخض تنتظر أن يأتيها أمر الله فتطرحهم على ظهرها . فلما كانت تلك النفخة طرحتهم .

قال علماؤنا : والأمم مجمعون على أن الذى ينفخ فى الصور إسرافيل عليه [الصلاة و] السلام .

٥٩٩- (فصل) : واختلف في عدد النفخات : فقيل : ثلاث : نفخة الفزع لقوله تعالى :﴿ **ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين**﴾ ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث ، لقوله تعالى :﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾ وهذا اختيار ابن العربي وغيره وسيأتى .

٦٠٠- وقيل : هما نفختان ، ونفخة الفزع هى نفخة الصعق ، لأن الأمرين لا زمان بينهما أى فزعوا فزعاً ماتوا منه . والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبى هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى :﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾ فاستثنى هنا كما استثنى فى نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة .

٦٠٢- وقال الحليمى : اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة . وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ، وحيوانات الماء وبطن الأرض ، وما أصاب النيران منها بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما

وحيوانات الماء وبطن الأرض ، وما أصاب النيران منها بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما أبلته الشمس ، وذرته الرياح ، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها . ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح فى الصور ، وأمر إسرافيل عليه [الصلاة] والسلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور ، فرجع كل ذى روح إلى جسده بإذن الله تعالى .

٦٠٣- وجاء في بعض الأخبار ما يبين أن من أكله طائر أو سبع : حشر من جوفه . وهو ما رواه الزهرى عن أنس قال : مر رسول الله ﷺ بحمزة يوم أحد وقد جذع ومثل به فقال : « لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير » ، وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرناً . قال أبو الهيثم : من أنكر أن يكون الصور قرناً ، فهو كمن ينكر العرش والصراط والميزان . وطلب لها تأويلات [**حديث صحيح**] .

باب منه فى صفة البعث وما آية ذلك فى الدنيا وأول ما يخلق من الإنسان رأسه

قال الله تعالى:﴿ **وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون**﴾ وقال سبحانه : ﴿ **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء**﴾ إلى قوله ﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها** ﴾. ﴿**وكذلك النشور**﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة .

باب يبعث كل عبد على ما مات عليه

٦٠٦- مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبى ﷺ يقول : «يبعث كل عبد على ما مات عليه » [**حديث صحيح**] .

٦٠٧- وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على نياتهم » خرجه البخارى. ولفظ البخارى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم » [**حديث صحيح**] .

٦٠٨- مالك عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم فى سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه

يثعب دماً اللون لون الدم ، والعرف عرف المسك » خرجه البخارى ومسلم .

[حديث صحيح] .

٦٠٩- أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو ، فقال : يا عبد الله ، إن قتلت صابراً محتسباً ، بعثت صابراً محتسباً وإن قتلت مرائياً مكاثراً بعثت مرائياً مكاثراً على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال » [حديث حسن] .

٦١١- مسلم عن ابن عباس أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ محرمًا فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ : « اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه فى ثوبه ، ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا » وفى رواية «ملبدًا » أخرجه البخارى . [حديث صحيح]

٦١٦- مسلم وابن ماجه عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « النياحة من أمر الجاهلية ، وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثيابًا من نار ودرعا من لهب النار» لفظ ابن ماجه وقال مسلم « تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ». [حديث صحيح]

٦١٩- ابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « النياحة على الميت من أمر الجاهلية ، وإن النائحة . وإذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ، ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار »

[حديث صحيح] .

٦٢٠- وفى التنزيل : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ قال أهل التأويل : المعنى: لا يقومون من قبورهم ، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم ، قال بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه . وقالوا كلهم : يبعث كالمخنوق عقوبة له ، وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر . فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا ، وذلك أنه أرباه فى بطونهم فأثقلهم ، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم ، نسأل الله الستر والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة .وقال تعالى : ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**﴾ وسيأتى .

٦٢١- وروى عن النبىﷺ : « من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة » ذكره صاحب القوت وهو صحيح المعنى يدل على صحته ما ذكرناه وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان في باب بيان الحشر إلى الموقف إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

باب في بعث النبي ﷺ من قبره

٦٢٢- ابن المبارك قال: أخبرنا ابن لهيعة قال:حدثني خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال ، عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة -رضى الله عنها - فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ ، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه ﷺ ، والأخبار دالة ثابتة على أن جميع الناس يخرجون عراة ويحشرون كذلك على ما يأتى إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في بعث الأيام والليالي ويوم الجمعة

٦٢٤- عن أبي موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة، أهلها محتفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها ، تضيء لهم يمشون فى ضوئها . ألوانهم كالثلج بياضاً ، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون فى جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجباً ، يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون» خرجه القاضى الشريف أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمى العيسوى من ولد عيسى بن على بن عبد الله بن عباس- رضى الله عنهم- وإسناده صحيح.[حديث صحيح].

٦٢٥- وقال أبو عمران الجونى : « ما من ليلة تأتى إلا تنادى : اعملوا في ما استطعتم من خير، فلن أرجع إليكم (إلى) يوم القيامة » ذكره أبو نعيم [خبرصحيح].

باب أين يكون الناس ؟

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾

٦٢٨ - مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد، وذكر الحديث

وفيه : فقال اليهودى أين يكون الناس ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر » الحديث بطوله وسيأتى [حديث صحيح] .

٦٢٩- وخرج مسلم أيضاً وابن ماجه جميعاً قالا : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : سئل رسول الله ﷺعن قوله تعالى :﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » [حديث صحيح] .

٦٣٠- وأخرجه الترمذى قال : حدثنا ابن أبي عمر قال : حدثنا سفيان عن داود بن هند ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : يا رسول الله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ فأين يكون المؤمنون يومئذ ؟ قال : « على الصراط ياعائشة » قال: هذا حديث حسن صحيح .

٦٣١- وخرج عن مجاهد قال : قال ابن عباس: أتدرى ماسعة جهنم؟ قلت : لا. قال : أجل والله ما تدرى . حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ قال : فقلت : فأين الناس يا رسول الله؟ قال :على جسر جهنم » قال : حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

٦٣٢- فصل : هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسماوات تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط .لا كما قال كثير من الناس أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها ، وتسوية آكامها ، ونسف جبالها، ومد أرضها ورواه ابن مسعود -رضى الله عنه -. خرجه ابن ماجه وسيأتى ذكره في الأشراط إن شاء الله .

٦٣٣- وذكر ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال : حدثنى ابن عباس قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد فى سعتها كذا وكذا» وذكر الحديث [خبر صحيح] .

٦٣٤- وروى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : « تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم » ، ذكره الثعلبى فى تفسيره .

٦٣٦-قال ابن عباس وابن مسعود:تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط. قال ابن مسعود أيضاً:تبدل الأرض ناراً،والجنة من ورائها، يرى أكوابها وكواعبها. وقال أبو الجلد حيلان بن فروة:إنى لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشعل ناراً يوم القيامة[**خبر صحيح**]

٦٣٩- وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : تبدل الأرض خبزة بيضاء ويأكل المؤمن من تحت قدميه.

٦٤٠- قلت : وهذا المعنى الذى قاله سعيد بن جبير ومحمد بن كعب مروى فى الصحيح وسيأتى ، وإليه ذهب ابن برجان فى كتاب (الإرشاد) له، وأن المؤمن يطعم يومئذ من بين رجليه ويشرب من الحوض ، فهذه أقوال الصحابةوالتابعين دالة على ما ذكرنا .

٦٤١- وأما تبديل السماء فقيل : تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها. قاله ابن عباس.

٦٤٢- وقيل : اختلاف أحوالها فتارة كالمهل ، وتارة كالدهان . حكاه ابن الأنبارى . وقال كعب : تصير السماء دخاناً ، وتصير البحار نيراناً، وقيل : تبديلها : أن تطوى كطى السجل للكتاب ، وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة في كتاب(الإفصاح) له : أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسماوات تبدل كرتين إحداهما:هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولاً كواكبها ، وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل ، ثم تكشط عن رؤوسهم ، ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض ، ثم تصير البحار نيراناً ، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئةغير الهيئة، والبنية غير البنية،ثم إذا نفخ فى الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض ، وبدلت السماء سماء أخرى وهو قوله تعالى:﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ وبدلت الأرض:تمد مد الأديم العكاظى وأعيدت كما كانت فيها القبور، والبشرعلى ظهرها وفى بطنها،وتبدل أيضًا تبديلاً ثانياً وذلك إذا وقفوا في المحشر،فتبدل لهم الأرض التى

يقال لها(الساهرة) يجلسون عليها وهي أرض عفراء وهى البيضاء من فضة لم يسفك عليها دمحرام قط ، ولا جرى عليه ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط ، وهو لا يسع جميع الخلائق وإن كان قد روى أن مسافته ألف سنة صعوداً ، وألف سنة هبوطاً ، وألف سنة استواء ، ولكن الخلق أكثر من ذلك فيقوم من فضل على الصراط على متن جهنم ، وهى كإهالة جامدة وهى الأرض التى قال عبد الله: إنها أرض من نار يعرق فيها البشر ، فإذا حوسب عليها أعنى الأرض المسماة بالساهرة ، وجاوزوا الصراط، وجعل أهل الجنان من وراء الصراط ، وأهل النيران في النار وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون ، بدلت الأرض كقرصة النقي، فأكلوا من تحت أرجلهم، وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أى قرصاً واحداً ، يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة ، وإدامهم زيادة كبد ثور في الجنة وزيادة كبد النون على ما يأتى .

باب منه
أمور تكون قبل الساعة

٦٤٤- **فصل** : ولما نبأ النبى ﷺ بذكر الزلزلة التى تكون عند النفخة الأولى ذكر ما يكون فى ذلك اليوم من الأهوال العظام التى يعظمها قوله ﴿ **شيء عظيم** ﴾

ومن فزعها ما لا تطيق حمله النفوس وهو قوله لآدم :« ابعث بعث النار » فيكون ذلك فى أثناء ذلك اليوم ، ولا يقتضى أن يكون ذلك متصلاً بالنفخة الأولى التى يشيب فيها الوليد ، وتضع الحوامل ، وتذهل المراضع ، ولكن يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون آخر الكلام منوطاً بأوله تقديره : يقال لآدم ابعث بعث النار أثناء يوم يشيب فيه الوليد، وتضع الحوامل،وتذهل المراضع من أوله.

الثانى : أن شيب الوليد ، ووضع الحوامل ، وذهول المراضع يكون في النفخة الأولى حقيقة . وفى هذا القول الثانى تكون صفته بذلك إخبارا عن شدته وإن لم يوجد غير ذلك الشيء فيه وهذه طريقة العرب في فصاحتها .

٦٤٦- قلت: قد تقدم أن الصحيح في النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث، وحديث مسلم في قول الله تعالى لآدم : « يا آدم ابعث بعث النار » إنما هو بعد البعث يوم القيامة ونفخة الفزع هى نفخة الصعق على ما تقدم ، أو نفخة البعث على ما قيل على ما يأتى ، ولأنه لو كانت نفخة الفزع غير نفخة الصعق لاقتضى ذلك أن يكون

بقاء الناس بعدها أحياء ما شاء (الله)، ويكون هنالك ليل ونهار ، حتى تأتى نفخة الصعق التى يموت لسماعها جميع الخلق،كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى هذا لا يكون قوله: ابعث في أثناء اليوم الذى يكون مبدؤه نفخة الفزع على ما ذكر ابن العربى والله أعلم .

ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة فإنا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وما عليها من جبال ومياه ،كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ ، وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها **[حديث صحيح]** .

٦٤٧- وقد قال علقمة والشعبى : الزلزلة من أشراط الساعة وهى في الدنيا وكذلك قال أنس بن مالك والحسن البصرى . وقد ذكر القشيرى أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم في تفسيره : أن المراد بنفخة الفزع ، والنفخة الثانية أى يحيون فزعين يقولون : ﴿ **من بعثنامن مرقدنا** ﴾ ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم . والله أعلم . ونحو ذلك ذكره الماوردى واختاره .

٦٤٨- وقد قيل : إن هذه الزلزلة تكون قبل الساعة في النصف من شهر رمضان بعدها طلوع الشمس من مغربها والله أعلم .

٦٤٩- وقوله تعالى ﴿ ترونها ﴾ الضمير المنصوب فى ﴿ **ترونها** ﴾ للزلزلة أو القيامة قولان : فعلى الأول أن ذلك في الدنيا قبل نفخة الصعق ، لعظم تلك الزلزلة، وقوة حركتها بالأرض ، لأن القيامة لا رضاع فيها ولا حمل فترى الناس سكارى يعنى من الخوف . وعلى القول الثانى يكون فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون مثلاً ، والمعنى أنه يكون يوماً لا يهم أحداً فيه إلا نفسه، والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصيحة الشديدة، ويكون الهول عظيماً .

والوجه الآخر : أن يكون ذلك حقيقة لا مثلاً ويكون المعنى أن من كانت محشورة مع ولد رضيع ، فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهلت عن من ولدت ، وأن الحوامل إذا بعثن أسقطن من فزع يوم القيامة الأحمال التى كانت أحياء فماتت بموت أمهاتها أحياء ، ثم لا يمتن بالإسقاط ، لأن الموت لا يتكرر عليهن مرتين لأنه لا موت

فى القيـامة ، وإنما هو يوم الحياة ، وتضع الحـوامل حملهـا . ثم يحتمل أن يحـيى الله كل حمل كـان قـد أتم خلقه ونـفـخ فيه الروح ويسـويه ويعدله فـإن الأم تذهل عنه ، ولو لم تذهل مـا قدرت علـى إرضاعـه لأنه لا غذاء يومـئـذ لها ولا لبن ، واليـوم يوم الحساب لا يقـبل فيه من عذر ولا علة، فكيف تـخلى والاشتغال بالولد مع مـا عليها من الحساب وهى بصدده من الجزاء والحمل الذى لم ينفخ فيه قط إذا سقط يكون مع الوحوش ترابا ولم يبتدأ إحياؤه لأن اليوم الإعادة ، فمن لم يمت فى الدنيا لم يحى فى الآخرة ، قاله الحليمى فى(منهاج الدين) .

٦٥٠- وقـال الحسن في قـوله تعـالى :﴿ **وترى النـاس سكارى** ﴾ أى مـن العذاب والخوف ﴿ **وما هم بسكارى**﴾ من الشراب ومما يبين ما قلناه :أن إبليس قال: ﴿ **أنظـرنى إلى يوم يبعـثون** ﴾ سأل النـظرة والإمهال إلـى يوم البعث والحـساب طلب أن لا يموت لأن يـوم البـعث لا مـــوت بعـده فـقــد قـال تعــالى :﴿ **إنك مـن المنظرين**﴾ .

٦٥١- قال ابن عـباس والسـدى وغيـرهما : أنظره إلى النـفخة الأولى حـيث يموت الخلق كلهم ، وكـان طلب الإنظار إلى النفخـة الثانيـة حيث يقـوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه [**خبر حسن**] .

٦٥٢- قـال المؤلف رحـمـه الله : ومـا وقـع فى هذا الحـديث من انشــقـاق السماء، وتناثر نجومها وطمس شمسهـا وقمرها . فقد ذكر المحاسبى وغيره : أن ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف . وروى عن ابن عبـاس وسيأتى وقاله الحليمى في كتاب (منهاج الدين).

٦٥٣- **فصل** : فأمـا التكوين يوم القيامـة قبل الحسـاب . فقد قـال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلـزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ إلى قـوله ﴿ **عذاب الله شديد**﴾ وقال (تعالى) : ﴿ **إذا زلزلـت الأرض زلزالها**﴾ إلى آخرها .

٦٥٤- والذي ثبت بسياق الآيات : أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثـهم من قبـورهم ، لأنه لا يراد بها إلا إذعـان الناس والتهـويل عليهم ، فيـنبغى أن

يشـاهدوها ليفـزعوا منـها ويهـولهم أمرها ، ولا تمكـن المشاهدة منهم وهم أمـوات . ولأنه تعالى قال : ﴿ يـومـئذ تحـدث أخـبـارها ﴾ أى : تخبر عما عمل عليها من خير وشر ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ﴾ فدل ذلـك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس أحياء واليوم يوم الجزاء وقال تعالى :﴿ فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ يعنى الآخرة ﴿ وحملت الأرض والجبال ﴾ إلى قوله ﴿ لا تخفى منكم خافية﴾ فـدلت هذه السـورة على أن اصطدام الأرض والجبـال لا يكـون إلا بعـد الإحيـاء ، فدلت هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية . والله أعلم .

٦٥٥- وأما قوله: فيه يوم التناد ، فـقال الحسن وقتادة ، وذلك يوم ينادى أهل الجنة أهل النـار أن قـد وجـدنا مـا وعـدنا ربنا حـقـاً ، وينادى أهل الـنار أهل الجنة أن أفيـضـوا علينا من الماء ، يوم تـولون مـدبرين ، يعنى عن النار أى غيـر قـادرين غيـر مـعجـزين في تفـسير مـجاهـد . وقيل : مـعناه يوم ينادى أهل النار بالـويل والثبـور ويولون مدبريـن من شدة العذاب . وقـيل : إن ذلك نداء بعض الناس لبعـضـهـم في المحشـر وتوليـهـم مدبرين إذا رأوا عنـقا من النار [خبر صحيح] .

٦٥٦- وقال قـتادة : مـعنى تولون مدبريـن : منطلقاً بكم إلى النار مـالكم من الله من عاصم أى : مانع يمنعكم [خبر صحيح] .

٦٥٧- فـإن قـيل : فقـد قـال الله تعـالى : ﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعـها الرادفة ﴾ إلى أن قـــال : ﴿ فإنما هى زجـرة واحدة ﴾ وهذا يقـتضى بظاهره أنهـا ثلاث ، قيل لـه: ليس كذلك ، وإنما المراد بالزجـرة : النفخة الـثانية التى يكـون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهـم ، قال مجاهد : هما صيحتان ، وأما الأولى ، فيموت كـل شـىء بـإذن الله(تعالى)، وأما الأخرى فيحيا كل شىء بإذن الله (تعالى).

٦٥٨- وقال مجاهد أيضاً : الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحـدة . وقال عطاء : الراجفة القيامة ، والـرادفة البعث ، وقال ابن زيد :

الراجفة الموت ، والرادفة : الساعة ، فهذا يبين لك ما قلناه من أن المراد بالزجرة النفخة الثانية .

٦٥٩- واختلفوا فى الساهرة اختلافاً كثيراً ، فقال ابن عباس : وأما الساهرة فأرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها طرفة عين ،خلقها الله يومئذ وهو قوله تعالى :﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ .

وقال بعضهم : الساهرة : اسم الأرض السابعة يأتى الله بها فيحاسب عليها الخلائق ، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال قتادة : هي جهنم أى : فإذا هؤلاء الكفار في جهنم ، وقيل صحراء قريب من شفير جهنم .

وقال الثورى : الساهرة : أرض الشام ، وقيل غير هذا ، وإنما قيل لها : ساهرة لأنهم لا ينامون عليها حينئذ ، ومعنى ﴿ فإذا هم بالساهرة﴾ أى على الأرض بعدما كانوا فى بطنها والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ، وقال أمية بن أبي الصلت :

وفيها لحم ساهرة وبحر   وما فاهوا به لهم مقيم

باب الحشر ومعناه الجمع

هو على أربعة أوجه : حشران فى الدنيا ، وحشران في الآخرة .

أما الذى في الدنيا فقوله تعالى : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾.

٦٦٠- قال الزهرى : كانوا من سبط لم يصبهم جلاء ، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، وكان أول حشر حشروا فى الدنيا إلى الشام [خبر صحيح] .

٦٦١- قال ابن عباس : من شك أن الحشر فى الشام فليقرأ هذه الآية ، وذلك أن النبى ﷺ قال لهم : « اخرجوا » قالوا : إلى أين ؟ قال: «إلى أرض المحشر » قال قتادة : هذا أول الحشر [حديث صحيح وإسناده ضعيف] .

٦٦٢- الثانى : ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير

وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا » أخرجه البخارى أيضاً .

[حديث صحيح] .

٦٦٣- وقال قتادة : الحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف . قال القاضى عياض : هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة ، وهو آخر أشراطها كما ذكره مسلم بعد هذا فى آيات الساعة .

٦٦٤- قال فيه : وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس ، وفى رواية : تطرد الناس إلى محشرهم . وفى حديث آخر : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله : فتقيل معهم حيث قالوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا . قال : وفى بعض الروايات فى غير مسلم فإذا سمعتم به فاخرجوا إلى الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم **[حديث صحيح]** .

٦٦٥- قال المؤلف رحمه الله: وذكره الحليمى في(منهاج الدين)له من حديث ابن عباس وذكر أن ذلك في الآخرة فقال:يحتمل قوله عليه (الصلاة و)السلام :«تحشر الناس على ثلاث طرائق إشارة إلى الأبرار والمخلصين والكفار، فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه ، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء ، فأما الأبرار فإنهم يؤتون بالنجائب كما فى الحديث ، على ما يأتى فى هذا الباب ، وأما المخلطون فهم الذين أريدوا فى هذا الحديث وقيل : إنهم يحملون على الأبعرة ، وأما الفجار الذين تحشرهم النار، فإن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة فتقيض لهم ناراً تسوقهم ، ولم يرد في هذا الحديث إلا ذكر البعير ، فأما أن ذلك من إبل الجنة أو من الإبل التى تحيا وتحشر يوم القيامة، فهذا لم يأت بيانه، والأشبه ألا يكون من نجائب الجنة ، لأن من خرج من جملة الأبرار فكان مع ذلك من جملة المؤمنين . فإنهم بين الخوف والرجاء ، لأن من هؤلاء من يغفر الله تعالى ذنوبه فيدخل الجنة ، ومنهم من يعاقبه بالنار ، ثم يخرجه منها ويدخله الجنة وإذا كانوا كذلك لم يلق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة ، ثم ينزل الله بعضهم

إلى النار لأن من أكرمه الله بالجنة لم يهنه بعد ذلك بالنار ، قال : وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « يحشر الناس » الحديث وفي آخره أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك ، فهذا إن ثبت مرفوعاً فالركبان هم المتقون السابقون الذين يغفر الله ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبهم ، إلا أن المتقين يكونون على نجائب الجنة والآخرون على دواب سوى دواب الجنة. والصنف الثاني الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم من النار إلى الجنة وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم ، وقد يحتمل على هذا أن يمشوا وقتاً ثم يركبوا أو يكونوا ركبانا فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا وقتاً ثم يركبون أو يكونوا ركباناً ، فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديثان . والصنف الثالث: المشاة على وجوههم هم الكفار، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف مسلمون وهم ركبان، وصنفان من الكفار أحدهما العتاة وأعلام الكفر ، فهؤلاء يحشرون على وجوههم والآخرون الأتباع فهم يمشون على أقدامهم .

٦٦٦- قال المؤلف رحمه الله : وإلى هذا القول ذهب أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) في قوله عليه (الصلاة و)السلام كيف تحشر الناس يا رسول الله ؟ قال : « اثنان على بعير ، وخمسة على بعير ، وعشرة على بعير » ومعنى هذا الحديث والله أعلم. أن قوماً يأتلفون في الإسلام برحمة الله يخلق الله لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه ، وهذا من ضعف العمل لكونهم يشتركون فيه كقوم خرجوا في سفر بعيد وليس مع واحد منهم ما يشتري به مطية توصله فاشترك في ثمنها رجلان أو ثلاثة ، فابتاعوا مطية يتعقبون عليها في الطريق ، ويبلغ بعير مع عشرة ، فاعمل هداك الله عملاً يكون لك به بعير خالص من الشركة ، واعلم أن ذلك هو المتجر الرابح ، فالمتقون وافدون كما قال الجليل : ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا**﴾ [**حديث صحيح**] .

٦٦٩- وخرج النسائي عن أبي ذر قال : « إن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج ، فوجاً راكبين طاعمين كاسين ، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم ، ويحشر الناس فوجًا يمشون ويسعون يلقى الله الآفة على الظهر فلا تبقى حتى إن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها»

[**حديث صحيح**] .

٦٧٠- وذكر عمر بن (شبة) في كتاب(المدينة) على ساكنها السلام. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : آخر من يحشر رجلان: رجل من جهينة، وآخر من مزينة ، فيقولان أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقان بالناس » . وهذا كله مما يدل على أن ذلك في الدنيا كما قال القاضي عياض، وأما الآخرة ، فالناس أيضاً مختلفو الحال على ما ذكروه ، وسنذكر من ذلك ما فيه كفاية في الباب بعد هذا .

والحشر الثالث : حشرهم إلى الموقف على ما يأتي بيانه في الباب بعد هذا إن شاء الله. قال الله تعالى﴿**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**﴾[**حديث صحيح**] .

٦٧٢- مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله ،الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله ﷺ : « أليس الذي أمشاه على الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ » قال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا. أخرجه البخاري أيضاً [**حديث صحيح**] .

٦٧٣- **فصل** : قال أبو حامد وذكر هذا الفصل : وفي طبع الآدمي إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها لأنكر المشي من غير رجل ، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا ، فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها ، فأحضر رحمك الله في قلبك صورتك ، وأنت قد وقفت عارياً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء .

باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو؟ وفي أي أرض المحشر؟

وذكر الصخرة . وقوله تعالى ﴿ واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب ﴾ الآية

٦٧٤- أبو نعيم قال:(قال بعض العلماء):حدثنا أبي قال : حدثنا إسحاق قال ،

حدثنا محمد قال : قال حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب بن منبه يقول: قال الله تعالى الصخرة بيت المقدس: « لأضعن عليك عرشى، ولأحشرن عليك خلقى، وليأتينك يومئذ داود راكبًا».

[**إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات**] .

٦٧٦- **فإن قيل** : فإذا كانت الصيحة للخروج فكيف يسمعونها وهم أموات ؟

قيل له : إن نفخة الإحياء تمتد وتطول ، فتكون أوائلها للإحياء ، وما بعدها للإزعاج من القبور ، فلا يسمعون ما يكون للإحياء ويسمعون ما يكون للإزعاج ، ويحتمل أن تتطاول تلك النفخة والناس يحيون منها أولاً فأولاً ، وكلما حيي واحد سمع ما يحيى به من بعده إلى أن يتكامل الجميع للخروج ، وقد تقدم أن الأرواح فى الصور ، فإذا نفخ فيه النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده ﴿ **فإذا هم من الأجداث** ﴾ أى : القبور ﴿**إلى ربهم ينسلون** ﴾ وهذا يبين لك ما ذكرنا وبالله توفيقنا .

٦٧٧- وقال محمد بن كعب القرظى: يحشر الناس يوم القيامة فى ظلمة ، وتطوى السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس والقمر ، وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ، فذلك قول الله عز وجل: ﴿**يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له**﴾ الآية . وقال الله عز وجل ﴿ **إذا السماء انفطرت* وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت**﴾ فجر عذبها في ملحها ، وملحها فى عذبها فى تفسير قتادة ﴿ **وإذا القبور بعثرت**﴾ أى :أخرج ما فيها من الأموات ، وقال تعالى ﴿ **إذا السماء انشقت وأذنت لربها** ﴾ أى سمعت وأطاعت ﴿ **وحقت** ﴾ أى وحق لها أن تفعل ﴿ **وإذا الأرض مدت** ﴾ تمد مد الأديم وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء كأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة قط ، وألقت ما فيها من الأموات فصاروا على ظهرها.

٦٧٨- مسلم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيه علم لأحد ».

[**حديث صحيح**] .

٦٧٩- وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب ، عن عبد الله بن مسعود : « يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأظمأ ما كانوا، قط، وأعرى ما كانوا قط ، وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ، ومن سقا لله سقاه ، ومن كسا لله كساه ، ومن عمل لله كفاه ، ومن نصر الله أراحه الله فى ذلك اليوم .

٦٨١- وقال أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) : ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية ، فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم ، فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه بيمينه فيطرحه من يده ويقول:سحقاً لك، شغلتنى عن ذكر الله ، فيعود إليه ، يقول : أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وكذلك يبعث السكران سكران ، والزامر زامراً ، وكل واحد على الحال الذى صده عن سبيل الله . قال : ومثل الحديث الذى روى في الصحيح ، أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه ، والقدح بيده، وهو أنتن من كل جيفة على الأرض ، يلعنه كل من يمر به من الخلق ، وقال أيضاً فى هذا الكتاب: فإذا استوى كل واحد قاعداً على قبره فمنهم العريان ، ومنهم المكسو والأسود والأبيض ، ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ، ومنهم من يكون كالشمس لا يزال كل واحد منهم مطرقاً برأسه ألف عام ، حتى تقوم من الغرب نار لها دوى تساق، فيدهش لها رؤوس الخليقة إنساً وجناً وطيراً ووحشاً فيأتى كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له : قم فانهض إلى المحشر ، فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله بغلاً ، ومنهم من يشخص عمله حماراً ، ومنهم من يشخص له كبشاً تارة يحمله ، وتارة يلقيه يجعل لكل واحد منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه ومثله(يسير) بين يديه في الظلمات ، وهو قوله تعالى :﴿ **يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفاذها ، يحار فيها الكفار ، ويتردد المرتابون ، والمؤمن ينظر إلى قوة حلكتها ، وشدة حندسها، ويحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور المهتدى به في تلك الشدة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، لأن الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقى ليستبين له سبيل الفائدة ، كما فعل بأهل النار حيث يقول فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، وكما قال سبحانه : ﴿ **وإذا صرفت**

أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ لأن أربعاً لا يعرف قدرها إلا أربع : لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى ، ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء، ولا يعرف قدر الصحة إلا أهل البلاء والسقم : ولا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ ، وفي نسخة: ولا يعرف قدر النعيم إلا أهل الجحيم ، ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف بنانه ونوره يطفأ تارة ، ويشتعل أخرى ، وإنما هم عند البعث على قدر إيمانهم وأعمالهم، وقد مضى في باب (يبعث كل عبد على ما مات عليه) ما فيه كفاية ، والحمد لله .

باب الجمع بين آيات وردت في الكتاب في الحشر ظاهرها التعارض

٦٨٢- منها قوله تعالى :﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ وقال تعالى :﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾ ، وفي آية ثالثة أنهم يقولون ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ وهذا كلام وهو مضاد للبكم . والتعارف: تخاطب وهو مضاد للصمم والبكم معا ، وقال تعالى ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ والسؤال لا يكون إلا بالإسماع ، وإلا لناطق(يستمع) للجواب ، وقال ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ وقال: ﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ قال:﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه .

والجواب لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له : إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم ، فليست حالهم حالة واحدة ، ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً ، ولكن لهم مواقف وأحوال ، واختلفت الأخبار عنهم لا ختلاف مواقفهم وأحوالهم ، وجملة ذلك أنها خمسة أحوال : حال البعث من القبور، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة ، والرابعة: حال السوق إلى دار الجزاء ، والخامسة:حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها .

٦٨٣- فأما حال البعث من القبور : فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح لقول الله تعالى :﴿ يتعارفون بينهم﴾ وقوله: ﴿يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا﴾ وقوله :﴿ فإذا هم قيام ينظرون﴾ وقوله : ﴿ قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ﴾ إلى قوله ﴿ ترجعون﴾ .

والحالة الثانية : حال السوق إلى موضع الحساب ، وهم أيضاً فى هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسئولون﴾ ومعنى (فاهدوهم) أى دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة.

الحالة الثالثة : وهى حالة المحاسبة وهم يكونون فيها أيضاً كاملى الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم ، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ . وأنهم يقولون لجلودهم: ﴿لم شهدتم علينا ﴾ وليشاهدوا أحوال

القيامة وما كانوا مكذبين فى الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها .

وأما الحالة الرابعة : وهى السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى :﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم ﴾ويحتمل أن يكون قوله تعالى :﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾ إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق .

والحالة الخامسة ، حال الإقامة فى النار، وهذه الحالة تنقسم إلي بدو ومآل

فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكما وصما إذلالاً لهم تمييزاً عن غيرهم ، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار ، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين ، فيستقرون في النار ناطقين سامعين مبصرين ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى ﴾ وقال ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ وقال: ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ﴾ إلى قوله ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم ﴾ وقال : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء﴾وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون ﴿ أفيضوا علينا من الماء أوما رزقكم الله ﴾ وأن أهل الجنة ينادونهم : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ﴾ وأنهم يقولون: ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾فيقول لهم ﴿إنكم ما كثون﴾وأنهم يقولون لخزنة جهنم ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب﴾ فيقولون لهم:﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾. وأما العقبى والمآل فإنهم إذا قالوا:﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾فقال الله تعالى: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ وكتب عليهم الخلود بالمثل الذى يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى الموت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار ، وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت،سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم ، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين ،لأن الله تعالى يقول:

﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق ، ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه ، وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته ، فلما كانت حجة الله عليهم فى الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم فى الأخرى ، بسلب الأسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وإن قوم نوح عليه الصلاة والسلام كانوا يستغشون ثيابهم تستراً منه، لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه، وقد أخبر الله تعالى عن الكفار في وقت نبينا محمد ﷺ مثله فقال :﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا الغير فلم يعتبروا ، والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا والله أعلم .

باب ما جاء في حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا وفي أول من يكسى منهم وفي أول ما يتكلم من الإنسان

٦٨٤- مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ، ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام ، ألا وإنه يؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول :يا رب أصحابى فيقول : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح :﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ إلى قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ قال : فيقال : إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .أخرجه البخارى أيضاً والترمذى [**حديث صحيح**] .

٦٨٥- عن معاوية بن (جبلة) -رضى الله عنه -عن النبى ﷺ في حديث ذكره قال : وأشار بيده إلي الشام فقال : « ههنا إلى ههنا تحشرون ركبانا ومشاةً وتجرون على وجوهكم يوم القيامة ،(على) أفواهكم الفدام ، توفون سبعين أمة ، أنتم

خيرهم على الله ، وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه » وفى رواية أخرى ذكرها ابن أبى شيبة : « وإن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه » [حديث صحيح] .

٦٨٦- **فصل** : قوله « غرلاً » أى غير مختونين ، النقى: الحوارى ، وهو الدرمك من الدقيق ، والعفر بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلاً ، والفدام مصفاة الكوز والابريق ، قاله الليث . قال أبو عبيدة : يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق وقوله « أول من يكسى إبراهيم » فضيلة عظيمة لإبراهيم ، وخصوص له كما خص موسى عليه (الصلاةو)السلام بأن النبى ﷺ يجده معلقاً بساق العرش مع أن النبى ﷺ أول من تنشق عنه الأرض ، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقاً ، بل هو أفضل من وافى القيامةعلى ما يأتى بيانه في أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالى .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب (المفهم) له : يجوز أن يراد بالناس من عداه من الناس ،فلم يدخل تحت خطاب نفسه ، والله أعلم .

٦٨٧- قلت : هذا حسن لولا ما جاء منصوصاً خلافه ، فقد روى ابن المبارك فى رقائقه : أخبرنا سفيان عن عمر بن قيس ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن على رضى الله عنه قال : « أول من يكسى خليل الله إبراهيم قبطيتين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش» خرجه البيهقى أيضاً[خبر صحيح].

٦٨٨- وروى عباد بن كثير ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله عنه قال : « إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى ، وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم خليل الله ، ثم محمد ﷺ ثم النبيون والرسل عليهم (الصلاة و)السلام ، ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحمر، أزمتها من زمرد أخضر، رحالها من الذهب ، ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر » ذكره الحليمى فى كتاب (منهاج الدين) له .

٦٩١- **فصل** : وتكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام بالكسوة ، فروى أنه لم يكن فى الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فتعجل له كسوته أمانا له ليطمئن قلبه ، ويحتمل أن

يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة فى التستر ، وحفظاً لفرجه من أن يماس مصلاه ففعل ما أمر به، فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون الذين ألقوه فى النار وجردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كمايفعل بمن يراد قتله، وكان ما أصابه من ذلك فى ذات الله عز وجل، فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار فى الدنيا والآخرة ، وجزاه بذلك العرى أن جعله أول من يدفع عنه العرى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، وهذا أحسنها ، والله أعلم .

وإذا بدئ في الكسوة بإبراهيم وثنى بمحمد ﷺ أوتى محمد بحلة لا يقوم لها البشر لينجبرالتأخير بنفاسة الكسوة ، فيكون كأنه كسي مع إبراهيم عليهما الصلاة والسلام قاله الحليمى. وقوله: « تجدون على أفواهكم الفدام»، والفدام : مصفاة الكوز والإبريق ، قاله الليث . قال أبو عبيد يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق . (و)قال سفيان : وفدامهم أن يؤخذ على ألسنتهم وهذا مثل .

باب منه
وبيان قوله تعالى :﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾

٦٩٢- مسلم عن عائشة -رضى الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قلت: يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظربعضهم إلى بعض » [**حديث صحيح**] .

٦٩٣- الترمذى عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال : «تحشرون حفاة عراة غرلاً فقالت امرأة : أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » قال : حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**] .

٦٩٤- **فصل** : قلت : هذا الباب والذى قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلا أى غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده . قال العلماء : يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد ، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة

عليه حتى الختان .

٦٩٥- وقد عارض هذا الباب ما (رواه) أبو داود في سننه ، عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه- لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الميت يبعث فى ثيابه التى دفن فيها » قال أبو عمر بن عبد البر : وقد احتج بهذا الحديث من قال : إن الموتى يبعثون جملة على هيئاتهم ، وحمله الأكثر من العلماء على الشهيد الذى أمر أن يزمل فى ثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يغير عليه شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما ، قالوا : ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم ، والله أعلم .

قلت : ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله الحق : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة** ﴾ وقوله : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾ ولأن الملابس في الدنيا أموال ، ولا مال في الآخرة ، زالت الأملاك بالموت ، وبقيت الأموال فى الدنيا ، وكل نفس يومئذ، فإنما يقيها المكاره (ثواب) وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله (تعالى) عليها ، فأما الملابس فلا غنى فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة على ما تقدم فى الباب قبل (قاله الحليمى) [**حديث صحيح**] .

باب قول النبي ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وفى أسماء يوم القيامة

٦٩٨- الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ: « من سره أن ينظر إلي يوم القيامة فليقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ و ﴿**إذا السماء انفطرت** ﴾و﴿**إذا السماء انشقت**﴾وقال : هذا حديث حسن [**حديث صحيح**] .

٦٩٩- **فصل** : قلت : وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة ، لما فيها

من انشقاق السماء، وانفطارها ، وتكور شمسها ، وانكدار نجومها ، وتناثر كواكبها ، إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها ، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم ، بعد نشر صحفهم ، وقراءة كتبهم ، وأخذها بأيمانهم ، وشمائلهم ،أو من وراء ظهورهم ، في موقفهم على ما يأتي بيانه . قال الله تعالى: ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ وقال ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ وقال :﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام** ﴾ فتراها واهية منفطرة متشققة كقوله تعالى :﴿ **وفتحت السماء فكانت أبوابا** ﴾ ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض . وقيل : إن (الباء) بمعنى (عن) أي: تشقق عن سحاب أبيض . ويقال : انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم ، وذلك إذا بطلت المياه وبرزت النيران ، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن ، وتتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعه ، وقد قيل : إن السماء تتلوث فتصفر ثم تحمر ، أو تحمر ثم تصفر ، كالمهرة تميل فى الربيع إلى الصفرة ، فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة ثم إلى الغبرة . قاله الحليمى .

وقوله تعالى :﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه تكويرها إدخالها فى العرش . وقيل : ذهاب ضوئها . قاله الحسن وقتادة .

وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد . وقال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى ، وقال الربيع بن خيثم كورت رمى بها، ومنه كورته فتكور أى: سقط .

قلت : وأصل التكوير: الجمع ، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أى لاتها وجمعها فهى تكور ثم يمحى ضوؤها ثم يرمى بها والله أعلم .

وقوله تعالى :﴿**وإذا النجوم انكدرت**﴾ أى انتشرت قيل : تتناثر من أيدى الملائكة لأنهم يموتون . وفى الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدى الملائكة . وقال ابن عباس رضى الله عنه : انكدرت تغيرت ، وأصل الانكدار: الانصباب ، فتسقط فى البحار ، فتصير معها نيراناً إذا ذهبت المياه .

وقوله ﴿**وإذا الجبال سيرت**﴾هو مثل قوله﴿**ويوم نسير الجبال**﴾ أى تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيباً مهيلا أى : رملاً سائلاً وتكون كالعهن، وتكون هباء

منبثاً ، وتكون سراباً مثل السراب الذى ليس بشيء ، وقيل : إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل . قال الحليمى : وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض ، فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثرفي كل واحد من السماء والأرض ما ذكر .

وقوله : ﴿وإذا العشار عطلت﴾ أى عطلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم . والعشار : الإبل الحوامل واحدها عشراء ، وهى التى أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب ، فأخبر أنه تعطل يوم القيامة. ومعناه : أنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضاً ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبؤوا بها ولم يهمهم أمرها ، ويحتمل (تعطيل) العشار:إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها فى الدنيا ، وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها سبيلاً . وقيل : العشار السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر ، وقيل: العشار: الديار تعطل فلا تسكن . وقيل : الأرض التى يعشر زرعها تعطل فلا تزرع ، والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر .

وقوله: ﴿وإذا الوحوش حشرت ﴾ أى:جمعت ، والحشر:الجمع وقد تقدم.

وقوله : ﴿وإذا البحار سجرت ﴾ أى : أوقدت وصارت ناراً ، رواه الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال قتادة : غار ماؤها فذهب ، وقال الحسن والضحاك : فاضت . قال ابن أبي زمنين ﴿ سجرت ﴾ حقيقته ملئت فيفضى بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحداً وهو معنى قول الحسن ، ويقال : إن الشمس تلف ثم تلقى في البحار فمنها تحمى وتنقلب ناراً .

قال الحليمى : يحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئد تكون أكثرها ، لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة ، فإذا كورت وألقيت في البحر فصارت ناراً ازدادت امتلاء .

وقوله : ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة شيعتها،اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، وكل من كان

يعبد من دون الله شيئا يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين . وقال عكرمة : المعنى : تقرن بأجساد ها ، أى : ترد إليها، وقيل يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان.وقيل: يقرن المؤمنون بالحور العين والكافرون بالشياطين وقوله:﴿وإذا الموءودة سئلت﴾يعنى:بنات الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين:

إحداهما : كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات به .

الثانية : مخافة الحاجة والإملاق ، وسؤال الموءودة على وجه التوبيخ لقاتلها،كما يقال للطفل إذا ضرب : لم ضربت وما ذنبك ؟ وقال الحسن : أراد الله أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وبعضهم يقرأ﴿وإذا الموءودة سألت ﴾ تعلق الجارية بأبيها فتقول بأى ذنب قتلتنى ؟ وقيل : معنى سئلت يسأل عنها ،كما قال : ﴿إن العهد كان مسؤولاً﴾ .

وقوله :﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ أى : للحساب ، وسيأتى .

وقوله : ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ قيل : معناه: طويت ،كما قال الله تعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾ أى كطى الصحيفة على ما فيها ، فاللام بمعنى « على» يقال : كشطت السقف أى قلعته فكان المعنى قلعت فطويت . والله أعلم . والكشط والقشط سواء وهو القلع، وقيل : السجل كاتب للنبى ﷺ ولا يعرف في الصحابة من اسمه : سجل .

وقوله : ﴿ وإذا الجحيم سعرت ﴾ أى أوقدت .

وقوله :﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ أى قربت لأهلها وأدنيت ﴿علمت نفس ما أحضرت ﴾ أى : من عملها وهو مثل قوله: ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ ومثل قوله :﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾فهو يوم الانشقاق ويوم الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار ويوم الانتثار ، ويوم التسيير ، قال الله تعالى :

﴿ وتسير الجبال سيرا ﴾ ﴿ وإذا الجبال سيرت﴾ويوم التسجير ، ويوم التعطيل ويوم التفجير ويوم المشط والطى ويوم المد لقوله تعالى :﴿ وإذا الأرض مدت﴾ إلى غير ذلك من أسماء القيامة ، وهى الساعة الموعود أمرها ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها لرسول الله ﷺ حتى أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، وهذا جميع كلام العرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم ، وله نظائر ، فالقيامة لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة ، منها ما ذكرناه ، مما وقع فى هذه السور الثلاث .

وقيل : إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدى الله تعالى ويوم الجمعة فيها زهراء مضيئة يعرفها الخلائق فيوم القيامة يوم يتضمن الأيام كلها فسمى بكل حال يوما فقيل ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ ثم قيل : ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ ثم قيل : ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ فهذه حالة أخرى . ثم قيل : يومئذ تعرضون ثم قيل : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾. فهذه أحوال فقد يجرى يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال منها كاليوم المتجدد ولذلك كررت في قوله تعالى :﴿ وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ لأن ذلك اليوم وما بعده يوم ، واليوم العظيم متضمن لهذه الأيام فهو لله تعالى يوم وللخلائق أيام فقد عرفت أيامهم في يومه وقد بطل الليل والنهار . قاله الترمذى الحكيم ، ومما قيل في معنى ما ذكرنا من النظم قول بعضهم :

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور

إذ كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رأس العباد تسير

وإذا الجبال تفجرت من خوفها ... ورأيتها مثل الجحيم تفور

وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور

وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير

وإذا العشار تعطلت وتخربت ... خلت الديار فما بها معمور

وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت ... وتقول للأملاك أين نسير

وإذا تقاة المسلمين تزوجت ... من حور عين زانهن شعور

وإذا الموءودة سئلت عن شأنها ... وبأى ذنب قتلها ميسور

وإذا الجليل طوى السما بيمينه ... طى السجل كتابه المنشور

وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت ... تبدى لنا يوم القصاص أمور

وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ... وتهتكت للمؤمنين ستور

وإذا السماء تكشطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور

وإذا الجحيم تسعرت وتلهبت ... فيها مقامع زلة وزفير

وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... فلها على أهل الذنوب زفير

وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور

وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور

هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور

ومنها: الساعة ، قال الله تعالى :﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**﴾ وقال ﴿ **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** ﴾. ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ ﴿**ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون**

أشد العذاب ﴾وهو فى القرآن كثيـر ، والساعة :كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود وفى العـرف على جزء من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة واللذين هما أصل الأزمنة ، وتقول العرب أفعل كذا الساعة ، وأنا الساعة في أمر كذا تريد الوقت، الذى أنت فيـه ، والذى يليه تقريبـا له وحقيقـة الإطلاق فيها أن السـاعة بالألف واللام عبـارة في الحقيـقة عن الوقت ، والذى أنت فيـه وهو المسمى بالآن ، وسميت به الـقيامة إما لقـربها فإن كل آت قريب ، وإمـا أن تكون سميت بها تنبـيها على مـا فـيهـا من الكائنات العظام التـى تصهـر الجلود وتكسـر العظام ، وقـيل : إنما سميت بالسـاعة لأنها تأتى بغتة فى سـاعة ، وقيل إنما سميت بالسـاعة لأن الله تعالى أمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجساد في مدافنها ، ومواضـعها حيث كانت من بحر أو بر وتستـقل وتتحرك بحياتها بماء الحيوان ، وليـست فيها أرواح ثم تدعى الأرواح ، فـأرواح المؤمنين تتوقـد نوراً ، وأرواح الكافرين تتـوهج ظلمـة ،فإذا دعـا الأرواح ألقاها في الصـور ثم يأمـر إسرافيل أن ينفخ فى الصـور فـإذا نفـخ فـي خرجت من الصور ثم أمـرت أن تلحق الأجساد فتبعث إلى الأجـساد فى أسرع من اللمحة ، وإنما سميت الساعة لسعى الأرواح إلى الأجساد فى تلك السرعة فهى سائع وجمـعها ساعـة كقولك ، بائع وباعة،وصـائغ وصاغة ، وكائل وكـالة ، فوصف أن سائر أموره فى السرعة كلمح البصر وأمر الساعة أقرب من لمح البصر . قاله الترمذى الحكيم (أبو عبد الله) .

٧٠٠- وذكـر أبو نعيم الحـافظ بإسنـاده عن وهب بن منبـه قـال : إذا قـامت السـاعـة صرخـت الحجارة صـراخ النساءوقطرت العصاة دمـا ، ومنها القيامـة قال الله تعالى :﴿ لا أقسم بيوم القيـامة ﴾ وهى فى العـربية مصـدر قام يقـوم ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب، واختلف في تسميتها بذلك على أربعة أقوال :

الأول : لوجود هذه الأمور فيها .

الثانى : لقيـام الخلق من قبورهم إليهـا . قال الله تعالى ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً ﴾ . [خبر حسن]

٧٠١ - الثالث : لقيام الناس لرب العـالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضى

الله عنهمـا عن النبي ﷺ :﴿ يومر يقـوم النـاس لرب العـالمين﴾ قـال: يوم يقـوم أحدكم في رشحه إلى نصف أذنيه. [حديث صحيح]

٧٠٢- قال : ابن عمر رضى الله عنهما :« يقومون مائة سنة » .

[خبر صحيح]

الرابع : لقيام الروح والملائكة صـفاً . قال الله تـعالى :﴿ يومر يقـومر الروح والملائكة صفاً ﴾ .

٧٠٤ – قال علمـاؤنا : واعلم أن كل ميت مات فقـد قامت قيامتـه ، ولكنها قيامـة صغرى فالقيامـة قيامتان : صغـرى وكبرى ، فالصغـرى :هى ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله. إن كـان خيـراً فـخـير وإن كـان شـراً فـشر ، والقيـامـة الكبرى هـى التى تعم الناس وتأخذهم أخـذة واحدة ، والدليل على أن كل ميت يمـوت فقد قامت قـيامتـه : قول النبى ﷺ لقوم من الأعـراب وقد سألوه متى القـيامة ؟ فنظر إلى أحـدث إنسان منهم فقال:« إن يـعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم سـاعتكم » [حديث صحيح] أخرجه مسلم وغيره ، وقال الشاعر:

خـرجت مـن الدنيـا وقـامت قـيامـتى غـــداة أقـيل الحـــامـلون جنـــازتى
وعـجل أهلـى حـفـر قـبـرى وصبـروا خـــروجي وتعـجـيلى إليــه كـــرامـتى
كـــأنـهم لـــم يـعــرفــوا قــط سـيـرتى غـــداة أتـى يومـى علـى وســاعـــتى

ومنها : يوم النفخة .قال الله تعالى: ﴿ يومر ينفخ فى الصور ﴾ وقد مضى القول فيه .

ومنهـا : يوم الزلزلة ، ويوم (الراجـفـة) . قـال الله تعـالى :﴿يومر ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ﴾ وقد تقدم .

ومنها : يوم الناقور ،كقوله تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور﴾ وقد تقدم القول فيه والحمد لله .

ومنها : **القارعة** سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها يقال : قد أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده ، قالت الخنساء :

تعرفنى الدهر نهشاً وحزاً وأوجعنى الدهر قرعاً وغمزا

أرادت أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغرياتها .

ومنها يوم البعث وحقيقته إثارة الشيء عن خفاء وتحريكه عن سكون ، قال عنترة :

وعصابة شم الأنوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرا بطلاها

وقال امرؤ القيس :

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعاً بين غات ونسوان

وقد تقدم القول فيه وفى صفته والحمد لله .

ومنها : **يوم النشور** هو عبارة عن الإحياء . يقال : قد أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى :﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشزها** ﴾أى نحييها ، وقد يكون معناه التفريق من ذلك (كقولك) أمرهم نشر .

ومنها : **يوم الخروج** ، قال الله تعالى: ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا** ﴾ فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لا خروج ولا دخول على ما يأتى .

ومنها :**يوم الحشر** ، وهو عبارة عن الجمع ، وقد يكون مع الفعل إكراه قال الله تعالى :﴿ **فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين** ﴾ أى من يسوق السحرة كرها وقد مضى القول في الحشر مستوفى والحمد لله .

ومنها : **يوم العرض** قال الله تعالى :﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ ، وقال : ﴿ **وعرضوا على ربك صفا**﴾ وحقيقته إدراك الشيء بإحدى الحواس ليعلم حاله وغايته السمع والبصر فلا يزال الخلق قياماً فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما شاء الله أن يقوموا حتى يلهموا أو يهتموا . فيقولون : قد كنا نستشفع فى الدنيا فهلم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون : ائتوا آدم الحديث

وسيأتى.

٧٠٥- قال ابن العربى : وفى كيفية العرض أحاديث كثيرة المعول منها على تسعة أحاديث في تسعة أوقات :

الأول :الحديث المشهور الصحيح ، رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما واللفظ له قال : إن ناساً في زمن النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ: « هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب » قالوا : لا يارسول الله ، قال : « ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب ، فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا :كنا نعبد عزيراً بن الله .فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم :كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم:ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا (قال): فيشار (إليهم) ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها . قال : فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا ، فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثاً.حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا ثم يضرب

الجسرعلى جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم » ، وذكر الحديث وسيأتى تمامه إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**] .

٧٠٦- **الثاني** : صح من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من نوقش الحساب عذب » قلت: يا رسول الله أليس الله يقول : ﴿ **فسوف يحاسب حساباً يسيراً** ﴾ قال: « ليس ذلك الحساب ذلك العرض» وسيأتى [**حديث صحيح**] .

٧٠٩- **الثالث** : ثبت عن أبي هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد الخدرى واللفظ له « يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وتركتك ترأس وترتع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول : لا . فيقال له : اليوم أنساك كما نسيتنى » وهذا حديث صحيح. قلت : خرجه مسلم والترمذى مطولاً [**حديث صحيح**] .

٧١٠- **الرابع** : ثبت من طرق صحاح أن النبى ﷺقال :« يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له:عبدى تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا فلا يزال يقرره حتى يرى أنه (قد) هلك ، ثم يقول له : عبدى، أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم » [**حديث صحيح**] .

٧١١- **الخامس** : وفى الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها » وذكر الحديث [**حديث صحيح**] .

٧١٢- **السادس** : وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب ، إذا أخرجتنى منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها » [**حديث صحيح**] .

٧١٣- وروى مسلم : « يجمع الله الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول لهم : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك » وذكر حديث الشفاعة قال الله

تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ وذلك قوله في الحديث المتقدم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً » قال القاضى أبو بكر بن العربى : وهذا مما أغفله الأئمة في التفسير .

السابع : العرض على الله(سبحانه) ولا أعلمه فى الحديث إلا قوله فى النص المتقدم حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين ، وذكر الحديث .

قلت : إذا تتبعت الأحاديث في هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة [**حديث صحيح**] .

٧١٤- وقد خرج (مسلم) عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتى [**حديث حسن**] .

٧١٦- وخرج مسلم عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » الحديث وسيأتى [**حديث صحيح**] .

٧١٧- وخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب » الحديث وسيأتى .

ويتضمن من غير رواية البخارى عرض اللوح المحفوظ ، ثم إسرافيل ، ثم جبرائيل ، ثم الأنبياء نبيًا نبيًا صلوات الله عليهم أجمعين ، وسيأتى[**حديث صحيح**].

٧١٨- وخرج الترمذي وابن ماجة حديث الرجل الذى ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا وسيأتى .

وهذا كله من باب العرض على الله ، وإذا تتبعت الأحاديث كانت أكثر من هذا فى مواطن مختلفة وأشخاص متباينة ، والله أعلم ، وفي بعض الخبر أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ، ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ، ولا يكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق .

قلت : وأما ما وقع ذكره فى الحديث من كشف الساق وذكر الصورة فيأتى

إيضاح ذلك وكشفه إن شاء الله فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**] .

ومنها : يوم الجمع ، وحقيقته في العربية ضم واحد إلى واحد ، فيكون شفعاً أو زوجاً إلى زوج فيكون جمعاً . قال الله تعالى :﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾

وقال ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ وهو في القرآن كثير .

ومنها : يوم التفرق قال الله تعالى :﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون**﴾

وهو معنى قوله تعالى ﴿ **فريق فى الجنة وفريق فى السعير**﴾ .

ومنها يوم الصدع أيضا، قال الله تعالى:﴿**يومئذ يصدر الناس أشتاتا**﴾

وقال: ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ ومعناهما معنى الاسم الذى قبله

٧٢٠- **ومنها** : يوم البعثرة ومعناه تتبع الشيء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين ، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما في الحديث الصحيح : « إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد»خرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه [**حديث صحيح**] .

٧٢١- **ومنها** : ما روى « أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم » وهو صحيح أيضاً وسيأتى [**حديث صحيح**] .

٧٢٢- وقال ﷺ « يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول يا رب ، أصحابى ، فيقول إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » .

ومنها : يوم الفزع ، وحقيقته ضعف النفس عن حمل المعانى الطارئة عليها خلاف العادة ، فإن استمر كان جبناً وعند ذلك تتشوق النفس إلى ما يقويها فلأجل

ذلك قالـوا : فزعت من كذا أي ضـعفت عن حـمله عن طريانه على خـلاف العادة، وفزعت إلى كذا أي تشوقت نفسي عند ذلك إلي مـا يقويها على ما نزل بها والآخرة كلها خـلاف العادة وهي فزع كلـها وفي التنزيل﴿ لا يحزنهم الفـزع الأكبر﴾ ،

وقد اخـتلف فيه فقـيل هو قوله ﴿لا بشرى يومئـذ للمجرمين ﴾ وقـيل : إذا طبـقت النار ، على أهلها وذبح الموت بين الجـنة والنار . وقال الحسن : هو وقت يؤمر بالعـباد إلى النار وعنه أن الفـزع الأكـبـر النفـخة الآخـرة وتتلقـاهم الملائكة بـالبشـارة حـتى يخرجوا من قبورهم [حديث صحيح] .

٧٢٤- قلت : قـد بينـا أقـوال العلمـاء في ذلك عند ذكـر حـديث أبي هريرة رضى الله عنه في باب(أين يكون الناس)فتأمله هناك .

ومنها : يوم الدعاء وهو النداء أيضاً .

والنداء على ثمانية وجوه فيما ذكر ابن العربي .

الأول : نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع

الثاني : نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم .

الثالث : يدعى كل أناس بإمامهم ، وهو قوله :« لتتبع كل أمة ما كانت تعبد »

قال المؤلف رضى الـله عنه : ويقال بكتابـهم ، وقيل : بنبيـهم. قال سـرى السقطي : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقـال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، ويا أمة محمد ، غيـر المحبين لله فإنهم ينادون يا أوليـاء الله تعالى هلمـوا إلى الله سبحانـه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً .

الرابع : نداء الملك ألا إن فلان ابن فلان قد سعـد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن فلانًا ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وسيأتي .

الخامس : الـنداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا مـوت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت .

السادس : نداء أهل النار يا حسرتنا ويا ويلتنا .

السابع: قول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين.

الثامن : نداء اللـه تعـالى أهل الجنة ، فـيقـول : يا أهل الجـنة ، هل رضـيتم ؟

فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : أعطيتكم أفضل من ذلك : رضائى .

٧٢٥- قال المؤلف رضى الله عنه : ونداء تاسع ذكره أبو نعيم عن مروان بن محمد قال : قال أبو حازم الأعرج : يخاطب نفسه يا أعرج ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم ، ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فيقوم معهم فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة وفى التنزيل ﴿ **يوم يناديهم فيقول أين شركائى** ﴾ الآية التى فى القصص ، وحم السجدة ﴿ **ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين** ﴾ والنداء في الأخبار كثير يأتى بيانها وذكرها فى باب من يدخل الجنة بغير حساب.

ومنها : يوم الواقعة . وأصل وقع فى كلام العرب: كان ووجد. وجاءت الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد ، قال الله تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم** ﴾ والمراد بالقول هنا إخبار البارى عن الساعة وأنها قريبة ، ومن أعظم علاماتها الدابة ، وسيأتى ذكرها وما للعلماء فيها من الأشراط إن شاء الله تعالى وقوله كاذبة مصدر كالباقية والعاقبة أى ليس لوقعتها مقالة كاذبة .

ومنها: الخافضة الرافعة أي ترفع قوماً فى الجنة وتخفض أخرى فى النار، والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة ، ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب فى إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل ، يقولون: ليل قائم ونهار صائم وفى التنزيل ﴿ **بل مكر الليل والنهار** ﴾ والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده ، فرفع أولياءه فى أعلى الدرجات وجعل أعداءه فى أسفل الدرجات قال الله تعالى: ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً** ﴾ [خبر صحيح] .

٧٢٦- وقال ﷺ في حديث جابر رضى الله عنه:« نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس » قال ابن العربى : وهذا حديث فيه تخليط في كتاب مسلم لم يتقنه رواية . ومعناه: أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمداً ﷺ وأمته فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنهم ، وفى رواية :أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تل فيكسونى ربى حلة خضراء ، ثم يؤذن لى فذلك المقام المحمود [حديث صحيح] .

٧٢٧- **قلت** : وهذا الرفع في المكان بحسب الزيادة في المكانة . قال ابن العربى : وهى أنواع فرفع محمدﷺبالشفاعةفى أول الخلق ، وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها ، ورفع العادلين بالحديث الصحيح: المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم . يقال : اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وسيأتى [حديث صحيح] .

٧٢٨- ورفع الشهداء فى سبيله فقال فى الحديث الصحيح: « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله » الحديث وسيأتى [حديث صحيح] .

٧٢٩- ورفع كافل اليتيم فقال ﷺ « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد: في الجوار [حديث صحيح] .

٧٣٠- وقال ﷺ :« إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغائر فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ، ورفع عائشة على فاطمة رضى الله عنهما ، فإن عائشة مع النبى ﷺ وفاطمة مع على رضى الله عنهما .

ومنها : يوم الحساب ومعناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخرحكم للمشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر

[حديث صحيح].

٧٣١- وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال : « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » فقيل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معاً ولا

يحاسبهم واحداً بعد واحد والمحاسبة حكم . فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه قال الله تعالى :﴿ ألا له الحكم ﴾ وقال : ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾

[حديث صحيح] .

٧٣٢- وفي الخبر : أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له : يا شيخ ، ما أنصفت!! غذوتك بالنعم صغيراً فلما كبرتك عصيتني أما إني لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل ، وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه واصطكت ركبتاه فيقول الرب جل جلاله: أما استحييتني؟ أما راقبتني؟ أما خشيت نقمتي؟ أما علمت أني مطلع عليك خذوه إلى أمه الهاوية ، وقيل: إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى ، وقد قال الله تعالى :﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾ إلى قوله: ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ وإن من لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حساباً يسيراً من غير ترجمان إكراماً لهم ، كما أكرم موسى عليه(الصلاة و) السلام في الدنيا بالتكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكةويميزهم بذلك عن أهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لأحداث خلائق كثيرة معاً ، قال الله تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ أي إلا كخلق نفس واحدة **[الخبر من الإسرائيليات]**.

٧٣٣- ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال : « كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة ».

٧٣٤- وفي صحيح مسلم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سأل الناس رسول الله ﷺ : « هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا : لا : قال : فهل تضارون في رؤية القمرليلة البدر وليس في سحابة؟ قالوا : لا . قال : فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما » . قال : « فيلقي العبد فيقول : أيا فل

ألم أكـرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترتع ؟ فيقـول : بلـى، فيقول : أفظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا . فيقول : إنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثانى فيقول له : ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فـيقول: يا رب آمنت بك ، وبكتـابك ، وبرسلك ، وصليت ، وتصدقت ، وصمت ، ويثنى بخيرما استطاع ، قـال : فيقول: ها هنا إذا ثم يقـول: الآن نبعث شـاهداً عليك فيـقـول فى نفسـه من ذا الذى يشـهد على؟فيختم على فيه ، ويقـال لفخـذه: انطقى فتنطق فخـذه ، ولحمه ، وعظامه ، بعـمله وذلك ليعذر من نفـسه ، وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه ، وقد قال الله تعالى ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ أى: حاسباً ، فعيلاً بمعنى فاعل [**حديث صحيح**] .

٧٣٥- وإذا نظر فيها ورأى أنه قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له لا إله إلا الله فـي كـفـة فـرجـحت لـه السـمـوات والأرض ، وفي رواية فـطاشت السجلات وثقلت البطاقة » وسيأتى [**حديث صحيح**] .

٧٣٦- وقال : « من نوقش الحساب عذب » .

ومنهـا : يوم السؤال والبـارى سبحـانه وتعالى يسـأل الخلق في الدنيـا والآخرة تقريراً لإقـامة الحـجة وإظهاراً لـلحكمة ، قال اللـه تعالى ﴿**سل بنى إسـرائيل كم آتينـاهم من آية بينة**﴾ وقـال :﴿ **واسـألهم عن القرية التى كـانت حـاضرة البحر**﴾ وقال: ﴿ **واسـأل من أرسلنا من قـبلك من رسلنا**﴾ وهو في القرآن كـثير وقـال :﴿ **ليـسـأل الصـادقـين عن صـدقـهم** ﴾وقال:﴿**وإذا الموؤودة سـئلت**﴾ وقال:﴿**فوربك لنسألنهم أجمـعين عما كانوا يعملون** ﴾ قـيل :عن لا إله إلا الله، وقال : ﴿ **إن السمع والبـصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مـسئولاً** ﴾ وقال عليه (الصلاة و)السـلام: « لا تزول قدما عـبد يوم القيـامة حتى يسـأل عن أربع » الحديث وسيأتى [**حديث صحيح**] .

٧٣٧- وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « ألا كلكم

راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسؤولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

ومنها : يوم الشهادة ، ويوم يقوم الأشهاد .

والشهادة على أربعة أنواع :

شهادة محمد ﷺ وأمته تحقيقاً لشهادة الرسل على قومها .

الثاني : شهادة الأرض والأيام والليالى بما عمل فيها وعليها .

الثالث : شهادة الجوارح ، قال الله تعالى :﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم** ﴾. وقال :﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**﴾ وذلك بين أيضا فى حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

الرابع :حديث أنس رضى الله عنه وفيه « ويختم على فيه ويقال لأركانه انطقى ، فتنطق بأعماله ، وسيأتى بيان هذا الباب كله إن شاء الله تعالى .

ومنها يوم الجدال ، قال الله تعالى :﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها**﴾ أى : تخاصم وتحاج عن نفسها . وجاء فى الخبر : « أن كل أحد يقول يوم القيامة نفسى نفسى من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد ﷺ فإنه يسأل فى أمته » على ما يأتى [**حديث صحيح**] .

٧٣٨- وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب : خوفنا ، هيجنا ، حدثنا ، نبهنا ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، والذى نفسى بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك تارات ولا يهمك إلا نفسك ، وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب إلا وقع جاثيًا على ركبتيه ، حتى إن إبراهيم الخليل ليدلى بالخلة فيقول رب ،أنا خليلك إبراهيم لا أسألك اليوم إلا نفسى قال: يا كعب : أين نجد ذلك فى كتاب الله تعالى ؟ قال : قوله تعالى: ﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا**

يظلمون ﴾ [خبر صحيح له طرق عديدة] .

٧٣٩- وقال ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية : ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد ، فتقول الروح : رب ، الروح منك ، أنت خلقته ، لم يكن لى يد أبطش بها ، ولا رجل أمشى بها ، ولا عين أبصر بها ، ولا أذن أسمع بها ، ولا عقل أعقل به ، حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى . فيقول الجسد : رب أنت خلقتنى بيدك فكنت كالخشبة ليس لى يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ، ولا بصر أبصر به ، ولا سمع أسمع به ، فجاء هذا كشعاع الشمس ، فبه نطق لسانى ، وبه أبصر عينى ، وبه مشت رجلى ، وبه سمعت أذنى ، فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى قال : فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعد أدخلا بستاناً فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا ينالها ، فنادى المقعد للأعمى :ائتنى فاحملنى آكل وأطعمك فدنا منه فحمله فأصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب ؟ قالا : عليهما ، قال : عليكم جميعاً العذاب .

قال المؤلف رضى الله عنه وأرضاه : ومن هذا الباب قول الأمم : كيف يشهد علينا من لم يدركنا إلى غير ذلك مما فى معناه حسب ما يأتى .

ومنها: يوم القصاص. وفيه أحاديث كثيرة(يأتى) ذكرها فى باب إن شاء الله تعالى .

ومنها : يوم الحاقة . وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها . قاله الطبرى كأنه جعلها من باب : ليلى نائم كما تقدم .

وقيل : سميت حاقة لأنها كانت من غير شك . وقيل : سميت بذلك لأنها أحقت (لأقوام الجنة وأحقت) لأقوام النار .

ومنها : يوم الطامة . معناها الغالبة من قولك : طم الشيء إذا علا وغلب ، ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء .

قال الحسن : الطامة النفخة الثانية، وقيل (هو):حين يساق أهل النار إلى النار .

ومنها : يوم الصاخة ، قال عكرمة : الصاخة : النفخة الأولى ، والطامة: النفخة الثانية ، قال الطبرى : أحسبه من صخ فلان فلانا إذا أصمه . قال ابن العربى : الصاخة التى تورث الصمم وإنها المسمعة ، وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال

بعض أحداث الأسنان حديثى الأزمان :

« أصم بك الناعى وإن كنت أسمعا »

وقال آخر :

أصمنى شرهم أيام فرقتهم ... فهل سمعتم بشر يورث الصمما ؟

ولعمرو الله إن صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة ، وبهذا كله كان يوماً عظيماً كما قال الله تعالى فى وصفه بالعظيم . وكل شيء كبر فى أجزائه فهو عظيم وكذلك ما كبر في معانيه، وبهذا المعنى كان البارى عظيما ، لسعة قدرته وعلمه وكثرة ملكه الذى لا يحصى ، ولما كان أمر الآخرة لا ينحصر كان عظيما بالإضافة إلى الدنيا ولما كان محدثاً له أول صار حقيرا بالإضافة إلى العظيم الذى لا يحد .

ومنها : يوم الوعيد وهو أن البارى سبحانه أمر ونهى ووعد وأوعد فهو أيضاً يوم الوعد والوعيد والوعد للنعم ، والوعيد للعذاب الأليم ، وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة ، والوعد : الخبر عن المثوبة عند الموافقة ، وقد ضل في هذه المسألة المبتدعة وقالوا : إن من أذنب ذنباً واحداً فهو مخلد فى النار تخليد الكفار أخذا بظاهر هذا اللفظ في آى فلم يفهموا العربية ولا كتاب الله تعالى ، وأبطلوا شفاعة رسول الله ﷺ وسيأتى الرد عليهم فى أبواب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ومنها : يوم الدين ، وهو فى لسان العرب الجزاء ، قال الشاعر :

حصادك يوماً ما زرعت وإنما ... يدان الفتى فيه كما هو دائن

وقال آخر :

واعلم يقيناً أن ملكك زائل ... واعلم بأنك كما تدين تدان

ومنها : يوم الجزاء . قال الله تعالى:﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ وقال :﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ وهو أيضا يوم الوفاء . قال الله تعالى: ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ أى حسابهم وجزاؤهم والجنة جزاء الحسنات والنار جزاء السيئات ، قال الله تعالى فى المعنيين :﴿ جزاء بما كانوا

يكسبون﴾ و﴿ **جزاء بما كانوا يعملون ﴾** وقال في جهة الوعيد ﴿**كذلك نجزى كل كفور﴾** .

ومنها : يوم الندامة . وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً ، وندم المسيء أن لا يكون استعتب ،فإذا صار الكافر إلى عذاب لا نفاد له تحسر ، فلذلك سمى يوم الحسرة قال الله تعالى : ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾** وذلك عند ذبح الموت على ما يأتى وهم في غفلة يعنى الآن عن ذلك اليوم . والحسرة : عبارة عن استكشاف المكروه بعد خفائه .

ومنها : يوم التبديل ، قال الله تعالى :﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾** وقد تقدم القول فى ذلك مستوفى .

ومنها : يوم التلاق ، قال الله تعالى :﴿ **لينذر يوم التلاق ﴾** وهوعبارة عن اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين . وهو أنواع أربعة:

الأول : لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا كما تقدم .

والثانى : عمله ، وقد تقدم .

الثالث : لقاء أهل السموات لأهل الأرض في المحشر، وقد تقدم .

الرابع : لقاء الخلق للبارى سبحانه وتعالى ، وذلك يكون فى عرصات القيامة وفى الجنة على ما يأتي .

ومنها : يوم الآزفة . تقول العرب أزف كذا أى : قرب قال الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لما نزل برحالنا وكأن قد

وهى قريبة جداً وكل آت قريب وإن بعد مداه قال الله تعالى :﴿ **وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾** وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة .

ومنها : يوم المآب . ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شيء فيرجع إليه ، وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله لما خلق فيه علما

وخلق فيه إيثارا واختياراً ظن الناس أنه شيء أو أن له فعلاً ، فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب في وقت لا ينفعه الإياب ، ولم يزل عن الله تعالى فى حال فهو الأواب .

ومنها : يوم المصير . وهو المآب بعينه قال الله تعالى :﴿ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير﴾ فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى . وآخر ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال الله تعالى في حق الكافرين : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ .

٧٤٠ – ومنها : يوم القضاء ، وهو أيضاً يوم الحكم والفصل وسيأتى أن أول ما يقضى فيه الدماء وقال ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها» الحديث وفيه كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، والفصل هو: الفرق والقطع فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن ، قال الله تعالى : ﴿ يوم القيامة يفصل بينكم ﴾ الآية وهو يوم الحكم لأن إنفاذ الحكم هو إنفاذ العلم قال الله تعالى :﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم﴾ الآية. وقال ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾.

ومنها : يوم الوزن ، قال الله تعالى : ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ الآية، وسيأتى الكلام في الميزان ووزن الأعمال فيه فى أبواب إن شاء الله (تعالى) .

ومنها : يوم عقيم . وهو فى اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد . ولما كان الولد يكون بين الأبوين ، وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع بالتعدية فيها كهيئة الولادة ، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم .

ومنها : يوم عسير . وهذا فى حق الكافرين خاصة . والعسر ضد اليسر فهو عسير على الكافرين ، لأنهم يرون فيه أملا ولا يقطعون فيه رجاء حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك ، فيقال لهم : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتى بيانه فى أبواب النار إن شاء الله تعالى ، وأما

المؤمنون فتنحل عقدهم بيسر إلى يسر ، فينحل طول الوقوف إلى تعجيل الحساب وتثقيل الموازين وجواز الصراط والظلال بالأعمال ، ولا تنحل للكافرين من هذه العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلى جهنم دار القرار .

ومنها : يوم مشهود سمي بذلك : لأنه يشهده كل مخلوق وقيل : سمى بذلك : لأن الشهداء يشهدون فيه على ما يأتي والله أعلم .

ومنها : يوم التغابن . سمى بذلك لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله: فريق في الجنة وفريق في السعير، وحقيقته في لسان العرب : ظهور الفضل في المعاملة لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار العملين وحالين وكل واحد منهما لله ولا يعطى أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الأخرى قال الله تعالى: ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**﴾ وقال : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور ، وحظه في الآخرة موفور .

ومنها : يوم عبوس قمطرير ، والقمطرير: الشديد وقيل الطويل، وأما العبوس فهو الذى يعبس فيه سمى باسم ما يكون فيه ، كما يقال ليل قائم ونهار صائم ، وكلوح الوجه ، وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغير السحنة عن عادتها الطلقة . ويقال : يوم طلق إذا كانت شمسه نيرة فاترة ، وإذا كانت شمسه مدجية قد غطاها السحاب .قيل : يوم عبوس وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال فى الصور القبيحة كما تقدم، وآخر ذلك كلوح النار وهو الكلوح الأعظم يشوى الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتى ، ومع العبوس تشخص الأبصار وهى ثبوتها راكدة على منظر واحد لهول لا ينتقل منه إلى غيره كما قال سبحانه ﴿**ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ .

ومنها:«يوم تبلى السرائر». ومعناه:إخراج المخبآت بالاختبار بوزن الأعمال في الصحف ويكشف الساق عند السجود على ما يأتي .

ومنها : يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . وهو مثل قوله (تعالى): ﴿**واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم**

ينصرون﴾ وقال (تعالى): ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئاً، بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه ، ولذلك كان يوم الفصل ويوم الفرار . قال الله تعالى : ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أما إنه يجزى ويقضى ويعطى ويغنى بغير اختياره من حسناته ما عليه من الحقوق على ما يأتى بيانه فى أحاديث المفلس إن شاء الله تعالى .

ومنها : ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾. والدع الدفع أى يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها على وجوههم كما قال تعالى : ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم ﴾ .

ومنها : يوم التقلب ، وهو: التحول . قال الله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر فلا هى ترجع إلى أماكنها ولا هى تخرج ، فأما تقلب الأبصار فالزرقة بعد الكحل والعمى بعد البصر . وقيل : تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والأبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بهم . وقيل : إن قلوب المشركين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة .

ومنها: يوم الشخوص والإقناع ، قال الله تعالى: ﴿ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أى لا تغمض فيه من هول ما ترى فى ذلك اليوم . قاله الفراء [حديث صحيح] .

٧٤١- وقال ابن عباس رضى الله عنه : تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغتمضون ﴿ مهطعين ﴾ أى :مديمى النظر .

قال مجاهد والضحاك : ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ أى رافعى رؤوسهم وإقناع الرأس : رفعه . قاله ابن عباس ومجاهد ، وقال الحسن : وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ، فإن قيل : فقد قال الله تعالى في غير هذه الآية : ﴿خاشعة أبصارهم﴾ وقال : ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظراً طويلاً حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر ؟.

فالجواب أنهم يخرجون حال المضى إلى الموقف خاشعة أبصارهم ، وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار ، وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم ، ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ، ولا يرتد إليهم طرفهم ،كأنهم قد نسوا الغمض أوجهلوه فهو تعسير عليهم .

ومنها :﴿ يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾.

وذلك حين يقال لهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ وتطبق عليهم جهنم على ما يأتى بيانه في أبواب النار .

ومنها : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ وإن أذن لهم بأن يمكنوا منها لا بأن يقال لهم اعتذروا كقوله:﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ الآية وكقوله ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ الآية .

ومنها : ﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾

ومنها : يوم الفتنة. قال الله تعالى:﴿ يوم هم على النار يفتنون﴾ أى يعذبون من قولك فتنت الذهب إذا رميت به فى النار .

ومنها : ﴿ يوم لا مرد له من الله﴾ يريد يوم القيامة أى : لا يرده أحد بعد ما

حكم الله به وجعل له أجلاً ووقتاً .

ومنها : يوم الغاشية . وسميت بذلك: لأنها تغشى الناس بإفزاعها . أى تعمهم بذلك ، ومنه غاشية السرج ، ومنها : ﴿**فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد**﴾ .

ومنها : يوم لا بيع فيه ولا خلال قال الله تعالى :﴿ **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** ﴾ والخلة والخلال الصداقة والمودة .

ومنها : يوم لا ريب فيه ، وإن وقع فيه ريب الكفار أ ى :شك فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال الله تعالى :﴿ **أفى الله شك**﴾ فليس فى الباري شك لقيام الأدلة عليه ، ولشهادة أفعاله ولا قتضاء المحدث أن يكون له محدث ، ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون ، ولم يوجب ذلك شكا فيه لقيام الأدلة عليه ، فكذلك يوم القيامة لا ريب ولا شك فيه مع النظر في الدليل والعلم ، فإذا خلق الله تعالى الرين (على القلب كان الشك، قال الله تعالى:﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور**﴾ .

ومنها : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ وسيأتى إن شاء الله تعالى .

٧٤٢- **ومنها** : يوم الأذان ، دخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله واحذر يوم الأذان فقال : وما يوم الأذان ؟ قال : قوله تعالى: ﴿ **فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**﴾ فصعق هشام ، فقال طاووس : هذا ذل الصفة

فكيف ذل المعاينة .

ومنها : يوم الشفاعـة قال الله تعالى : ﴿من ذا الذى يشـفع عنده إلا بإذنه﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وقال ﴿ لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ وقال :﴿فما لنا من شافعين﴾ وسيأتى بيانه .

ومنها : يوم العـرق ، وسيأتى بيـانه فى أحاديث في الباب بعـد هذا بحول الله وقوته .

ومنها : يوم القلق والجولان . وهو عبارة عن عدم الاسـتقرار والثبوت . ويقال قلق الرجل يقلق قلقاً إذا لـم يستقر ومثله جال يجول إذا لم يثبت .

ومنها : يـوم الفرار . قال الله تـعالى ﴿ يوم يفر المرء مـن أخـيه وأمـه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾ فيـفر كل واحـد من صاحـبه حذراً مـن مطالبته إيـاه إما لما بينهم من التبعات أو لئلا يروا ما هو فيه من الشدة ، قال عبد الله بن طاهر الأبهرى : يفـر منهم لما يتـبين له من عجـزهم وقلة حـيلتـهم إلى من يملك كـشف تلك الكروب والهـموم عنه ، ولو ظهـر له ذلك فى الدنيا لما اعـتمـد شيئًا سـوى ربه تعالـى ، وقال الحسن : أول من يفـر يوم القيامة من أبيـه إبراهيم ، وأول من يفر من ابنه نوح ، وأول من يفر من امـرأته لوط . وقال : فيرون أن هذه الآيـة نزلت فيهم ، وهذا فرار التـبرى نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبى الرحمة وصحبه الكرام البررة ، وجعلنا ممن حشر فى زمرتهم ولا خالف بنا عن طريقـهم ومذهبهم بمنه وكرمه آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٧٤٣- قال المؤلف (رضى الله عنه) : وقد سرد تسمية هذه الأيام على التوالى من غيـر تفسـير غـير واحد من الـعلماء ، منهـم ابن نجـاح في (سبل الخـيرات) ، وأبو حامد الغزالى فى غير موضع من كتبه (كـالإحياء) وغيره ، والقتبى فى كتاب (عيون الأخبـار)، وهذا تفسـيرها حـسب ما ذكره القـاضى أبو بكر بن العـربى في(سراج المريدين)، وربما زدنا عليـه في ذلك والحمد لـله على ذلك . ولا يمتنع أن تسمى غـير ما ذكـرنا بحسب الأحوال الكائنة فيـه من الازدحام والتضـايق واخـتلاف الأقـدام ، والخـزى ، والـهوان ، والـذل، والافـتقار ، والصغار ، والانكسـار ، ويوم الميقات ،

والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء ، وسيأتى التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى فى الباب بعد هذا .

باب ما يلقى الناس فى الموقف من الأهوال العظام والأمور الجسام

٧٤٤- قال المحاسبى فى كتاب(التوهم والأهوال) : يحشر الله الأمم من الإنس والجن عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك (أهل) الأرض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم علي عباد الله (تعالى) فى أرضه . ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خطيئة أصابتها حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار لذلك الجبار ، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان ، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها ، وجنها ، وشياطينها ، ووحوشها ، وسباعها ، وأنعامها، وهوامها ، تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم (وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون إلى هوله ثم انشقت بغلظها فوق رؤوسهم) وهى خمسمائة عام فيا هول صوت انشقاقها فى سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى: **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾** وقال **﴿يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن﴾** أى كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتها إلى الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحدارهم من السماء لعظيم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسى رؤوسهم لعظيم هول يومهم ، قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة والخضوع لربهم ، وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم فى العدة وعظم الأجسام

والأصوات حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ، ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوس فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن ، فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الأمم وتضايقت ودفع بعضها بعضا . واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الأرض، ثم على أقدامهم ، ثم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء ، فمنهم من يبلغ العرق منكبيه وحقويه ، ومنهم إلى شحمة أذنيه ، ومنهم من قد ألجمه العرق فكاد أن يغيب فيه .

قلت : ذكر المحاسبي وغيره أن انفطار السماء : انشقاقها بعد جمع الناس في الموقف ، وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم.

وقد جاء ذلك مرفوعًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد تقدم .

٧٤٥- وما ذكره المحاسبي مروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال:« إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وإنسهم ، فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء عن أهلها فينتشرون على وجه الأرض فلأهل السماء أكثر من أهل جميع الأرض جنهم وإنسهم بالضعف » . الحديث بطول ما ذكره ابن المبارك في رقائقه . قال : أخبرنا عوف عن أبي المنهال سيار بن سلامة الرياحي قال : أخبرنا شهر بن حوشب . قال : حدثني ابن عباس فذكره [**خبر صحيح**] .

٧٤٦- قال ابن المبارك وأخبرني جويبر عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمر الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ثم يأمر السماء التي تليها فينزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الأعلى في بهائه وجلاله وملكه وبجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة فذلك قوله تعالى ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا**

من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ والسلطان العذر ، وذلك قوله عز وجل ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ وقال ﴿وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها﴾ يعنى على حافاتها يعنى بأرجائها ما تشقق منها فبيناهم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب [خبر حسن] .

٧٤٧- قلت : ولا يصح إسنادهما ، فإن شهراً وجويبر قد تكلم فيهما وضعفوهما .

قال البخارى فى التاريخ: جويبر بن سعيد البلخى عن الضحاك قال لى على: قال يحيي : كنت أعرف جويبراً بحديثين ، ثم أخرج هذه الأحاديث بعد فضعفه ، وأما شهر فقال مسلم فى صدر كتابه: سئل ابن عوف عن حديث شهر وهو قائم على أسكفة الباب ، فقال :إن شهراً تركوه ، إن شهراً تركوه . قال مسلم : يقول أخذته ألسنة الناس تكلموا فيه ، وقال عن شعبة وقد لقيت شهراً فلم أعتد به .

٧٤٨- وذكر أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) نحواً مما ذكر المحاسبى عن ابن عباس رضى الله عنه والضحاك فقال: إن الخلائق إذا (جمعوا) فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصًا من المبعوثين إنسا وجناً ووحشاً وطيراً وحولوهم إلى الأرض الثانية ، وهى أرض بيضاء من فضة نورية ، وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقة واحدة ، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ، ثم إن الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم واحدة فإذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدثون من وراء الكل حلقة واحدة فإذا هم أكثر منهم ثلاثين ضعفا ، ثم تتنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة أكثر منهم بأربعين (ضعفًا)، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكةالسماء السابعة فيحدقون السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ، وتخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر وإلى الحقوين

وإلى الركبتين ، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام ، ومنهم من تصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء ، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها ، ويضاعف حرها سبعين مرة .

٧٤٩- وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وذابت الصخر وجفت الأنهار ، فبينما الخلائق يموجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله تعالى حيث يقول : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ وهم على أنواع في المحشر على ما تقدم في حديث معاذ ، والملوك كالذر كما قد ورد في الخبر في وصف المتكبرين وليس هم كهيئة الذر غير أن الأقدام عليهم حتى صاروا كالذر في مذلتهم وانخفاضهم ، وقوماً يشربون ماء بارداً عذباً صافياً ، لأن الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤوس من أنهار الجنة يسقونهم .

٧٥٠- وعن بعض السلف: أنه نام فرأى القيامة قد قامت ، وكأنه في الموقف عطشان وصبيان صغار يسقون الناس قال : فناديتهم ناولوني شربة، فقال :لي واحد منهم ألك فينا ولد ؟ فقلت : لا . فقال : فلا إذا ولهذا فضل التزويج . . ولهذا الولد الساقي شروط ذكرناها في (الإحياء) وقوم قدموا على رؤوسهم ظل يمنعهم من الحر وهي الصدقة الطيبة لا يزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقور الذي وصفناه في كتاب (الإحياء) وهو بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخشع الأبصار لعظيم نقره ، وتشتاف * الرؤوس من المؤمنين ، والكافرين يظنون أن ذلك عذاب يزداد بهم في هول يوم القيامة ، فإذا بالعرش تحمله ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة ، وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسبيح ، لهم هرج عظيم لا تطيقه العقول حتى يستقر العرش في تلك الأرض البيضاء التي خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة ، فتطرق الرؤوس وتخنس وتشفق البرايا وترعب الأنبياء وتخاف العلماء وتفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله سبحانه الذي لا يطيقه شيء إذ غشاهم نور حتى غلب عليه نور الشمس التي كانوا في حرها فلا يزالون يموج بعضهم في بعض ألف عام والجليل سبحانه لا يكلمهم

كلمة واحدة ، فحينئذ يذهب الناس إلى آدم فيقولون : يا أبا البشر، الأمر علينا شديد، وأما الكافر فيقول : يا رب أرحني ولو إلى النار من شدة ما يرى من الهول . يقولون: أنت الذى خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه اشفع لنا فى فصل القضاء وذكر أمر الشفاعة من نبى إلى نبى وأن ما بين إتيانهم من نبى إلى نبى ألف عام حتى تنتهى الشفاعة إلي نبينا محمدﷺ على ما يأتى(بيانه) من أمر الشفاعة فى أحاديث إن شاء الله تعالى، ونحو من هذا (أيضًا) ذكره الفقيه أبو بكر ابن برجان فى كتاب(الإرشاد) له قال : فإذا كان يومئذ جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد وكورت الشمس وانكدرت النجوم ومارت السماء فوق الخلائق مورا، وتفطرت من عظيم هول ذلك اليوم، وتشققت بالغمام المنزل عليهن من فوقهن، ثم صارت وردة كالدهان وكشطن سماء سماء ونزلت الملائكة تنزيلاً ،وقام الخلائق وطال قيامهم أقل ما قيل فى قيامهم مقدار أربعين عاماً إلى ثلاثمائة عام وأياماً كان فاليوم يسعه قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب إبل» الحديث وفيه «وردت عليه أولاها » فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وسيأتى بكماله وهم فى قيامهم ذلك فى الظلمة دون الجسر كما فى صحيح مسلم من حديث ثوبان عزاة عزلاً. أعطش ما كانوا وأجوع ما كانوا عليه قط عزاة، فلا يسقى ذلك اليوم إلا من سقى الله عز وجل ،ولا يطعم إلا من أطعم الله ، ولا يكسى يومئذ إلا من كسا لله ، ولا يكفى إلا من اتكل على الله. ومصداق هذا من كتاب الله عز وجل قوله الحق : ﴿يوفون بالنذر﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ أى من إزالة الجوع والعطش والعرى إلى غير ذلك من أهوال القيامة وأفزاعها على ما يأتى بيانه فى هذا الباب ، والذى يليه .

٧٥١- أبو بكر بن أبي شيبة ، عن أبي معاوية عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين . قال : فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل، قال سلمان : حتى يقول الرجل غرغر ، فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم . الحديث بطوله ، وسيأتى مرفوعًا من حديث أبي هريرة ، وأخرجه ابن المبارك قال : أنبأنا

سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدى عن سلمان قال : « تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحرية ولا يرى فيها عورة مؤمن ولا مؤمنة لا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة، وأما الآخرون أو قال الكفار (فتطحنهم طحناً) فإنما تقول أجوافهم : غق غق » قال نعيم : الطحرية : الخرقة ، وأخرجه هناد بن السرى ، حدثنا قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمى فذكره سواء إلا أنه قال : « ولا يجد حرها » بدل:« ولا يضر » وقال: «وأما الكافر أو الآخرون فتطبخهم طبخا حتى يسمع لأجوافهم غق غق» . [خبر صحيح] .

٧٥٢- مسلم عن سليم بن عامر،عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » قال سليم بن عامر فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أوالميل الذى تكحل به العين قال : « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه (العرق) إلجاماً » قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه ، وأخرجه الترمذي وزاد قوله تكحل به العين فتصهرهم الشمس [حديث صحيح] .

٧٥٣- وذكر ابن المبارك(قال): أخبرنا ملك بن مغول ، عن عبيد الله ابن العيزار قال : إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن والسعيد الذى يجد لقدميه موضعًا يضعهما عليه ، وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لا يكون بينها وبين رؤوسهم إما قال ميلاً أو ميلين ثم يزاد فى حرها بضعة وستون ضعفاً، وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى : ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا ، ألا إن فلان ابن فلان قد خفت موازينه وشقى شقاء لا يسعد بعده أبداً [خبر صحيح] .

٧٥٤- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو آذانهم » يشك ثور أيهما . قال : أخرجه البخارى [حديث صحيح] .

٧٥٥- وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ :﴿ يوم يقوم

الناس لرب العالمين ﴾ قال : « يوم يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه » أخرجه البخاري والترمذي وقال : حديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً

[حديث صحيح] .

٧٥٦- وروى هناد بن السري قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن المكتب ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن ، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى :﴿ ويل للمطففين ﴾ حتى بلغ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال : إن العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه

[خبر صحيح] .

٧٥٨- وقد خرج مسلم لابن وهب عن أبي هانئ نفسه عن (الختلى) عن عبد الله أحاديث ابن المبارك قال : أخبرنا الأوزاعى قال : سمعت بلال ابن سعيد يقول : إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله عز وجل ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ وقوله﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ [خبر صحيح] .

٧٥٩- وفى حديث جويبر عن الضحاك : فينزل الملك ومجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة فذلك قوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ والسلطان :العذر

[خبر صحيح] .

٧٦١- **فصل** : قلت : ظاهر ما رواه ابن المبارك عن سلمان أن الشمس لا يضر حرها مؤمنا ولا مؤمنة العموم فى المؤمنين ، وليس كذلك لحديث المقداد المذكور بعده ، وإنما المراد لا يضر حرها مؤمناً كامل الإيمان أو من استظل بظل عرش الرحمن كما في الحديث الصحيح : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » الحديث رواه الأئمة مالك وغيره وسيأتى في الباب بعد هذا (إن شاء الله تعالى).

وكذلك ما جاء أن المرء فى ظل صدقته وكذلك الأعمال الصالحة أصحابها فى ظلها إن شاء الله ، وكل ذلك من ظل العرش ،والله أعلم .

وأما غير هؤلاء فمتفاوتون فى العرق على ما دل عليه حديث مسلم ، قال ابن العربى : وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف ساقيه وإلى جانبيه مثلا يمنة من يبلغ كعبيه ، ومن الجهة الشمال من يبلغ ركبتيه ، ومن أمامه من يكون عرقه إلى نصفه ، ومن خلفه من يبلغ العرق صدره ، وهذا المعتاد فى الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذاً واحداً ولا يتفاوتون كما ذكرنا مع استواء الأرض ومجاورة المحل ، وهذا من القدرة التى تخرق العادات فى زمن الآيات [حديث صحيح] .

٧٦٢- وقال الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب (الإرشاد) له : ولا (يبعد) عليك هذا - يرحمك الله- أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد ومواقف سواء يشرب أحدهم أو بعضهم من الحوض ولا يشرب الغير ، ويكون النور يسعى بين يدي البعض فى الظلمات مع قرب المكان وازدحام الناس ، ويكون أحدهم يغرق في عرقه حتى يلجمه أو يبلغ (منه) عرقه ما شاء الله جزاء لسعيه فى الدنيا ،(وآخر) فى ظل العرش على قرب المكان والمجاورة ، وكذلك كانوا في الدنيا يمشى المؤمن بنور إيمانه في الناس والكافر فى ظلام كفره ، والمؤمن في وقاية الله وكفايته والكافر والعاصى فى خذلان الله لهما وعدم العصمة ، والمؤمن السنى يكرع فى سنة رسول الله ﷺ ، ويروى ببرد اليقين ويمشى فى (سبيل) الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان إلى ما روى المؤمن به حيران لا يشعر سالك في مسالك ضلالات البدع وهو لا يدرى ، وكذلك في الوجود الأعمى لا يجدنور بصر البصير ولا ينفعه دواء إنما هى بواطن وظواهر بطنت فتشعر لذلك وتفطن واستعن بالله يعنك ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

٧٦٣- وقال أبو حامد : واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ، ولو سلم ابن آدم من الجهل (والغرور) لعلم أن تعب (العرق) في تحمل

مصاعب الدنيا أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار فى القيامة ، فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته .

باب ما ينجى من أهوال يوم القيامة ومن كربها

٧٦٥- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» وذكر الحديث [حديث صحيح] .

٧٦٧- وقد ينجى منها كلها ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال : قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى »

[حديث صحيح] .

٧٦٨-وخرج عن حذيفة عن النبى ﷺ أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له:ما كنت تعمل ؟ فقال :(أما ذكروا ما ذكر ، فقال :) إنى كنت أبايع الناس ، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السكة أو فى النقد فغفر له» فقال له أبو مسعود رضى الله عنه : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ رواه مسلم من طرق ، وخرجه البخارى

[حديث صحيح] .

٧٦٩- وروى مسلم عن أبي قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريماً له فتوارى عنه ، ثم وجده فقال: إنى معسر. قال: آلله؟ فقال :آلله . قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:« من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » [حديث صحيح] .

٧٧٠- وعن أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله» خرجه مسلم [حديث صحيح] .

٧٧١- وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « من أنظر مديونًا فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطلبه » .

٧٧٢- وروى الأئمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» ، : معنى « في ظله » أي :في ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيراً في الحديث [حديث صحيح] .

باب في الشفاعة العامة لنبينا محمد ﷺ لأهل المحشر

٧٧٦- مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي النبي ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟فيقول بعض الناس لبعض :ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى (غيري، اذهبوا إلى)نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلي (ربك) ،ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي : نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ،فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ،اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع

لنا إلى ربك ، ألا ترى(إلى) ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفساً لم أو مر بقتلها ، نفسى نفسى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى(إلى)ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى:إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً . نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم وما تأخر ،اشفع لنا إلى ربك (ألا ترى إلى)ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى أمتى ، فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » وفى البخارى « كما بين مكة وحمير» [**حديث صحيح**] .

٧٧٧- **فصل** : هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه (الصلاة و)السلام : « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى » رواه الأئمة البخارى ومسلم وغيرهما، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هى ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهى الخاصة به ﷺ وقوله : «أقول: يا رب، أمتى أمتى » اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم ، وقوله : فيقال: يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم . وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذى وعده ،

ولذلك قال كل نبي : لست لها ، لست لها، حتى انتهى الأمر إلى محمدﷺ فقال: « أنا لها » [**حديث صحيح**] .

٧٧٨- وروى مسلم ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك » . وفي رواية «فيلهمون فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال : فيأتون آدم ، وذكر الحديث [**حديث صحيح**] .

٧٧٩- وذكر أبو حامد أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام ، وكذا بين كل نبي إلى محمد ﷺ .

وذكر أيضا أن الناس في الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم ، كمانع الزكاة والغال والغادر على ما يأتي بيانه ، وآخرون قد عظمت فروجهم وهي تسيل صديدا يتأذى بنتنها جيرانهم ، وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران ، وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح ما يكون ، وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكاذبون، وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسي وهم آكلو الربا وكل ذي ذنب قد بدا سوء ذنبه . قاله في كتاب (كشف(علم) الآخرة) ، وذكرفي آخر(هذا) الكتاب أن الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء والعلماء على منابر صغار ، ومنبر كل رسول على قدره ، والعلماء العاملون على كراسي من نور ، والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك ، وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب (الإرشاد) له : ويلهم رؤوس المحشر ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك [**حديث صحيح**] .

باب ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود

٧٨٠- الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال : فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا فاشفع لنا إلى (ربنا)

فيقول : أنا أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض (ولكن) ائتوا نوحاً (فيأتون نوحًا) فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن(اذهبوا) إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ:ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى ، فيقول : إني قد قتلت نفسًا ، ولكن ائتوا عيسى (فيأتون عيسى) فيقول: إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمداً ﷺ فيأتوني فأنطلق معهم » . قال ابن جدعان: قال أنس: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال :« فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها ، فيقال من هذا؟فيقال : محمد ، فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجدا لله فيلهمني من الثناء والحمد ، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك هو المقام المحمود الذي قال الله فيه : ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ . وقال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها ، قال الترمذي : حديث حسن [**حديث حسن**] .

٧٨١- وخرجه أبو داود الطيالسي بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنه فقال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا (أحمد حدثنا) علي بن زيد عن أبي نضرة قال : خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من نبي إلا وله دعوة،كلهم قد تنجزها في الدنيا وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ألا وإني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد تحته آدم ﷺ ومن دونه ولا فخر ، ويشتد كرب ذلك اليوم على الناس فيقولون:انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عز وجل حتى يقضي بيننا ». الحديث وفيه : فيأتون عيسى عليه(الصلاة و) السلام فيقولون:اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا،فيقول: إني لست هنا كم ،إني اتخذت وأمي إلهين من دون الله، ولكن أرأيتم لو أن متاعاً في وعاء قد ختم عليه أكان يوصل إلى ما في الوعاء حتى يفض الخاتم ؟ فيقولون : لا. فيقول : إن محمداً ﷺ قد حضر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال رسول الله ﷺ:«فيأتيني الناس، فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا فأقول: أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فإذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى مناد أين محمد

ﷺوأمته ؟ فأقوم وتتبعني أمتي غراً محجلين من أثر الطهور » قال رسول الله ﷺ:«فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب ويفرج لنا في الأمم عن طريقنا،ويقولون:كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها » وذكر الحديث

[حديث حسن] .

٧٨٢- وفي البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان ، اشفع ، يا فلان، اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » [خبر صحيح] .

٧٨٣- وروي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله(تعالى): ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ سئل عنها قال : «هي الشفاعة » . قال: هذا حديث (حسن)صحيح

[الحديث صحيح وإسناده ضعيف] .

٧٨٤- **فصل** : قوله : فيفزع الناس ثلاث فزعات إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان، فإذا نظرت إلى الخلائق فارت وثارت وشهقت إلى الخلائق وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضباً لغضب ربهم على ما يأتي بيانه في كتاب النار إن شاء الله تعالى ، فتتساقط الخلائق حينئذ على ركبهم جثاة حولها قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادى الظالمون بالويل والثبور . ثم تزفر الثانية فيزداد الرعب والخوف في القلوب . ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون من طرف خفي خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها . أجارنا الله منها .

فصل : واختلف الناس في المقام المحمود على خمسة أقوال :

٧٨٥- **الأول** : أنه الشفاعة(العامة) للناس يوم القيامة كما تقدم . قاله حذيفة ابن اليمان وابن عمر رضى الله عنهما [خبر صحيح] .

٧٨٧ - الثالث : ما حكاه الطبرى عن فرقة منها مجاهد . أنها قالت: المقام المحمود هو أن يجلس الله محمداً ﷺ معه على كرسيه ، وروت في ذلك حديثاً .

قلت : وهذا قول مرغوب عنه وإن صح الحديث ، فيتأول على أنه يجلسه مع أنبيائه وملائكته . قال ابن عبد البر في كتاب (التمهيد) : ومجاهد وإن كان أحد

الأئمة بتأويل القرآن فإن له قولين ، مهجورين عند أهل العلم . أحدهما : هذا ، والثانى : فى تأويل قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ قال : تنتظر الثواب وليس من النظر .

٧٨٨- الرابع : إخراجه طائفة من النار .(كما) روى مسلم عن يزيد الفقير قال : كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوى عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة ، فإذا جابر ابن عبد الله رضى الله عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال : إذا هو قد ذكر الجهنميين قال : فقلت له: يا صاحب رسول الله ﷺ: ما هذا الذى تحدثون والله تعالى يقول : ﴿ **ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾ ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ فما هذا الذى تقولون ؟ فقال : أتقرأ القرآن ؟ فقلت : نعم . فقال : فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعنى : الذى يبعثه الله عز وجل فيه ؟ قلت : نعم . قال فإنه مقام محمد ﷺ الذى يخرج الله به من يخرج . وذكر الحديث[**خبر صحيح**].

٧٨٩- وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ وفيه : « وقد سمعته يقول فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى : وجب عليه الخلود قال : ثم تلا هذه الآية :﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ قال : هو المقام المحمود الذى وعده نبيكم ﷺ .

الخامس:ما روى أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة وسيأتى[**حديث صحيح**].

٧٩٠- **فصل** : إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذى يتدافعه الأنبياء عليهم (الصلاة و)السلام حتى ينتهى الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم، فاعلم أن العلماء اختلفوا فى شفاعاته وكم هى ، فقال النقاش : لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات: العامة ، وشفاعة في السبق إلى الجنة وشفاعة فى أهل الكبائر . وقال ابن عطية في تفسيره : والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة في إخراج المذنبين من النار ، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء .

قال القاضى عياض : شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات :

الأولى : العامة .

الثانية : إدخال قوم الجنة بغير حساب .

الثالثة : فى قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفعه فيهم نبينا ﷺ ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هى التى أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة ، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهى الاستحقاق العقلى المبنى على التحسين والتقبيح .

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا(محمد ﷺ) وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين .

قلت : وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها .

الخامسة : فى زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها . قال القاضى عياض : وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول .

٧٩١- قلت : وشفاعة سادسة لعمه أبى طالب فى التخفيف عنه ، كما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » فإن قيل : فقد قال الله تعالى :﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ قيل له : لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة [**حديث صحيح**] .

٧٩٢- **فصل** : واختلف العلماء (أيضاً) هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها ويشفقون على أنفسهم منها أم لا بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن الصغائر التى تزرى بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته إجماعاً ؟ عند القاضى أبي بكر وعند الأستاذ أبى بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم فقال الطبرى وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين : تقع

الصغائر منهم خلافاً للرافضة حيث قالوا: إنهم معصومون من جميع ذلك كله ، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لاخفاء به .

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى : إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر (أجمعها) لأنا أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقا من غير التزام قرينة ، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة والحظر أو (المعصية) ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين .

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني : واختلفوا فى الصغائر والذى عليه الأكثرون أن ذلك غير جائز عليهم ومال بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة .

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول : والذى ينبغى أن يقال : إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا ، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا تقبل التأويل جملتها ، وإن قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وإنما تلك الأمور التى وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك فهى بالنسبةإلى غيرهم حسنات ، وفى حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس فأشفقوا من ذلك فى موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة (قال) وهذا هو الحق .

ولقد أحسن الجنيد رضى الله عنه حيث قال : حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم صلوات الله عليهم وسلامه وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح فى رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم (واختارهم) واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه .

باب من أسعد الناس بشفاعة النبيﷺ [يوم القيامة]

٧٩٤- البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قلت :يا رسول الله ،

من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد(أولى) منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » [حديث صحيح] .

باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب ،وإعطاء الكتب باليمين والشمال ،ومن أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة ، وفي كيفية وقوفهم للحساب وما يقبل منهم من الأعمال ، وفي دعائهم بأسماء آبائهم ، وبيان قوله تعالى : ((يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ وفي تعظيم خلق الإنسان الذي يدخل الناس به النار أو الجنان ، وذكر القاضي العدل ، ومن نوقش عذب

٧٩٦- قال الترمذي : وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا** » [خبر صحيح] .

٧٩٨- البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « من حوسب يوم القيامة عذب » .قالت: فقلت يا رسول الله ، أليس قد قال الله:﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حساباً يسيراً** ﴾ ؟ فقال: « ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » أخرجه مسلم والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**] .

٨٠١- وذكره الترمذي الحكيم فى (الأصل السادس والثمانين) قال : فروى لنا عن رسول الله ﷺ : « أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة ، فأما عرضتان : فجدال ومعاذير ، وأما العرضة الثالثة :فتطاير الصحف ، فالجدال لأهل الأهواء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم وإلى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم إلى النار ، فإنه يجب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرًا حتى لا

تأخذهم الحيرة».

٨٠٢- ولذلك قيل عن رسول الله ﷺ :« لا أحد أحب إليه المدح من الله (تعالى) ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبهم حتى يذوق وبال الحياء ويرفض عرقاً بين يديه ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم » [حديث صحيح] .

٨٠٤- أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ :« ما يبكيك » ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : « أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً . عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز» [حديث حسن] .

٨١٠- وروى أن عيسى عليه(الصلاة و)السلام مر بقبر فوكزه برجله وقال: ياصاحب هذا القبر قم بإذن الله فقام إليه رجل ، قال : يا روح الله ما الذى أردت (منى) فإنى لقائم فى الحساب منذ سبعين سنة حتىٰ أتتنى الصيحة الساعة أن أجب روح الله ، فقال(له)عيسى : يا هذا، لقد كنت كثير الذنوب والخطايا ما كان عملك؟ فقال : والله يا روح الله ، ما كنت إلا حطابا أحمل الحطب على رأسى آكل حلالاً وأتصدق ، فقال عيسى : يا سبحان الله حطاباً يحمل الحطب على رأسه ، يأكل حلالاً ويتصدق وهو قائم فى الحساب منذ سبعين سنة ، ثم قال له : يا روح الله كان من توبيخ ربى لى أن قال : اكتراك عبدى لتحمل له حزمة ، فأخذت منها عوداً فتخللت به وألقيته في غير مكانه امتهاناً منك بى ، وأنت تعلم أنى أنا الله المطلع عليك وأراك؟! .

٨١١- **فصل** : قال الله تعالى:﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه**﴾ قال الزجاج : ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادةللعنق ، وقال إبراهيم بن أدهم:كل آدمى فى عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فإذا مات طويت وإذا بعث

نشرت وقيل له: ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنه: طائره عمله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ قال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير أمى.

وقال أبو السوار العدوى: وقرأ هذه الآية ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ قال: هما نشرتان وطية أما ما حييت يا ابن آدم، فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مت طويت، حتى إذا بعثت نشرت ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها. قال الله تعالى: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً﴾ فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾.

وقد تقدم القول فى محاسبة الله تعالى لخلقه فى يوم الحساب من أسماء القيامة، فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله تعالى على ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب الذى يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التى كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه، وأنشدوا:

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً   مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق   على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل   فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا

[٢١٩/ صحيح التذكرة / صحابة]

لما قـــرأت ولـــم تـــنكـر قـــراءتــه (أقررت) إقرار من عرف الأشياء عـرفانا
نادى الجليل : خـــذوه يا ملائكتـي وامـضـوا بعبـد عـصى للنار عطشـانا
المشـركـون غـدا في النار يلتـهـبـوا والمؤمـــنون بـــدار الخلد سـكـانـاً

فتـوهم نفسك يـا أخي إذا تطايرت الكتـب ونصبت الموازين وقـد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلى العرض على الله تعالى ، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بـالدعاء إذ قرع النداء قلبـك ، فعلمت أنك المطلوب ، فـارتعدت فرائصك ، واضطربت جوارحك ، وتغير لونك ، وطار قلبك ، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعـرض عليه والوقوف بين يـديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك .

فتـوهم نفسك وأنت بين يدي ربـك في يدك (صحيـفتك) مـخبرة بـعملك لا تغـادر بلية كـتمتـها ولا مـخبـأة أسررتهـا ، وأنت تقرأ مـا فيـها بلسـان كليل وقلب منكسر، والأهوال محـدقة بك من بين يديك ومن خـلفك ، فكم من بلية قـد كنت نسيتها (ذكركها)، وكم من سيئـة قد كنت أخفيتها وقد أظهرها وأبداها ، وكم من عـمل ظننت أنه سلم لك وخلص فـرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كـان أملك فيـه عظيمـاً ، فيا حـسرة قلبك ويا أسـفك على ما فـرطت فيه مـن طاعة ربك **﴿فأما من أوتي كتـابه بيمينه﴾** فـعلم أنـه من أهل الجنة **﴿ فيقـول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾** (أي: هاكم) وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه .

فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعي باسمه واسم أبيه فيتقدم ، حتى إذا دنا أخـرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات ، فيبـدأ بالسيئات فيقـرؤها فيشفق ويصفر وجهـه ويتغير لونه ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد غفرت لك ، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً ، ثم يقلب كتابه فـيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحـاً ، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيـه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فـيبيض وجهه ، ويؤتى بتـاج فيوضع على

رأسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل فيه ويطول ستين ذراعاً وهى قامة آدم ، ويقال له : انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فإذا أدبر قال :﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ قال الله تعالى: ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾: أى مرضية قد رضيها ﴿ فى جنة عالية ﴾ في السماء ﴿ قطوفها ﴾ : ثمارها وعناقيدها ﴿ دانية ﴾ أدنيت منهم فيقول لأصحابه : هل تعرفوننى؟ فيقولون قد غمرتك كرامة الله ، من أنت ؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان ، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ أى قدمتم فى أيام الدنيا .

وإذا كان الرجل رأسا فى الشر يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه نودى باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود فى باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجو ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً ولا يزداد وجهه إلا سواداً ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك أي يضاعف عليه العذاب ليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل . قال : فينظر إلى النار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ، ويقال له : انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول : ﴿ يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضيه﴾ يعنى:الموت ﴿هلك عنى سلطانيه﴾ تفسير ابن عباس رضى الله عنهما هلكت عنى حجتى . قال تعالى ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ﴾ أى اجعلوه يصلى الجحيم ﴿ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ﴾ والله أعلم أى ذراع ،(قاله)الحسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما : سبعون ذراعا بذراع الملك . وسيأتى فى كتاب (النار)

لهذه السلسلة مزيد بيان ، فاسلكوه فيها أى: تدخل من فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبى ، وقيل :(بالعكس) ، وقيل: يدخل عنقه فيها ثم يجر بها ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لأذابته فينادى أصحابه فيقول: هل تعرفوننى فيقولون : لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزى فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا .

وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه (يدخلها و)يأخذ بها كتابه ، وقال مجاهد : يحول وجهه فى موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك ، فتوهم نفسك إن كنت من السعداء وقدخرجت على الخلائق مسرور الوجه ، قد حل لك الكمال والحسن والجمال ،كتابك في يمينك آخذ بضبعيك ملك ينادى على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

أما إن كنت من أهل الشقاوة فيسود وجهك وتتخطى الخلائق ، كتابك فى شمالك أو من وراء ظهرك تنادى بالويل والثبور وملك آخذ بضبعيك ينادى على رؤوس الخلائق ، ألاإن فلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

باب فى قوله تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾

٨١٣- الترمذى عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على برج دمشق ، فقال أبو أمامة: « كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ إلى آخر الآية فقلت لأبى أمامة الباهلى : أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عد سبعاً ما حدثتكموه، قال : هذا حديث حسن

[حديث صحيح] .

باب فى قوله تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية

٨١٩- وقد روى أن النبى ﷺ ضرب بصغائر الذنوب مثلاً فقال : «إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل منهم يحتطب فجعل الرجل يجيء بالعود والآخر بالعودين، حتى جمعوا سواداً

وأججوا ناراً فشووا خبزهم ، وأناالذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله ، واتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً [حديث صحيح] .

٨٢٠ أنبأنا الشيخان أبو محمد عبد الوهاب القرشي(والفقيه)الإمام أبو الحسن الشافعي قالا:أخبرنا السلفي قال: أخبرنا الثقفي(قال)، أخبرنا أبو طالب محمد بن (محمد بن أحمد بن) محمش الزيادي إملاء بنيسابور قال : أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي قال : أخبرنا محمد بن حماد الأبيوردي قال : أخبرنا أنس ابن عياض الليثي ، عن أبي حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » غريب من حديث أبي حازم سلمة بن دينار تفرد به عنه أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي، ولقد أحسن القائل :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال جماعة من العلماء : إن الذنوب كلها كبائر ، قال بعضهم : لا تنظر إلى صغر الذنوب ، ولكن انظر من عصيت فهي من حيث المخالفة كبائر ، والصحيح أن فيها صغائر وكبائر ليس هذا موضع الكلام في ذلك ، وقد بيناه في سورة النساء في كتاب جامع أحكام القرآن ، والله أعلم [حديث صحيح] .

باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى :﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ وقال :﴿ ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ وقال ﴿قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي ما عملتموه وقال ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ أي سأل عن ذلك

ويجازى عليه والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال ﴿ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴾ .

٨٢١- الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الناس يا رسول الله : عن أى نعيم نسأل ، فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا ؟ قال: « إن ذلك سيكون » [حديث حسن] .

٨٢٢- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد » قال الترمذى : حديث غريب [حديث صحيح] .

٨٢٤- مسلم عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن جسده فيم أبلاه ؟ وعن عمله ما عمل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟» خرجه الترمذى ، وقال فيه : حديث حسن صحيح ، ورواه عن ابن عمرعن ابن مسعود رضى الله عنهما عن النبى ﷺ وقال فيه :حديث غريب لا أعرفه إلا من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس ، والحسين يضعف في الحديث[حديث حسن] .

٨٢٥- وفى الباب عن أبي برزة وأبى سعيد ، قلت : ومعاذ بن جبل أخبرناه الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب بثغر الإسكندرية قراءة عليه قال: قرأ على البيهقى وأنا أسمع قال : حدثنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن على العلاف ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران المعدل ، وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى بمكة فى شوال سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو سعيد الفضل بن محمد الجندى إملاء فى المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين قال:أخبرنا صامت بن معاذ الجندى،(قال:حدثنا) عبد الحميد عن سفيان بن سعد الثورى،عن صفوان بن سليم،عن عدى ابن عدى عن الصنابجى ،عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن

عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن مـاله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن عمله ماذا عمل فيه ؟ » [حديث حسن] .

٨٢٧- مسلم عن صفوان بن محرز قال : قال رجل لابن عمر رضي الله عنه. كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : « يدنى المؤمن يوم القيـامة حتى يضع عليه كنفـه فيقرره بذنوبه ، فـيقول هل تعرف ؟ فـيقول : رب أعرف . قال فيقول : إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . قال : فيعطى صحيفـة حسناته ، وأمـا الكفار والمنافقـون، فينادى بهم علـى رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا عـلى الله . أخرجه البـخارى وقـال في آخره :﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [حديث صحيح] .

قـال المؤلف (رضى الله عنه): خـرجـه مسلـم بمعناه وسيأتى آنفـا إن شـاء الله تعالى.

٨٢٩- وخرج أبو القـاسـم إسحاق بن إبراهيـم الختلى في كتـاب الديباج له . حـدثنا هارون بن عبـد الله قال : حـدثنا سيار قـال : حدثنا جـعفـر قال : حـدثنا أبو عـمران الجـونى عن أبى هريرة رضى الله عنه قـال:« يدنى الله العبد منه يوم القـيامـة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه فى ذلك الستر فيقول له : اقرأ يا ابن آدم كتابك قال : فيـمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ، ويمر بالسيئة فيسود لها وجـهه ، قـال : فيـقـول الله تعالى له: أتـعرف يا عـبدى ؟ قـال : فـيقـول نعم يا رب أعرف، قـال : فيـقول : (فـإنى) أعرف بهـا منك، قد غـفرتهـا لك ، قال : فـلا تزال حسنة تقبل فـيسجد وسيئة تغـفر فيسجد ، فـلا يرى الخلائق منه إلا ذلك حتى ينادى الخلائق بعضهـا بعضاً طوبى لهذا العبد الذى لم يعص قط فلا يدرون ما قـد لقى فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه » [خبر حسن] .

٨٣٠- قلت : نسـخـة مـن هنا إلى الفـصل قـوله: لا يزول ، أخـبـرنا الشـيخ الراوية القرشى عبد الوهاب قراءة عليه بثغر الإسكندرية حماه الله ، قال : قرئ على الحـافظ السلفى ، وأنا أسـمع ،قال : حـدثنا الحـاجب أبو الحـسن بن العلاء ، وقـال : أخبرنا أبو القـاسـم بن بشران ، أخبرنا الآجرى ، حـدثنا أبو عبد الله محمـد بن أحمد

ابن موسى السونيطي . حدثنا أحمد بن أبي رجاء المصيصي ، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا الأعمش عن المعرور ابن سويد ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها ، فيقال له : عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا ثلاث مرات ، قال : وهو يقر ليس ينكر قال : وهو مشفق من الكبائر أن تجيء قال : فإذاأراد الله به خيراً قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة ، فيقول حين طمع : يا رب إن لي ذنوباً ما رأيتها ها هنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. ثم تلا ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ خرجه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير قال : حدثنا الأعمش فذكره [حديث صحيح] .

٨٣١- **فصل** : قوله :«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل»:عام لأنه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه(الصلاة و)السلام ، «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » على ما يأتي [حديث صحيح] .

٨٣٢- وبقوله لمحمد عليه(الصلاة و) السلام : أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن الحديث وقد تقدم .

وبقوله تعالى :﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ (على ما يأتي) قوله عليه (الصلاة و)السلام : « وعن عمله ما عمل فيه » .

قلت : هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه ، وإنما قال: ما عمل فيه فلينظر العبد ما عمل فيما علمه هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله (تعالى) عليه بقوله ﴿ أولئك الذين صدقوا﴾ أو خالف علمه بفعله فيدخل في قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ [حديث صحيح] .

وقيل: في صغائر اقترفها ، وقيل :كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها ، وأما ما كان بينه وبين العباد فلابد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتي وقيل : ما خطر بقلبه ما لم يكن في وسعه ويدخل تحت كسبه، ويثبت في نفسه وإن لم يعمله وهذا اختيار الطبرى والنحاس وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسراً بقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ فتكون الآية على هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم .

قد بينا فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان والحمد لله .

٨٣٤- وروى عن ابن مسعود أنه قال : « ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة » وهذا مأخوذ من حديث النجوى ، ومن قوله عليه الصلاة والسلام: « لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» خرجه مسلم [حديث صحيح] .

٨٣٥- وفى صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضى الله عنه: « من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة [حديث صحيح] .

٨٣٦- وروى « من ستر على مسلم عورته ، ستر الله عورته يوم القيامة» [حديث حسن لغيره] .

٨٣٧- قال أبو حامد : فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ، ولم يحرك لسانه بذكر مساوئ الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه،فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة.

٨٣٨- فصل : وفى قوله : «سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة فى ترك إنفاذالوعيد على العصاة من المؤمنين، والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى ... ولا أختشى من روعة المتهدد
وإنى متى أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدي

قال ابن العربى : إنه كذلك عند العرب ، وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبدا خبره إلا على وفق مخبره كان ثواباً أو عقاباً ، فالذى قال المحققون في

ذلك قول بديع ، وهو أن الآيات وقعت مطلقة في الوعد والوعيد عامة فخصصتها الشريعة ، وبينها البارى تعالى فى كتابه فى آيات أخر ، كقوله :﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقوله تعالى :﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾الآية وكقوله تعالى :﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو﴾ وبالشفاعة التى أكرم الله (تعالى)بها (محمداً)ﷺ ومن شاء من الخلق من بعده .

باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

٨٣٩- مسلم عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النارتلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » زاد ابن حجر قال الأعمش: وحدثنى عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدى مثله وزاد فيه «ولو بكلمة طيبة». أخرجه البخارى والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**] .

قلت : قوله:ما منكم من أحد مخصوص بما ذكرناه في الباب قبل أى ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب من أمتى إلا وسيكلمه الله ، والله أعلم .فتفكر فى عظيم حياتك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول : يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادي واستخففت بنظرى إليك فلم تكترث به ، واستعظمت نظر غيرى ألم أنعم عليك فماذا غرك بى ؟.

٨٤١- وعن ابن مسعود قال:«ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بى ؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك؟وهكذا عن سائر

الأعضاء فكيف ترى حياءك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك؟فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك ، فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد (المؤمنين) أن يستر (عليهم) ، ولا يطلع (عليهم) غيره كما ذكرنا ، وذلك بفضل منه

وهل يكلم الكفار عندالمحاسبة لهم ؟فيه خلاف تقدم بيانه فى أسماء القيامة ويأتى أيضاً فى باب ما جاء فى شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ، ولقائهما بالله عز وجل مستوفى إن شاء الله تعالى [**خبر صحيح**] .

٨٤٢- **فصل** : فإن قيل : أخبر الله تعالى عن الناس أنهم مجزيون محاسبون ، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول فى ذلك عندكم ؟ وهل يكلمهم الله؟ فالجواب: أن الله تعالى أخبر أن الإنس والجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم : ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا**﴾الآية وهذا سؤال فإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله ، ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل ، قال « منكم » وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس في الخطاب كما تغلب المذكر على المؤنث، وأيضًا لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال :« منكم » فيصير الرسل فى مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتهما عرصة القيامة ، فلما صاروا فى تلك العرصة فى حساب واحد فى شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة لأن بدء خلقهم للعبودية كما قال تعالى :﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾والثواب والعقاب على العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار، وأصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا ، ومنهم مؤمن وكافر ، وعدونا إبليس عدو لهم يعادى مؤمنهم ويوالى كافرهم ، وفيهم أهواء شيعية، وقدرية ومرجئة وهو معنى قوله: ﴿ **كنا طرائق قدداً** ﴾

وقيل : إن الله تعالى لما قال : ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك**

أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دخل في الجملة الجن والإنس ، فثبت للجن من وعد الجنة لعموم الآية ما ثبت للإنس .

فإن قيل : فما الحكمة فى ذكر الجن مع الإنس فى الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم فى الوعد ؟

فالجواب :أنهم قد ذكروا أيضاً فى الوعد لأنه سبحانه يقول: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) ثم قال: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ وإنما أراد لكل من الإنس والجن فقد ذكروا فى الوعد مع الإنس .

فإن قيل :فقد ذكر يخاطب الجن والإنس فى النار لأن الله تعالى قال : ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق﴾إلى قوله ﴿ولوموا أنفسكم﴾ (قال تعالى): ﴿ وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ ولم يأت عن تفاوض الفريقين في الجنة خبر . قيل : إنما ذكر من تفاوضهم فى النار أن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذى كان قرينه فى الدنيا: إنه أطغانى وأضلنى فيقول له قرينه :ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالاً بنفسه ولا سبب بين الفريقين يدعو أهل الجنة فيهما إلى التفاوض فلذلك سكت عنهما ، وأيضًا فإن الله تعالى أخبر الناس أن عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون في النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان ، وهذا المعنى مقصود فى الأخبار ، فلهذا سكت عن ذلك فى الوعد .

باب القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينصفوا منه

٨٤٣- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لتؤد الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»

[حديث صحيح].

٨٤٤- البخارى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أخذه منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

٨٤٥- مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس من أمتى ، من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » [**حديث صحيح**] .

٨٤٦- وخرج ابن ماجه ، حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء ،حدثنا عمى محمد بن سواء عن حسين المعلم ، عن مطر الوراق ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته، ليس ثم دينار ولا درهم من ترك دينا أو ضياعاً فعلى الله ورسوله »
[**حديث صحيح**] .

٨٤٧- الحارث بن أبى أسامة ، وعن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:« يحشر الله العباد أو قال :الناس - شك - وأومأ بيده إلى الشام عراة غرلا بهمًا ، قال : ما بهمًا ؟ قال : ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب : أنا الملك ، وأنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، قال : قلنا : كيف وإنما نأتى الله عراة حفاة ، قال: بالحسنات والسيئات »

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا الحديث الذى أراد البخارى بقوله، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد .
[**حديث صحيح**].

٨٤٨- سفيان بن عيينه ، عن مسعر عن عمرو بن مرة قال : سمعت الشعبى

يقـول : حدثنـي الربيع بن خيـثم وكـان من مـعادن الصـدق قـال : إن أهل الدين فى الآخرة أشـدتقاضياً له منكـم فى الدنيا يحبس لهـم فـيأخذونه فيـقول : يا رب ألست تراني حافـياً ؟ فيـقول : خذوا من حـسناته بقدر الذى لهم ، فإن لـم يكن له حسنات يقول : زيدوا على سيئاته من سيئاتهم .

٨٥٠- وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال : دخلت على ابن مسعـود فوجدت أصحـاب الخز واليمنة قد سـبقونى إلى المجلس ، فقلـت: يا عبد الله، من أجل أنى رجل أعجمى أدنيت هؤلاء وأقصيـتنى ، قال : ادن فدنوت حتى ما كان بينى وبينه جليس فسـمعته يقول : يؤخذ بيد العـبد أو الأمة فينصب على رؤوس الأولين والآخـرين ، ثم ينادى مناد: هذا فلان ابـن فلان فـمن كان له حق فليـأت إلى حقه ، فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنهـا أو أختها أو أبيها أو على زوجها، ثم قرأ ابن مسعود﴿ **فلا أنسـاب بينهم يومئذ ولا يتـساءلون** ﴾، فيقـول الرب تعالى للعبـد : ائت هؤلاء حقهم ، فـيقول : يا رب ، فنيت الدنيـا فمن أين أوتيهم ؟ فيـقول للملائكة : خذوا من أعـماله الصالحة فأعـطوا كل إنسان بقدر طلبته ، فـإن كان وليا لله فضلت من حسناته مثـقال حبة من خردل من خير ضاعفـها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ﴿**إن الله لا يظلم مـثقال ذرة وإن تك حـسنة يضاعفـها ويؤت من لدنه أجرًا عظيماً** ﴾ وإن كان عبداً شقيـاً قالت الملائكة :رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة . خذوا من أعمالهـم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكا إلى النار [خبر حسن] .

٨٥٢- وروى رزين عن أبي هريرة قـال : كنا نسمع أن الرجل يتـعلق بالرجل يوم القيامـة وهو لا يعرفه فيقول : مـالك إلي وما بينى وبينك معرفة ؟ فـيقول : كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى. وقال ابن مسعود : تفرح المرأة يوم القيامة أن يكون لهـا حق وعلى أبيهـا أو ابنها أو أخيهـا أو زوجهـا أو أختـها ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ .

٨٥٣- ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : لما رجعت إلى رسول الله ﷺ

مهاجرة البحر قال : ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة»؟ فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبتها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا . قال:يقول رسول اللهﷺ : «صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ».

[حديث صحيح] .

٨٥٤- فصل : أنكر بعض المتغفلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله إعجاباً برأيهم وتحكماً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمدﷺ بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة ، فقالوا : لا يجوز فى حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها ، وهذا زعموا جوراً وأولوا قول الله تعالى :﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ فكيف تصح هذه الأحاديث وهى تخالف ظاهر القرآن وتستحيل فى العقل ؟ .

والجواب : أن الله سبحانه وتعالى لم يبن أمور الدين على عقول العباد، ولم يعد ولم يوعد على ما تحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم ، بل وعدوا وعداً بمشيئته وإرادته وأمر ونهى بحكمته ، ولو كان كلما لا تدركه العقول مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع عقول العباد ، وذلك أن الله (سبحانه و)تعالى أوجب الغسل بخروج المنى الذي هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأئمة ، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذى لا خلاف بين الأئمة وسائر من يقول بالعقل وغيره فى نجاسته وقذارته ونتنه ، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير المتفاحش ، فبأى عقل يستقيم هذا وبأى رأى تجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد على الريح نتناً وقذراً ، وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم ، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك . ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيهما سواء ، وأعطى الأم من ولدها الثلث ، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن ترث

الإخوة من ذلك شيئًا ، فبأى عقل يدرك هذا إلا تسليما وانقياداً من صاحب الشرع إلى غير ذلك ، فكذلك القصاص بالحسنات والسيئات ، وقد قال وقوله الحق﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا﴾ الآية ، وقال: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ وقال: ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ وهذا يبين معنى قوله تعالى:﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد ، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها ، كما تقدم في أسماء القيامة عند قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا﴾ .

٨٥٥- **فصل** : وإذا تقرر هذا ، فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه ، كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصير فى فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده (وسوء ظنه) بقلبه ، ويطيب قلوبهم حتى يموت ، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب ، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته ، وهذا يقول ظلمتنى ، وهذا يقول شتمتنى ، وهذا يقول استهزأت بى ، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوؤنى وهذا يقول : جاورتنى فأسأت إلى جوارى ، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول : با يعتنى وأخفيت عنى عيب متاعك ، وهذا يقول : كذبت فى سعر متاعك ، وهذا يقول رأيتنى وأخفيت عنى عيب متاعك ، وهذا يقول رأيتنى محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتنى ، وهذا يقول وجدتنى مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتنى ، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم ، وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو

استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار:﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ﴾فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال:﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ إلى قوله﴿ لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾.

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم ! وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل ، وشوفهت بخطاب السيئات ، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقًا أو تظهر عذراً !، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى (خصمائك) عوضاً عن حقوقهم ، كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب .

فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ويقال : لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه ، وقيل : يؤخذ بدانق قسط سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم . ذكره القشيري في(التحبير) له عند اسمه المقسط الجامع [أثر صحيح] .

٨٥٦- قال أبو حامد : ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل ، لعلمت أنه لا (ينقضي) عليك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك . فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام،(والشبهات) والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ؟﴿ ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك ؟ فتقول أين حسناتي ؟ فيقال : نقلت إلى صحيفة خصمائك ، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك ،فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط . فيقال : هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء ، وظلمتهم في المعاملة والمبالغة والمجاورة

والمخاطبة، والمناظرة والمذاكرة والمدارسة ، وسائر أصناف المعاملة ، فاتق الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع ، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم (فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الإخلاص) من حيث لا يطلع عليه إلا الله (تعالى) فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه ، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذى ادخره لأرباب المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم على ما يأتى بيانه فى باب إرضاء الخصوم بعد هذا إن شاء الله تعالى .

٨٥٧- **فصل** : قوله فى الحديث : فيناديهم بصوت استدل به من قال: بالحرف والصوت . وأن الله يتكلم بذلك تعالى الله عما يقوله المجسمون والجاحدون علواً كبيراً ، وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره ، ومثل ذلك سائغ فى الكلام غير مستنكر أن يقول القائل نادى الأمير وبلغنى نداء الأمير كما قال تعالى ﴿ **ونادى فرعون فى قومه** ﴾ وإنما المراد: نادى المنادى عن أمره وأصدر نداءه عن إذنه، وهو كقولهم أيضاً : قتل الأمير فلاناً ، وضرب فلاناً، وليس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال ، ولكن المقصود صدورها عن أمره ، وقد ورد فى صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشاد : ألا إن فلان ابن فلان كما تقدم .

٨٥٨- ومثله ما جاء فى حديث التنزيل مفسراً فيما أخرجه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع (فيستجاب) له ؟ هل من مستغفر(فيغفر) له ؟ هل من سائل يعطى »؟ صححه أبو محمد عبد الحق ، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء ، فهذا التأويل فيه وأن ذلك من باب حذف المضاف .والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور فى كتاب (الديانات).

٨٥٩- فإن قال بعض الأغبياء : لا وجه لحمل (هذا) الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه (أنا الديان) وليس يصدر هذا الكلام حقا وصدقاً إلا من رب العالمين .

قيل له : إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين ، والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى ﴿ إنى أنا الله ﴾ فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكر لكلام الله تعالى ودال عليه بأصواته ، وهذا بين ، وقد أتينا عليه فى الصفات من كتاب (الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا).

٨٦٠- **فصل** : واختلف الناس فى حشر البهائم وفي قصاص بعضها من بعض ، فروى عن ابن عباس أن حشر الدواب والطير موتها ، وقال الضحاك : وروى عن ابن عباس فى رواية أخرى: أن البهائم تحشر وتبعث ، (و) قاله أبو ذر ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والحسن البصرى ، وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ وقوله ﴿ **ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ .

٨٦١- وقال أبو هريرة : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والطير والدواب وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول : كونى تراباً فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار :﴿ **ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا** ﴾ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي الخبر : إن البهائم إذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار ، فذلك قوله تعالى : ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾ أى:غبار ، وقالت طائفة : الحشر فى قوله تعالى ﴿**ثم إلى ربهم يحشرون**﴾ راجع إلى الكفار . وما تخلل من قوله تعالى :﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء**﴾ كلام معترض وإقامة حجج ، وأما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص (والاغيا) فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه وأنه لا محيص لمخلوق عنه ، وعضدوا ذلك بما روى فى غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة ، فقال : حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء ، وللحجر لما ركب الحجر ، والعود لما خدش العود . قالوا : فظهر من هذا أن المقصود التمثيل

المفيد للاعتبار والتهويل ، لأن الجمادات لا تعقل خطابها ولا عقابها وثوابها ولم يصر إليه أحد من العقلاء ومتخيله من جملة المعتوهين الأغبياء . أجاب بعض من قال إنها تحشر وتبعث بأن قال : إن من الحكمة الإلهية أن لا يجرى أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا على سنة مسنونة وحكمة موزونة [خبر حسن] .

ومن قال هنا بما قالته طائفة من المتوسمة بالعلم المتسمة بالفقه والفهم على الزعم أن الجامد لا يفقه والحيوان غير الإنسان لا يعقل وإنما هو منزل فى الحيوان ولسان حال فى الجامد والنامى ، قال: إن الله تعالى يقول في الضالين المكذبين : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ ولو كان عندها عقل أو فهم ما نزل بالكافر الفاسق إلى درجتها في موضع التنقيص والتقصير ، والله سبحانه قد وصفه بالموت والصمم فى موضع التبصير والتذكير ، فقال : ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ﴾ وقال: ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ﴾ ﴿ صم بكم عمى فهم لايرجعون ﴾ .

قيل له : ليس الأمر كما ذكرت ولا الحق على شيء مما زعمت ، وأنه ليس عليك من حيث الزعم ورؤية النفس في درجة العلم أبدا من الآية التى وقفت فيها إلى(الآية)التى قبلها إن شئت ،فارجع بصرك فى الذى رأيت تجده قد وصفهم عز وجل بالموت والصمم ، كما وصفهم بالعمى والبكم وليسوا فى الحقيقة الظاهرة بموتى ولا صم ولا بعميان ولا بكم ، وإنما هم أموات بالعقول والأذهان عن صفة الإيمان وحياة دار الحيوان . صم عن كلمة الأحياء ، عمى عن النظر فى مرآة وجوه الأخلاء ، كذلك وصف الأنعام بضلال وليست فى الحقيقة بضلال من حيث شرعتها وحكمتها ، وإنما ذلك من حيث قد كنا وافقنا فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول:﴿ وما من دابة فى الأرض ﴾ إلى قوله ﴿يحشرون ﴾فوربك لنحشرنهم جماً غفيراً ولنحاسبن حساباً يسيراً ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً،وأنه تعالى لا يسأل إلا عاقلاً ولا يحاسب إلا مفضولاً (وفاضلاً)،وإنما

جعل لكل موجود من موجوداته فى أشتات الخلائق وأجناس العوام دار دنيا ودار أخرى،وجعل لها أفلاكاً وآفاقاً وظلماً وأضواء،فكل فى فلكه،وأفقه بليله ونهاره وسمعه وبصره وعلمه وفهمه، وحاكم من عقله أو جهله،وقائم بنحلته وحكمته وسنته وشرعته ،فأدنى وأعلى من الروحانية الأقصى إلى الجمادية الأقسى،فالملائكة الروحانية فى مصافها ترانا من حيث لا(نعلم) وتعلم منا أكثر مما نعلم،وإنها لتشاهد من نقصنا وقلة عقلنا فى الموضع الذى يجب العلم به وإعمال العقل فيه ما تحكم به علينا أكثر مما نحكم به على الأنعام من قلة العقل وتحقيق المعرفة ، فمن نظر فيه نظر إلى الأنعام وجدها من حيث نحن لا من حيث فلكها وأفقها ولا تسمع ولا تعقل إلا ميزاً ما قدر ما تتسخر به وتتذلل طبعاً ، فتلقن المراد منها من هذا الفن خاصة لا غير وأما ما نحن بسبيله من تصرفات وتعملات فليس لها ذلك من حيث الفلكية التى أحازتها عنا والأفقية التى اقتطعتها منا ، فهى فى طرقاتنا ضلال وبتعملاتنا وأحوال تصرفاتنا جهال ، وأما من حيث شرعتها وباطن رؤيتها فعارفة عقال .

٨٦٢- قال رسول الله ﷺ حين أخذ الجمل القضم الذى ند وامتنع بحائط بنى النجار وغلب الخلق عن أخذه والوصول إليه حتى جاء ﷺ فلما مشى إليه ورآه الجمل برك لديه وجعل يمر بمشفره على الأرض بين يديه تذللاً وتسخيراً فقال ﷺ «هات الخطام »فلما خطمه ورأى الناس يعجبون منه رد رأسه إليهم فقال : « ألا تعجبون -أو كما قال- إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله غير عاصى الجن والإنس » [**حديث حسن**] .

٨٦٣- وثبت فى الصحاح عن النبى ﷺ أنه قال:«ما من دابة إلا وهى مصيخة بأذنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة » [**حديث صحيح**] .

٨٦٤- وقال ﷺ :« لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » [**حديث صحيح**] .

٨٦٥- قال المؤلف رحمه الله : خرجه مالك في موطئه وابن ماجه فى سننه واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدرى ، وقد تقدم أن الميت يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان ، وفى رواية: إلا الثقلين . والأخبار فى هذا المعنى كثيرة قد أتينا على جملة منها فى هذا الكتاب ، فكل حيوان وجماد محشور لما عنده من الإدراك

والمشاهدة والحضور من حيث هي لا من حيث نحن . قال الله تعالى ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ وقال : ﴿**ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال**﴾ وقال عز من قائل:﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب**﴾ لا يقال إن هذا السجود والتسبيح لسان حال ليس بلسان المقال ،فإنا نقول هذا مجاز والله سبحانه يقص الحق كما أخبر في كتابه: ﴿**إن الحكم إلا لله يقص الحق** ﴾ .

ومن نظر بنور الله جاز العين إلى المعنى وحل الرمز وفك المعمى وهم إنما نظروا من حيث هم ومن حيث العقل البشرى ولم ينظروا الحياة الفلكية من حيث هي فغابوا عن الحضور ، وجمدوا على القصور﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ .

٨٦٦- قلت : هذا كله صحيح لحديث أبي سعيد الخدرى المذكور وهو صحيح ،وكذلك حديث أبي هريرة في شهادة الأرض بما عمل عليها ، وهو صحيح وكذلك حديث أبي سعيد الخدرى في شهادة المال صحيح وسيأتي .

٨٦٧- وقد روى ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن مروان ، عن الهزيل، عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه مر بشاتين تنتطحان فقال : « إن الله تعالى ليقضين يوم القيامة لهذه الجلحاء من هذه القرناء » [**حديث حسن**] .

٨٦٨- وذكر ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر بن سوادة أن أبا سالم الجيشاني حدثه أن ثابت بن طريف استأذن على أبي ذر فسمعه رافعاً صوته يقول : أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك . قال ثابت : فدخلت فقلت: ما شأنك يا أبا ذر ؟ قال : هذه قلت: وما عليك إن رأيتك تضربها قال : « والذي نفسي بيده أو نفس محمد بيده لتسئلن الشاة فيما نطحت صاحبتها وليسئلن الجماد فيما نكب أصبع الرجل » [**حديث حسن**] .

٨٦٩- وروى عن شعبة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه عن أبي

ذر قال:رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان ، فقال: « يا أبا ذر أتدرى فيم تنتطحان»؟ قلت : لا، يا رسول الله ، قال : « لكن الله يدرى ويقضى بينهما يوم القيامة » أخرجه أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا شعبة قال: أخبرنى الأعمش ، قال : سمعت منذر الثورى يحدث عن أصحاب له عن أبي ذر بلفظه ومعناه.

[**حديث حسن**] .

٨٧١- وذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيرى فى(التحبير) له فقال : فى خبر الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة: ليس هذا يوم سجود، هذا يوم الثواب والعقاب ، وتقول البهائم : هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله (تعالى) من بنى آدم ويقال إن الملائكة تقول للبهائم : لم يحشركم الله جل ثناؤه لثواب ولا لعقاب وإنما يحشركم تشهدون فضائح بنى آدم . ذكره القشيرى فى اسمه المقسط الجامع . وهذا قول ثابت فتأمله .

٨٧٢- **فصل** : ظن بعض العلماء أن الصيام مختص بعامله موفراً له أجره ولا يؤخذ منه شيء مظلمة ظلمها متمسكا بقوله تعالى :« الصيام لى وأنا أجزى به » وأحاديث هذا الباب ترد قوله ، وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياماً كان أو غيره ، وقيل : إن الصوم إذا لم يكن معلوما لأحد ولا مكتوباً فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبؤه عليه ، حتى يكون له جنة من العذاب ، فيطرحون أولئك عليه سيئاتهم فيذهب عنهم ويقيه الصوم فلا يضر أصحابها لزوالها عنهم ولا له لأن الصوم جنته. قال القاضى أبو بكر بن العربى فى (سراج المريدين) : وهو تأويل حسن إن شاء الله تعالى ولا تعارض والحمد لله [**حديث صحيح**] .

باب منه

٨٧٣- أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبى ﷺ عن آبائهم دنية عن رسول الله ﷺ قال : « ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه فى حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » صححه أبو محمد عبد الحق [**حديث حسن**] .

باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

٨٧٦- وقال ابن أبي الدنيا ، وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل قال : بلغني أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي ، وما يكابدون في طلب مرضاتي أتراني أنسى لهم عملاً كيف وأنا أرحم الراحمين بخلقي، لو كنت معاجلاً بالعقوبة أحداً أو كانت العقوبة من شأني لعاجلت بها القانطين من رحمتي ، ولو يرى عبادي المؤمنون كيف أستوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم في جواري إذا ما اتهموا فضلي وكرمي .

٨٧٧- **فصل** : قلت : وهذا لبعض الناس ممن أراد الله أن لا يعذبه بل يعفو عنه ويغفر له ويرضى عنه خصمه وقد يكون هذا في الظالمين الأوابين وهو قوله تعالى ﴿**إنه كان للأوابين غفوراً**﴾ والأواب : الذي أقلع عن الذنب فلم يعد إليه . كذا تأوله أبو حامد ، وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فيمن يكون له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به ويرضى (عنه) خصماؤه كما تقدم ، وظاهر حديث أنس الخصوص بذينك الرجلين لقوله : رجلان ولفظ التثنية لا يقتضي الجمع إلا ما روى في الحديث :« مثل المنافق كالشاة العابرة بين الغنمين » خرجه مسلم وليس هذا موضعه ، ولو كان ذلك في جميع الناس ما دخل أحد النار [**حديث صحيح**] .

باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ

٨٧٩- روى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال : أين الأمة الأمية ونبيها ؟ فنحن الآخرون الأولون ». وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما : « فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غراً محجلين من آثار الوضوء فتقول الأمم :كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها».خرجه أبو داود الطيالسي في مسنده بمعناه وقد تقدم . [**حديث حسن**] .

باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله : الصلاة وأول ما يقضى فيه بين الناس : الدماء ، وفي أول من يدعى للخصومة

٨٨٠- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » أخرجه البخاري أيضاً والنسائي والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. وللنسائي أيضاً عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أول

ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء » [حديث صحيح] .

٨٨١- وفي البخاري عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه (أنه قال): «أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة » يريد قصته في مبارزته هو (وأصحابه) الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر : وفيهم نزلت : ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ الآية ، والخبر بهذا مشهور صحيح خرجه البخارى ومسلم وغيرهما . [حديث صحيح] .

٨٨٣- حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ، حدثنا أبو عاصم الضحاك ، عن مخلد ، حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب وخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضى من حديث نافع ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول : «يأتي المقتول معلقاً رأسه بإحدى يديه متلبباً قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دماً حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه : هذا قتلنى ، فيقول الله تعالى للقاتل : تعست ، ويذهب به إلى النار » [حديث صحيح] .

٨٨٤- وخرجه ابن المبارك موقوفاً على عبد الله بن مسعود قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله فذكره بمعناه [خبر حسن] .

٨٨٥- وخرجه الترمذى في جامعه قال : حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً يقول : يا رب ، قتلنى هذا حتى يدنيه من العرش » قال : هذا حديث حسن غريب [حديث صحيح] .

٨٨٦- مالك عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء: الصلاة ، فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظرفى شيء من عمله .

قلت : وهذا الحديث وإن كان موقوفاً بلاغاً ، فقد رواه الترمذى والنسائى مرفوعاً بهذا المعنى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم : الصلاة . قال يقول ربنا عز وجل

لملائكته : انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » لفظ أبى داود وقال الترمذى: حديث (حسن) غريب وخرجه ابن ماجه أيضاً [**حديث صحيح**] .

٨٨٧- **فصل** : قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك ، وأما من تعمد تركها أو شيئا منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم .

وقد روى من حديث الشاميين فى هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكونى ، عن عبد الله بن قرط ، عن النبى ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه زيد فيها من تسبيحاته حتى تتم » قال(أبو عمرو) : هذا لا يحفظ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه وليس بالقوى وإن كان صح كان معناه:(أنه) أخرج من صلاة قد أتمها عند نفسه وليس فى الحكم بتامة (والله أعلم) [**حديث صحيح**] .

٨٨٨- **قلت** : ينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود ، وحضور قلب . فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك فى نفله ولا يتساهل فيه ولا فى تركه ، ومن لا يحسن أن يصلى الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لا جرم بل تنفل الناس فى أشد ما يكون من النقصان والخلل فى التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به ، ولعمر الله لقد يشاهد فى الوجود من يشار إليه ويظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك ، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون ، وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل ما نقص من الفرض هيهات هيهات ! فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى : ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا**﴾وقال جماعة من العلماء: التضييع للصلاة هو:أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها ، ولا

يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها قالوا : فأما من تركها أصلاً ولم يصلها فهو كافر .

٨٨٩- وروى الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ: « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» وقال : حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود .

قال الشافعي وأحمد وإسحاق : من لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبي ﷺ :« لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » [**حديث صحيح**] .

٨٩٠- وروى البخاري عن زيد بن وهب عن حذيفة ، ورأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى صلاته قال له حذيفة : ما صليت ولو مت مت على غير سنة محمد ﷺ . وأخرجه النسائي أيضاً عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يصلي فخفف فقال له حذيفة : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال منذ أربعين عاماً قال : ما صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة (محمد صلى الله عليه وسلم) ، ثم قال : إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً قد أتينا عليها في غير هذا الباب وهي تبين لك المراد في قوله تعالى : ﴿**أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات**﴾ [**خبر صحيح**] .

٨٩١- وروى النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب (به) العبد يوم القيامة (عن) صلاته ، فإن وجدت تامة ،كتبت تامة ، وإن كان انتقص منها شيئاً قال : انظروا ، هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه ؟ ثم سائر الأعمال تجري على ذلك ، وهذا نص. وقال عمر رضي الله عنه : ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع [**حديث صحيح**] .

٨٩٢- قلت : ولا اعتبار بقول من قال:إن الواجب من أركان الصلاة ومن الفصل بين أركانها أقل ما(ينطلق) عليه الاسم ، وهو أبو حنيفة ، وأشار إلى ذلك القاضي عبد الوهاب في تلقينه ، وهو يروى عن ابن القاسم ، لأن من اقتصر على ذلك صدق عليه أنه نقر الصلاة ، فدخل في الذم المترتب على ذلك بقوله عليه

(الصلاة و)السلام : « تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » . رواه مالك في موطئه ومسلم في صحيحه [**حديث صحيح**] .

٨٩٣- والأحاديث الثانية تقضي بفساد صلاته كما بيناه مع قوله عليه (الصلاة و)السلام : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم » خرجه مسلم [**حديث صحيح**] .

٨٩٤- وفي موطأ مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن النعمان بن مرة الأنصاري ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما ترون في الشارب والسارق والزاني؟ قال : وذلك قبل أن ينزل فيهم ، قالوا الله ورسوله أعلم . قال : هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسرق صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها » [**حديث صحيح لغيره**] .

باب منه

٨٩٦- ابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله (عز وجل) ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ، فإذا لقن الله عبداً حجته قال : يا رب ، رجوتك وفرقت من الناس [**حديث صحيح**] .

٨٩٧- ورواه الفريابي قال : حدثنا سفيان عن زيد ، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه، إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه (فيقال) يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه ، فيقول له أي ربي ، خفت الناس ، فيقال : إياي كنت أحق أن تخاف » ، قال الوائلي أبو نصر ، ورواه أحمد بن عبد الله بن يونس(بن) عبد الله اليربوعي الكوفي ، قال : حدثنا زهير قال : حدثنا عمر(و) بن قيس عن (عمر) بن مرة المعنى واحد ، وهذا محفوظ من الطريقين عن(عمر) بن مرة ومخرجه من الكوفة [**حديث صحيح**] .

باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى :﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ وقال (الله عز وجل): ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ وقال: ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا (قالوا أنطقنا الله﴾ الآية .

٨٩٩ - وذكر أبو بكر بن أبى شيبة من حديث معاوية بن حيدة (القشيرى) أن النبى ﷺ قال : « تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام وأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه » وقد تقدم [حديث صحيح] .

٩٠٠- مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله ﷺ (فضحك) فقال : « هل تدرون (مم) أضحك » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال: « من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ، ألم تجرنى من الظلم ؟ قال : يقول : بلى قال : فيقول : فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى قال : كفى بنفسك اليوم عليك (شهيداً) وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال:فيختم على فيه فيقال لأركانه : انطقى فتنطق بأعماله، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام قال : فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » [حديث صحيح] .

٩٠١- الترمذى عن أبي سعيد وأبى هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ، وسخرت لك الأنعام ، والحرث(وتركتك) ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول : اليوم أنساك كما نسيتنى » . قال : هذا حديث (حسن) صحيح غريب ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة بأطول من هذا وقد تقدم [حديث صحيح] .

٩٠٢- البخارى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : « يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً كنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم، فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك ». وأخرجه مسلم وقال بدل

« قد كنت » : «كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك » [**حديث صحيح**] .

٩٠٣- **فصل** : قوله عليه (الصلاة و)السلام « فأول ما يتكلم من الإنسان فخذه » يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزى على ما نطق به الكتاب في قوله : ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ لأنه كان في الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل ما يفعل خائفاً مشفقاً فيجزيه الله بمجاهرته (والإشارة)بفحشه على رؤوس الأشهاد .

والوجه الآخر : أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به، بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التى لم تكن ناطقة فى الدنيا فتشهد على سيئاته ، وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم أى لفروجهم فى قول زيد بن أسلم . لم شهدتم علينا ؟ فتمردوا فى الجحود فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء ، نعوذ بالله منهما .

٩٠٤- **فصل** : قوله : (وتركتك ترأس وتربع) أى : ترأس على قومك بأن يكون رئيساً عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب ، وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم الربع ويسمونه : المرباع، قال شاعرهم:

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

وقال آخر :

منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد فى الأحياء

يقال : ربع الجيش يربعه رباعة: إذا أخذ ربع الغنيمة. قال الأصمعى : ربع في الجاهلية وخمس فى الإسلام .

وقوله : اليوم أنساك كما نسيتنى أى : اليوم أتركك فى العذاب كما تركت عبادتى ومعرفتى .

٩٠٥- فإن قيل : فهل يلقى الكافر ربه ويسأله ؟ قلنا : نعم بدليل ما ذكرنا . وقد قال تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم** ﴾فى أحد التأويلين وقال : ﴿ **ولو**

ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ وقال :﴿ أولئك يعرضون على ربهم﴾ وقال :

﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ الآيتين. وقال﴿ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا

حسابهم﴾ وقال: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل

خطاياكم﴾ إلى قوله: ﴿ وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ والآية فى

هذا المعنى كثير .

٩٠٦- فإن قيل : قد قال الله تعالى :﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ

بالنواصى والأقدام﴾ وقال عليه (الصلاة و)السلام: « يخرج عنق من النار فيقول:

وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد وكل من جعل مع الله إلهًا آخر وبالمصورين » .

قلنا : هذا يحتمل أن يكون بعد الوزن والحساب وتطاير الكتب في اليمين

والشمال وتعظيم الخلق كما تقدم ويدل عليه قوله : وبالمصورين فإنهم وإن كانوا

موحدين فلا بد لهم من سؤال وحساب وبعده يكونون أشد الناس عذاباً ، وإن

كانوا كافرين مشركين فيكون ذكرهم تكراراً فى الكلام ، على أنا نقول :

[حديث صحيح]

٩٠٧- قال بعض العلماء : ذكر الله تعالى الحساب جملة وجاءت الأخبار

بذلك ، وفى بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ،

فصار الناس إذاً ثلاث فرق : فرقة لا يحاسبون أصلاً ، وفرقة تحاسب حساباً يسيراً

وهما من المؤمنين ، وفرقة تحاسب حساباً شديداً يكون منها مسلم وكافر ، وإذا

كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله ، فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو

أدنى إلى غضب الله، فيدخله النار بغير حساب .

٩٠٨- وقد ذكر ابن المبارك في(رقائقه)عن شهر بن حوشب عن ابن عباس

أن بعد أخذ النار هؤلاء ، تنشر الصحف وتوضع الموازين، وتدعى الخلائق للحساب.

فإن قيل : فقد قال (الله) تعالى:﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾

وقال : ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ وقال: ﴿ولا يكلمهم الله﴾ وهذا

يتناول بعمومه جميع الكفار .

قلنا : القيامة مواطن : فموطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لا يكون فيه ذلك فلا يتناقض الآى ، والأخبار والله المستعان [خبر صحيح] .

٩٠٩- قال عكرمة : القيامة مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها ، وقال ابن عباس : لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ .

قال أهل التأويل عن لا إله إلا الله : وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذى كان طول العمر دثارهم وشعارهم وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها ، فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها وعن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم .

وقال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ والآى فى هذا المعنى كثيرة ومن تأمل آخر سورة المؤمنون: ﴿ **فإذا نفخ فى الصور** ﴾ إلى آخرها تبين له الصواب فى ذلك والحمد لله على ذلك .

٩١٠- وذكر ابن المبارك ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : « إن بعد أخذ النار هؤلاء الثلاثة ، تنشر الصحف ، وتوضع الموازين ويدعى الخلائق للحساب » وشهر : ضعفه مسلم فى كتابه وغيره [خبر صحيح] .

باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام بما عمل فيها وعليها وفي شهادة المال على صاحبه وقوله تعالى :﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾

٩١٥- قال: وأخبرني ابن أبي خالد رضي الله عنه قال:سمعت أبا عيسى يحيى بن رافع يقول: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ قال : سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

٩١٦- وخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ وفيه : « وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل -أو كما قال رسول الله ﷺ - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة ، وقد تقدم أنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة » . رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ ورواه الأئمة مالك وغيره .

قال المؤلف (رضى الله عنه) : فتفكر يا أخى ، وإن كنت شاهدا عدلاً بأنك مشهود عليك فى كل أحوالك من فعلك ،ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذي لا تخفى عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا أين ، قال الله تعالى ﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير . سبحانه لا إله إلا هو [حديث صحيح] .

باب ما جاء في سؤال [الله تعالى] الأنبياء وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء على أممهم

قال الله تعالى :﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ ، وقال ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾فيبدأ بالأنبياء عليهم(الصلاة و)السلام:﴿فيقول ماذا أجبتم﴾ قيل في تفسيرها :كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا :﴿ لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ثم يقربهم(الله تعالى) فيدعى نوح عليه(الصلاةو)السلام ويقال : إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم ، فيذهلون عن الجواب.ثم إن الله يثبتهم ويحدث لهم ذكراً فيشهدون بما أجابت به أممهم ويقال: إنما قالوا ذلك تسليماً كما فعل المسيح في قوله﴿تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ والأول أصح لأن الرسل يتفاضلون ، والمسيح من أجلهم لأنه كلمة الله وروحه ، قاله أبو حامد .

٩١٨- وخرج ابن ماجه ، حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «يجيء النبى يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبى ومعه الثلاثة ، وأكثر من ذلك فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم ؟ فيقولون لا فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال : هل بلغ هذا ؟ فيقولون : نعم : فيقول : وما علمكم بذلك ؟ فيقولون : أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [حديث صحيح] .

٩١٩- وذكره البخارى أيضًا بمعناه عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول : هل

بلغت؟ فيقول : نعم ،فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [حديث صحيح] .

٩٢٢- وقد قيل للأصمعي : تزعم أنك أحفظهم لكتاب الله قال : يا ابن أخي يوم أسمعه من رسول الله ﷺ كأني ما سمعته ، فإذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء من قبل سرادقات الجلال : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾فيرتج الموقف ويقوم فيه روع عظيم والملائكة قد امتزجت بالجن والجن ببني آدم ، والكل لجة واحدة ثم يخرج النداء : يا آدم ابعث بعث النار ، فيقول : كم يا رب ؟ فيقال له : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة على ما يأتي بيانه ، فلا يزال يستخرج من سائر الملحدين والغافلين والفاسقين حتى لا يبقى إلا قدر حفنة الرب (تعالى) كما قال الصديق رضي الله عنه : نحن حفنات بحفنات الرب سبحانه وتعالى ، على ما يأتي إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في الشهداء عند الحساب

٩٢٣- قال العلماء : وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم ، قال الله تعالى﴿وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق﴾ وقال:﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾، وشهيد كل أمة : نبيها . وقيل: إنهم كتبة الأعمال وهو الأظهر، فتحضر الأمة ورسولها . فيقال للقوم : ماذا أجبتم المرسلين ؟ ويقال للرسل : ماذا أجبتم ؟ فتقول الرسل : لا علم لنا على ما تقدم في الباب قبل ، ثم يدعى كل واحد على الانفراد فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتبها، فإنه قد أخبر في الدنيا أن عليه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها .

٩٢٤- وذكر أبو حامد في(كتاب كشف علم الآخرة) أن المنادي ينادي من قبل الله لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ، فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق ، فما من صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها

ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا ، وذلك أن أعمال الخلائق تعرض على الله(تعالى) فى كل يوم فيأمر الكرام البررة أن ينسخوها في ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى :﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ثم ينادى بهم فرداً فرداً فيحاسب كل واحد منهم، فإذا الأقدام تشهد واليدان . وهو قوله تعالى: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ وقد جاء فى الخبر أن رجلاً منهم يوقف بين يدى الله تبارك وتعالى فيقول له : يا عبد السوء كنت مجرماً عاصياً ، فيقول : ما فعلت ؟ فيقال له : عليك بينة فيؤتى بحفظته فيقول: كذبوا على فتشهد جوارحه عليه فيؤمر به إلى النار ، فيجعل يلوم جوارحه ، فتقول له: ليس عن اختيارنا ﴿أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء﴾ وقد تقدم هذا المعنى مستوفى ، وتقدم أن الأرض والأيام والليالى والمال ممن يشهد ، وإذا قال الكافر لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى ختم على فيه فتشهد أركانه كما تقدم .

باب ما جاء فى عقوبة ما نعى الزكاة وفضيحة الغادر والغال فى الموقف وقت الحساب

٩٢٦-- مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى(الله) بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . قيل : يا رسول الله، فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ، ومن حقها : حلبها يوم وردها (إلا)إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليها أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل : يا رسول الله، فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منه شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة، حتى يقضى(اللـه) بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار »
وذكر الحديث : أخرجه البخاري بمعناه [حديث صحيح] .

٩٢٧ وروى مالك موقوفاً والنسائي والبخاري مرفوعاً عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني :شدقيه، ثم يقول : أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون﴾ الآية

[حديث صحيح] .

٩٢٨ وذكر مسلم من حديث جابر قال :« ولا صاحب كنز لا يؤدى فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه : خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بدله منه، سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل » وذكر الحديث [حديث صحيح] .

٩٢٩ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله ، أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك،لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامةعلى رقبته فرس له حمحمة، يقول يا رسول الله ، أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول يا رسول الله : أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول : لا أملك لك من (الله شيئاً) قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله ، أغثني فأقول :لا أملك لك (من الله) شيئا قد أبلغتك » أخرجه البخاري أيضاً [حديث صحيح] .

٩٣٠ وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان » [حديث صحيح] .

٩٣١- وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة » [حديث صحيح] .

٩٣٢ - وذكر أبو داود الطيالسى قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن عبدالملك بن عمير ، عن رافع بن شداد ، عن عمرو بن الحمق الخزاعى أن النبى ﷺ قال « إذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة» .

[حديث صحيح]

٩٣٣- **فصل** : قال علماؤنا رحمهم الله فى قوله تعالى :﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾ أن ذلك على الحقيقة كما بينه ﷺ أى: يأتى به حاملاً له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوباً بصوته وموبخاً بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد ، وكذلك مانع الزكاة كما فى صحيح الحديث .

قال أبو حامد : فمانع زكاة الإبل يحمل بعيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ، ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم ، ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء،وثقل يعدل الجبل العظيم، والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف ، ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله أعدالاقد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به براً كان أو شعيراً أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور ، ومانع زكاة المال يحمل شجاعاً أقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب فى منخريه واستدارت بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل (رحى) فى الأرض وكل واحد ينادى مثل هذا فتقول الملائكة: هذا ما بخلتم به في الدنيا رغبة فيه وشحا عليه وهو قوله تعالى :﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ .

قلت : وهذه الفضيحة التي أوقعها الله تعالى بالغال ومانعى الزكاة نظير الفضيحة التى يوقعها بالغادر ، وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه، ألا ترى إلى قول الشاعر :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة ... رفع اللواء لنا بها في المجمع

فكانت العرب ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج ، وكذلك يطاف بالجانى مع جنايته ، وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجيء به الغال يحمله ،عبارة عن

وزر ذلك وشهرة الأمر، أى: يأتى يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيراً له رغاء أو فرساً له حمحمة .

٩٣٤- قلت : وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه ، وقد أخبر النبى ﷺ بالحقيقة فهو أولى ، وقد روى أبو داود عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسها ويقسمها ، فجاء رجل يوماً بعد النداء بزمام من شعر ، فقال: يا رسول الله ، هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة . قال : «أسمعت بلالاً ينادى ثلاثاً » ؟ قال : نعم قال : «فما منعك أن تجيء به؟ »فاعتذر إليه فقال:«كلا، أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك » [**حديث حسن**] .

٩٣٥م- قال النبى ﷺ : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره [**حديث صحيح**] .

٩٣٦-وقال : « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى» [**حديث صحيح**] .

٩٤٠- **فصل** : وقوله « هذه غدرة فلان ابن فلان » دليل على أن الناس يدعون فى الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا في غير موضع ، وفي هذا رد على من قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن فى ذلك سترا على آبائهم ، وهذا الحديث خلاف قولهم ، خرجه البخارى ومسلم وحسبك .

٩٤١- **فصل** : وقوله :« فيكوى بها جنبه » الحديث ، إنما خص الجنب والجبهة والظهر بالكى لشهرته فى الوجه وشناعته ، وفى الجنب والظهر لأنه آلم وأوجع ، وقيل خص الوجه لتقطيبه فى وجه السائل أولا والجنب لازوراره عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه إذا زاد فى السؤال وأكثر منه ، فرتب الله تعالى هذه العقوبات فى هذه الأعضاء لأجل ذلك والله أعلم .

٩٤٢- وقالت الصوفية : لما طلبوا الجاه والمال شان الله وجوههم ولما طووا كشحاً عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتماداً عليها كويت ظهورهم .

نصف نهار من أيام الدنيا . وقيل : قدر مواقفهم للحساب، عن الحسن وقال ابن اليمان :كل موقف منها ألف سنة .

٩٤٥- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبى هريرة قال : يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة .

[إسناده صحيح موقوف]

وبطح : ألقى على وجهه قاله بعض المفسرين . وقال أهل اللغة : البطح : وهو البسط كيفما كان غير الوجه أو على الوجه ، ومنه سميت بطحاء مكة لا نبساطها ، وبقاع قرقر: أى بموضع مستو واسع وأصل القاع : الموضع المنخفض الذى يستقرفيه الماء وجمعه قيعان ، والعقصاء : الملتوية القرن . والجلحاء : التى لا قرن لها ، والعضباء : المكسورة داخلة القرن يريد : إنها كلها ذوات قرون صحاح ويمكن بها النطح والطعن حتى يكون أشد لألمه وأبلغ فى عذابه ، والله أعلم .

باب منه وذكر الولاة

٩٤٧- ذكر الغيلانى أبو طالب قال : حدثنا أبو بكر الشافعى قال : حدثنا محمد بن غالب قال : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا روح بن القاسم ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يفكه الله بعدله أو يوبقه بجرمه » **[حديث صحيح]** .

٩٤٩- وروى الأئمة ، عن أبي حميد الساعدى ، عن النبى ﷺ أنه استعمل رجلاً من بنى أسد يقال له :ابن اللتبية على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدى لى ، فقام النبى ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: « ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول : هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ لا يأتى أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيراً فله رغاء ، وإن كان بقرة فلها خوار أو شاة تثغو ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت »؟ **[حديث صحيح]** .

٩٥٠ - وروى أبو داود عن بريدة عن النبى ﷺ : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » **[حديث صحيح]** .

باب ما جاء في حوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

٩٥١- ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين : أحدهما :في الموقف قبل الصراط ، والثاني : في الجنة وكلاهما يسمى كوثراً على ما يأتي ، والكوثر في كلام العرب : الخير الكثير ، واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ، فقيل : الميزان قبل ، وقيل: الحوض ، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبل .

قلت : والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيتقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم . وقال أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) ، وحكى بعض السلف من أهل التصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط وهوغلط من قائله . قال المؤلف (رضى الله عنه) : هو كما قال .

٩٥٢- وقد روى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال:هلم: فقلت: إلى أين؟فقال : إلى النار والله قلت: ما شأنهم ؟فقال:إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى،ثم إذا (زمرة)أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم : هلم ، فقلت إلى أين ؟قال إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم » .

قلت : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار على ما يأتي ، وكذا حياض الأنبياء عليهم (الصلاة و)السلام تكون أيضاً في الموقف على ما يأتي [**حديث صحيح**] .

٩٥٤- مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله، ما آنية الحوض ؟ قال : « والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخرما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله،ما بين عمان

إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل » [**حديث صحيح**] .

٩٥٥- وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « إني لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمين أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال : من مقامى إلى عمان ، وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل ، يغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق . في غير كتاب مسلم يعب فيه ميزابان من الكوثر الحديث . وفى أخرى ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح. [**حديث صحيح**] .

٩٥٦-مسلم عن أنس قال:بينا رسول ﷺذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا:ما أضحكك يا رسول الله؟قال: «نزلت عليّ آنفا سورة فقرأ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ثم قال:أتدرون ما الكوثر؟قلنا:الله ورسوله أعلم.قال:فإنه نهر وعدنيه ربى،عليه خير كثير، وهوحوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم،فيختلج العبد فأقول: يا رب ، إنه من أمتى فيقال:ما تدرى ما أحدث بعدك».وفى رواية أخرى ما أحدث (بعدك) [**حديث صحيح**] .

٩٥٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ،كيزانه كنجوم السماء ،من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبداً » أخرجه البخارى [**حديث صحيح**] .

٩٥٨- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أمامكم حوضاً كما بين جربا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء ،من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً » .

قال عبيد الله :فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث . أخرجه البخارى [**حديث صحيح**] .

٩٥٩- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن حوضى أبعد من أيلة إلى عدن لهوأشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ، ولآنيته أكثر من عددالنجوم وإنى لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه » ، قالوا : يا رسول الله ، أتعرفنا يومئذ ؟ قال :«نعم ، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء» [**حديث صحيح**] .

٩٦١- **فصل** : ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك ، وإنما تحدث النبى ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة . وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها . فيقول لأهل الشام ، ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن ، وهكذا، وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا،فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات ، فخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها . والله أعلم .

ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده فى الأرض المبدلة على مساميه هذه الأقطار أو فى المواضع التى تكون بدلاً من هذه المواضع فى هذه الأرض وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم، تطهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء ، ويغت : معناه يصب ، ويشخب: أي يسيل ، والعقر: مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته، وتسكن قافه وتضم فيقال : عقر وعقر كعسر وعسر قاله في الصحاح ، والهمل من النعم الضوال من الإبل،واحدها هامل ، قاله الهروى والمعنى(أن) الناجى منهم قليل كهمل النعم ، ويقال : إن على أحد أركانه أبا بكر، وعلى الثانى عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع علياً .

فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض علياً ، لم يسقه عثمان ، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه على . وذكر الحديث .

بابـ منه

٩٦٣- ذكر أبو داود الطيالسى : قال : حدثنا شعبة قال : أخبرنى عمرو بن مرة قال : سمعت أبا حمزة عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال : «ما أنتم بجزء من مائة ألف أو سبعين ألف جزء ممن يرد على الحوض ، وكانوا يومئذ ثمانمائة أو تسعمائة ، والله أعلم [**حديث صحيح**] .

باب فقراء المهاجرين أول الناس ورودا الحوض على النبي ﷺ

٩٦٤- ابن ماجه عن الصنابجي الأحمسي قال : قال رسول الله ﷺ: « ألا إني فرطكم على الحوض ، وإني مكاثر بكم الأمم ،فلا تقتتلن بعدى » .

[حديث صحيح]

٩٦٥- وخرج عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : إن حوضي ما بين عدن

إلى أيلة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه (شربة) لم يظمأ بعدها أبداً ، وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين . الدنس ثيابا الشعث رؤوساً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد قال : فبكى عمر حتى ابتلت لحيته فقال: لكنى نكحت (المتنعمات) وفتحت لى أبواب السدد ، لا جرم أني لا أغسل ثوبي الذى يلي جسدى حتى يتسخ ، ولا أدهن رأسي حتى تشعث ». خرجه الترمذى .

عن أبي سلام الحبشي قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد، قال : فلما دخل عليه ، قال يا أمير المؤمنين ، لقد شق مركبي البريد فقال : يا أبا سلام ، ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به .

قال أبو سلام:حدثني ثوبان عن رسول الله ﷺ قال : « إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد...»فذكره بمعناه وقال :حديث غريب [حديث صحيح].

٩٦٦- وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : « أول من يرد الحوض على رسول الله ﷺ الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن».

باب ذكر من يطرد عن الحوض

٩٦٧- البخارى عن أنس عن النبي ﷺ قال : « ليردن على ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فأقول : أصحابي ، فيقال لي : لا تدرى ما أحدثوا بعدك » [حديث صحيح] .

٩٦٨- وعن أبي هريرة أنه كان (يحدث) أن رسول الله ﷺ قال : «يرد على

الحوض رهط من أصحابى فيخلون عن الحوض فأقول:يا رب أصحابى، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى » .

[حديث صحيح]

٩٦٩– مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ: «إنى على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم ، وسيؤخذ ناس دونى فأقول : يا رب منى ومن أمتى فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » . وفى حديث أنس فيختلج العبد فأقول : يا رب ، من أمتى ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » ، وقد تقدم .

وكذلك حديث البخارى :« إذا زمرة حتى إذا عرفتهم » تقدم أيضاً ، وفى(الموطأ) وغيره من حديث أبى هريرة فقالوا :كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك يا رسول الله ؟ الحديث . وفيه قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء » .

[حديث صحيح]

٩٧٠– **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ،كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، ثم البعد قد يكون فى حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن فى العقائد ، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ، ثم يقال لهم سحقا ، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر . ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم : سحقاً سحقاً ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد مبطل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

وقد يقال إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش ، والله أعلم .

٩٧١- وروى الترمذي عن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله ﷺ « أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، ولا يرد على الحوض ، ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه ، وسيرد على الحوض ، يا كعب بن عجرة ، الصلاة برهان ، والصبر جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب وخرجه أيضاً في كتاب (الفتن) وصححه [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن لكل نبي حوضا

٩٧٤- الترمذى عن سمرة قال:قال رسول الله ﷺ:«إن لكل نبى حوضا،وأنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإنى أرجو أن أكون أكثرهم وارده».قال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب،رواه قتادة عن الحسن عن سمرة،وقد رواه الأشعث بن عبد الملك عن الحسين رضى الله عنه عن النبي ﷺولم يذكر فيه غير سمرة.وقال البكرى المعروف بابن الواسطى:لكل نبى حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع ناقته،والله سبحانه وتعالى أعلم [حديث حسن لغيره] .

باب ما جاء في الكوثر الذي أعطيه [النبي] ﷺ في الجنة

٩٧٥- البخارى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك،فإذا طينه أو طينته مسك أذفر » – شك هدبة – خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وزاد « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً».

[حديث صحيح] .

٩٧٧- الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج » . هذا حديث حسن (صحيح) والله أعلم .

[حديث صحيح]

تم الجزء الأول من كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)

ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

أبواب الميزان .

باب ما جاء في الميزان وأنه حق

قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ﴾ وقال : ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ . قال العلماء : وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها ، قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ﴾ الآية.

وقال : ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه ﴾ إلى آخر السورة .

وقال :﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ الآيتين في الأعراف والمؤمنون .

وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار، لأن عامة المعنيين بقوله:خفت موازينه في هذه الآيات هم الكفار، وقال في سورة المؤمنون﴿ فكنتم بها تكذبون﴾ وفي الأعراف ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾وقال: ﴿فأمه هاوية﴾ وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار ، وإذا جمع بينه وبين قوله (تعالى) ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه، إذا لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن أيضا ، فإذا كانت موزونة ، دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب ، وفي القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بها، مسؤولون عنها ، محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها،لأن الله تعالى يقول ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾فتوعدهم على منعهم الزكاة، وأخبر

عن المشركين أنهم يقال لهم :﴿ما سلككم فى سقر﴾ الآية : فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنهم مسؤولون عنها محتسبون مجزيون على الإخلال بها .

٩٧٨- وفى البخارى ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ .

قال العلماء : معنى هذا الحديث : أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين يوم القيامة ، ومن لا حسنة له فهو فى النار ،وقال أبو سعيد الخدرى : يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئا .

وقيل : يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال : فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله أعلم ، وفيه من الفقه : ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم ، بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن [حديث صحيح] .

باب منه
وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

٩٨٠- الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:قال رسول الله ﷺ : «إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول:أتنكر من هذا شيئا ، أظلمك كتبتى الحافظون؟فيقول:لا، يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فقال:لا، يا رب ،فيقول:بل إن لك عندنا حسنة،فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها:أشهد أن لا إله إلا الله (وأشهد) أن محمداً عبده ورسوله، فيقول:احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟فيقال: إنك لا تظلم.قال:فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة،فلا يثقل مع اسم الله شيء»

قال : حديث حسن غريب وأخرجه ابن ماجه فى سننه وقال بدل قوله فى أول الحديث «إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة » «يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق» وذكر الحديث .

وقال محمد بن يحيى : البطاقة : الرقعة . أهل مصر يقولون للرقعة: بطاقة . وفى الخبر :إذا خفت حسنات المؤمن ، أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ :بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت ؟ فيقول : أنا نبيك محمد وهذه صلاتك على التى كنت تصلى ،على قد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها . ذكره القشيرى فى تفسيره [**حديث صحيح**] .

٩٨٢- فصل : قال المؤلف (رضى الله عنه) : الميزان حق ولا يكون فى حق كل أحد ، بدليل قوله عليه (الصلاة و)السلام ، فيقال يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه . الحديث ، وقوله تعالى :﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم** ﴾ الآية ، و إنما يكون لمن بقى من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئا من المؤمنين ، وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا ويأتى .

وقال أبو حامد : والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً ، وإنما هى براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله . هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها (أبداً) فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام [**حديث صحيح**] .

٩٨٦- **فصل** : فإن قيل : أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه تقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن ، والكافر لا يكون له حسنات ، فما الذى يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق فى أعماله الوزن ؟ .

فالجواب : إن ذلك على وجهين :

أحدهما : أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته فى إحدى كفتيه ، ثم يقال له : هل لك من طاعة تضعها فى الكفة الأخرى ؟ فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة ، فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون ، وإذا كان فارغا فهو خفيف .

والوجه الآخر : أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومؤاساة الناس وعتق المملوك ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة ، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع فى ميزانه ، غيرأن الكفر إذا قابلها بها

رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا .

٩٨٧- فإن قيل : لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء ، لأن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له : إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويعين فى النوائب ، فهل ينفعه ذلك؟فقال:«لا لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين» **[حديث صحيح]** .

٩٨٨- وسأله عدى بن حاتم عن أبيه مثل ذلك ، فقال : « إن أباك طلب أمراً فأدركه » يعنى الذكر، فدل أن الخيرات من الكافر ليست بخيرات، وأن وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء **[حديث حسن]** .

٩٨٩- والجواب : أن الله تعالى قال : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا** ﴾ ولم يفصل بين نفس ونفس ، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها ، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة ،فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبى طالب فإنه قيل له : يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك ؟ فقال : « نعم ، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » وما قاله عليه (الصلاة و)السلام فى ابن جدعان وأبى عدى إنما هو فى أنهما لا يدخلان الجنة ولايتنعمان بشيء من نعيمها والله أعلم. **[حديث صحيح]**

٩٩٠- **فصل** : أصل ميزان : موزان قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . قال ابن فورك : وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ، ومن المتكلمين من يقول كذلك ، وروى ذلك عن ابن عباس: أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة، وقد تقدم بهذا المعنى .

والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف، كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز . قال الله عز وجل ﴿ **وإن عليكم لحافظين • كراماً كاتبين** ﴾ وهذا نص . قال ابن عمر : توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا،فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً

على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار ، وروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء ، وذكر الوزن والميزان: ضرب مثل ،كما يقول هذا الكلام في وزن هذا ، وفي وزنه: أي يعادله ويساويه ، وإن لم يكن هناك وزن .

قلت : وهذا القول مجاز وليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان ، وإن كل كفة منهما طباق السماوات والأرض .

٩٩١- وقد جاء أن كفة الحسنات من نور ، والأخرى من ظلام ، والكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات ، وجاء في الخبر: أن الجنة توضع عن يمين العرش ، والنار عن يسار العرش ، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة ، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار ، وذكره الترمذي الحكيم في (نوادر الأصول).

٩٩٢- وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : توضع الموازين يوم القيامة، فلو وضعت فيهن السماوات والأرض لوسعتهن ، فتقول الملائكة : يا ربنا ، ما هذا ؟ فيقول : أزن به لمن شئت من خلقي ، فتقول الملائكة عند ذلك : ربنا ما عبدناك حق عبادتك [**خبر صحيح**] .

٩٩٤- قال علماؤنا : ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح والشياطين ، والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وهذا كله فاسد ، لأنه رد لما جاء به الصادق. وفي الصحيحين : «فيعطى صحيفة حسناته وقوله« فتخرج له بطاقة » وذلك يدل على الميزان الحقيقي ، وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا ، وبالله توفيقنا .

ولقد أحسن من قال :

تذكر يوم تأتي الله فرداً ... وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي ... وجاء الذنب منكشف الغطاء

٩٩٥- **فصل** : قال علماؤنا رحمهم الله: الناس في الآخرة ثلاث طبقات : متقون لا كبائر لهم ، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر، والثالث

الكفار .

فأما المتقون : فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم الكفة الأخرى ، فلا يجعل الله (تعالى) لتلك الصغائر وزناً وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح ، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي .

وأما المخلطون : فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل ، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة ، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتى ، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله (تعالى)، وأما إن كانت عليه تبعات ، وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه ، من أوزار من ظلمه ، ثم يعذب على الجميع . هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتى .

قال أحمد بن حرب : تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق : فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة ، وفرقة فقراء ، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس فى شأن التبعات .

وقال سفيان الثورى : إنك إن تلقى الله عز وجل بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد .

قال المؤلف (رضى الله عنه): هذا صحيح ، لأن الله غنى كريم وابن آدم فقير مسكين محتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه ، حتى (ترجح) ميزانه فيكثر خيره وثوابه .

وأما الكافر فإنه يوضع كفره فى الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع فى الكفة الأخرى ، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير ، فيأمر الله (تعالى) بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه .

وأما المتقون : فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته ، فهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن فى آيات الوزن ، لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ، وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه

بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر ، وبقي الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فبينهم النبي ﷺ حسب ما ذكرناه .

وإنما توزن أعمال المؤمن المتقى لإظهار فضله ، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله ، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير ، فكذلك توزن أعمال المتقى تحسينا لحاله وإشادة لخلوه من كل شر وتزيينا لأمره على رؤوس الأشهاد . وأما المخلط السيئ بالصالح ، فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة على ما يأتى .

٩٩٦- **فصل** : فإن قيل : أخبر الله (تعالى) عن الناس أنهم محاسبون مجزيون، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء ، فما القول فى ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم ؟ .

فالجواب:أنه(قد) قيل إن الله تعالى لما قال﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾دخل فى الجملة الجن والإنس،فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس وقال: ﴿**أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين**﴾ ثم قال﴿**ولكل درجات مما عملوا**﴾ وإنما أراد لكل من الجن والإنس،فقد ذكروا في الوعد والوعيد مع الإنس، وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبرا عما يقال لهم: ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا** ﴾ وهذا سؤال ، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله وقد تقدم هذا ، وقال تعالى :﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾ إلى قوله : ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين**﴾ وهذا يدل صريحاً على أن حكمهم فى الآخرة كالمؤمنين. وقال حكاية عنهم: ﴿**وأنا منا**

المسلمون ومنا القاسطون ﴾ الآيتين .

ولما جعل رسول الله ﷺ زادهم كل عظم وعلف دوابهم كل روث(قال): فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم الجان فجعلهم إخواننا ، وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء، والله أعلم. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فى باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان).

٩٩٧- **فصل**:(و)قوله فى الحديث:« فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ليست هذه شهادة التوحيد لأن من شأن الميزان أن يوضع فى كفة شيء ، وفى أخرى ضده ، فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة، فهذا غير مستحيل لأن العبد يأتى بهما جميعاً ، ويستحيل أن يأتى الكفر والإيمان جميعاً عند واحد حتى يوضع الإيمان فى كفة، والكفر فى كفة،فلذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان ، وأما بعد ما آمن العبد ، فإن النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع فى الميزان مع سائر الحسنات . قاله الترمذى الحكيم رحمه الله .

وقال غيره : إن النطق بها زيادة ذكر على حسن نية ، وتكون طاعة مقبولة قالها على خلوة وخفية من المخلوقين ، فتكون له عند الله تبارك وتعالى وديعة يردها عليه فى ذلك اليوم بعظم قدرها ومحل موقعها ، وترجح بخطاياه وإن كثرت ، وبذنوبه ، وإن عظمت ، ولله الفضل على عباده ويتفضل على من يشاء بما شاء .

٩٩٨- قلت : ويدل على هذا قوله فى الحديث فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ولم يقل : إن لك إيماناً وقد سئل رسول الله ﷺ عن : لا إله إلا الله أمن الحسنات هى؟ فقال: «من أعظم الحسنات » خرجه البيهقى وغيره **[حديث صحيح]**

٩٩٩- ويجوز أن تكون هذه الكلمة هى آخر كلامه فى الدنيا ،كما فى حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله وجبت له الجنة » رواه صالح بن أبى غريب عن كثير ابن مرة عن معاذ، وقد تقدم أول الكتاب .

وقيل : يجوز حمل هذه الشهادة على الشهادة التى هى الإيمان ، ويكون ذلك فى كل مؤمن ترجح حسناته، ويوزن إيمانه كما توزن سائر حسناته، وإيمانه يرجح

سيئاته كما فى هذا الحديث ، ويدخله النار بعد ذلك فيطهره من ذنوبه، ويد خله الجنة بعد ذلك ، وهذا مذهب قوم يقولون : إن كل مؤمن يعطى كتابه بيمينه وكل مؤمن يثقل ميزانه ويتأولون قول الله تعالى: ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**﴾ أى: الناجون من الخلود وهو فى قوله ﴿ **فهو فى عيشة راضية** ﴾ يوماً ما ، وكذلك فى قول النبى ﷺ :«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » إنه صائر إليها لا محالة أصابه قبل ذلك ما أصابه [**حديث صحيح**] .

١٠٠١- قلت : هذا تأويل فيه نظر يحتاج إلى دليل من خارج ينص عليه ، والذى تدل عليه الآى والأخبار، أن من ثقل ميزانه فقد نجا وسلم وبالجنة أيقن ، وعلم أنه لا يدخل النار بعد ذلك ، والله أعلم ، وقال عليه (الصلاة و)السلام : « ما شيء يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن » خرجه الترمذى عن أبى الدرداء وقال فيه: حديث حسن صحيح . وقد تقدم من حديث سمرة بن جندب : ورأيت رجلاً من أمتى قد خف ميزانه ،فجاء أفراطه فثقلوا ميزانه » وكذلك الأعمال الصالحة دليل على فضل الصلاة على النبي ﷺ [**حديث صحيح**] .

باب منه

١٠٠٢- الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً قعد بين يدى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : إن لي مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ قال : « بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل»قال : فتنحى الرجل فجعل يبكى ويهتف ، فقال رسول الله ﷺ: « أما تقرأ كتاب الله تعالى:﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا**﴾ الآية ؟ فقال الرجل : والله ، يا رسول الله، ما أجد لى ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم . أشهدك أنهم أحرار كلهم قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان .

وقد روى أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث .

[**حديث صحيح**]

١٠٠٣- وعن وهب بن منبه في قوله تعالى :﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبد خيرا ختم له بخير ، وإذا أراد الله به شرا ختم له بشر عمله . ذكره أبو نعيم .

وقال المؤلف (رضى الله عنه) : هذا صحيح ، يدل عليه قوله عليه (الصلاة و)السلام : « وإنما الأعمال بالخواتيم » والله تعالى أعلم [إسناده حسن] .

باب منه
وذكر أصحاب الأعراف

١٠٠٦- وقال كعب الأحبار : إن الرجلين كانا صديقين في الدنيا ، فيمر أحدهما بصاحبه وهو يجر إلى النار فيقول له أخوه : والله ما بقى لى إلا حسنة أنجو بها خذها أنت يا أخي فتنجو بها مما أرى وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف ، قال: فيأمر الله بهما جميعاً فيدخلان الجنة .

١٠٠٨- **فصل** : ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع ، وجاء في السنة بلفظ الإفراد والجمع ، فقيل: يجوز (أن يكون) هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من (أعماله) كما قال(الشاعر):

ملك تقوم الحادثات لعدله … فلكل حادثة لها ميزان
تتصرف الأشياء فى ملكوته … ولكل شيء مدة وأوان

ويمكن أن يكون ميزاناً واحدا عبر عنه بلفظ الجمع ،كما قال تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين ﴾ ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ وإنما هورسول واحد ، وقيل : المراد بالموازين :جمع موزون ، أى الأعمال الموزونة ، لاجمع ميزان .

١٠١١- فصل : وأما أصحاب الأعراف فيقال إنهم مساكين أهل الجنة.

١٠١٢- واختلف العلماء فى تعيينهم على اثنى عشر قولاً :

الأول : ما تقدم ذكره فى الحديث ، وهو قول ابن مسعود وكعب الأحبار كما ذكرنا ، وذكره ابن وهب عن ابن عباس .

الثانى : قوم صالحون فقهاء علماء . قاله مجاهد.

الثالث : هم الشهداء ، ذكره المهدوى .

الرابع : هم : فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا

لمطالعة أحوال الناس . ذكره أبو نصر عبد الرحيم ابن عبد الكريم القشيرى .

الخامس : هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم . قاله شرحبيل بن سعد ، وذكر الطبرى فى ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ وأنه تعادل عقوقهم واستشهادهم .

السادس : هم : العباس وحمزة وعلى بن أبى طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه . ذكره الثعلبى عن ابن عباس .

السابع : هم :عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم فى (كل) أمة . ذكره الزهراوى واختاره النحاس .

الثامن : هم : قوم أنبياء . قاله الزجاج .

التاسع : هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفرعنهم بالآلام والمصائب فى الدنيا، فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم ، فيقع فى مقابلة صغائرهم . حكاه ابن عطية القاضى أبو محمد في تفسيره .

العاشر : ذكره ابن وهب عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف الذين ذكر الله (تعالى) فى القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة ، وذكره ابن المبارك قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ،عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان جسيم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه وقالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم .

قال ابن عباس : أدخل الله أصحاب الأعراف الجنة ، وفى رواية سعيد ابن جبير عن عبد الله بن مسعود « وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً الجنة » .

قال ابن عطية : وتمنى سالم مولى أبى حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف، لأن مذهبه أنهم مذنبون .

الحادى عشر : أنهم أولاد الزنا . ذكره أبو نصر القشيرى عن ابن عباس .

الثانى عشر : أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار . قاله أبو مجلز لاحق بن حميد ، فقيل له : لا يقال

للملائكة رجال فقال : إنهم ذكور وليسوا بإناث فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع عن الجن في قوله تعالى :﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ .

والأعراف : سور بين الجنة والنار . قيل : هو جبل أحد يوضع هناك .

وروى عن النبي ﷺ من طريق أنس وغيره ،ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره حسب ما ذكرناه في كتاب (جامع أحكام القرآن)من سورة الأعراف والحمد لله .

حكاية

١٠١٣- روى عن بعض الصالحين رضى الله عنه أنه قال : أخذتني ذات ليلة سنة فنمت ، فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يحاسبون ، فقوم يمضى بهم إلى الجنة ، وقوم يمضى بهم إلى النار قال : فأتيت إلى الجنة فناديت أهل الجنة: بماذا نلتم سكنى الجنة في محل الرضوان ؟ فقالوا: بطاعة الرحمن ، ومخالفة الشيطان ، ثم أتيت إلى باب النار فناديت: يا أهل النار : بماذا نلتم النار ؟ قالوا : بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن ، قال : فنظرت فإذا أنا بقوم (موقوفين) بين الجنة والنار(فقلت لهم : ما بالكم موقوفين بين الجنة والنار ؟) فقالوا لى : لنا ذنوب جلت وحسنات قلت ، فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا :

نحن قوم لنا ذنوب كبار	منعتنا من الوصول إليه
تركتنا مذبذبين حيارى	أمسكتنا من القدوم عليه

باب إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد فإذا بقى فى هذه الأمة منافقون امتحنوا وضرب الصراط

١٠١٤- الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد ، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون » وذكر الحديث بطوله [**حديث صحيح**] .

١٠١٥- وخرج مسلم عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ،

هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا قال : فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه،فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون ،فيقول:أنا ربكم ، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان . هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم ، يا رسول الله . قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجى » وذكر الحديث وسيأتي [**حديث صحيح**]

١٠١٧- **فصل** : قوله : « هل تضارون »(يروى) بضم التاء وفتحها وبتشديد الراء وتخفيفها ، وضم التاء وتشديد الراء أكثر ، وأصله : تضاررون، أسكنت الراء الأولى وأدغمت مع الثانية ، وماضيه ضورر على ما لم يسم فاعله ، ويجوز أن يكون مبنيا للفاعل بمعنى تضاررون بكسر الراء، إلا أنها سكنت الراء ، وأدغمت وكله من الضر المشدد ، وأما التخفيف فهو من ضاره يضيره ويضوره مخففاً .

والمعنى : أن أهل الجنة إذا امتن الله عليهم برؤيته سبحانه تجلى لهم ظاهراً بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً ، ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الأهلة ، بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه .

وقد روى : تضامون من المضامة وهي الازدحام أيضاً . أي : لا تزدحمون عند رؤيته تعالى ،كما تزدحمون عند رؤية الأهلة .

وروى : تضامون بتخفيف الميم من الضيم الذي هو الذل ، أي: لا يذل بعضكم بعضاً بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة ، وسيأتي هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى .

[٢٧٧/ صحيح التذكرة / صحابة]

وقوله : « فإنكم ترونه كذلك » هذا تشبيه للرؤية وحالة الرائى لا المرئى ، لأن الله سبحانه لا يحاط به ، وليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء .

وقوله : « فيأتيهم الله (تعالى) في صورة غير صورته التي يعرفون » هذا موضع الامتحان ليميز (الحق) من (الباطل) وذلك أنه لما بقى المنافقون والمراؤون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وأنهم عملوا مثل أعمالهم ، وعرفوا الله مثل معرفتهم . امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة قالت للجميع أنا ربكم ، فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك والتعوذ منه لما قد سبق لهم من معرفتهم بالله عز وجل في دار الدنيا ، وأنه منزه عن صفات هذه الصور، إذ سماتها سمات المحدثين .

ولهذا قال في حديث أبي سعيد الخدرى : فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثا ،حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب: (المفهم لشرح اختصار كتاب مسلم)، وهذا لمن لم يكن له رسوخ العلماء ، ولعلهم الذين اعتقدوا الحق وجزموا عليه من غير بصيرة، ولذلك كان اعتقادهم قابلاً للانقلاب . والله أعلم .

١٠١٨- **قلت** : ويحتمل أن يكونوا المنافقين والمرائين ، وهو أشبه والله أعلم. لأن في الامتحان الثاني يتحقق ذلك، لأن في حديث أبي سعيد بعد قوله : حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفوه بها ؟ فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوا فيها فيقول : أنا ربكم ؟فيقولون : أنت ربنا . ثم ضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، وسيأتي قوله : فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون أي يتجلى لهم في صفته التي هو عليها من الجلال والكمال والتعالي والجمال بعد أن رفع الموانع عن أبصارهم ، فيتبعونه ، أي : يتبعون أمره أو ملائكته ورسله الذين يسوقونهم إلى الجنة. والله أعلم .

والدعوى : الدعاء . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك**

اللهمر ﴾ أى : دعاؤهم والكلاليب:جمع كلوب . والسعدان : نبت كثير الشوك شوكه كالخطاطيف والمحاجن ترعاه الإبل فيطيب لبنها . تقول العرب :مرعى ولا كالسعدان . والموبق :المهلك ، أو بقه ذنبه : أهلكه [حديث صحيح] .

١٠١٩- ومنه الحديث : اجتنبوا السبع الموبقات . وقوله تعالى : ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ والمجازى : الذى جوزى بعمله .

١٠٢١- فأما ما روى : أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة كما فى صحيح البخارى ، فإنه تعالى على التبعيض والأعضاء ، وأن ينكشف ويتغطى ، ومعناه : أى يكشف على العظيم من أمره .

وقال الخطابى : إنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة ، فيحتمل أن يكون معنى الحديث أنه يبرز من أهوال القيامة وشدتها ما يرتفع معه سواتر الامتحان ، فيميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص ، فيؤذن لهم فى السجود، وينكشف الغطاء عن أهل النفاق فتعود ظهورهم طبقاً واحداً لا يستطيعون السجود قال : وقد تأوله بعض الناس فقال : لا ينكر أن يكون الله سبحانه قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته أوغيرهم ، فيجعل ذلك سبباً لبيان ما شاء من حكمه فى أهل الإيمان وأهل النفاق [حديث صحيح] .

١٠٢٢- قال الخطابى : وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة سمعت أبا عمر يذكر عن أبى العباس أحمد بن يحيى النحوى فيما عده من المعانى المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم ، قال : والساق: النفس ، ومنه قول على رضى الله عنه حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج فقال : والله لأقاتلنهم حتى ولو تلفت ساقى ، يريد : نفسه . وقال أبو سليمان : وقد يحتمل على هذا أن يكون المراد التجلى لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدوا له قال : ولست أقطع به القول ، ولا أراه واجباً فيما أذهب إليه من ذلك .

١٠٢٥- وروى البخارى في تفسيره مسنداً إلى رسول الله ﷺ قال : «يكشف الله عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة » ، وقد أشفقت من تأويل الحديث وعدلت عن منكر يه ، وكذا أشفقت من صفة الميزان وزيفت قول

واصفيه وجعلته متحيزا إلى العالم الملكوتى ، فإن الحسنات والسيئات أعراض ولا يصح وزن الأعراض إلا بميزان ملكوتى .

قال المؤلف (رضى الله عنه) : قد ذكرنا الميزان وبينا القول فيه ، وفى الأعمال الموزونة غاية البيان بالأخبار الصحيحة والحسان ، وبينا القول هنا فى كشف الساق بحيث لم يبق فيه لأحد ريب ولا مخالفة ولا شقاق ، فلله الحمد على ما به أنعم وفهم وعلم [حديث صحيح] .

باب كيف الجواز على الصراط وصفته ومن يحبس عليه ويزل عنه.وفى شفقة النبى ﷺ على أمته عند ذلك، وفى ذكر القناطر قبله والسؤال عليها وبيان قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾

١٠٢٦– وروى عن بعض أهل العلم أنه قال : لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل فى سبع قناطر ، فأما القنطرة الأولى :فيسأل عن الإيمان بالله ، وهى شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً ، والإخلاص قول وعمل، جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة ، فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان ، فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل فى الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامتين جاز ، ثم يسأل فى القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامتين جاز ، ثم يسأل فى السابعة وليس فى القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس .

١٠٢٧– وذكر أبو حامد فى كتاب: (كشف علم الآخرة) : أنه إذا لم يبق فى الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق فيقول الله تعالى : يا أهل الموقف ، من ربكم ؟ فيقولون : الله ، فيقول لهم : أتعرفونه ؟ فيقولون : نعم ، فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش ، لو جعلت البحار السبع فى نقرة إبهامه لما ظهرت ، فيقول لهم بأمر الله : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم ملك عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر فى نقرة إبهامه لما ظهرت فيقول لهم أنا ربكم.فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم الرب سبحانه في صورة غير

صورته التي كانوا يعرفونه ، وسمعوا وهو يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول : أهلا بكم ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنة فيتبعونه فيمر بهم على الصراط ، والناس أفواج : المرسلون ، ثم النبيون ، ثم الصديقون ثم الشهداء ، ثم المؤمنون ، ثم العارفون ثم المسلمون . منهم المكبوب لوجهه ، ومنهم المحبوس في الأعراف، ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان ، فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام ، وآخر يجوز على ألف ، ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عياناً لا يضام في رؤيته .

فتوهم نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة قدلظى سعيرها وعلا لهيبها وأنت تمشي أحيانا وتزحف أخرى قال :

أبت نفسي تتوب فما احتيالي ... إذا برز العباد لذى الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى ... بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا ... فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن ... تلقاه العرائس بالغوالي
يقول له المهيمن يا وليي ... غفرت لك الذنوب فلا تبالي

وقال آخر :

إذا مد الصراط على جحيم ... تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور ... وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطاء ... وطال الويل واتصل العويل

١٠٢٨- ذكر مسلم من حديث أبي هريرة « فيأتون محمداً ﷺ فيؤذن لهم وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق الخاطف » .

قال : قلت : بأبي أنت وأمي وأي شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم ﷺقائم على الصراط يقول:يارب، سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفاً » .

قال : «وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه ، فمخدوش ناج ، ومكردس فى النار والذى نفس محمد بيده ، إن قعر جهنم لسبعون خريفاً » [حديث صحيح] .

١٠٢٩- وروى من حديث حذيفة أيضاً . وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدرى وفيه : « ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون:اللهم، سلم سلم » قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال: « دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان: فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم» وسيأتى الحديث بتمامه إن شاء الله تعالى.

[حديث صحيح]

١٠٣٠- وفى رواية : قال أبو سعيد الخدرى : « بلغنى أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف» وفى رواية:« أرق من الشعر» رواها مسلم [خبر صحيح]

١٠٣١- وخرج ابن ماجه حديث أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم على حسك كحسك السعدان . ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها » .

[حديث حسن وله شواهد]

١٠٣٢- وذكر ابن المبارك قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن موسى ابن أنس ، عن عبيد بن عمير « أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وأن لجنبتيه كلاليب وحسكاً ، والذى نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر » [حديث إسناده صحيح وهو مقطوع] .

١٠٣٤- قال : وأخبرنا عوف عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال : «يجوز الناس يوم القيامة على الصراط على قدر إيمانهم وأعمالهم ، فيجوز الرجل كالطرف فى السرعة وكالسهم المرمى وكالطائر السريع الطيران وكالفرس الجواد المضمر ويجوز الرجل يعد عدواً والرجل يمشى مشياً حتى يكون آخر من ينجو يحبو حبواً »

[إسناده صحيح والخبر مقطوع]

١٠٣٥- وذكر هناد بن السرى ، حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا سفيان،

حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال : قال عبد الله : « يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم » . قال : « فيمر الناس على قدر أعمالهم ، أولهم كلمح البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كأسرع البهائم ، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً وحتى يمر الرجل ماشياً ، ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه يقول: يا رب لم أبطأت بي ؟ فيقول: لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك » [خبر حسن] .

فتفكر الآن فيم يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك ، واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه(إحدى) رجليك فأحسست بحدته ، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثاني ، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون ، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم ، وتعلو أرجلهم فيا له من منظر ما أفظعه ، ومرتقى ما أصعبه ،ومجاز ما أضيقه !!.

١٠٤٠ **فصل** : ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها ، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي : دقيق ، فضرب المثل له بدقة الشعر . فهذا والله أعلم من هذا الباب .

ومعنى قوله : « وأحد من السيف » : أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد .

وإما أن يقال : إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر، فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه وأن فيه كلاليب وحسكاً أي : أن من يمر عليه يقع على بطنه ، ومنهم من يزل ثم يقوم ، وفيه أن من الذين يمرون عليه

من يعطى النور بقدر موضع قدميه ، وفى ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله ، وقال بعض الحفاظ : إن هذه اللفظة ليست بثابتة .

قال المؤلف (رضى الله عنه): ما ذكره (هذا) القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار ، وأن الإيمان يجب بذلك ، وأن القادر على إمساك الطير فى الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة فى ذلك ، للآثار الواردة في ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

١٠٤٢- **فصل:** أحاديث هذا الباب تبين لك معنى الورود المذكور في القرآن فى قوله عز وجل ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ .

روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا :« الورود المرور على الصراط » . رواه السدى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ .

١٠٤٤- وقيل : الورود الدخول . روى عن ابن مسعود وعن ابن عباس أيضاً خالد بن معدان وابن جريج وغيرهم . وحديث أبي سعيد الخدرى نص فى ذلك على ما يأتى ، فيدخلها العصاة بجرائمهم ، والأولياء بشفاعتهم .

١٠٤٦- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان عن رجل عن خالد بن معدان قال : قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار فقال : إنكم مررتم بها وهى خامدة .
[خبر مقطوع صحيح]

١٠٤٧- قال ابن المبارك وأخبرنا سعيد الجريرى عن أبى السليل عن (غيثم)، عن أبى العوام ، عن كعب أنه تلا هذه الآية :﴿ وإن منكم إلا واردها﴾ قال : هل تدرون ما ورودها ؟ قالوا : الله أعلم . قال : فإن ورودها أن يجاء بجهنم وتمسك للناس كأنها متن إهالة حتى إذا استقرت عليها أقدام الخلق برهم وفاجرهم نادى مناد: أن خذى أصحابك وذرى أصحابى ، فتخسف بكل ولى لها . لهى أعلم بهم من الوالد بولده وينجو المؤمنون .

١٠٤٩- وأسند أبو عمر بن عبد البر في ذلك حديثا في التمهيد، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ عاد مريضا من وعك به فقال النبى ﷺ:« أبشر فإن الله

(تبارك و)تعـالى يقول:هى نارى أسلطهـا على عبـدى المؤمن لتكون حظه من النار».
[حديث صحيح]

١٠٥٠- وقـالت طائفـة : الورود النظر إليـهـا في القبـر فـينجى منهـا الفـائز، ويصلاها من قـدر عليه دخولهـا ، ثم يخرج منها بالشفـاعة أو بغيرها من رحـمة الله تعالى ، واحتجوا بحديث ابن عمر : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى » الحديث [حديث صحيح] .

١٠٥١- وقيل : المراد بالورود الإشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها . وذلـك أنهم يحضرون مـوضع الحسـاب وهو بقرب جـهنم فيرونهـا وينظرون إليـها فى حـالة الحساب ، ثم ينجى اللـه الذين اتقوا مما نظروا إلـيه ، ويصـار بهم إلى الجنة ونذر الظالمين أي : يؤمـر بهم إلى النار قال الله تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أى أشرف عليه لا أنه دخله وروت حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل النار أحد من أهل بدر ، والحـديبية» قـالت: فقلت:يا رسول الله:وأين قـول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ:﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ خـرجه مـسلم من حـديث أم مـبشـر قـالت : سمـعت رسـول الله ﷺ عند حفـصة الحديث [حديث صحيح] .

١٠٥٣- وفى مسند الدارمى أبي مـحمد، عن عبـد الله بن مسعود قـال: قال رسول الله ﷺ :« يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ، ثم كالراكـب في رحله ، ثم كشد الرجل فى مشيه » .
[حديث صحيح]

١٠٥٤- وقال ﷺ :« لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » خرجه الأئمة ، قال الزهرى :كأنه يريد هذه الآية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ذكـره أبـو داود الطيـالسـى في مـسنده ، وهـذا يبين لك مـا ذكـرناه لأن المسيس حقـيقته فى اللغـة : المماسة إلا أنها تكون بردا وسلامـاً على المؤمنين وينجون منها سـالمين ، قال خالد بـن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة قـالوا : ألم يقل ربنا إنا نرد النار ؟ فيقال : قـد وردتمـوها فلقيتموها رماداً » .

قلت : والذى يجمع شتات الأقوال : أن يقال : من وردها ، ولم تؤذه بلهبها

وحرها فقد أبعد عنها ونجي منها ، نجانا الله منها بفضله وكرمه ، وجعلنا ممن وردها سالماً وخرج منها غانماً [حديث صحيح] .

١٠٥٦- وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر، كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول : ليت أمي لم تلدني ، فتقول له امرأته : يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام : قال : أجل، ولكن الله قد بين لنا أنا واردوا النار ولم يبين لنا أنا صادرون [خبر صحيح] .

١٠٥٧- وعن الحسن قال : قال رجل لأخيه : أى أخى ، هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك خارج منها ؟ قال : لا . قال: ففيم الضحك إذا ؟ قال : فما رئى ضاحكاً حتى مات [خبر صحيح] .

١٠٥٨- وروى عن ابن عباس أنه قال فى هذه المسألة لنافع بن الأزرق الخارجى: «أما أنا وأنت فلا بد أن نردها فأما أنا فينجينى الله منها وأما أنت فما أظنه ينجيك » [خبر صحيح] .

١٠٥٩- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى عاصم قال : بكى ابن ماجه فبكت امرأته فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : بكيت حين رأيتك تبكى .فقال عبد الله : إنى علمت أنى وارد النار فماأدرى أناج منها أم لا؟ وفى معناه قيل : [خبر صحيح]

وقد آتانا ورود النار ضاحية حقًا يقيناً ولما يأتنا الصدر

١٠٦١- وفى صحيح مسلم : ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم ، وقد تقدم .

باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبى ﷺ لعظم الأمر فيها وشدته

١٠٦٦- الترمذى عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة، قال : « أنا فاعل إن شاء الله ».(قلت) : فأين أطلبك ؟ قال: « أول ما تطلبنى على الصراط ، قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن » . قال : هذا حديث حسن ، وقد تقدم من حديث عائشة أنه عليه (الصلاة و)السلام قال : أما

ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند الصراط .
[حديث حسن]

باب في تلقي الملائكة للأنبياء وأممهم بعد الصراط وفي هلاك أعدائهم

١٠٦٧- ابن المبارك ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبيا نبياً ، وأمة أمة حتى يكون آخرهم مركزاً محمد وأمته ، ويضرب الجسر على جهنم وينادى مناد : أين أحمد وأمته ؟ فيقوم نبى الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها ، حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يميناً وشمالاً ويمضى النبى ﷺ والصالحون معه فتلقاهم الملائكة(رتبا فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك ، على شمالك حتى ينتهى إلى ربه فيوضع له كرسى عن يمين الرحمن ثم يتبعه عيسى عليه الصلاة والسلام على مثل سبيله ويتبعه برها وفاجرها حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يميناً وشمالاً ويمضى النبىﷺ والصالحون معه فتلقاهم الملائكة رتبا)فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك ، حتى ينتهى إلى ربه فيوضع له كرسى من الجانب الآخر ، ثم يدعى نبى نبى وأمة أمة ،حتى يكون آخرهم نوحاً ، رحم الله نوحاً [خبر صحيح]

باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار

اعلم- رحمك الله- أن في الآخرة صراطين : أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذى يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه .

١٠٦٨- البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض

مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا ».

[حديث صحيح]

١٠٦٩ -**فصل**: قلت: معنى: « يخلص المؤمنون من النار» أى: يخلصون من الصراط المضروب على النار ، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين فى الآخرة مختلفو الحال . قال مقاتل : إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم - بمعنى التحية- طبتم فادخلوها خالدين .

وقد ذكر الدار قطنى حديثاً ذكر فيه : أن الجنة بعد الصراط .

قلت : ولعله أراد بعد القنطرة بدليل حديث البخارى والله أعلم أو يكون ذلك فى حق من دخل النار وخرج بالشفاعة فهؤلاء لا يحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة على ما يأتى بيانه فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

باب من دخل النار من الموحدين مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

١٠٧١ - مسلم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناساً أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن لهم فى الشفاعة فيجىء بهم ضبائر ضبائرفبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » فقال رجل من القوم :كان رسول الله ﷺ قد كان يرعى الغنم بالبادية [حديث صحيح] .

١٠٧٢ - **فصل** : هذه الموتة للعصاة موتة حقيقة لأنه أكدها بالمصدر ، وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذقوا العذاب ﴾ وقيل : يجوز أن يكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ، ولا يكون ذلك موتاً على الحقيقة ، فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ ،

وقد سماه الله(تعالى وفاة). فقال الله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها﴾ فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذى هو خروج الروح عن البدن ، وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت فى قوله تعالى : ﴿فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾.

وأخبر عن موسى عليه (الصلاة و)السلام أنه خر صعقا ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً ، وكذلك يجوز أن يكون أماتهم :غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم ، كما غيب النسوة اللاتى قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغيبهن فيه عن آلامهن ، والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ، ولقوله فى نفس الحديث حتى إذا كانوا فحما فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل : فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟ قيل : يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يعذبهم فيها ، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين فى السجون ، فإن الحبس عقوبة لهم ، وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى أبواب النار إن شاء الله تعالى .

وقوله : « ضبائر ضبائر » معناه :جماعات جماعات ، الواحدة : ضبارة بكسر الضاد وهى :الجماعة من الناس . « وبثوا » : فرقوا، و« الحبة » : بكسر الحاء بذر البقول ، و « حميل السيل » ما احتمله من غثاء وطين ، وسيأتى (بيانه) إن شاء الله تعالى .

باب فيمن يشفع لهم قبل دخول النار من أجل أعمالهم الصالحة وهم أهل الفضل فى الدنيا

١٠٧٥ وخرج أبو نعيم الحافظ بإسناده عن الثورى ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله» قال :« أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا» [حديث حسن] .

باب في الشافعين لمن دخل النار

١٠٨٢- ابن ماجه عن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع النبي ﷺ يقول : «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم » قالوا : يا رسول الله، سواك؟ قال : «سواى» قلت : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : أنا سمعته. أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب . ولا نعرف لابن الجدعاء غير هذا الحديث الواحد [**حديث صحيح**] .

١٠٨٣- قال المؤلف رحمه الله: وخرجه البيهقى فى : (دلائل النبوة) وقال فى آخره :قال عبد الوهاب الثقفى : قال هشام بن حيان كان الحسن يقول : إنه أويس القرنى ، وذكر ابن (المبارك) قال : حدثنا يحيى بن جعفر ، حدثنا شبابة بن سوار حدثنا حريز بن عثمان ، عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن (عبيد)الرحبى ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ:«يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة مثل أحد الحيين : ربيعة ومضر » قال: قيل يا رسول الله وما ربيعة من مضر ؟ قال: « إنما أقول ما أقول» قال : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان [**حديث صحيح**] .

١٠٨٥- وذكر البزار فى مسنده ، عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » وذكر القاضى عياض فى (الشفاء)عن كعب : « أن لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعة ».
[**حديث حسن**]

١٠٨٧- **فصل** : إن قال قائل : كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار ، والله تعالى يقول: ﴿ **إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾ وقال :﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ وقال : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ ومن ارتضاه الله لا يخزيه . قال الله تعالى : ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ الآية ؟ قلنا : هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق ،

وحادوا عن التحقيق .

وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة ، فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة ، حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة . والجواب عن الآية الأولى ما قاله أنس بن مالك رضي الله عنه أن معنى : ﴿ من تدخل النار ﴾ : من يخلد . وقال قتادة : يدخل : مقلوب يخلد ولا تقول كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا : ﴿ فقد أخزيته ﴾ على بابه من الهلاك أى أهلكته وأبعدته ومقته .

وبهذا قال سعيد بن المسيب فإن الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار . دليله قوله فى آخر الآية : ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ أى الكفار .

وإن قدرنا الآية فى العصاة من الموحدين ، فيحتمل أن يكون الخزى بمعنى: الحياء ، يقال : خزى يخزى خزاية: إذا استحيى فهو خزيان وامرأة خزيانة . كذا قال أهل المعانى فخزى المؤمنين يومئذ : استحياؤهم فى دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها ، والخزى للكافرين : هو هلاكهم فيها من غير موت والمؤمنون يموتون ، فافترقوا فى الخزى والهوان ، ثم يخرجون بشفاعة من أذن الله له فى الشفاعة وبرحمة الرحمن وشفاعته على ما يأتى فى الباب بعد هذا ، وعند ذلك يكونون مرضيين قد رضى عنهم، ثم لا يأتى الإذن فى أحد حتى لا يبقى عليه من قصاص ذنبه إلا ما تجيزه الشفاعة فيؤذن فيه فيلحق بالفائزين الراضين ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله تعالى :﴿ يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه ﴾ فمعناه: لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب العصاة وأماتهم فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته على ما يأتى فى الباب بعد هذا ، والله أعلم .

باب منه فى الشفعاء وذكر الجهنميين

١٠٨٨- ذكر ابن المبارك قال ، أخبرنا رشدين بن سعد عن يحيى، عن أبى عبد الرحمن الحتلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى ﷺ قال :« إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب ، منعته الطعام والشراب

والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان » [حديث صحيح] .

١٠٨٩- وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه وفيه بعد قوله في نار جهنم : « حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله تعالى فى استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار » [حديث صحيح] .

١٠٩٠- وخرجه ابن ماجه ولفظه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ :« إذا خلص الله المؤمنين من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين الذين دخلوا النار.قال: يقول ربنا إخواننا كانوا . فذكره بمعناه . يقولون: ربنا كانوا معنا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم :أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، ثم يقول الله عز وجل : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون.ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خيرفأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ربنا لم نذر فيها خيراً» .

وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : « إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم :﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما** ﴾ فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين » . وفى البخارى « وبقيت شفاعتى» بدل قوله « ولم يبق إلا أرحم الراحمين » . فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ،عادوا حمماً فيلقيهم في نهر على أفواه الجنة يقال له :نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟» قالوا:

يا رسـول الله ،كأنك كنت ترعى بالبادية . قـال : فيـخرجـون كاللؤلؤ فى رقـابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عـمل عملوه ولاخير قدموه، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتـموه فهو لكم ، فيقولون :ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحـداًمن العالمين ، فـيقول ، فيقول : لكم عندى أفـضل من هذا . فيـقولون : يا ربنا وأى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول :رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا» .

[حديث صحيح]

١٠٩٢- فصل : هذا الحديث يبين أن الإيمان يزيد وينقص حـسب ما بيناه فى آخر سورة آل عمـران من كتاب (جامع أحكام القرآن) فإن قـوله : «أخرجوا من فى قلبه مـثقال دينار ونصف دينار وذرة »يدل على ذلك. وقوله: « من خـير » يريد: من إيمان ، وكـذلك ما جـاء ذكره فى الخبر فى حـديـث قتادة عـن أنـس « وكـان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ما يزن برة ، ما يزن ذرة » أى : من الإيمان بدليل الرواية الأخرى التى رواها معبد بن هلال العنزى عن أنس وفيها :«فأقول يارب ، أمتى أمتى» فيقال : « انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجه منها ،فأنطلق فأفعل» . الحديث بطوله أخرجه مسلم. فقوله : « من إيمان » أى :من أعـمال الإيمان التى هى أعمال الجوارح ، فـيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصـالحة من شرائع الإيمان، ومنه قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أى صلاتكم .

١٠٩٣- وقـد قـيل:إن المراد فـى هذا الحـديث أعـمـال القلـوب كـأنه يقـول: أخرجـوا من عمل عـملاً بنيـة من قلبه كـقوله: « الأعـمال بالنيـات » وفى هذا المعنى خبر عجيب يأتى ذكره آنفا إن شاء الله تعالى .

ويجوز أن يراد به ، رحـمة على مسلم رقـة على يتيم خوفـا من الله رجاء له ، توكـلا عليه ثقـة به مما هى أفـعال القلوب دون الجـوارح ، وسمـاها إيماناً لكونهـا فى محل الإيمان .

والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلنا، ولم يرد مجـرد الإيمان الذى هو التوحيد له ونفى الشـركـاء، والإخـلاص بقـول لا إله إلا الله،مـا فى الحـديـث نفـسـه من قوله:«أخرجوا أخرجوا» ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض قبضة فيخرج قوماً لم يعملوا خيرا قط يريد: إلا التـوحيد المجرد عن الأعـمـال ، وقد جاء هذا مبينا فيـما رواه الحسن

عن أنس وهى الزيادة التى زادها على بن معبد فى حديث الشفاعة ، ثم أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، قال:فيقال لي : محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ،ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله . قال: ليس ذاك لك أو قال : ليس ذلك إليك ، وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبروتى لأخرجن من قال : لا إله إلا الله [**حديث صحيح**].

١٠٩٥- وذكره أبو بكر البزار في مسنده ، عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال :« أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين يريد الله إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة،فيرسل الله عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة:الجهنميين ،فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم» [**حديث صحيح**]

١٠٩٦- البخارى عن أنس (بن مالك) عن النبى ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين » .

[**حديث صحيح**]

١٠٩٧-الترمذى عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال:« ليخرجن قوم من النار بشفاعتى يسمون :الجهنميين » قال : حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**].

١٠٩٨- وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :« شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» خرجه الترمذى وصححه أبو محمد عبد الحق [**حديث صحيح**] .

١٠٩٩- وخرجه أبو داود الطيالسى وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ:« شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » زاد الطيالسى ، قال : فقال لى جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ؟ قال أبو داود: وحدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر [**حديث صحيح لغيره**] .

١١٠١- وخرج ابن ماجه، حدثنا إسماعيل بن أسد ، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السكونى ، حدثنا زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند ، عن ربعى بن حراش ، عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة،فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ، ولكنها للخاطئين المذنبين المتلوثين » [**حديث صحيح**] .

١١٠٢- قلت : وأنبأناه الشيخ (الإمام) الفقيه أبو القاسم عبد الله بن على بن خلف الكوفى إجازة عن أبيه الفقيه الإمام المحدث أبى الحسن على بن خلف الكوفى قال :قرئ على الشيخة الصالحة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهروانى فى منزلها وأنا حاضر أسمع ، قيل لها : أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد النعالى فأقرت به ، وقالت : نعم . قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن زرقويه البزار ، وأخبرنا أبو على إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصغار ، حدثنا عبد الله بن أيوب المخرمى ، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السكونى ، عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند ، عن ربعى بن حراش عن النبى ﷺ قال :« خيرت بين الشفاعة ونصف أمتى فاخترت الشفاعة أترونها للمتقين ؟ لا، ولكنها للخاطئين المتلوثين ؟» .

[**حديث صحيح وإسناده مرسل**]

١١٠٣- وخرج ابن ماجه قال : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا ابن جابر قال : سمعت سليم بن عامر يقول ، سمعت عوف ابن مالك الأشجعى يقول:قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما خيرنى ربى الليلة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال :إنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة ، قلنا : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من أهلها . قال : هى لكل مسلم » [**حديث صحيح**] .

١١٠٥- **فصل** : قلت : جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى قال : «فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم» وفى حديث أبى هريرة -رضى الله عنه-: « يكتب على جباههم عتقاء الرحمن » وهذا تعارض .

ووجه الجمع بين الحديثين أن يكون بعضهم سيماهم فى وجوههم وبعضهم سيماهم فى رقابهم ، وقد جاء في حديث جابر وفيه بعد إخراج الشافعين ، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أنا الله أخرج بعلمى ورحمتى ، فيخرج أضعاف ما خرجوا وأضعافهم ، ويكتب فى رقابهم عتقاء الله عز وجل فيدخلون الجنة فيسمون فيها بالجهنميين .

قلت: وقد يعبر بالرقبة عن جملة الشخص قال الله تعالى: ﴿ **فتحرير رقبة**﴾

وقال عليه (الصلاة و)السلام :« ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها» ، وقد تعبر العرب بالرقاب عن جملة المال قال الشاعر :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً علقت لضحكته رقاب المال

فيحتمل أن يكون المعنى فى حديث أبى سعيد وجابر- رضى الله عنهما - : فيخرجون مثل اللؤلؤ يعرف أهل الجنة أشخاصهم بالخواتيم المكتوبة على جباههم كما فى حديث أبى هريرة -رضى الله عنه- ولا تعارض على هذا ، والله أعلم .

[حديث صحيح]

١١٠٨- أخبرنا الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب عرف بابن رواحة قرأت عليه ، قال : قرئ على الحافظ السلفى وأنا أسمع قال : أخبرنا الحاجب أبو الحسن بن العلاف أخبرنا أبو القاسم بن بشران ، أخبرنا الآجرى أبو بكر محمد بن الحسين ، حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن (شعبة) الأنصارى ، حدثنا على بن مسلم الطوسى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى قال : حدثنى عمرو بن رفاعة الربعى، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون وأهلها الذين يخرجون منها إذا أسقطوا فيها كانوا فحما ، حتى يأذن الله فيخرجهم فيلقيهم على نهر يقال له الحياة ، أو الحيوان ، فيرش أهل الجنة عليهم الماء ، فينبتون ، ثم يدخلون الجنة يسمون الجهنميين .

ثم يطلبون من الرحيم - عز وجل - فيذهب ذلك الاسم عنهم ويلحقون بأهل الجنة ، وأما سيماء المتحابين فعلامة شريفة ونسبة رفيعة ، فلذلك لم يسألوا محوها ولا طلبوا زوالها وإزالتها » . والله أعلم .

فإن قيل : ففى هذا ما يدل على أن بعض من يدخل الجنة قد يلحقه تنغيص ما ، والجنة لا تنغيص فيها ولا نكد .

قيل له : هذه الأحاديث تدل على ذلك وأن ذلك يلحقهم عند دخول الجنة ، ثم يزول ذلك الاسم عنهم ، وقد مثل بعض علمائنا هذا الذى أصاب هؤلاء بالبحر تقع فيه النجاسات أنه لا حكم لها ، كذلك ما أصاب هؤلاء بالنسبة إلى أهل الجنة ، وهو تشبيه حسن .

قلت : وقد يلحق الجميع خوف ما عند ذبح الموت على الصراط على ما يأتى، وبعده يكونون آمنين مسرورين قد زال عنهم كل متوقع،والله أعلم [**حديث صحيح**]

١١١٠- وقد جاء فى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تتقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثه أمثال ما نسيتهن بعد قال : « كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » [**حديث صحيح**] .

باب معرفة المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

١١١٥- قد تقدم من حديث أبى سعيد الخدرى أن المؤمنين يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ، ويصلون ويحجون ، أدخلتهم النار ، فيقول لهم : اذهبوا فمن عرفتم أخرجوه . وذكر الحديث [**حديث صحيح**] .

١١١٦- وخرج مسلم من حديث أبى هريرة ، عن النبى ﷺ وفيه بعد قوله: « ومنهم المجازى حتى ينجى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله ، فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل » وذكر الحديث [**حديث صحيح**] .

١١١٧- وخرج عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :« إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة » [**حديث صحيح**] .

١١٢٠- **فصل** : قوله : « إذا فرغ الله » مشكل وفى التنزيل ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ ومعناه : المبالغة فى التهديد والوعيد من عند الله تعالى لعباده كقول القائل : سأفرغ لك ، وإن لم يكن مشغولا عنه بشغل وليس بالله تعالى شغل ، تعالى عن ذلك .

وقيل : المعنى : سنقصد لمجازاتكم وعقوبتكم كما يقول القائل لمن يريد

تهديده: إذا أتفرغ لك أى : أقصد قصدك . وفرغ بمعنى قصد وأحكم . قال جرير بن نمير الجعفى :

ألان وقد فرغت إلى نمير فهذا حين كنت لها عذابا

يريد : وقد قصدت نحوه فمعنى فرغ الله من القضاء بين العباد ، أى تمم عليهم حسابهم وفصل بينهم ، لأنه لا يشغله شأن عن شأن، سبحانه وتعالى .

باب ما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

١١٢١- قال الحسن : يقول الله تعالى : « جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم » .

١١٢٣- وروى أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ :﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ فقال الأعرابى : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها،فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

١١٢٤- وقال الصنابحى : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال : مهلاً لم تبكى ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحداً ، وسوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسى . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار » . خرجه مسلم وغيره من الأئمة [**حديث صحيح**].

١١٢٥- وخرج مسلم من حديث سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ:« إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ،كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل فى الأرض منها رحمة واحدة ، فيها تعطف الوالدة على ولدها ، والطير والوحوش بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد .

وفي بعض الطرق لأبى هريرة : « فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة، فرحم بها عباده يوم القيامة» .

[**حديث صحيح**]

١١٢٦- **قلت** : أخبرناه عاليا. الشيخ الإمام الحافظ المسند أبو الحسن ، على بن محمد بن محمد بن عمرو البكرى التيمى من ولد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه- قرأه عليه بالصنورة المنصورة بالديار المصرية فى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة سبع وأربعين وستمائة قال : حدثنا الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد بن معمر الدارقرى قدم علينا دمشق قال : أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الكاتب ببغداد ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن عيلان البزاز ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى ، أخبرنا موسى ابن سهل الوشا ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الحجاج بن أبي ديب قال : سمعت أبا عثمان النهدى يحدث عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : «لما خلق الله تعالى السموات والأرض ، أنزل مائة رحمة ،كل رحمة طباقهما ، فقسم رحمة واحدة منها بين جميع الخلائق ، فمنها يتعاطفون ، فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على التسعة والتسعين فأكملها مائة يرحم الله بها عباده يوم القيامة حتي إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن ينال منها شيئاً » [**حديث صحيح**] .

١١٣٠-وروى مسلم عن عمر بن الخطاب-رضى الله عنه-أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبى وإذا بامرأة من السبى تبتغى ولدا لها إذ وجدت صبياً فى السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله ﷺ :« أترون هذه المرأة طارحة ولدها (فى النار) قلنا : لا، والله وهى قادرة على أن تطرحه ، فقال رسول الله ﷺ :« لله أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه البخارى أيضًا [**حديث صحيح**] .

١١٣١- وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبى أمامة بالشام ، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبى أمامة وعنده عم له وهو يقول له: يا عدو الله ألم آمرك ؟ ألم أنهك ؟ فقال (الفتى) : يا عماه ، لو أن الله تعالى دفعنى إلى والدتى كيف كانت صانعة بى ؟ قال : كانت تدخلك الجنة، قال : إن ربى الله أشفق من والدتى وأرحم بى منها . وقبض الفتى من ساعته ، فلما جهزه عمه وصلى عليه ، وأراد أن يضعه فى لحده فدخلت القبر مع عمه،فلما سواه صاح وفزع ، فقلت له : ما شأنك ؟ قال : فسح له فى قبره وملىء نوراً فدهشت منه [**إسناده حسن**] .

باب منه

١١٣٨- ذكر أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة، ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله، ثم مات قال: أي رب ، مالي عندك ؟(فقال) : النار .(فقال : يا رب) فأين عبادتي واجتهادي ؟ قيل له :«إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك (اليوم)من رحمتي » . [**إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات**]

باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

١١٤٠- مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ:«حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . خرجه البخاري أيضاً ، وقال فيه الترمذي : حديث (حسن)صحيح غريب [**حديث صحيح**] .

١١٤١- وخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . قال : فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال : فرجع إليه وقال :وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها . قال : فأمر بها فحفت بالمكاره،فقال : فارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها .قال : فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره،فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد . قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضا فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال : ارجع إليها، فرجع إليها،فقال : وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها » .

قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح [**حديث حسن**] .

فصل : المكاره : كل ما يشق على النفس ويصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات ، والصبر على المصائب وجميع المكروهات . والشهوات : كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها . وأصل الحفاف: الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى ، فمثل (النبي) ﷺ المكاره والشهوات بذلك، فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها ،

والنار لا ينجو منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها .

١١٤٣- وقال القاضي أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين) له ، ومعنى قوله عليه (الصلاة و)السلام : « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » أي جعلت على حافاتها وهي جوانبها ، ويتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعله في جوانبها من الخارج ، ولو كان ذلك ما كان مثلا صحيحاً ،وإنما هي من داخل وهذه صورتها :

الجنة

الصبر	الألم (الفقر)
المكاره	(العدو)

النار

الدنيا	المال	(الجاه)	النساء

وعن هذا قال ابن مسعود: حفت الجنة بالمكاره ، والنار حفت بالشهوات ، فمن اطلع الحجاب فقد واقع ما وراء ، وكل من تصورها من خارج فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال .

فإن قيل : فقد (قال) حجبت النار بالشهوات . قلنا : المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى : الذى (قد) أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها ، وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة عنه، ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجبت .

باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما

١١٤٤- البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ:«احتجت الجنة والنار فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال الله لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها » . خرجه مسلم والترمذى ، وقال : هذا حديث حسن صحيح [**حديث صحيح**] .

١١٤٥- فصل : قال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث : سئل محمد(بن إسحاق بن)خزيمة عن قول النبى ﷺ :تحاجت النار والجنة فقالت هذه : يدخلنى الضعفاء ، من الضعيف؟ قال: الذى يبرئ نفسه من الحول والقوة يعنى فى اليوم عشرين مرة أوخمسين مرة .

قال المؤلف(رحمه الله): ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع، والله أعلم .

١١٤٦- وأما المساكين : فالمراد بهم : المتواضعون ، وهم المشار إليهم فى قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم أحينى مسكيناوأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » . ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم — فانظر إلى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الله رغبته — وذاك (الذى)يصلح للدنيا وللدين

ومعنى«(احتجت) الجنة والنار»أي حاجت كل واحدة صاحبتها وخاصمتها،وسيأتى بيانه عند قوله عليه الصلاة و السلام:«اشتكت النار إلى ربها» [حديث حسن]

باب منه فى صفة أهل الجنة وأهل النار وفى شرار الناس من هم ؟

١١٤٧- مسلم عن عياض بن (حمار) المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال يوماً فى خطبته : « أهل الجنة . ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف ضعيف متضعف ذو عيال » .

قال : « وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ، ومالك، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش » [حديث صحيح] .

١١٤٨- وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال : قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر » وفى رواية :«زنيم متكبر » . خرجه ابن ماجه

أيضًا [حديث صحيح] .

١١٤٩- أبو داود عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى» قال : والجواظ : الغليظ الفظ [حديث صحيح] .

١١٥٢- وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :« أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع ، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع » [حديث صحيح لغيره] .

١١٥٣- مسلم عن(أنس بن مالك) قال : « مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقال رسول الله ﷺ : « وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقال رسول الله ﷺ: وجبت وجبت وجبت . فقال عمر: فداك أبي وأمي ،مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقلت : وجبت وجبت وجبت ، فقال رسول الله ﷺ :من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شرا، وجبت له النار،أنتم شهداء الله فى الأرض » قالها ثلاثا.

وقالت عائشة – رضى الله عنها – : الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء .

وقال زيد بن أسلم : أمرك الله تعالى أن تكون كريما فيدخلك الجنة ، ونهاك أن تكون بخيلا فيدخلك النار [حديث صحيح] .

١١٥٥- **فصل** : قوله : ذو سلطان مقسط وما بعده مرفوع على أنها صفات(لذو) وهى بمعنى صاحب ، والمقسط : العادل ، والمتصدق : المعطى الصدقات ، والموفق : المسدد لفعل الخيرات ، ورقيق القلب : لينه عند التذكر والموعظة ، ويصلح أن يكون بمعنى : الشفيق .

وقوله : « ضعيف متضعف » يعنى ضعيف فى أمور الدنيا قوى فى (أمور) دينه كما قال عليه (الصلاة و)السلام : « المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير» . الحديث خرجه مسلم .

أما من كان ضعيفا فى أمور دينه لا يعنى بها فمذموم ، وذلك من صفات أهل النار كما قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له أى لا عقل له، ومن لا عقل له ينفك به عن المفاسد ولا ينزجر به عنها ، فحسبك به ضعفا وخسارة فى الدين ، وقد قيل فى الزبر : إنه المال وليس بشيء ، لأن النبى ﷺ فسر ذلك

بقوله:الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا [حديث صحيح] .

١١٥٦- قال شيخنا أبو العباس - رضى الله عنه -: فيعنى بذلك أن هؤلاء ضعفاء العقول فلا يسعون فى تحصيل مصلحة دنيوية ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل يهملون أنفسهم إهمال الأنعام ولا يبالون بما (يعيشون) عليه من الحلال والحرام ، وهذه الأوصاف الخبيثة الذاتية هى أوصاف هذه الطائفة المسماة بالقدرية .

وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير راوى الحديث : والله لقد أدركتم فى الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحى ما به إلا وليدتهم يطاولها ، و يخفى بمعنى يظهر وهو من الأضداد .

وقوله : وذكر البخل والكذب هكذا الرواية المشهورة بالواو الجامعة والكذب وقد رواه ابن أبى جعفر عن الطبرانى بأو التى للشك قاله القاضى عياض ، ولعله الصواب وبه تصح القسمة ، لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة : الضعيف الذى وصفه ، والخائن الذى وصف ، والرجل المخادع الذى وصف .

قال : وذكر البخل والكذب ، ثم ذكر الشنظير الفحاش فرأى هذا القائل أن الرابع هو (صاحب) أحد الصنفين ، وقد يحتمل أن يكون الرابع قد جمعهما على رواية واو العطف كما جمعها فى الشنظير الفحاش .

(وكذلك) قوله : أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال.

١١٥٧- قال القاضى عياض: كذا قيدناه بخفض مسلم عطفا على ما قبله . وفى رواية أخرى ومسلم عفيف بالرفع وحذف الواو،(قال) شيخنا انتهى كلام القاضى عياض - رحمه الله -.

والعفيف: الكثير العفة وهى الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق . والمتعفف : المتكلف العفة . الشنطير : السيئ الخلق ويقال شنظيرة أيضا . قاله الجوهرى . وأنشد قول أعرابية :

شنظيرة زوجنيه أهلى ... من حمقه يحسب رأسى رجلى

* كأنه لم ير أنثى قبلى *

وربما قالوا شنذيرة بالذال المعجمة لقربها من الظاء لغة أو لثغة ، والفحاش :

الكثير الفحش ، وقيل الشنظير : وهو الفحاش . قال صاحب العين: ويقال شنظر بالقوم إذا شتم أعراضهم ، والشنظير : الفحاش من الرجال القلق وكذلك من الإبل. والجواظ : الجموع المنوع ومنه قوله تعالى: ﴿ وجمع فأوعى ﴾ .

وقيل : الجواظ : الكثير اللحم المختال . وقيل : هو الجافي القلب . والعتل . قيل: الجافي الشديد الخصومة . وقيل : هو الأكول الشروب الظلوم.

١١٥٨- قال المؤلف : ويقال : إنه الفظ الغليظ الذى لا ينقاد لخير . والجعظرى : الفظ الغليظ القصير ، وجاء في تفسيره في بعض الأحاديث: هم الذين لا تصدع رؤوسهم .

قال شيخنا : والزنيم : المعروف بالشر . وقيل : اللئيم ، وأما الزنيم المذكور فى القرآن :فرجل معين له زنمة كزنمة التيس . وقيل : هو الوليد وكان له زنمة تحت أذنه، وقيل هو الملصق بالقوم ، وقيل : وهو الأخنس بن شريق .

وقوله عليه السلام : « من أثنيتم عليه شرا وجبت له النار » يعارضه قوله عليه السلام « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » . أخرجه البخارى .

والثناء بالشر : سب. فقيل ذلك خاص بالمنافقين الذين شهدت الصحابة فيهم بما ظهر لهم ، ولذلك قال عليه السلام : « وجبت له النار » . والمسلم لا تجب له النار، واختار هذا القول القاضى عياض .

وقيل : ذلك جائز فيمن كان يظهر الشر ويعلن به ، فيكون ذلك من باب (لا غيبة لفاسق).

وقيل : إن المنهى إنما هو بعد الدفن . أما قبله فممنوع ، لقوله عليه السلام : « لا تسبوا الأموات » فالنهى عن سب الأموات متأخر فيكون ناسخا، والله أعلم .

وقوله : « أنتم شهداء الله في الأرض » معناه عند الفقهاء إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة، لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل فى الحديث ، وكذلك لو كان القائل فيه عدوا له وإن كان فاضلا لأن شهادته في حياته لو كانت عليه كانت غير مقبولة ، وكذلك الحكم في الآخرة والله أعلم [**حديث صحيح**] .

١١٥٩- وقيل إن تكرار « أنتم شهداء الله في الأرض » ثلاثا إشارة إلى القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبى ﷺ :« خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم

الذين يلونهم » .

قلت : الأول أصح ، لأن الله تعالى مدح هذه الأمة بالفضل والعدالة إلى يوم القيامة قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ يعني في الآخرة كما تقدم فلا يشهد إلا العدول [حديث صحيح] .

١١٦٠ – وقد خرج البخارى ، عن حماد بن زيد عن ثابت ، عن أنس قال : «مر على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرا،فقال : وجبت، ثم مر عليه بأخرى فأثنوا عليها شرا– أو قال غير ذلك – فقال: وجبت، فقيل : يا رسول الله، قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت؟فقال : المؤمنون شهداء الله فى الأرض » وخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد وقال شهادة القوم ، والمؤمنون شهود الله فى الأرض [حديث صحيح]

١١٦١ – وفي البخارى أيضا عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، قلنا : وثلاثة ؟ قال : وثلاثة، فقلنا : واثنان ؟ قال : واثنان ، ثم لم نسأله عن الواحد » قال أبو محمد عبد الحق: وهذا الحديث مخصوص والله أعلم ، والذى قبله يعطى العموم وإن كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة ،والله أعلم .
[حديث صحيح]

١١٦٢ – قال المؤلف رحمه الله : ومن هذا المعنى ما ذكره هناد بن السرى، أخبرنا إسحاق الرازى ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن السائب قال : مرت جنازة بعبد الله بن مسعود فقال لرجل : قم فانظر من أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ قال الرجل : وما يدرينى أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ وكيف أنظر ؟ قال : ثناء الناس عليه، فإنهم شهداء الله فى الأرض .

قال أبو محمد : وغير مستنكر إذا أحب الله عبداً أمر أن يلقى على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفى قلوبهم المحبة له، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [إسناده صحيح] .

١١٦٣ – وقال عليه السلام : « إذا أحب الله عبدا قال :يا جبريل ، إنى أحب فلانا فأحبه، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه،

قال: فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، وذكر في البغضاء مثل ذلك » وهذا حديث صحيح خرجه البخارى ومسلم . قال أبو محمد عبد الحق : وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء عليهم وصرفت القلوب إليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته، وكثر الحاملون لها والمنشغلون بها ، وربما كثر الله الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم مما يكون فى صور الناس [حديث صحيح] .

وقد شوهد من جنائز الصالحين من يشيعها الطير ويسير معها حيث سارت منهم : أبو الفيض ذو النون المصرى ، وأبو إبراهيم المزنى صاحب الشافعى حدث بذلك الثقات ، قاله أبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له .

باب منه في صفة أهل الجنة وأهل النار

١١٦٧- مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ:« صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب:الرواية بالياء بلا خلاف، وتحكم أبو اليد الكتانى فرواه بالثاء المثلثة وهى المنتصبة وهذا خطأ منه وتصحيف [حديث صحيح] .

١١٦٨- وخرجه مسلم أيضا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» [حديث صحيح] .

١١٦٩- **فصل** : للعلماء فى تأويل هذا الحديث وجهان :

أحدهما : أنها مثلها فى الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفا حتى قالوا :أحذر من غراب ، وقد غلب الخوف على كثيرمن السلف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا .

الثانى : أنه مثلها في الضعف والرقة، كما جاء فى الحديث الآخر فى أهل اليمن هم أرق قلوبا ، وأضعف أفئدة .

١١٧١- قلت : ونظير ما ذكرناه وما قاله هؤلاء الأئمة من الكتاب قوله تعالى: ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ وقوله عليه السلام وقد سئل أى الناس

أفضل ؟ قال : « الصادق اللسان المخموم القلب » قالوا : أما الصادق اللسان فقد عرفناه أنه ذلك، فما المخموم القلب؟ قال: « النقى الذى لا غل فيه ولاحسد » ذكره أبو عبيدة. والعرب تقول خممت البيت أى كنسته، ومنه سميت الخمامة وهى مثل القمامة والكناسة [**حديث صحيح**] .

١١٧٢- وقال بعض العلماء فى البله وجهاً آخر لطيفاً وهو : أنهم سموا بذلك لقصورهم عن كمال المعرفة بحق الله تعالى ورؤية استحقاقه العبادة، وإيثار طلبه،والشغف بحبه وخدمته،وطلب رضاه الذى هو جنة الخلد إذا وقفوا بخواطرهم على الجنة ونعيمها ، وعبدوه ، وأطاعوه في نيل درجاتها ولذاتها غافلين عن مراقبة جلاله وملاحظة كماله بعكوف همهم على نيل نعمه وأفضاله ، فهم بله أيضا بالإضافة إلى العقلاء عن الله عز وجل ذوى الألباب المقبلة على مشاهدة عظمة الله تعالى ،(و)المتوجهين بكليتهم إليه المشغولين به عما لديه ، ولهذا قال النبى ﷺ فى سياق قوله: « أكثر أهل الجنة البله وعليون لأولى الألباب » وفى الخبر : أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل تزفهم الملائكة إلى الجنة والناس فى الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا ؟ فيقولون : إلى الجنة .فيقولون : إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا ، فتقول لهم الملائكة : وما بغيتكم ؟ فيقولون : المقعد الصدق مع الحبيب . كما أخبر ﴿**فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾.

١١٧٣- ولعل من هذا القبيل من يسأل الله الجنة إلا أن سؤاله إياها لا لها بل موافقة لمولاه لما علم أنه يحب أن يسأل من ثوابه ويستعاذ من عذابه فوافق مولاه في إيثاره،لا لحظ نفسه كما قال عليه (الصلاة و) السلام لأحد أصحابه الذى قال:«أما أنا فأقول فى دعائى : اللهم أدخلنى الجنة وعافنى من النار ولا أدرى ما دندنتك ولا دندنة معاذ فقال له النبى ﷺحولها ندندن».

قلت : خرجه أبو داود في سننه وابن ماجه أيضاً [**حديث صحيح**] .

١١٧٤- **فصل** : قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب : قوله « صنفان من أهل النار لم أرهما» الصنف فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء ، والسوط فى اللغة اسم للعذاب وإن لم يكن له ثم ضرب . قاله الفراء .

وقال ابن فارس في(المجمل) السوط من العذاب النصيب ، والسوط خلط

بعضه ببعض ،وإنما سمى سوطا لمخالطته، وإنما أراد النبى ﷺ عظم السياط وخروجها عن حد ما يجوز به الضرب فى التأديب ، وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن وغيره .

وقوله « نساء كاسيات عاريات » يعنى : أنهن كاسيات من الثياب عاريات من الدين لانكشافهن وإبدائهن بعض محاسنهن .

وقيل : كاسيات ثيابا رقاقا يظهر ما خلفها وما تحتها فهن كاسيات فى الظاهر عاريات فى الحقيقة.

وقيل:كاسيات فى الدنيا بأنواع الزينة من الحرام ومالا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة،ثم قال عليه(الصلاة و)السلام «مائلات مميلات»قيل: معناه زائغات عن طاعة الله تعالى وطاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب، ومميلات يعلمن غيرهن الدخول فى مثل فعلهن .

قيل : مائلات متبخترات فى مشيهن ،مميلات يملن رؤوسهن وأعطافهن من الخيلاء والتبختر،ومميلات لقلوب الرجال إليهن لما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن.

وقيل : يتمشطن الميلاء وهى مشطة البغايا ، والمميلات : اللواتى يمشطن غيرهن المشطة الميلاء . قال ﷺ :« رؤوسهن كأسنمة البخت » معناه : يعظمهن رؤوسهن بالخمر والمقانع ويجعلن على رؤوسهن شيئا(يسمى) عندهن التازة لا عقص الشعر ، والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت: قلت : يا رسول الله ، إنى امرأة أشد ضفر رأسى . الحديث .

باب ما جاء في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

١١٧٥- مسلم عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين ، وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » .

[حديث صحيح]

١١٧٦- ومن حديث ابن عباس فى حديث كسوف الشمس:«ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال: بكفرهن ، قيل أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت

إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك ما تكره قالت : ما رأيت منك خيرا قط » .
[حديث صحيح]

١١٧٧- وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : « إن أقل ساكنى الجنة النساء» [حديث صحيح] .

١١٧٨- **فصل** : قال علماؤنا : إنما كان النساء أقل ساكنى الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيالنقصان عقولهن أن تنفذن بصائرها إلى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ، ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن ، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن

من المعرضين عن الدين ، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين .

وعن كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : أيها الناس ، لا تطيعوا للنساء أمراً ، ولا تأمنوهن على مال، ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير ، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن، ولا ورع لهن عند شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن ففاجرات، وأما طوالحهن فعاهرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات، فيهن ثلاث خصال من اليهود: يتظلمن وهن ظالمات ، ويحلفن وهن كاذبات ، ويتمنعن وهن راغبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن ، والسلام .

١١٧٩- وقال ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » وسيأتى [حديث صحيح] .

١١٨٠- وقال : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء ، وهو معنى قوله عليه(الصلاة و) السلام فى الحديث المتقدم : « مائلات مميلات » . قال الحافظ ابن دحية : تحفظوا عباد الله منهن وتجنبوا غيهن ، ولا تثقوا بودهن ولا عهدهن ، ففى نقصان عقولهن ودينهن ما يغنى عن الإطناب فيهن [حديث صحيح] .

باب منه

١١٨١- البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من يأبى . قيل : ومن يأبى يا رسول الله؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى » [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن العرفاء في النار

١١٨٤- وفى الصحيح في قصة هوازن : ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم .

فصل : قال علماؤنا : العريف هنا القيم بأمر القبيلة والمحلة، يلى أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم، وقوله:« العرافة حق » ، يريد: أن فيها مصلحة للناس ورفقا لهم ،ألا تراه يقول : « ولابد للناس من عرفاء » ، وقوله « فى النار » : معناه التحذير من الرئاسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة . والله أعلم .

[حديث صحيح]

باب منه

١١٨٥- أبو داود الطيالسى قال: حدثنا هشام عن عباد بن أبى على عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « ويل للأمناء، ويل للعرفاء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ، وأنهم لم يلوا عملاً » [حديث حسن]

باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولاقاطع رحم

قال الله تعالى :﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا** ﴾نزلت فى المكاسين والعشارين فى قول بعض العلماء وقال تعالى :﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ الآية.

١١٨٦- مسلم عن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: « لا يدخل الجنة قاطع » قال ابن أبي عمر: قال سفيان :يعنى قاطع رحم. رواه

البخارى [حديث صحيح] .

١١٨٧- أبو داود ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة صاحب مكس » .

فصل : قال علماؤنا : صاحب المكس هو الذى يعشر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم إذا مروا به مكسا باسم العشر أو الزكاة ، وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء ، وقد (قلنا) إن التبديل إذا كان فى الأعمال وليس في العقائد صاحبه في المشيئة وإن عذب ، فإنه يخرج بالشفاعة على ما تقدم ، وهكذا القول فى أهل الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال [حديث حسن] .

باب ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم

١١٨٩- مسلم عن أبى هريرة قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها : قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت. قال : كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرىء ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه (فعرفها) قال:قال:فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، (وقد) قرأت فيك القرآن .قال : كذبت، ولكنك تعلمت(العلم) ليقال:عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله(تعالى) عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال:ما تركت (من) سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال:كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ،ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ».خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه ، وقال فى آخره: ثم ضرب رسول الله ﷺعلى ركبتى ،فقال:« يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة» [حديث صحيح] .

باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب

١١٩٠- مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» [**حديث صحيح**] .

١١٩١- الترمذي عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي» قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً [**حديث صحيح**] .

١١٩٥- **فصل** : لا تظن أن من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فإن النبي ﷺ رقى نفسه وأمر بالرقى ، وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكر الطبري وغيره ، فمحمل النبي ﷺ عن رقى مخصوصة بدليل قول رسول الله ﷺ لآل عمرو بن حزم :« أعرضوا على رقاكم ، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك » وكذلك الكي الذي لا يوجد عنه غنى ، فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروها في حقه، ولا منقصا له من فضله، ويجوز أن يكون من السبعين ألفا ، وقد كوى النبي ﷺ نفسه فيما ذكره الطبري في كتاب (آداب النفوس) له ذكره الحليمي في كتاب (المنهاج في الدين) له .

واختلفت الرواية في الكي ، فروى أن النبي ﷺ اكتوى من الكلم الذي أصابه في وجهه يوم أحد ، وكوى سعد بن زرارة من الشوكة ، وكوى سعد(بن) معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن وأبي بن كعب المخصوص بأنه أقرأ الأمة للقرآن ، وقد اكتوى عمران بن حصين وقطع رجله عروة بن الزبير ، فمن اعتقد أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفا ، ففساد كلامه لا يخفى [**حديث صحيح**] .

باب منه

١١٩٩- ابن المبارك عن ابن عباس قال : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال ، فيقومون ، فيسرحون إلى الجنة ، ثم ينادي ثانية : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين كانت ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا**

وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قال : فيقومون فيسرحون إلى الجنة . قال : ثم ينادى ثالثة:ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين كانوا﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ .الآية (فيقومون) فيسرحون إلى الجنة [خبر صحيح] .

باب منه

١٢٠٥- **فصل** : لا يحملنك (يا) أخى شيء من هذا الحديث ولا الذى قبله ولا ما وقع في صحيح مسلم من قوله عليه(الصلاة و)السلام مخبراً عن الله تعالى كما تقدم : « فيقبض قبضة من النار على التجسيم ، وقد تقدم القول فى هذا المعنى عند قوله: ويطوي السموات بيمينه ، وإنما المعنى: أن الله تعالى يخرج من النار خلقا كثيراً لا يأخذهم عد، ولا يدخلون تحت حصر (فيخرجهم) دفعة واحدة بغير شفاعة أحد ولا ترتيب خروج ، بل كما يلقى القابض الشيء المقبوض عليه من يده فى مرة واحدة ، فعبر عن ذلك بالحفنة والحثوة والقبضة ،(والله أعلم). فاعلم ذلك .

باب أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر

١٢٠٦- مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير(بين) يديك .

قال : فيقول : أخرج بعث النار من ولدك قال : وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون . قال : فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، (و)قال : فاشتد ذلك عليهم . قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال : أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم (رجل ، قال)ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فحمدنا الله(تعالى) وكبرنا ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن تكونوا شطر أهل الجنة ،إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الحمار » خرجه البخارى [**حديث صحيح**] .

١٢٠٩- ورواه مرفوعًا عن عبد الله بن مسعود وفيه : فقال رسول الله ﷺ «أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفًا » فى إسناده الحارث ابن حضيرة ضعيف . ضعفه مسلم فى صدر كتابه. [**حديث صحيح**]

١٢١٠- وخرج ابن ماجه والترمذى عن بريدة بن حصيب قال: قال رسول الله ﷺ :« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم » قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب **[حديث صحيح]** .

١٢١١- **فصل** : تقدم من حديث عبد الله بن (عمرو) وفيه ثم يقول : «أخرجوا بعث النار » وفى هذا يقال لآدم : أخرج بعث النار ، فقيل : إن آدم لما أمر أولا بالإخراج أمر هو والملائكة أن يخرجوا ويميزوا أهل الجنة وأهل النار. والله أعلم.

وقول الصحابة رضوان الله عليهم : « أينا ذلك الرجل »؟ يريدون من الواحد الذى لا يدخل النار؟ توهماً منهم أن القضية واردة فيهم ، فقال ﷺ : « إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم رجلاً » وأطلق لفظ البشارة وبين أن الألف كلها فى النار لكن من غير هذه الأمة المحمدية ، ومن هذه الأمة واحد في الجنة على ما يقتضيه ظاهر هذا اللفظ، وإذا كان كذلك استغرق العدد جميع أمة محمد ﷺ ، فكانوا فى الجنة أو أكثرهم ، لأن يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه،على ما يأتى بيانه من ذكر هم فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

باب فى ذكر أبواب جهنم وما جاء فيها وفى أهوالها وأسمائها أجارنا الله (تعالى) منها برحمته وفضله إنه ولي ذلك والقادر عليه

ذكر الله عز وجل النار فى كتابه ووصفها على لسان نبيه ﷺ ، ونعتها فقال عز من قائل :﴿**كلا إنها لظى نزاعة للشوى**﴾ الشوى : جمع شواة وهى جلدة الرأس ، وقال: ﴿ **وما أدراك ما سقر • لا تبقى ولا تذر • لواحة للبشر**﴾ أى مغيرة. يقال :لاحته الشمس ولوحته: إذا غيرته وقال: ﴿**وما أدراك ماهيه • نار حامية** ﴾ وقال: ﴿ **لينبذن فى الحطمة**﴾ أى : ليرمين فيها ﴿ **وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة**﴾ الآية .

باب ما جاء أن النار لما خلقت فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها

١٢١٣- ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها ، فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون . [**إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات**]

١٢١٤- وقال ميمون بن مهران : لما خلق الله (تعالى)جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبق في السماوات السبع ملك إلا خر على وجهه، فقال لهم الجبار جل جلاله : ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي . فقالوا : ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها، فذلك قوله تعالى: ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون** ﴾ فالنار عذاب الله فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها ، وقد جاء النهي عن ذلك فقال : لا تعذبوا بعذاب الله ، والله أعلم .

باب ما جاء فيمن سأل الله [تعالى] الجنة واستجار به من النار

١٢١٩- الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة :اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار بالله من النار ثلاث مرات ، قالت النار:اللهم أجره من النار » . [**حديث صحيح**]

باب في ما تقرر من الكتاب والسنة

١٢٢١- تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران ، وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك ، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » خرجه النسائي [**حديث صحيح**] .

١٢٢٢-(و)عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » ، وخرجه أبو عيسى الترمذي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً

كما بين المشرق والمغرب » ، ويروى :« ما بين السماء والأرض » . قال : هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة [حديث صحيح] .

١٢٢٤- وفي كتاب أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ:« من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم ، بوعد من جهنم سبعين خريفاً» قلت : يا أبا حمزة : وما الخريف ؟ قال : العام .

١٢٢٥- وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » لفظ مسلم .
[حديث صحيح]

باب ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي ؟

قال الله تعالى :﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ فالنار دركات سبعة أى : طبقات ومنازل، وإنما قال : أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك، ولما تعالى درج ، فيقول للجنة درج وللنار درك ، فالمنافقون فى الدرك الأسفل من النار ، وهى الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين .

١٢٢٧- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن خيثمة ، عن ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ قال : توابيت من حديد تصمت عليهم فى أسفل النار . [خبر صحيح]

١٢٢٨- قال : وأخبرنا إبراهيم أبو هارون الغنوى قال : سمعت حطان بن عبد الله الرقاشي يقول : سمعت عليا يقول : هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قال : قلت : هى مثل أبوابنا هذه ؟ قال : لا ، بل هى هكذا بعضها فوق بعض .
[خبر صحيح]

١٢٢٩- وقال العلماء : أعلى الدركات جهنم وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ هى التى تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم، ثم الهاوية ،وقد يقال للدركات : درجات لقوله تعالى: ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾.

ووقع فى كتب(الزهد والرقائق) أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح .

١٢٣٠- قال الضحاك : فى الدرك الأعلى :المحمديون ، وفى الثانى: النصارى، وفى الثالث : اليهود ، وفي الرابع : الصابئون ، وفى الخامس : المجوس ، وفى السادس :مشركو العرب ، وفى السابع : المنافقون .

١٢٣١- وقال معاذ بن جبل : وذكر العلماء السوء: من العلماء من إذا وعظ عنف، وإذا وعظ أنف، فذلك فى الدرك الأول من النار ، ومن العلماء من يأخذ علمه بأخذ السلطان فذلك فى الدرك الثانى من النار ، ومن العلماء من يخزن علمه،فذلك فى الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير العلم والكلام لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعا، فذلك فى الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم،فذلك فى الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس : سلونى فذلك الذى يكتب عند الله متكلف، والله لا يحب المتكلفين ، فذلك فى الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلا، فذلك في الدرك السابع من النار. ذكره غير واحد من العلماء .

قلت : ومثله لا يكون رأياً وإنما يدرك توقيفا ، ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها . نحو جهنم وسقر ولظى وسموم ، فهذه أعلام ليست لباب دون باب فاعلم ذلك . وفى التنزيل: ﴿ **ووقانا عذاب السموم** ﴾ يريد: النار بجملتها ،كما ذكرنا أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه آمين .

باب ما جاء في قول الله تعالى :
﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾

قال الله تعالى فى محكم كتابه: ﴿ **لها سبعة أبواب** ﴾ وقال :﴿ **حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها** ﴾ .

١٢٣٤- وقال أبى بن كعب :« لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكربًا وحرًا وأنتنها ريحًا للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم» .

باب منه وفي بعد أبواب جهنم بعضها عن بعض وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

١٢٣٧- (روى) عن بعض أهل العلم فى قول الله تعالى :﴿**لكل باب منهم جزء مقسوم**﴾ قال : (من) الكفار والمنافقين والشياطين وبين الباب والباب خمسمائة عام .

فالباب الأول : يسمى : جهنم لأنه يتجهم فى وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره .

والباب الثانى : يقال له: لظى نزاعة للشوى . يقول: أكله اليدان والرجلان، تدعو من أدبر عن التوحيد ، وتولى عما جاء به محمد ﷺ .

والباب الثالث : يقال له سقر ، وإنما سمى سقر؛ لأنه يأكل (لحوم الرجال والنساء لا يبقى لحماً على عظم).

الباب الرابع : يقال لها:الحطمة ، فقد قال الله تعالى :﴿ **وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة**﴾تحطم العظام وتحرق الأفئدة ، قال الله تعالى :﴿ **التى تطلع على الأفئدة** ﴾ تأخذه النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمى بشرر كالقصر كما قال (الله) تعالى :﴿ **إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر**﴾ الآية يعنى سودا فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق (جلودهم) وأيديهم وأبدانهم فيبكون الدمع حتى ينفد ، ثم يكون الدماء ثم يكون القيح حتى ينفد القيح حتى لو أن السفن أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت .

والباب الخامس : يقال له : الجحيم : وإنما سمى جحيماً: لأنه عظيم الجمرة ، الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا .

والباب السادس : يقال له : السعير ، وإنما سمى السعير، لأنه يسعر بهم ولم يطف منذ خلق فيه ثلا ثمائة قصر ، في كل قصر ثلاثمائة بيت ، وفي كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب ، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال ، وفيه جب الحزن ،ليس فى النار عذاب أشد منه، إذا فتح باب الجب حزن أهل النار

[٣١٩/ صحيح التذكرة / صحابة]

حزناً شديداً .

والباب السابع : يقال له: الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبدًا ، وفيه بئر الهبهاب، وذلك قوله تعالى :﴿ **كلما خبت زدناهم سعيرا** ﴾ إذا فتح الهبهاب يخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه الذين قال الله تعالى: ﴿**سأرهقه صعودا**﴾ أو هو جبل من نار يوضع أعداء الله على وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى أعناقهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم ، والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان .

وأبواب النار : حديد . فرشها الشوك غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج . النار من فوقهم والنار من تحتهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل . أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله ، وذكره القتبى فى (عيون الأخبار).

وذكر ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهي كما قال الله تعالى:﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم**﴾ على كل باب سبعون ألف جبل ، فى كل جبل سبعون ألف شعب من النار ، فى كل شعب سبعون ألف شق من النار ، فى كل شق سبعون ألف واد، فى كل واد سبعون ألف قصر من نار ، فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف (حية ، وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف منقار، فى كل منقار سبعون ألف) قلة من سم ، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين (الثقلين) وآخر عن شمالهم ، وسرادق أمامهم وسرادق(من) فوقهم وآخر من ورائهم ، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى : رب، سلم ، رب ، سلم .

باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من [بين] أيديهم وفي قمع النبي ﷺ إياها وردها عن أهل الموقف

١٢٣٩–مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:«يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »

[حديث صحيح]

١٢٤٢– **فصل** : هذا يبين لك ما قلناه: أن جهنم اسم علم لجميع النار ، ومعنى : يؤتى بها: يجاء بها من المحل الذى خلقها الله تعالى فيه ، فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم ، والزمام ما يزم به الشيء أى: يشد ويربط به ، وهذه الأزمة التى تساق بها جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشر فلا يخرج منها إلا الأعناق التى أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه على ما تقدم ويأتى ملائكتها كما وصفهم الله غلاظ شداد .

١٢٤٤– وقال ابن عباس: « ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان فى قعر جهنم» .

وأما قوله تعالى ﴿ **عليها تسعة عشر**﴾ فالمراد: رؤساؤهم على ما يأتى ، وأما جملتهم فالعبارة عنهم كما قال الله تعالى﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ .

١٢٤٥– **فصل** : قال العلماء : إنما خص النبى ﷺ بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم (وسلامه) ، لأنه رآها فى مسراه وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح قال وفى ذلك فوائد ثمان .

الأولى : أن الكفار لما كانوا يستهزئون به ويكذبونه فى قوله ، ويؤذونه أشد الأذى ، أراه الله تعالى النار التى أعدها للمستخفين به وبأمره تطييباً لقلبه وتسكينا لفؤاده (واجتبائه) .

الثانية : الإشارة فى ذلك إلى أن من طيب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام ، فالأولى أن يطيب قلبه فى شأن أوليائه بالتحية والشفاعة والإكرام .

[٣٢١/ صحيح التذكرة / صحابة]

الفائدة الثالثة : ويحتمل أن عرضها عليه ليعلم منة الله تعالى عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته .

الفائدة الرابعة : ويحتمل أنه عرضها عليه ليكون فى القيامة إذا قال سائر الأنبياء: نفسى نفسى ، يقول نبينا (وشفيعنا) محمد ﷺ : أمتى أمتى، وذلك حين تسجر جهنم ، ولذلك أمر الله عز وجل محمداً ﷺ فقال جل من قائل : ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى** ﴾ الآية .

قال الحافظ أبو الخطاب : والحكمة فى ذلك :أن يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمنه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء .

الفائدة الخامسة : أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً منها ، فإذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطيئة والشفاعة من هولها وشغلهم أنفسهم عن أممهم ، وأما نبينا محمد ﷺ فقد رأى جميع ذلك فلا يفزع منه مثل ما فزعوا ليقدر على الخطبة ، وهو المقام المحمود الذى وعده به ربه تبارك وتعالى فى القرآن المجيد وثبت فى صحيح السنة .

الفائدة السادسة : فيه دليل فقهى على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقها ، وهو يجرى على ظاهر القرآن في قوله تعالى : ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾ ﴿ **أعدت للكافرين** ﴾ والإعداد دليل الخلق والإيجاد .

الفائدة السابعة : ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خسة الدنيا فى جنب ما أراه، فيكون في الدنيا أزهد وعلى شدائدها أصبر ، حتى يؤديه إلى الجنة فقد قيل : حبذا محنة تؤدى بصاحبها إلى الرخاء ، وبؤسا لنعمة تردى بصاحبها إلى البلاء .

الفائدة الثامنة : ويحتمل أن الله (سبحانه و)تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها، ولما كان لإدريس عليه(الصلاة و)السلام الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة أراد الله (سبحانه و)تعالى أن يكون ذلك لصفيه ونجيه وحبيبه وأمينه على وحيه محمد ﷺ (وشرف) وكرم وعظم وبجل ووقر ، وقال ذلك جميعه الحافظ ابن دحية رضى الله عنه في كتاب(الابتهاج فى أحاديث المعراج).

باب ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال الله تعالى : ﴿عليها تسعة عشر﴾ .

١٢٤٩- وخرج الترمذى ، عن جابر بن عبد الله قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى ﷺ :هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأله ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد ، غلب أصحابك اليوم . فقال : « وبماذا غلبوا » ؟ قال : سألهم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قال: « فماذا قالوا؟ » قال : قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا قال : «(أ)يغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون » فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة ،على بأعداء الله إنى سائلهم عن تربة الجنة وهى الدرمك فلما جاءوا قالوا : يا أبا القاسم ،كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : « هكذا وهكذا فى مرة عشرة وفي مرة تسعة » قالوا : نعم ، قال لهم النبى ﷺ:« ما تربة الجنة » ؟ قال : فسكتوا ، ثم قالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبى ﷺ « الخبز من الدرمك ». قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشعبى(عن) جابر.

[حديث صحيح]

باب ما جاء فى سعة جهنم وعظم سرادقها وبيان قوله تعالى

﴿ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين ﴾

قال الله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾.

١٢٥٠- ابن المبارك قال : أخبرنا عنبسة بن سعيد ، عن حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قال : قلت : لا، قال : أجل ، والله ما تدرى أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجرى (فيها) أودية القيح والدم ، قلت : لها أنهار ؟ قال :لا، بل أودية ، ثم قال : أتدرى ما سعة جسر جهنم ؟ قلت : لا . قال : قلت : أجل (والله ما تدرى)، حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والأرض جميعا قبضته

﴿يوم القيامة﴾ قلت : فأين الناس يومئذ ؟» قال : «على جسر جهنم » خرجه الترمذى وصححه وقد تقدم . [حديث صحيح]

باب ما جاء في قوله تعالى :﴿ وإذا البحار سجرت﴾ وما جاء أن الشمس والقمر يقذفان في النار

١٢٥٥- قال ابن عباس في قوله تعالى :﴿ وإذا البحار سجرت﴾ قال : أوقدت فصارت ناراً وذكر ابن وهب عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية :﴿ وجمع الشمس والقمر﴾ قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى النار ، فتكون نار الله الكبرى .

١٢٥٦- وخرج أبو داود الطيالسى في مسنده ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس يرفعه إلى النبى ﷺ قال : قال النبى ﷺ :« إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار» . [حديث صحيح لغيره]

فصل : قلت : كذا الرواية :«ثوران» بالثاء المثلثة ، وإنما يجمعان في جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم ، هكذا قال بعض أهل العلم .

وقال ابن قسى صاحب (خلع النعلين): اعلم أن الشمس والقمر ثوران مكوران في نار جهنم على شبه هذا التكوير ، فنهار سعير وليل زمهرير ، والدار دار قائمة لا فرق بينهما وبين هذين فى حركة التسيار والتدوار ، ومدار فلكى الليل والنهار إلا أن تلك خالية من رحمة الله، ومع هذه رحمة واحدة من رحمة الله ، وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهيب ظاهر النار، وهما من أشد الغضب لله تعالى بما عايناه من عصيان العاصين وفسق الفاسقين إذ لا يكاد يغيب عنهما أين ولا تخفى عنها خائنة عين ، فإنه لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوءيهما ، ولو كانا خلف حجاب من الغيب الليلى أو وراء ستر من الغيم اليومى ، فإن الضوء الباقى على البسيطة فى ظل الأرض ضوؤهما والنور نورهما ومع ما هما عليه من الغضب لله ، فإنه لم يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما وقبض ضياء اللين

والرأفة منهما وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا فى قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار .

١٢٥٨- قال ﷺ : « إن لله مائة رحمة نزل منها واحدة إلى الأرض فبها تتعاطف البهائم ويتراحم الخلق وتتواصل الأرحام ، فإذا كان يوم القيامة قبض الله (عز وجل) هذه الرحمة وردها إلى التسعة والتسعين وأكملها مائة كما كانت ، ثم جعل المائة كلها رحمة للمؤمنين وخلت دار العذاب ومن فيها من الفاسقين من رحمة رب العالمين، فبزوال هذه الرحمة زال ما كان فيه القمر من رطوبة وأنوار ولم يبق إلا ظلمة وزمهرير ، وبزوالها زال ما كان بالشمس من وضح وإشراق ولم يبق إلا فرط سواد واحتراق، وبما كانا به قبل من هذه الصفة الرحمانية كان إمهالهما للعاصين وإبقاؤهما على القوم الفاسقين، وهى زمام الإمساك،ولجام المنع عن التدمير والإهلاك، وهى سنة الله تعالى فى الإبقاء إلى الأوقات، والإمهال إلى الآجال إلا أن يشاء غير ذلك فلا راد لأمره، ولا معقب لحكمه لا إله إلا هو سبحانه » . [حديث صحيح]

باب ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

١٢٦٠- الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه)عن النبى ﷺ قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة » قال أبو عيسى وحديث أبى هريرة فى هذا البا ب موقوف أصح ، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبى بكير عن أبى شريك . [صحيح موقوف شاذ مرفوع]

١٢٦١- ابن المبارك ، عن أبى هريرة قال : « إن النار أوقدت ألف سنة فابيضت ، ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت ، ثم أوقدت ألف سنة فاسودت فهى مظلمة كسواد الليل » .

١٢٦٢- مالك، عن عمه أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبى هريرة أنه قال: « ترونها كناركم؟! لهى أشد سواداً من القار » والقار : هو الزفت .

١٢٦٣- ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان ، عن سليمان قال : « النار سوداء لا يضىء لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ﴾ » . [خبر صحيح]

١٢٦٤- مالك وعن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ناركم التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا: يا رسول الله ، وإن كانت لكافية . قال : « فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً » أخرجه مسلم وزاد : « كلها مثل حرها » . [حديث صحيح]

١٢٦٥- ابن ماجه ،عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «(إن) ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » . [حديث صحيح]

١٢٦٦- وفى خبر آخر ، عن ابن عباس ، « وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتفع بها»ذكره أبو عمر رحمه الله، وقال عبد الله بن مسعود : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم منها بشيء » . [خبر صحيح]

١٢٦٧- وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مم خلقت ؟ قال : من نار جهنم غير أنها أطفئت بالماء سبعين مرة، ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم .

١٢٦٨- مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ:« يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال :(يا ابن آدم) ، هل رأيت خيرا قط ، هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة فى الجنة، فيقال له :(يا ابن آدم) هل رأيت بؤسا قط ، هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط » . [حديث صحيح]

١٢٦٩-أخرجه ابن ماجه أيضاً من حديث محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :« يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقول : اغمسوه فى النار غمسة فيغمس فيها ثمْ يخرج فيقال له : أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول : لا، ما أصابنى نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاء فيقال : اغمسوه في الجنة فيغمس غمسة ثم يخرج ، فيقال له : أى فلان ، هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول :ما أصابنى ضر قط ولا بلاء » .

[حديث صحيح]

١٢٧١- وقال كعب الأحبار : والذى نفس كعب بيده ، لو كنت بالمشرق والنار بالمغرب ، ثم كشف عنها لخرج دماغك من منخريك من شدة حرها ، يا قوم، هل لكم بهذا قرار ؟ أم لكم على هذا صبر ؟ يا قوم ، طاعة الله أهون عليكم من هذا العذاب فأطيعوه . [**الخبر من الإسرائيليات**]

١٢٧٣- **فصل** : قوله : « ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نارجهنم » يعنى أنه لو جمع كل ما فى الوجود من النار التى يوقدها ابن آدم لكانت جزءاً من جزء من أجزاء جهنم المذكور بيانه ، وأنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار ناراً لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذى هو من سبعين جزءاً أشدمن حر نار الدنيا ، كما بينه فى آخر الحديث وقوله : « وإن كانت لكافية » إن هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين نظيره ﴿ **وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله** ﴾ أي إنها كانت كافية ، فأجابهم النبى ﷺ : « بأنها كما فضلت عليها فى المقدار والعدد بتسعة وستين ، فضلت عليها أيضاً في شدة الحر بتسعة وستين ضعفاً » .

باب منه وما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها [أجارنا الله منها ومن أهوالها]

١٢٧٤- روى الأئمة ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب،أكل بعضى بعضاً، فجعل لها نفسين: نفس فى الشتاء ونفس في الصيف بأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها» أخرجه البخارى ومسلم . [**حديث صحيح**]

١٢٧٥- وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة ، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها » أخرجه مسلم .

الوجبة : الهدة وهي صوت وقع الشيء الثقيل . [**حديث صحيح**]

١٢٧٦- الترمذى عن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا-يعنى منبر البصرة -عن النبى ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاماً وما تفضى إلى قرارها» قال : فكان ابن عمر يقول : أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد ، وإن مقامعها حديد . قال أبو عيسى : لا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة فى زمن عمر(رضى الله عنه) وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

١٢٧٧- ابن المبارك قال : أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهرى قال : بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفس محمد بيده، إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفا » . [**إسناده منقطع والحديث حسن**]

١٢٧٩- مسلم عن خالد بن عمير العدوىَ قال : خطبنا عتبة بن غزوان، وكان أميراً على البصرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قدآذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصلبها صاحبها ، وإنكم (لتنتقلون) منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه ذكر لنا أن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ، والله لتملأن . الحديث وسيأتى بتمامه فى (أبواب الجنة) إن شاء الله تعالى .

١٢٨٠- وقال كعب : « لو فتح من نارجهنم قدر منخر ثور بالمشرق ، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول : نفسى نفسى » .

١٢٨١- **فصل** : قوله : « اشتكت النار شكواها إلى ربها بأن أكل بعضها بعضا » ، محمول على الحقيقة لا على المجاز، إذ لا إحالة فى ذلك، وليس من شرط الكلام عند أهل السنة فى القيام بالجسم إلا الحياة وأما البنية واللسان والبلة ، فليس من شرطه وليس يحتاج فى الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام . وأما الاحتجاج في قوله عليه(الصلاة و)السلام : « احتجت النار والجنة » فلا بد فيه من العلم والتفطن للحجة ، وقيل : إن ذلك مجاز عبر عنه بلسان الحال ، كما قال عنترة:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

وقال آخر :

شكا إلى جملى طول السرى ... صبراً جميلاً فكلانا مبتلَى

والأول أصح إذ لا استحالة فى ذلك ، وقد قال تعالى ، وهو أصدق القائلين: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق (وهو خير الفاصلين)﴾ الآية وقد تقدم من كلامها: «لا إله إلا الله وعزتك وجلالك » وقال (تعالى) ﴿كلا إنها لظى * نزاعة للشوى﴾ الآية(تدعو من أدبر ، أى):عن الإيمان ، وتولى : أى أعرض عن اتباع الحق ، وجمع: يعنى المال ، فأوعى أى جعله فى الوعاء أى كنزه ولم ينفقه فى طاعة الله تعالى . قال ابن عباس : تدعو المنافق والكافر بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطائر الحب .

قلت : قول ابن عباس هذا قد جاء معناه مرفوعاً ، وهو يدل على أن المراد بالشكوى والحجة الحقيقة .

١٢٨٣- وخرج الترمذي عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إنى وكلت بثلاث : بكل جبار عنيد ، وبكل ما دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصورين » وفى الباب عن أبى سعيد ، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب صحيح. [حديث صحيح]

باب ما جاء فى مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم

قال الله تعالى:﴿ولهم مقامع من حديد﴾وقال﴿إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم﴾ الآية،وقال:﴿فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ وقال:﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾ الآية. وروى عن الحسن أنه قال : « ما فى جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبها مكتوب عليه » . وروى عن ابن مسعود وسيأتى .

١٢٨٥- الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله

ﷺ: « لو أن رضاضة مثل هذه – وأشار إلى مثل الجمجمة – أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً ،الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها » قال : هذا حديث إسناده صحيح .

١٢٨٧– وقال محمد بن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى منها، وما بقى ما عدل حلقة من حلق السلسلة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فقال (تعالى): ﴿فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا﴾ الآية . ذكره أبو نعيم .

[إسناده حسن]

١٢٨٨– وقال ابن المبارك: أخبرنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق أنه سمع نوفاً يقول فى قوله تعالى: ﴿فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ قال : كل ذراع سبعون باعاً ،كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وهو يومئذ في مسجد الكوفة .

[خبر حسن]

١٢٨٩– أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع ابن أبي مليكة يحدث عن أبى بن كعب قال : إن حلقة من السلسلة التى قال الله :﴿ ذرعها سبعون ذراعاً﴾ إن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا . **[خبر حسن]**

١٢٩٠– سمعت سفيان يقول فى قوله :﴿ فاسلكوه﴾ قال : بلغنا أنها تدخل فى دبره حتى تخرج من فيه . وقال ابن زيد: ويقال : ما يأتى يوم القيامة على أهل النار إلا ورحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجون. ويقال: إن الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته . **[خبر صحيح]**

باب منه

وما جاء في كيفية دخول أهل النار النار

١٢٩٣– قال ابن زيد : ولهم مقامع من حديد يقمعون بها هؤلاء ، فإذا قال: خذوه فيأخذه ،كذا وكذا ألف ملك ، فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صار تحت أيديهم رفاتا،العظام واللحم يصير رفاتاً .قال :فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم فى الأغلال قال : فيلقون فى النار مصفودين فليس لهم شيء يتقون به إلا

الوجوه ، فهم عمى قد ذهبت أبصارهم ، ثم قرأ ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ الآية. فإذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها ، يلقاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها ، حتى إذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها ، فجاء أمر غلب اللهب فهووا كما هم أسفل السافلين، هكذا دأبهم وقرأ(رسول الله ﷺ قول الله عز وجل) :﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ فهم كما قال الله تعالى ﴿ عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية ﴾ .

والأنكال : القيود.عن الحسن ومجاهد واحدها: نكل ، وسميت القيود أنكالا لأنه ينكل بها أى : يمنع . قال الهروى : الأصفاد :هى الأغلال . ويقال : القيود. أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

باب منه
في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

١٢٩٤- يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر ، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين)﴾ الآية : وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم ﴿أن أفيضوا علينا من الماء (أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين)﴾ الآية ، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار.

قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله تعالى :﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)﴾

ذكره أبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له . قال : ولعلك تقول :كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة ؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم

ما بينهم من(بعد) المسافة وغلظ الحجاب ؟ فيقال لك : لا تقل هذا ، فإن الله تعالى يقوى أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضاً ، ويسمع بعضهم كلام بعض . وهذا قريب في القدرة (جداً).

باب ما جاء أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج [وحياضا] وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا وقصورا وأرحاء ونواعير وعقارب وحيات أجارنا الله منها. وفي وعيد من شرب الخمر والمسكر وغيره

والصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك» .

١٢٩٨- قال : وأخبرنا سعيد بن أبي أيوب عن ابن عجلان ، عن زيد ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : الويل : واد في جهنم يهوى فيه الكافر ، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره . [**إسناده حسن**]

١٢٩٩- قال : وأخبرنا سفيان عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض أنه قال : الويل : مسيل في أصل جهنم . [**إسناده صحيح**]

١٣٠٠- وذكر ابن عطية في تفسيره عن أن الويل :صهريج في جهنم من صديد أهل النار، قال : وحكى الزهراوى عن آخرين : أنه باب من أبواب جهنم .

١٣٠٣- وقال ابن زيد في قوله تعالى ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ اليحموم : جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار ﴿**لا بارد**﴾ بل حار، لأنه من دخان شفير جهنم ﴿ **ولا كريم** ﴾ أى : لا عذب .عن الضحاك . وقال سعيد بن المسيب : ولا حسن منظره .

١٣٠٤- وذكر ابن وهب ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿**موبقا**﴾ قال : واد في جهنم يقال له موبق . وقال عكرمة : هو نهر في جهنم يسيل ، ناراً ،على حافتيه حيات مثل البغال الدهم ،فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار . وقال أنس بن مالك : هو واد في جهنم من قيح ودم . [**إسناده حسن**]

١٣٠٥- وقال نوف البكالى في قوله تعالى: ﴿**وجعلنا بينهم موبقا**﴾ قال:

واد فى جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان .

١٣٠٦- وعن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها سئلت عن قول الله عز وجل ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ قالت : نهر فى جهنم .

١٣٠٧- واختلفوا فى الفلق في قوله تعالى : ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فروى ابن عباس أنه: سجن فى جهنم ، وقال كعب : هو بيت فى جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم .

١٣٠٩- ابن المبارك ، أخبرنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ثعلبة بن مسلم ، عن أيوب بن بشير ، عن شفى الأصبحى قال : إن فى جهنم جبلاً يدعى: صعوداً، يطلع فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يرقاه ، قال الله تعالى : ﴿سأرهقه صعودا ً﴾ وأن فى جهنم قصراً يقال له:هواء ، يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى ﴾ . وأن فى جهنم واديا يدعى: آثاماً ، فيه حيات وعقارب ، فى فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم، والعقرب منهن مثل البغلة المؤلفة ، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها ، فهو لما خلق له ، وأن فى جهنم سبعين داء لأهلها ، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم ، وأن فى جهنم وادياً يدعى غياً ، يسيل قيحاً ودماً ، فهو لما خلق له ، قال الله تعالى :﴿فسوف يلقون غياً ﴾ .

[إسناده حسن والخبر من الإسرائيليات]

١٣١٤- وذكر ابن وهب من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :« إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صورة الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، يساقون حتى يدخلوا سجناً فى جهنم يقال له: بولس ، يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال » أخرجه ابن المبارك .

[حديث حسن]

١٣١٥- أخبرنا محمد بن عجلان ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده عن النبى ﷺقال:« يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس ، يغشاهم

الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»، أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

قلت : طينة الخبال عرق أهل النار أو عصارتهم شراب أيضاً لمن شرب المسكر، جاء ذلك في صحيح البخارى . **[حديث حسن]**

١٣١٦- وعن جابر : أن رجلاً قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبى ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له المزر ، فقال رسول الله ﷺ :« أمسكر هو ؟ قال : نعم . قال : إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » . **[حديث صحيح]**

١٣٢١- وقال أبو هريرة (رضى الله عنه) : إن فى جهنم أرجاء تدور بعلماء السوء ،فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا : فيقول : ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره .

قلت : وهذا مرفوع معناه فى صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه ، وسيأتى فى من أمر بالمعروف ولم يأته . **[حديث أسامة حديث صحيح]**

١٣٢٢- وقال أبو المثنى الأملوكى : إن فى النار أقواماً يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ، مالهم فيها راحة ولا فترة ، قال محمد بن كعب القرظى : إن لمالك مجلساً في وسط جهنم، وجسوراً تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها . الحديث وسيأتى .

باب منه

وفى بيان قوله تعالى : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾

وفى ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين

١٣٢٥- قال ابن عمرو وابن عباس . هذه العقبة : جبل فى جهنم .

وقال محمد بن كعب ، وكعب الأحبار : هى سبعون درجة فى جهنم، وقال الحسن وقتادة : هى عقبة شديدة صعبة فى النار دون الجسر ، فاقتحموها بطاعة الله عز وجل .

وقال مجاهد والضحاك والكلبي :هي الصراط ، وقيل : النار نفسها .
وقال الكلبي أيضاً : هي جبل بين الجنة والنار يقول : فلأجاور هذه العقبة بعمل صالح ، ثم بين اقتحامها بما يكون فقال : ﴿فك رقبة﴾ الآية .

وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام :الاستفهام ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هلا أنفق ماله في فك الرقاب ، وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة ، فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي ؟.

وقيل : معنى الكلام التمثيل والتشبيه ، فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه وتثقله، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة ،كان كمن اقتحم عقبة يستوي عليها ويجوزها .

١٣٢٦- قلت:هذا حديث حسن.قال الحسن:هي والله عقبة شديدة، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه ،وعدوه الشيطان، وأنشد بعضهم :

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل قد نصبوا على شراكا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... من أين أرجو بينهن فكاكا
يا رب ساعدني بعفو إنني ... أصبحت لا أرجو لهن سواكا

وأنشد غيره أيضاً في معنى ذلك :

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب أنت على الخلاص قدير

وقال آخر :

إني بليت بأربع ما سلطوا ... إلا لعظم بليتي وشقائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

قلت : قال : فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه ، وخالف شيطانه ودنياه كانت الجنة نزله ومأواه ، ومن تمادى في غيه وطغيانه وأرخى في الدنيا زمام عصيانه، ووافق نفسه وهواه في مناه ولذاته، وأطاع شيطانه في جمع شهواته،كانت النار أولى به ، قال الله تعالى :﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى

وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾.

ومعنى فلا اقتحم العقبة : أى لم يقتحم العقبة ، وهذا خبر أى أنه لم يفعل ، والعرب تقول : لا فعل بمعنى لم يقل . قال زهير :

وكان طوى كشحا على سكينة ... فلا هو أبداها ولم يتقدم

أى : فلم يبدها .

ثم قال : ﴿وما أدراك ما العقبة فك رقبة﴾ ، يقول للنبى ﷺ : أى لم تكن تدريها حتى أعلمتك ما العقبة ، فك رقبة : أي عتق رقبة من الرق، أو إطعام في يوم ذى مسغبة : مجاعة ، يتيماً ذا مقربة : أى قرابة ،أو مسكيناً ذا متربة : يعنى به : اللاصق بالتراب من الحاجة . فى تفسير الحسن .

وقال سفيان بن عيينة : كل شيء قال فيه وما أدراك ، فإنه أخبره به ، وكل شيء قال فيه: وما يدريك ، فإنه لم يخبره به .

باب ما جاء فى قوله تعالى :
﴿وقودها الناس والحجارة﴾

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء : الحطب ، وكذلك الطهور: اسم للماء ، والسحور : اسم الطعام ، وبضم الفاء: اسم للفعل وهو المصدر ، والناس عموم ومعناه: الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها ،أجارنا الله منها . قال : حطب النار : شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات (قد) طال منهن العويل .

باب ما جاء فى تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصى المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

١٣٣٠- مسلم عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ:« ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » . [حديث صحيح]

١٣٣١- الترمذى عنه ، عن النبى ﷺ قال : « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة

والمدينة» . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفي رواية: وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة ، أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث غريب ، وقال:مثل الربذة ، يعني به كما بين مكة والمدينة . البيضاء: جبل . [**حديث صحيح**]

١٣٣٢- ابن المبارك ، أنبأنا يونس عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة(رضى الله عنه) قال : « ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد ، يعظمون لتمتلىء منهم وليذوقوا العذاب » . [**إسناده صحيح**]

١٣٣٣- أخبرنا الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : « ضرس الكافر مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء ، وجبينه مثل الورقان ، ومجلسه من النار كما بينى وبين الربذة ، وكثف بصره سبعون ذراعاً ، وبطنه مثل إضم » . إضم بالكسر: جبل . قاله الجوهرى .

[**إسناده صحيح**]

١٣٣٥- وذكر ابن المبارك قال :(أنبانا) سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير قال : قال رسول الله ﷺ :« بصر الكافر - يعنى غلظ جلده - سبعون ذراعاً ، وضرسه مثل أحد فى سائر خلقه » وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر (ولحمه) وجسده دوى كدوى الوحش . [**إسناده صحيح**]

١٣٣٧- مسلم عن سمرة بن جندب أن نبى الله ﷺ قال : « منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته » . وفي رواية (أخرى): حقويه مكان حجزته .

[**حديث صحيح**]

١٣٣٨- **فصل** : هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك فى أن الكفار فى عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين ، وفتك فيهم ، وأفسد فى الأرض وكفر ، مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين . ألا تر أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه ، وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن

يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين ، إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ قال : أرى - والله أعلم - أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شملته النار في الآخرة ، قال الله تعالى ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ ، أي أن ما فوقهم ظلل لهم ، وما تحتهم ظلل لمن تحتهم .

باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذايتهم أهل النار بذلك

١٣٤٢- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » . [**حديث صحيح**]

١٣٤٣- وذكره قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود أيضاً . قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي ، أو مصور يصور التماثيل » . [**حديث صحيح**]

١٣٤٧- **قلت** : وقد تقدم حديث البخاري الطويل عن سمرة بن جندب ، وحديث ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود في باب (ما يكون منه في عذاب القبر) وحديث أبي هريرة في الذين تسعر بهم جهنم ، وغير ذلك مما تقدم في معنى هذا الباب فتأمل ذلك .

وقد تقدم أن من أدان أموال الناس في غير سفه ولا إسراف، ولم يجد قضاء ونيته الأداء ومات، أن الله لا يحبسه عن الجنة ولا يعذبه ، بل يرضى عنه خصماؤه إن شاء الله(تعالى) ويكون الجميع في رحمته بكرمه وفضله ، فأما من أدانها لينفقها في المعاصي ثم لا يقدر على الأداء فلعله الذي يعذب . [**حديث صحيح**]

باب منه

وفي عذاب من عذب الناس في الدنيا

١٣٤٨- أبو داود الطيالسي قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي نجيح عن خالد بن حكيم ، عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس فى الدنيا » .

[حديث صحيح]

١٣٤٩- وخرجه البخارى فى التاريخ فقال: حدثنا على، حدثنا سفيان (ابن) عمرو بن دينار (عن ابن أبي نجيح) ، عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلا من أهل الأرمن فكلمه خالد بن الوليد ، فقالوا: أغضبت الأمير ؟فقال : لم أرد غضبه . سمعت النبى ﷺ يقول : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا » . **[حديث صحيح]**

١٣٥٠- وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا فى الشمس ، فقال : ما شأنهم ؟ قالوا : حبسوا على الجزية ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » . **[حديث صحيح]**

باب ما جاء في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه ، وذكر الخطباء ، وفيمن خالف قوله فعله وفي أعوان الظلمة كلاب النار

١٣٥١- البخارى عن أسامة بن زيد قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، (فيطوف) به أهل النار فيقولون:أي فلان ! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول :كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله» .

وخرجه مسلم أيضًا بمعناه عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فى النار،فيدور كما يدور الحمار بالرحى ،فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون : يا فلان ابن فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول: بلى ! كنت آمر

بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه» . [حديث صحيح]

١٣٥٢- وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار ، عن ثمامة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت ردت ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون ».

[حديث صحيح]

١٣٥٣- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ: « رأيت ليلة أسرى بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار ،قال: فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟(فقال) :خطباء ، أى من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب . [حديث صحيح]

١٣٥٤- قال : وأخبرنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبى قال : «يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم فى النار،فيقولون:ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟قالوا:إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله» .

[إسناده صحيح والخبر مقطوع]

١٣٥٨- **فصل** : قال إبراهيم النخعى رضى الله عنه : إنى لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون**﴾ وقوله تعالى ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** ﴾ .

قلت : وألفاظ هذه الآيات تدل على مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر ، وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه ، وإنما كان كذلك؛لأنه كالمستهين بحرمات الله ، ومستحق لأحكامه ، وهو كمن لم ينتفع بعلمه .

وقد قال رسول الله ﷺ :« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وقد تقدم .

وقوله : تندلق ، أى : تخرج ، والاندلاق : الخروج بسرعة ، ويقال : اندلق

السيف ، خرج من غمده . وروى: فتنفلق ، بدل :فتندلق ، والأقتاب : الأمعاء ، واحدها : قتب ، بكسر القاف ، وقال الأصمعي : واحدها قتبة ، ويقال لها أيضا : الأقصاب ، واحدها قصبة ، قاله أبو عبيد..

١٣٦٠- وقد قال ﷺ : « رأيت عمرو بن (يحيى) يجر قصبه في النار، وهو أول من سيب السوائب »

(فصل) قلت : إن قال قائل : قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا ، على ما ذكرتموه في أصح القولين ، وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة (بخلافه)، فكيف الجمع بينهما ؟ .

قيل له :الجمع ممكن . وذلك – والله أعلم – أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال الله تعالى :﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب**﴾ قال الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة، والعصاة بخلاف هؤلاء فيعذبون وبعد ذلك يموتون .

وقد تختلف أيضاً أحوالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل : إنه يجوز أن يكونوا متألمين ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء ، دليله قوله تعالى : ﴿**وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى . [**حديث صحيح**]

١٣٦١- ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافر : رب ، لا تقم الساعة، رب ، لا تقم الساعة ، رب ، لا تقم الساعة . يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه،(والله أعلم).وقد يكون ما جاء في الخطباء هو عذابهم في القبور ،في أعضاء مخصوصة كغيرهم ، كما جاء في حديث سمرة الطويل على ما تقدم(والله أعلم). إلا أن قوله:في حديث أسامة بن زيد يوم القيامة يدل على غير ذلك ، والله أعلم. وقد يحتمل أن يجمع لهم الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة

قولهم فعلهم .ونعوذ بالله من ذلك . [حديث صحيح]

باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى :﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ وقال: ﴿سرابيلهم من قطران ﴾ وقال :﴿ إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلى فى البطون ﴾ وقال :﴿ لا يذوقون فيها برداً ﴾ أى نوماً :﴿ ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاءً وفاقاً ﴾ وقال :﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ وقال عز من قائل : ﴿تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ وقال:﴿ فليس له اليوم ها هنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين ﴾ .قال الهروى: معناه: من صديد أهل النار ، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم .

١٣٦٢- **قلت** : وهو الغساق أيضاً ، وذكر ابن المبارك :(أنبأنا) سفيان، عن منصور ، عن إبراهيم وأبى رزين فى قوله تعالى :﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ قالا : ما يسيل من صديدهم ، وقيل الغساق : القيح الغليظ المنتن .

[خبر صحيح]

١٣٦٣- وذكر ابن وهب ، عن عبد الله بن عمر ، قال : الغساق : القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب، أنتنت أهل المشرق ، لو أنها تهراق فى المشرق،أنتنت أهل المغرب ، وقيل : الغساق الذى لا يستطاع من شدة برده ، وهو: الزمهرير .

١٣٦٤- وقال كعب : الغساق :عين فى جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع ، ويؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ،

فيجر لحمه في كعبيه كما يجر الرجل ثوبه . وقوله ﴿ جزاء وفاقا ﴾ أي: وافق أعمالهم الخبيثة . [خبر حسن]

١٣٦٥- واختلف في الضريع،فقيل : هو النبت ينبت في الربيع ، فإذا كان في الصيف يبس ، واسمه إذا كان عليه ورقه:شبرق ، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع ، فالإبل تأكله أخضر ، فإذا يبس لم تذقه ، وقيل : هو حجارة ، وقيل : الزقوم : واد في جهنم .(والله أعلم)

وقال المفسرون : إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، لابد لأهل النار من أن يتحدر إليها من كان فوقها فيأكلوا منها .

١٣٦٦- وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى : ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون ﴾ قال : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها . والمهل : ما كان ذائباً من الفضة والنحاس ، وقيل : المهل : عكر الزيت الشديد السواد ، وقوله تعالى : ﴿يغلي في البطون كغلي الحميم﴾ يعني : الماء الشديد الحر . [إسناده لا بأس به]

باب منه وما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجابتهم

قال الله تعالى:﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ الآية .

١٣٦٨- وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا فقال : أخبرنا الحكم بن عمر بن ليلى ، حدثني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني - أو ذكر لي - أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ، فقال الله تعالى :﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ ، فسألوا يوماً واحداً يخفف عنهم فيه العذاب ،فردت عليهم الخزنة :﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾.

فيقولون : بلى ، فردت عليهم الخزنة :﴿ فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ .

قال : فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكاً – وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها – فقالوا :﴿ يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ .

قال : اسألوا الموت ، فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة .

قال : والسنة : ستون وثلاثمائة يوم ، والشهر ثلاثون يوماً ، واليوم : ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ .

ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال :﴿ إنكم ماكثون ﴾ .

فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا مما قبله ، قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون ، فهلم فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ أى :من منجى .

قال : فقام إبليس عند ذلك فقال :﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾إلى قوله:﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ يقول: بمغن عنكم شيئا ﴿ وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ .

قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا ﴿ لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ﴾ إلى قوله :﴿ فهل إلى خروج من سبيل﴾ .

قال : فرد عليهم ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير﴾ .

قال : فهذه واحدة : فنادوا الثانية : ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ .

قال : فيرد عليهم ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ .

يقول: لو شئت لهديت الناس جميعاً فلم يختلف منهم أحد ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين * فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ .

قال : فهذه اثنتان ، فنادوا الثالثة :﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ فيرد عليهم :﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الجبال﴾ .

قال : فهذه الثلاثة قال : ثم نادوا الرابعة :﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ .

قال : فيجيبهم ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ .

ثم مكث عنهم ما شاء الله . ثم ناداهم ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ .

قال : فلما سمعوا صوته قالوا : الآن يرضى ربنا ، فقالوا عند ذلك : ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ أي : الكتاب الذي كتب علينا ﴿وكنا قوماً ضالين* ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فقال عند ذلك :﴿ اخسؤوا

فيها ولا تكلمون ﴾ فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء : **﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾** ينبح بعضهم في وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال : فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه لما ذكر له أن ذلك قوله تعالى : **﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾** .

١٣٦٩- قال ابن المبارك : وحدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : فذكره عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم :**﴿إنكم ماكثون﴾** .

قال : هانت والله دعوتهم على مالك ، ورب مالك . قال : ثم يدعون ربهم . قال :فيقولون :**﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾** قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين . قال :ثم يرد عليهم : **﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾**.

قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة ،وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، فشبه أصواتهم بصوت الحمير ، أولها زفير وآخرها شهيق ، ومعنى ما نبس : ما تكلم .

قال الجوهرى : يقال ما نبس بكلمة : أى ما تكلم . وما نبس بالتشديد أيضاً ، وقال الراجز :

إن كنت غير هالك فنبس

[**خبر حسن**]

١٣٧٢- وعن أبى حجيزة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه ، فليست ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان » ، قال : هذا حديث حسن صحيح غريب. [**حديث حسن**]

١٣٧٤- وعن ابن عباس (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : **﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾**.

قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح . خرجه ابن ماجه أيضا . [**حديث صحيح**]

باب ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابا فيها

١٣٧٥- ابن المبارك قال :أخبرنا عمران بن زيد التغلبي ،(قال) : حدثنا يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يا أيها الناس ، ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول،حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون ، فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت » . [**ضعيف مرفوع صحيح موقوف**]

١٣٧٦- خرجه ابن ماجه أيضاً من حديث الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ،عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، ولو أرسلت فيها السفن لجرت». [**ضعيف مرفوع صحيح موقوف**]

١٣٧٧- مسلم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » .

[**حديث صحيح**]

١٣٧٨- وروى عن أبي موسى الأشعري موقوفاً أنه قال :« إن أهل النار ليبكون الدموع في النار ، حتى لو أجريت فيها السفن لجرت ، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع . ولمثل ماهم فيه فليبك » .

قال المؤلف رحمه الله- وهو يستند من معنى ما تقدم - : وفي التنزيل: **﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون﴾**.[**خبر صحيح**]

١٣٧٩- وفي الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . فمن كثر بكاؤه خوفاً من الله تعالى وخشية منه،ضحك كثيراً في الآخرة . قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة : **﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾** ووصف أهل النار فقال : **﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾** قال :« وكنتم منهم تضحكون» وسيأتي بيانه.

[**حديث صحيح**]

باب ما جاء أن لكل مسلم فداء من النار من الكفار

١٣٨٢- وعن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً ، فيقول : هذا فكاكك من النار » .
[حديث صحيح]

١٣٨٣- وفي رواية أخرى : « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً » قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات : أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ،قال : فحلف له .

١٣٨٤- **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك ، وإنما هي في ناس مذنبين تفضل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته ، فأعطى كل إنسان منهم فكاكا من النار من الكفار ، واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال:«يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » .

وخرجه مسلم عن محمد بن عمرو بن عياد بن جبلة بن أبي رواد ، قال : حدثنا حرمي بن عمارة ، قال : حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي ، عن عباس ، عن غيلان بن جرير ، عن أبي بردة عن النبي ﷺ .

قالوا : وما معنى فيغفرها لهم؟ أي : يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا .

ومعنى قوله : ويضعها على اليهود والنصارى، أنه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم ، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين ، لو أخذوا بذلك، لأنه تعالى لا يأخذ أحداً بذنب أحد ، كما قال تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب ، ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته . إذ لا نسأل عن فعله. [حديث صحيح]

١٣٨٥- قالوا: وقوله في الرواية الأخرى : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل (الله)مكانه يهودياً أو نصرانياً ، فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا من النار بسبب ذنوبه ، وعفا الله عنه، وبقي مكانه خالياً منه، أضاف الله تعالى ذلك

المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه، زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره، ويشهد لهذا قوله عليه (الصلاة و)السلام فى حديث أنس للمؤمن الذى يثبت عند السؤال فى القبر فيقال له: « انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة » .

قلت : قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً كان أو غير مذنب منزلين : منزلاً من الجنة ، ومنزلا من النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ أى يرث المؤمنون منازل الكفار ، ويجعل الكفار فى منازلهم في النار على ما يأتى بيانه (إن شاء الله تعالى) ، وهو مقتضى حديث أنس عن النبى ﷺ: «إن العبد إذا وضع فى قبره » الحديث وقد تقدم ، إلا أن هذه الوراثة تختلف ، فمنهم من يرث ولا حساب ، ومنهم من يرث بحسابه ، وبمناقشته ، وبعد الخروج من النار، حسب ما تقدم من أحوال الناس . (والله أعلم).

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم . وهو مقتضى قوله تعالى :﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ . (والله أعلم). [**حديث صحيح**]

باب فى قوله تعالى ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾

١٣٨٦- مسلم عن أنس ، عن النبىﷺقال:«لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط . وعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا . فيسكنهم فضل الجنة » . [**حديث صحيح**]

١٣٨٧- وفى رواية أخرى من حديث أبي هريرة(رضى الله عنه : «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول : قط قط . فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ، فلا يظلم الله (تعالى)من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا».
[**حديث صحيح**]

١٣٨٨- **فصل** : للعلماء في قول النار : ﴿**هل من مزيد ؟**﴾ تأويلان.

أحدهما : وعدها ليملأنها فقال : أوفيتك ؟ فقالت : وهل من مسلك ؟ أى : قد امتلأت كما قال :

امتلأ الحوض وقال : قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني

وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث الثاني : زدني ، تقول ذلك غيظاً على أهلها وحنقا عليهم ، كما قال (تعالى): ﴿ **تكاد تميز من الغيظ**﴾ أى : تنشق ، ويبين بعضها من بعض .

١٣٨٩- وقوله : « حتى يضع فيها قدمه » -وفى رواية أخرى : «حتى يضع عليها (قدمه)» ، وفى أخرى « رجله » ولم يذكر« فيها » ولا «عليها» - فمعناه عبارة عمن تأخر دخوله في النار من أهلها ، وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجا فوجاً ، كما قال الله تعالى : ﴿ **كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير** ﴾ .

ويؤيده أيضا قوله في الحديث : لايزال يلقى فيها ، فالخزنة تنظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال : ما فى النار بيت ولاسلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته ، فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة : قط قط، أى حسبنا حسبنا ، اكتفينا اكتفينا ، وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق ، إذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لا أن الله جسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فتقول :جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس ، أى جماعة منهم ، والجمع : أرجل .

ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث : ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنهم فضل الجنة ، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها في الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرناه. وفى التنزيل ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ قال

ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى : معنى ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ : عمل صالح . قيل : هو السابقةالحسنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة ، والله الموفق .

١٣٩٠– قال ابن فورك وقال بعضهم : القدم خلق من خلق الله (تعالى) يخلقه يوم القيامة فيسميه قدما ، ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه في النار، فتمتلئ النار منه ، والله أعلم .

قلت : وهذا نحو مما قلناه في الرجل ، قال الشاعر :

فمر بنا رجل من الناس وانزوى إليهم من الحى اليمانى أرجل

قبائل من لخم وعك وحمير على ابنى نزار بالعداوة أحفل

وقال آخر :

يرى الناس أفواجاً إلى باب داره كأنهم رجلا دبا وجراد

فيوم لإلحاق الفقير بذى الغنى ويوم رقاب بوركت بحصاد

الدبا : الجراد قبل أن يطير . والله أعلم .

باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

١٣٩١– مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ،وآخر أهل النار دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تعالى :اذهب فادخل الجنة،فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول(الله):اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، قال : فيقول : أتسخر بى ؟ أو أتضحك بي وأنت الملك؟ قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، قال : فكان يقال:ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » . [**حديث صحيح**]

١٣٩٢– وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع

له شجرة فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى : يا ابن آدم ، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول : لا يا رب ! ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول: أى رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها ، فيقول: يا ابن آدم، لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه ، فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة أحسن من الأوليين ، فيقول مثله ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يصريني منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : أى رب، أتستهزئُ بي، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ . فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين ، فيقول : إني لا أستهزئُ منك ،ولكني على ما أشاء قدير » .

[حديث صحيح]

١٣٩٥- **فصل** :(في) قوله :أتستهزئُ مني ؟ - وفي رواية : أتسخر؟- والهزوء ، والسخرية بمعنى واحد ، وفيه تأويلان .

أحدهما : أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه ، كما غلط الذي قال : « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » خرجه مسلم .

الثاني : أن يكون معناه : أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من قلة احتفالي بأعمالي ، وعدم مبالاتي بها ؟ فيكون هذا على وجه المقابلة ، كما قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين ﴿ **إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم** ﴾ أى ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم ، والاستهزاء في اللغة: الانتقام . قال الشاعر :

قد استهزءوا منهم بألفي مدجج سراتهم وسط الضحاضح جثم

ومثله : ﴿ **ومكروا ومكر الله** ﴾ الآية . وهو كثير ، وسيأتي لبيان الاستهزاء من الله (تعالى) مزيد بيان ، والضحك من الله تعالى راجع إلى معنى الرضى عن العبد ، فاعلم ذلك .

[٣٥٢/ صحيح التذكرة / صحابة]

باب منه وما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذي ينادي : يا حنان يا منان ، وبيان قوله تعالى : ﴿إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة﴾ وفي أحوال أهل النار

١٣٩٩– وروى ليث عن مجاهد ، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى » ، الحديث وقد تقدم ، وفيه بعده .

وقوله : وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة .

ثم إن الله (تعالى) إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم : كنا وأنتم وآباؤنا جميعاً فى الدنيا، فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا ، وأقررتم وجحدنا ، فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأنتم اليوم فيها سواء ، تعذبون كما نعذب ، وتخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله(تعالى)عند ذلك غضبا شديدا لم يغضب مثله من شيء فيما مضى، ولا يغضب من شيء فيما بقى، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والصراط يقال لها : نهر الحياة ، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، فما يلى الظل منها(أخيضر)، وما يلى الشمس منها (أصيفر)،ثم يدخلون الجنة فيكتب على جباههم: هؤلاء عتقاء الله من النار ، إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة ، ثم ينادى : يا حنان يا منان ، فيبعث الله إليه ملكا فيخوض في النار فى طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : إنك أمرتنى أن أخرج عبدك فلانا من النار (وإنى طلبته فى النار) منذ سبعين عاماً فلم أقدر عليه،فيقول الله تعالى : انطلق فهو فى وادى كذا تحت صخرة فأخرجه ، فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة .

ثم إن الجهنميين يطلبون من الله تعالى أن يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله ملكاً فيمحوه عن جباههم .

ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين : اطلعوا إلى أهل النار، فيطلعون إليهم، فيرى الرجل أباه ويرى جاره وصديقه ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن

الله تعـالى يبعث إليـهم الملائكة بأطباق من نار ، ومـسامير من نار ، وعمـد من نار : فتطبق عليـهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسـامير، وتمد بتلك العمـد، فلا يبقى فـيها خلل يدخل فيـه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحـمن على عرشه ، ويتـشاغل أهل الجنة بنعيـمهم ، ولا يسـتغيـثـون بعدها أبداً وينقـطع ، فيكون كـلامـهم زفيـراً وشهيقـاً، فذلك قوله تعالى : ﴿إنها عليـهم مؤصدة في عـمد ممددة﴾ . وقال ابن مسعود: في عمد أي بعمد ، وكذا في مصحفه إنها عليهم مؤصدة بعمد .

[حديث صحيح]

١٤٠١– وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، أمر الله بكل جبار ،وكل شيطان، وكل من يخاف الناس شره في الدنيا، فيوثقـون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصـدها عليهم ، أي أطبقهـا ، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، لا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفونهم على غمض نوم، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً .

قـال : ثم يقال لأهل الجنة : يـا أهل الجنة افتـحوا الـيوم الأبواب ، فـلا تخافـوا شيطاناً، ولا جباراً ، وكلوا اليوم واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية، قال أبو عمران: إذا هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه . [إسناده حسن]

١٤٠٢– **فصل** : قوله : فـيرش عليـهم من الماء،فينبـتون كـما تنبت الحـبة في حـمـيل السيـل . وجاء في حـديث أبي سـعيـد الخدري المتقـدم ، ثم يقـال:«يا أهل الجنةأفيـضوا عليهم من الماء ، والمعنى واحـد . والنبات معـروف وهو خروج الشيء ، والحبـة بكسر الحاء بذور البـقول ، وحمـيل السيل : ما احـتمله من طين وغثـاء ، فإذا اتفق أن يكون فيـه حبة فإنها تنبت في يوم ولـيلة، وهي أسرع نابتة نباتاً ، فـشبه النبي ﷺ سرعة نبات أجسادهم بسرعة نبات تلك الحبة ، وفي التنزيل :﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾وتقدم الكلام في نحو ذلك الاسم.

وقوله : وأطولهم مكثا من يمكث فيـها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة .

واختلف(العلمـاء) في انقضاء هذا العالم ، وفي مـدة الدنيا ، وأكثر المنـجمون

في ذلك ، فقال بعضهم : عمر الدنيا سبعة آلاف بعدد النجوم السيارة ، لكل واحد ألف سنة ، وقال بعضهم : بأنها اثنتا عشر ألفاً بعدد البروج، لكل برج ألف سنة . وقال بعضهم : ثلاثمائة وستون ألف سنة بعدد درجات الفلك ، لكل درجة ألف سنة .

وقوله : إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة ثم ينادى : يا حنان يا منان . الحنان الذى يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو . روى ذلك عن على رضى الله عنه ، وقد ذكرنا في ذلك فى كتاب « الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا » مستوفى والحمد لله ، وقد تقدم الكلام في نحو ذلك الاسم عنهم ، فلا معنى لإعادته .

١٤٠٢م- وقوله : وينساهم (الرحمن) على عرشه ، أى يتركهم فى العذاب ، كما قال (تعالى) : ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾ أى تركوا عبادته وتوحيده فتركهم ، والعرش في كلام العرب له محامل كثيرة قد أتينا عليها فى كتاب« الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » منها الملك كما قال زهير :

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

وقال آخر :

بعد ابن جفنة ، وابن هاتك عرشه والحارثين يؤملون فلاحا

وتقول العرب : ثل عرش فلان ، إذا ذهب عزه وسلطانه وملكه ، فالمعنى : وينساهم الرحمن على عرشه أى : بما هو عليه من الملك والسلطان والعظمة والجلال، لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم لما حكم به فى الأزل عليهم من خلودهم فى النار ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط .

وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها: كإبليس وفرعون ، وهامان ، وقارون ، وكل من كفر وتكبر وطغى فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا . وقد وعدهم الله عذابا أليماً ، فقال عز وجل ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ . وأجمع أهل السنة أيضا على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد، فاعلم .

١٤٠٣- قلت : وقد زل هنا بعض من ينتمي إلى العلم والعلماء فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة ، فإنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه، فيقال : وكذلك جائز في العقل أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق،وقوله الصدق ، قال الله تعالى في حق أهل الجنان :﴿ عطاء غير مجذوذ﴾ أي : غير مقطوع ، وقال ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ وقال : ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ وقال : ﴿لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً﴾ ، وقال في حق الكافرين ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ وقال:﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ وهذا واضح ، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول ، ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

[باب في الاستهزاء بأهل النار]
بيان قوله تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾

١٤٠٦- أخبرنا معمر عن قتادة قال : قال بعض العلماء : لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه ، ولقد تغير حبره وسبره ، فعند ذلك يقول:﴿تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ في النار .

والحبر والسبر : اللون والهيئة . من قولهم : جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار ، قاله الفراء . وقال الأصمعي :وهو البهاء والجمال وأثر النعمة ويقال: فلان حسن الحبر والسبر ، إذا كان جميلاً حسن الهيئة . قال ابن أحمد :

لبسنا حبرة حتى اقتضينا لآجال وأعمار قضينا

ويقال أيضاً : فلان حسن الحبر والسبر بالفتح ، وهذا كله مصدر قولك حبرته

تحبيراً والأول اسم ، وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وتزيينه .

[إسناده لا بأس به]

باب ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

١٤٠٩- جاء في الخبر عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً فى الجنة ومسكناً فى النار فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، ويجعل الكفار فى منازلهم من النار» .

[لم أقف عليه]

١٤١٠- وخرجه ابن ماجه بمعناه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل فى الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله » ، فذلك قوله تعالى ﴿ **أولئك هم الوارثون** ﴾ إسناده صحيح .

قلت : وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما تقدم ، وقد قال ها هنا : ما منكم ، فخاطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران رضى الله عنهم ، وسيأتى لهذا مزيد بيان في أبواب الجنان إن شاء الله تعالى . **[حديث صحيح]**

باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

١٤١١- البخارى ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لاموت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم » . **[حديث صحيح]**

١٤١٢- مسلم عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، فيقولون : نعم ! هذا الموت. قال: ثم يقال: يا أهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، فيقولون : نعم ! هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، قال ثم

يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وأشار بيده إلى الدنيا » . [حديث صحيح]

١٤١٣- وأخرجه أبو عيسى الترمذي ، عن أبى سعيد الخدري يرفعه قال : «إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار » . قال : هذا حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

١٤١٤- وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :« يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط ، فيقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال : هل تعرفون هذا؟ قالوا : نعم ! هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبدا »(وقال بعضهم بين يدى النبى ﷺ كما ذكره المؤلف فى شرح ...) . [حديث صحيح]

١٤١٥-(أخرجه)الترمذى بمعناه مطولا عن أبي هريرة أيضا ، وفيه : «فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين الجنة (وأهل)النار،ثم يقال: يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار : فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء : عرفناه ، هو الموت الذى وكل بنا فيضجع(فيذبح) ذبحا على السور ، ثم يقال: يا أهل الجنة ، خلود لا موت ، ويا أهل النار، خلود لا موت» ،قال: هذا حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

١٤١٦- **فصل** : قلت : هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها ، لا إلى غاية ولا إلى أمد مقيمين علي الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال (تعالى) فى كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور، وهم يصطرخون فيها ﴾ إلى قوله

﴿من نصير﴾ وقال(تعالى): ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾ وقال(تعالى): ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ﴾ وقد تقدمت هذه المعانى كلها .

فمن قال : إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية ، بجملتها خاوية على عروشها ، وأنها تفنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول .

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ وإنما نخلى جهنم وهى الطبقة العليا التى فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهى التى ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير ، قال فضل بن صالح المعافرى : كنا عند مالك ابن أنس ذات يوم ، فقال لنا : انصرفوا :فلما كان العشية رجعنا إليه ، فقال: إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءنى (رسول) (ليستأذن)على رغم أنه قدم من الشام في مسألة ، فقال : يا أباعبد الله ، ما تقول فى أكل الجرجير فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟ فقلت له : لا بأس به ، فقال: أستودعك الله وأقرأ عليك السلام.ذكره الخطيب أبو بكر أحمد رحمه الله.

١٤١٧- وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : « يأتى على النار زمان (تخفق) الرياح أبوابها . ليس فيها أحد، يعنى من الموحدين » ، هكذا رواه(مرفوعاً) من قول عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر النبى ﷺ ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو مرفوع ، (والله أعلم).

١٤١٨- **فصل** : قد تقدم أن الموت معنى ، والكلام فى ذلك وفى الأعمال ، وأنها لا تنقلب جوهرا ، بل يخلق الله(تعالى) أشخاصاً من ثواب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشا يسميه الموت ، ويلقى فى قلوب الفريقين أن هذا هو الموت ، ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين .

قال الترمذى : والمذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة رضي الله عنهم مثل سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا : ونروى هذه الأحاديث ، ولا يقال : كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم؟ ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

قال المؤلف رحمه الله : وإنما يؤتى بالموت كالكبش ، والله أعلم . لما جاء أن ملك الموت(عليه الصلاة والسلام) أتى آدم عليه(الصلاة و)السلام في صورة كبش أملح ، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح على ما تقدم أول الكتاب في باب :(ما جاء فى صفة ذلك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر) .

١٤١٩-وفى التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبى فى قوله(تعالى):﴿ **الذى خلق الموت والحياة** ﴾ أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمربشىء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم(الصلاة و) السلام يركبونها، (خطوتها) مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشىء يجد ريحها إلا حيى ، ولا تطأ على شىء إلا حيى ، وهى التى أخذ السامرى من أثرها فألقاه على العجل فحيى ، حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس والماوردى عن مقاتل والكلبي .

ومعنى يشرئبون : يرفعون رؤوسهم ، والأملح : من الكباش : الذي يكون فيه بياض وسواد ، والبياض أكثر. قاله الكسائى. وقال ابن الأعرابي:وهو النقي البياض .

[ذابح الموت جبريل عليه الصلاة والسلام]

وذكر صاحب (خلع النعلين): أن هذا الكبش المذبوح بين الجنة والنار ، أن الذي يتولى ذبحه يحيى بن زكريا عليهما السلام ، بين يدي النبىﷺ وبأمره الأكرم، وذكر فى ذبحه كلاما مناسبا لحياة أهل الجنة وحياة أهل النار ، وذكر صاحب كتاب (العروس): أن الذى يذبحه جبريل عليه (الصلاة و) السلام ، فالله أعلم .

تم كتاب النار بحمد الله العزيز الغفار، أجارنا الله منها بمنه وبفضله وكرمه لا رب غيره .

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً)

أبواب الجنة وما جاء فيها وفي صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنات في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان في غير ماسورة من القرآن ، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن ، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان ، وبين ذلك أيضاً نبينا محمد ﷺ بأوضح بيان ، فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان ، وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان رضى الله عنهم وحشرنا معهم آمين .

باب صفة أهل الجنة في الدنيا

١٤٢١- قال ابن وهب : سمعت ابن زيد يقول : وصف الله (تعالى) أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا ،فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة، وقرأ قول الله تعالى عز وجل ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾قال :

ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال :﴿ إنه كان في أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور بلى﴾وقد تقدم من صفة أهلها ما فيه كفاية والحمد لله وحده. [خبر صحيح]

باب منه
وهل تفضل جنة جنة ؟

١٤٢٢- قال الله تعالى :﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ ثم وصفهما ،

ثم قال بعد ذلك ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ وعن ابن عباس في تأويل قوله تعالى﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ أى : بعد أداء الفرائض جنتان ، قيل : على حدة ، فلكل خائف جنتان . وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر . قال الترمذى محمد بن على : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركه لشهوته ، والمقام:الموضع، أى : خاف مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية ، وقيل :خاف قيام ربه عليه،

أى : إشرافه واطلاعه عليه ، بيانه : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾.

وقال مجاهد والنخعى:هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه .

١٤٢٤- وقوله : ﴿ ومن دونهما جنتان﴾ قال ابن عباس : أى وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان، قال ابن عباس : ومن دونهما ، أى في الدرج ، والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأوليين ، والنخل والشجر ، وفى الأخريين : الزرع والنبات وما انبسط .

قال الماوردى : ويحتمل أن يكون ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ لأتباعه، لقصور منزلتهم عن منزلته ، إحداهما :للحور العين ، والأخرى : للولدان المخلدين ليتميز فيها الذكور من الإناث .

وقال ابن جريج :هى أربع جنان : جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان ، وجنتان لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان ، وقال ابن زيد : الأوليان من ذهب للمقربين ، والأخريان من ورق لأصحاب اليمين .

١٤٢٥- قال المؤلف رحمه الله: وإلى هذا ذهب الحليمى أبو عبد الله الحسن ابن الحسين في كتاب (منهاج الدين) له واحتج لما(رواه) سعيد بن جبير عن ابن عباس :﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ إلى قوله ﴿مدهامتان﴾ قال : هاتان للمقربين ، وهاتان لأصحاب اليمين ، وعن أبى موسى الأشعرى نحو ذلك .

ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما : فقال فى الأوليين: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ وفى الأخريين:﴿فيهما عينان نضاختان﴾أى: فوارتان بالماء لكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجرى ، وقال ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ معروف وغريب أو رطب ويابس ،فعم ولم يخص ،وفي الأخريين﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ ولم يقل : من كل فاكهة ، وقال في الأولين : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ هو الديباج ، وفي

الأخـريـين: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان﴾ .

والعـبقـرى : الوشى. ولا شك أن الديباج أعلى من الوشى ، والـرفرف كـسر الخباء ولا شك أن الفـرش المعدة لـلاتكاء عليهـا أفضـل من فضل الخباء ، وقـال فى الأولين فى صـفة الحـور العين: ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان﴾ ، وفى الأخـريين : ﴿فيهن خيرات حسان﴾ وليس كل حسـن كحسن اليـاقوت والمرجـان . وقال في الأوليـين ﴿ ذواتـا أفنـــان﴾ وفـى الأخـريـــين : ﴿ مـدهامتان ﴾ أى خـضروان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان . ووصف الأولين بكثرة الأغصان ، والأخريين بالخـضـرة وحدها ، وفـى هذا كله تحـقيق للمـعنى الذى قـصـدناه ، (بقـوله):﴿ومن دونهما جنتان﴾ ولعل ما لم يذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر .

١٤٢٦- فـإن قيل كـيف لم يذكـر أهل هاتين الجنتين كـما ذكـر أهل الجنتـين الأوليين ؟ قـيل : الجـنان الأربع لمن خـاف مقـام ربه ، إلا أن الخـائفـين لهـم مـراتب ، فالجنتـان الأوليان لأعلى العباد رتبـة فى الخوف من الله تعالى ، والجنتـان الأخريان لمن قصر حاله فى الخوف من الله تعالى .

قال المؤلف رحمـه الله : فهذا قول ، والقول الثـانى أن الجنتين في قوله تعالى : ﴿ ومن دونهما جنتان﴾ أعلى وأفضل من الأوليين ، ذهب إلى هذا الضـحاك ، وأن الجنتين الأوليين من ذهـــب وفضة والأخريين من ياقوت وزمـرد .

وقوله :﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ أى : من أمامـهمـا ومن قبلهـما ، وإلى هذا القـول ذهب أبو عبـد الله مـحمـد الترمذي الحكيم فى : (نوادر الأصول) وقـال : ومعنى: ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ أى دون هاتين إلى العرش ،أي : أقرب وأدنى إلى العرش ، وقـال مقـاتل :الجنتان الأوليان : جـنة عدن وجنة النعيـم ، والأخريان : جنة الفردوس وجنة المأوى .

قـال المؤلف رحمـه الله : ويدل على هـذا قوله عليـه الصـلاة والسـلام : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » ، الحديث، وسيأتى . قال الترمذى : وقوله: ﴿ فيهما

عينان نضاختان ﴾ أى بألوان الفـواكـه والنعـيم والجـوارى المـزينات ، والدواب المسرجات ، والثياب الملونات ، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجرى .

قال المؤلف رحـمه الله : على هذا تدل أقـوال المفسرين : روى عن ابن عـباس نضاختـان : أى فوارتان بالماء ، والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء ، وعنه أيضا أن المعنى : نضاختان بالخير والبركة ، قاله الحسن ومجـاهد ، وعن ابن عباس أيضا وابن مـسعـود : تنضخ على أوليـاء الله بالمسك والكافـور والعنبـر فى دور أهل الجنة كمـا ينضـخ رش المطر ، وقال سعيد بن جبير : بأنواع الفواكه والماء .

وقوله (تعالى): **﴿ فيهـما فاكهـة ونخل ورمان﴾** قـال بعض العـلمـاء : ليس الرمـان والنخل من الفـاكهـة لأن الشيء لا يعطف على نفـسـه ، وهذا ظاهر الكلام، وقال الجمهور: هما من الفواكه، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفواكه ، كقوله تعالى : **﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾** وقوله(تعالى): **﴿من كـان عدواً لله وملائكته ورسله وجـبريل وميكال﴾** وقـيل: إنما كررهمـا لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البرعندنا ، لأن النخل عامة قوتهم ، والرمان كـالثمرات، فكـان يكثر غرسـها عندهم لحاجـتهم إليـها . وكانت الفـواكه عندهم من ألوان الثمار التى يعجبون بهـا ، وإنما ذكر الفواكه ثم ذكر النخل والرمان لعمـومهما وكـثرتهمـا عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاهمـا من (أرض)اليمن ، فأخرجهما فى الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها.

وقوله :**﴿ فيـهن خيرات حـسان﴾** يعنى النسـاء ، والواحـدة: خيـرة، قـال الترمـذى : الخيرة: مـا اختارهن الله فـأبدع خلقهن باختياره ، واختيار الله لا يشـبه اختيـار الآدميين ، ثم قال : « حسـان » فوصفهن بالحسن ، فإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن فمن ذا الذى يـقدر أن يصف حسنهن ؟ فانظر ما هنالك ، وفى الأوليين ذكر بأنهن قـاصرات الطرف وكـأنهن الياقوت والمرجـان فانظركم بين الخيرة وهى مختارة الله وبين قاصرات الطـرف ؟

ثـم قـال :**﴿ حور مقصورات فى الخيام ﴾**وقـال فى الأوليين : **﴿فيهن**

قاصرات الطرف﴾ قصرن طرفهن على الأزواج ، ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل .

وقد بلغنا في الرواية : أن سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار ، سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب ، حتى إذا حل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المؤمنين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين ، والله أعلم .

ثم قال : **﴿متكئين على رفرف خضر﴾**اختلف في الرفرف، ما هو؟

فقيل:كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، والواحدة رفرفة . وقيل : الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً يتلذذ به مع أنيسته واشتقاقه على هذا من : رف يرف : إذا ارتفع ، ومنه : رفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء ، وربما سمي الظليم رفرفاً بذلك ، لأنه يرف بجناحيه ثم يعدو . ورفرف الطائر أيضاً إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .

قال الترمذي الحكيم : فالرفرف أعظم خطراً من العرش ، وذكر في الأوليين : **﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾** وقال هنا : **﴿متكئين على رفرف خضر﴾** فالرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به ، أي طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح .

وروى لنا (من) حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش ، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار
به خفضا ورفعا يهوى به حتى أدله إلى جبريل صلوات الله عليهما ، وجبريل يبكي ، ويرفع صوته بالتحميد ، والرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقربة ، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء صلوات الله عليهم مخصوصة بذلك في أرضه . فهذا الرفرف الذي سخره الله لأجل الجنتين الدانيتين

هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولى على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان .

ثم قال : ﴿وعبقرى حسان﴾ والعبقرى : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال ، خالق النقوش : إنها حسان ، فما ظنك بتلك العباقر ، (والعبقر) : قرية من ناحية اليمن فيما بلغنا ينسج فيها بسط منقوشة ، فذكر الله ما خلق فى تلك الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف الخضر ، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا ، فبان تفاوت هاتين الجنتين.

وقد روى عن بعض (المفسرين) : فإذا هو يشير إلى أن هاتين الجنتين من دونهما، أى أسفل منهما وأدون. فكيف يكون مع هذه الصفة أدون فحسبته

لم يفهم الصفة (ذكر هذا كله فى) الأصل التاسع والثمانين من كتاب (نوادر الأصول) .

فصل : لما قال الله سبحانه وتعالى :﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ثم قال: ﴿ **ومن دونهماجنتان** ﴾دل على أن الجنان أربع لا سبع على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب صفة الجنة ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها

١٤٢٧- مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعتكم عليه ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ بله : بمعنى : غير . وقيل : اسم من أسماء الأفعال بمعنى : دع . [**حديث صحيح**]

١٤٢٩- الترمذي عن أبى هريرة(رضى الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله،م خلق الخلق ؟ قال :«من الماء » قلت : الجنة،ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من فضة ولبنة من ذهب (وملاطها)المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران . من دخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم » . وذكر الحديث . وقال: ليس إسناده ذلك بالقوى، وليس هو عند ى بمتصل ، وقد روى هذا

[٣٦٦/ صحيح التذكرة / صحابة]

الحديث بإسناد آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ . [حديث حسن]

١٤٣٠- قال المؤلف رحمه الله : خرجه أبو داود الطيالسى في (مسنده) قال: حدثنا إبراهيم بن معاوية ، عن سعيد الطائى ، قال : حدثنى أبو المدله ، مولي أم المؤمنين ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قلنا: يا رسول الله، (إنا) إذا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقناك وشممنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا ؟ فقال رسول الله ﷺ :« لو أنكم تكونون إذا فارقتمونى كما تكونون عندى، لصافحتكم الملائكة بأكفها، ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو كنتم لا تذنبون، لجاء الله بقوم يذنبون كى يستغفروا فيغفر لهم». قلنا : يا رسول الله، أخبرنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها الدر والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها يبقى لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » . [حديث حسن]

١٤٣١- مسلم عن أبي سعيد الخدرى: قال : قال رسول الله ﷺ لابن صياد: « ما تربة الجنة »؟ قال : درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم ، قال: «صدقت » .

وعنه أن ابن صياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص » . [حديث صحيح]

١٤٣٢- ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، عن العلاء بن (زياد)،عن أبى هريرة(رضى الله عنه) قال : « حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ودرجها اللؤلؤ والياقوت ، قال : وكنا نحدث أن رضاختها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران »

قلت : كل هذا مرفوع حسب ما تقدم فى هذا الباب ويأتى .[خبر صحيح]

باب ما جاء في أنهار الجنة وجبالها وما جاء في الدنيا منها

قال الله تعالى :﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى** ﴾ . وروى أنها تجرى في غير أخدود . منضبطة بالقدرة .

١٤٣٣- ويروى عن أبي هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « أنهار في الجنة تخرج

من تحت تلال أو جبال مسك » ، ذكره العقيلي . [**حديث حسن لغيره**]

١٤٣٦- الترمذي عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة بحر الماء ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وحكيم ابن معاوية هو والد بهز بن حكيم . [**حديث صحيح**]

١٤٣٧- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ، وقال كعب : نهر دجلة نهر (ماء الجنة)، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خمرهم ، ونهر سيحان نهر عسلهم ، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهرالكوثر . [**حديث صحيح**]

١٤٣٨- وذكر البخارى من طريق شريك عن أنس في حديث الإسراء ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : ما هذان يا جبريل؟ قال : النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى في السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك . [**حديث صحيح**]

باب من أين تفجر أنهار الجنة ؟

١٤٤١- البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ،كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، (جاهد) فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التي ولد فيها ، قالوا:يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » خرجه ابن ماجه أيضًا وغيره .

وقال أبو حاتم البستي : معنى قوله : فإنه أوسط الجنة: يريد (أن الفردوس فى وسط الجنات فى العرض ، وهو أعلى الجنة، يريد)فى الارتفاع، وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها .

وقد قيل : إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة،كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها لأن الله تعالى مدح في أول سورة«المؤمنون» أقواماً وصفهم، ثم قال :

﴿هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ ثم أعاد ذكرهم فى سورة المعارج فقال: ﴿ أولئك فى جنات مكرمون﴾ فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة ، قاله وهب بن منبه . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة ومن شربه فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة وفى لباس أهل الجنة وآنيتهم

١٤٤٢- النسائى عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة ، ومن شرب فى آنية الذهب والفضة لم يشرب بها فى الآخرة » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة». [حديث حسن]

١٤٤٣- قلت : إن قال قائل : قد سوى النبى ﷺ بين الأشياء الثلاثة وأنه يحرمها فى الآخرة ، فهل يحرمها إذا دخل الجنة ؟ قلنا : نعم ! إذا لم يتب منها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة » ، خرجه مالك ، عن نافع عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ . وكذلك لابس الحرير ، ومن أكل فى آنية الذهب والفضة ، أو شرب فيها لاستعجاله ما أخر الله له فى الآخرة ، وارتكاب ما حرم الله عليه فى الدنيا . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى أشجار الجنة وفى ثمارها وما يشبه ثمر الجنة فى الدنيا

١٤٤٥- الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل :« أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » اقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرؤوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع

الغرور﴾ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . [**حديث صحيح**]

١٤٤٦- ابن المبارك ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو قال:مائة سنة،وهى شجرة الخلد ».[**حديث صحيح**]

١٤٤٧- قال : وأخبرنا ابن أبي خالد عن زياد مولى بنى مخزوم ، سمع أبا هريرة يقول : فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة . واقرؤوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق والذى أنزل التوراة على لسان موسى بن عمران ، والفرقان على محمد ﷺ ، ولو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار فى أصل تلك الشجرة وما يبلغها حتى يسقط هرماً . إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة ومافى الجنة نهر إلا ويخرج من أصل تلك الشجرة . [**خبر صحيح**]

١٤٤٨- الترمذى عن أسماء بنت أبى بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول - وذكر لها سدرة المنتهى - قال : « يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب- شك يحيى - فيها فراش الذهب- كأن ثمرها القلال». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

[**الحديث حسن وإسناده ضعيف**]

١٤٤٩- وذكر عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبى ﷺ قال : « لما رفعت لى سدرة المنتهى فى السماء السابعة : نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، قلت : يا جبريل ما هذه ؟ قال : أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات » .

قلت : كله لفظ مسلم إلا قوله : « نبقها مثل قلال هجر . أخرجه الدارقطنى فى سننه ، قال : حدثنا أبو بكر النيسابورى ، حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا عبد الرزاق فذكره . [**حديث صحيح**]

١٤٥٠- وخرج البخارى أيضاً من حديث قتادة : حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ، قال : قال رسول الله ﷺ :الحديث حديث الإسراء، وفيه : «ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيلة . وفى أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان » وذكر الحديث .

وفى حديث ابن مسعود سدرة المنتهى : صبر الجنة ، قال أبو عبيدة : صبرها أعلاها . وكذلك صبر كل شيء أعلاه ، والجمع : أصبار .

قال النمر بن تولب يصف روضة :

غـرست وباكـرها الربيع نديمة   وطفـاء تملؤها إلـى أصبـارهـا

يعنى : إلى أعاليها وهى جماعة للصبر ، وقال الأحمر : الصبر :جانب الشيء، لغتان:صبر وبصر ، كما قالوا:جبذ وجذب ، وقال أبو عبيد:- وقول أبى عبيدة أعجب- إلى أن يكون فى أعلاها من أن يكون في جانبها . [**حديث صحيح**]

١٤٥١- ابن المبارك قال : حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب النبى ﷺ يقولون : إنه لتنفعنا الأعراب ومسائلهم قال : أقبل أعرابى يوماً ، فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ:« وما هى» ؟ قال : السدر فإن له شوكاً مؤذياً فقال رسول الله ﷺ : « أو ليس يقول الله تعالى ﴿ **فى سدر مخضود** ﴾ خضد (الله) شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها تنبت ثمراً ، تفتق الثمر منها على اثنين وسبعين لونا طعاماً ما فيه لون يشبه الآخر ويروى التمر بالتاء باثنين فيها كلها » قاله أبو محمد عبد الحق . [**إسناده مرسل وصح بنحوه**]

١٤٥٣- وذكر مسلم من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف ، قالوا: يا رسول الله ، رأيناك تناولت فى مقامك شيئاً ، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال : « إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ، ولو أخذته لأكلتم منها ما بقيت الدنيا » ، تكعكعت . معناه: تأخرت ، يقال منه : كع يكع كعوعا : تأخر ، والكع : الضعيف العاجز ، قال الشاعر : [**حديث صحيح**]

ولكننى أمضى على ذاك مقدماً   إذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

١٤٥٤- وذكر ابن المبارك : حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، (وثمره)كأمثال القلال ، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى ، وإن ماءها ليجرى فى غير أخدود ، والعنقود اثنا عشر ذراعاً ثم أتى على الشيخ ، فقلت: من حدثك بهذا ؟ قال : مسروق .

[**خبر صحيح**]

١٤٥٥- وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة الباهلي قال : طوبى: شجرة في الجنة ليس منها دار إلا فيها غصن منها، ولا طير حسن إلا وهو فيها ، ولا ثمرة إلا وهي فيها .

باب في كسوة الجنة وكسوة أهلها

قال الله تعالى :﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾ وقال ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ .

١٤٥٩- وذكر ابن هناد السرى قال : حدثنا أبو الأحوص عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال : أهدى لرسول الله ﷺ سرقة من حرير فجعلوا يتداولونها بينهم ، فقال رسول الله ﷺ :« أتعجبون منها » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : «والذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها ». [**حديث صحيح**]

١٤٦٠- قال هناد بن السرى : وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أن عطارد بن حاجب أهدى لرسول الله ﷺ ثوباً من ديباج كساه إياه كسرى فاجتمع ، إليه الناس فجعلوا يلمسونه ويعجبون ؟ ويقولون : يا رسول الله ، أنزل عليك هذا من السماء فقال : «ما تعجبون ! فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من هذا . يا غلام، اذهب بهذا إلى أبى جهم وجئنا بأنبجانيته » . [**حديث صحيح**]

باب ما جاء أن شجر الجنة وثمارها تنفتق عن ثياب الجنة وخيلها ونجبها

١٤٦٢- النسائى ، عن عبد الله ابن عمر و بن العاص قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله ، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلقاً تخلق أو نسجاً تنسج ؟ فضحك بعض القوم فقال : « (لم) تضحكون ؟ إن جاهلاً يسأل عالماً ، فجلس يسيراً أو قليلاً » ، فقال رسول الله ﷺ : « أين السائل عن ثياب الجنة ؟» فقالوا : ها هو ذا يا رسول الله ، قال : «لا . بل تنفتق عنها ثمر الجنة » قالها ثلاثاً . والله أعلم . [**حديث حسن**]

باب ما جاء في نخيل الجنة وثمرها وخيرها

١٤٦٤- ابن المبارك ، قال : أخبرنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (« نخيل)الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال . والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم » . [**خبر صحيح**]

١٤٦٦- وذكر أبو الفرج بن الجوزى ، عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبى ﷺ أنه أخذ عوداً بيده فقال : « يا جرير لو طلبت فى الجنة مثل هذا العود لم تجده » قال : فقلت:فأين النخل والشجر ؟ قال : «أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلاها الثمر » . [**صحيح موقوف منكر مرفوع**]

باب الزرع في الجنة

١٤٦٧- البخارى عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث - وعنده رجل من أهل البادية - أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : أو لست فيما شئت ؟ قال : بلى ! ولكنى أحب أن أزرع ، فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ، فيقول الله : دونك يا ابن آدم ،فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابى يا رسول الله ، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصارياً ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ . [**حديث صحيح**]

باب ما جاء في أبواب الجنة وكم هي ؟ ولمن هي ؟ وفي تسميتها وسعتها

١٤٦٨- قال الله تعالى : ﴿**حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**﴾ قال جماعة من أهل العلم : هذه واو الثمانية فللجنة ثمانية أبواب . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » رواه عمر بن الخطاب، خرجه مسلم. [**حديث صحيح**]

١٤٦٩- وجاء في تعيين هذه الأبواب لبعض العلماء كما جاء فى حديث الموطأ وصحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ

قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نودى في الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب ؟ قال : نعم ! وأرجو أن تكون منهم » . [حديث صحيح]

١٤٧٠- قال القاضي عياض : ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها : باب التوبة ، وباب الكاظمين الغيظ ، وباب الراضين ، والباب الأيمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه .

قلت : فذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة فى «نوادر الأصول » فذكر باب محمد ﷺ وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة ، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر . فباب منها للصلاة ، وباب للصوم ، وباب للزكاة والصدقة ، وباب للحج ، وباب للجهاد ، وباب للصلة ، وباب لـلعمرة ،فزاد باب الحج ، وباب العمرة ، وباب الصلة ، فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر باباً .

١٤٧٣- قلت : فقوله: « باب أمتى » يدل على أنه لسائر أمته ، فمن لم يغلب عليه عمل يدعى به، وعلى هذا يكون ثالث عشر ، ولهذا يدخلون مزدحمين ، وقد تقدم أن أكثر أهل الجنة البله فالله أعلم .

ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« من توضأفأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صادقاً من نفسه أو قلبه ، - شك أيهما قال -فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة ، يدخل من أيها شاء » .

خرجه الترمذي وغيره، قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (التمهيد) هكذا قال: فتح له من أبواب الجنة ، وذكر أبو داود والنسائى وابن سنجر: فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ليس فيها ذكر من ، فعلى هذا أبواب الجنة ثمانية كما قالوا .

[حديث صحيح]

١٤٧٤- قلت : قد ذكرنا أنهـا أكثر من ثمانية وبالله توفيـقنا ،وأما كون الواو في «وفتحت أبوابها » واو الثمانية ، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك في قوله تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ ، فخلو المتكبر وهو ثامن اسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه . وقد بيناه في سورة براءة ، والكهف من كتاب: (جامع أحكام القرآن) والحمد لله .

وقد خرج مسلم ، عن خالد بن عمير ، قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان أميرا على البصرة فحمد الله(تعالى) وأثنى عليه،وذكر الحديث على ما تقدم ، وفيه : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، الحديث . [**حديث صحيح**]

١٤٧٥- وخرج عن أنس في حديث الشفاعة ،« والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » [**حديث صحيح**]

١٤٧٦- وخرج عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف ، - لا يدرى أبو حازم أيهما قال متماسكون آخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، ووجوههم على صورة القمر ليلة البدر » فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هى غير ما تقدم ، فيحصل منها والحمد لله على هذا ستة عشر باباً . [**حديث صحيح**]

١٤٧٩- **فصل : قوله** :« من أنفق زوجين في سبيل الله » ، قال الحسن البصرى : يعنى اثنين من كل شيء : دينارين ، درهمين ، ثوبين ، خفين ، وقيل : يريد شيئين ديناراً ودرهماً ، درهماً وثوباً ، خفاً ولجاماً ونحو هذا . وقال الباجى: ، ويحتمل أن يريد بذلك : العمل من صلاتين أو صيام يومين .

قلت : والأول من التفسير أولى ، لأنه مروى عن النبى المصطفى ﷺ وذكر الآجرى عن أبي ذرأن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة » ، ثم قال ﷺ : « بعيرين ، درهمين ، قوسين، نعلين » وأما ما جاء من

سعة أبواب الجنة ، فيحتمل أن يكون بعضها سعته كذا، وبعضها سعته كذا كما ورد في الأخبار فلا تعارض والحمد لله . [حديث صحيح]

باب منه

١٤٨٠- روى البخارى ومسلم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ: « إن فى الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

قلت : وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال .

وجاء فى حديث أبى هريرة : إن من الناس من يدعى من جميع الأبواب ، فقيل : ذلك الدعاء دعاء تنويه وإكرام وإعظام ثواب العاملين تلك الأعمال إذ قد جمعها ونيله ذلك ، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل . (والله أعلم) .

[حديث صحيح]

١٤٨١- وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة(رضى الله عنه)قال : قال رسول الله ﷺ: « من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ قال : أبو بكر : أنا ، (قال:) فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ،قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر : أنا ، قال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة » . [حديث صحيح]

باب ما جاء في درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

١٤٨٤- الترمذى رحمه الله ، عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الجنة مائة درجة،كل درجة منها ما بين السماء والأرض وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس وإن العرش على الفردوس ، منها تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس »قال الترمذي :عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل .

قلت : قد خرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه كما تقدم ، فهو صحيح متصل . [حديث صحيح]

١٤٨٧- ابن ماجه ،عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعدفيقرأ ويصعد بكل آية

درجة حتى يقرأ آخر شيء معه » . [**حديث صحيح**]

١٤٨٨- وخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

١٤٩٠- وقالت عائشة رضى الله عنها :« إن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن » ذكره مكى رحمه الله .

[**حسن موقوف**]

١٤٩١- **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : حملة القرآن وقراؤه هم العالمون بأحكامه وبحلاله وحرامه والعاملون بما فيه . قال مالك : قد يقرأ القرآن من لاخير فيه ، وقد تقدم حديث العباس بن عبد المطلب في أبواب النار ، وحديث أبى هريرة فيمن تعلم العلم وقرأ القرآن عجبا ورياء ، ما فيه كفاية لمن تدبر .

١٤٩٣- وفى البخارى : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها » ، وذكر الحديث . وقد أشبعنا القول فيه في (قارئ القرآن وأحكامه) فى كتاب :(التذكار فى فضل الأذكار) وفي مقدمة : (جامع أحكام القرآن) ما فيه كفاية والحمد لله . وقد تقدم : أن فى الجنة مائة درجة أعدها الله(تعالى) للمجاهدين فى سبيله فالجهاد يحصل مائة درجة ، وقراءة القرآن تحصل جميع الدرجات ، والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنه وفضله .

[**حديث صحيح**]

باب ما جاء في غرف الجنة ولمن هي ؟

قال الله تعالى :﴿ **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية**﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿**إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون**﴾ وقال ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا** ﴾ .

١٤٩٤- وروى مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال :«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم ، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .
[**حديث صحيح**]

١٤٩٨- وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إن أهل الغرف ليتراءون عليين كما تتراءون الكوكب الدرى فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » ذكره الثعلبى . [**حديث حسن**]

١٤٩٩- الترمذي عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها ،وبطونها من ظهورها » فقام إليه أعرابى فقال : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ،وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام » . [**حديث حسن لغيره**]

١٥٠٠- وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « ألا أخبركم بغرف الجنة ؟ غرفا من ألوان الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم والثواب والكرامات مالا أذن سمعت ، ولا عين رأت ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، لمن تلك ؟ فقال : لمن أفشى السلام، وأدام الصيام ، وأطعم الطعام ، وصلى والناس نيام ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ فقال : أمتى تطيق ذلك ، وسأخبركم من يطيق ذلك ، من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان، ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى والناس نيام : اليهود والنصارى والمجوس» . [**حديث حسن وإسناده ضعيف**]

١٥٠١- **فصل** : اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع ، وقوله:الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم فاعل ، من غار ، وقد روى مسلم فى غير الغارب

بتقـديم الراء، والمعنى واحد، وروى الغابر بالـباء بواحدة ، ومعـناه الذاهب أو الباقى ، فإن غـبر من الأضـداد ، يقال غبـر إذا ذهب ، وغبـر إذا بقى ، ويعنى به أن الكوكب حالة طلوعـه وغروبه بعيـد عن الأبصار فيظهـر صغيـراً لبعده ، وقـد بينه بقوله:« من المشـرق أو المغرب» ، وقـد روى « العـازب » بالعين المهـملة والزاى ، أي : البـعيـد ، ومعانيها كلها متقاربة المعنى .

وقـوله :« والذى نفسى بيـده رجـال آمنوا بالله وصـدقوا المرسلين» ولم يذكـر عملاً ولا شيئاً سـوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، وذلك ليعلم أنه غني الإيمان البالغ وتصـديق المرسلين من غيـر سؤال آية ولا تلجـلج ، وإلا فكيف تنال الغرفـات بالإيمان والتصديق الذي للعامـة ، ولو كان كذلك ،كان جميع الموحـدين فى أعالى الغرفات وأرفع الدرجـات ، وهذا محال ، وقـد قال الله تـعالى: ﴿**أولئك يجزون الغـرفة بما صبروا**﴾والصبـر: بذل النفس (و)الثبات له وقـوفاً بين يديه بالقلوب عـبودية، وهذه صفة المقربين . وقال (تعالى) فى آيـة أخـرى ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقـربكم عندنا زلفى إلا مـن آمن وعمل صالحاً فـأولئك لهم جـزاء الضـعف بما عـملوا وهم فى الغـرفـات آمنون**﴾ فـذكـر شأن الغـرفـة، وأنهـا لا تنال بالأمـوال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الـصالح ، ثم بين لهم جزاء الضـعف وأن محلهم الغرفـات ، يعلمك أن هذا إيمان طمأنـينة وتعلق قلب به، مطمئناً به، فى كـل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد ، فلا يكون العمـل الصالح الذي لا يشوبه فـساد إلا مع إيمان بالغ مطمـئن صاحـبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا . فلهذا كانت منزلته دون غيره .

الغرفات ، يعلمك أن هذا إيمان طمـأنينة وتعلق قلب به، مطمئناً به، فى كل ما نابه ، وبجـميع أموره وأحكامـه ، فـإذا عمـل عمـلاً صـالحاً فـلا يخلطه بضـده وهو الفـاسـد، فلا يكون الـعمل الصـالح الذي لا يشـوبه فـسـاد إلا مع إيمان بالغ مطمـئن صاحـبه بمن آمن وبجميع أمـوره وأحكامه ، والمخلط ليس إيمانه وعـمله هكذا . فلهذا كانت منزلته دون غيره .

١٥٠٢- **قلت**:ذكره الترمذي الحكيم رحمة الله عليه، وهذا واضح بين ، وقد قال تعالى: ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾ وقال (تعالى) :﴿ ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون﴾ فلما باين بين الأبرار والمقربين فى الشراب على ما يأتى بيانه، باين بينهم فى المنازل والدرجات وأعالى الغرفات ،حسب مابابين بينهم في الأعمال الصالحات بالاجتهاد فى الطاعات . قال الله تعالى : ﴿ كلاّ إن كتاب الأبرار لفى عليين ﴾فيجتهد الإنسان أن يكون من الأبرار المقربين ليكون فى عليين، وأصحاب عليين جلساء الرحمن ، وهم أصحاب المنابر من النور في المقعد الصدق، وقال تعالى:﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾ إلى قوله ﴿ فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية﴾وأصحاب اليمين فى علو الجنان أيضًا وجميعها عوالى، وجنات المقربين جميعها علالي وإحداهن علية كقول الشاعر:

ألا يا عين ويحك أسعدينى   بغزر الدمع فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى   بخير الدار فى تلك العلالى

باب ما جاء في قصور الجنة ودورها وبيوتها وبما ينال ذلك المؤمن

١٥٠٧- الترمذي عن بريد بن الخصيب قال : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً، فقال :« يا بلال بما سبقتنى إلى الجنة ؟ فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامي ، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا: لرجل عربي ، فقلت : أنا عربى ، لمن هذا القصر؟ قالوا : لرجل من قريش . قلت: أنا قرشى ،لمن هذا القصر ، قالوا : لرجل من أمة محمد، قلت : أنا محمد، لمن هذا القصر ؟ قالوا: لعمر بن الخطاب » فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابنى حدث إلا توضأت عنده، ورأيت أن لله تعالى عليَّ ركعتين ، فقال رسول الله ﷺ : «بهما » قال : حديث حسن صحيح .

[حديث صحيح وإسناده حسن]

١٥٠٨- وخرج الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من حديث أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ :« دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت :لمن

هذا ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب » . [**حديث صحيح**]

١٥١٠- وخرج أبو داود الطيالسي قال : حدثنا حماد بن زيد عن أبى سنان قال : دفنت ابنى سناناً، وأبو طلحة الخولانى على شفير القبر، فقال : حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ: « إذا قبض الله عز وجل ابن العبد، قال للملائكة : ماذا قال عبدى ؟ قالوا : حمدك واسترجع . قال: ابنوا له بيتاً فى الجنة وسموه : بيت الحمد » . [**حديث حسن لغيره**]

باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿وفرش مرفوعة﴾

١٥١٢- **قلت** : وقد قيل : إن الفرش كناية عن النساء اللواتى فى الجنة، والمعنى نساء مرتفعات الأقدار فى حسنهن وكمالهن ، والعرب تسمى المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً ونعجة على الاستعارة ، لأن الفرش محل النساء وفي الحديث « الولد للفراش وللعاهر الحجر » وقال الله تعالى : ﴿ **هن لباس لكم**﴾الآية (و)قال : ﴿ **إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة** ﴾. [**حديث صحيح**]

باب ما جاء في خيام الجنة وأسواقها وتعارف أهل الجنة في الدنيا وعبادتهم فيها

١٥١٣- مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺقال : «فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة،عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن » في رواية . قال : الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن مايرون الآخرين . [**حديث صحيح**]

١٥١٤- وخرج مسلم أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم المسك فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » .(ويقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً). [**حديث صحيح**]

باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

١٥٢٣- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم » قال : هذا حديث حسن

صحيح . وفي طريق أخرى : « يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام » قال : حديث حسن صحيح . [**حديث صحيح**]

١٥٢٦- وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنةبأربعين خريفاً » . [**حديث صحيح**]

١٥٢٧- **فصل** : قال المؤلف رحمه الله : اختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفو الحال وكذلك الأغنياء ، وقد تقدم حديث أبي بكر بن أبي شيبة «أول ثلاثة يدخلون الجنة » ولا تعارض والحمد لله ، فإن الحديثين مختلفا (المعنى) ، وقد اختلف في أي الفقراء هم السابقون ، وفي مقدار المدة التي بها يسبقون، ويرتفع الخلاف عن الموضع الأول بأن يرد مطلق حديث أبي هريرة إلى (مطلق) روايته الأخرى ، وكذلك حديث جابر يرد أيضًا إلى حديث عبد الله بن عمرو ، ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين إذ المدة (فيهما) أربعين خريفاً ، ويبقى حديث أبي سعيد الخدري في المدة بخمسمائة عام في فقراء المهاجرين ، وكذلك حديث أبي الدرداء في فقراء المسلمين بنصف يوم خمسمائة سنة .

ووجه الجمع بينهما أن يقال إن سباق الفقراء من المهاجرين يسبقون سباق الأغنياء منهم بأربعين خريفاً، وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام،وقد قيل : إن حديث أبي هريرة وأبي الدرداء وجابر يعم جميع فقراء قرون فيدخل الجنة سباق فقراء كل قرن قبل غير السباق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبي هريرة وأبي الدرداء، وقيل:السباق بأربعين خريفاً على ما تقدم من حديث جابر،والله أعلم .

١٥٢٨- **فصل** : قلت : وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقير على الغني ، وقد اختلف الناس في هذا المعنى ، وطال فيه الكلام بينهم حتى صنفوا فيه كتباً وأبواباً ، واحتج كل فريق لمذهبه في ذلك والأمر قريب (إن شاء الله تعالى) .

وقد سئل أبو علي الدقاق : أي الوصفين أفضل : الغني أو الفقر ، فقال : الغني ،لأنه وصف الحق، والفقر وصف الخلق ، ووصف الحق أفضل من وصف الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**﴾ وبالجملة : فالفقير بالحقيقة العبد وإن كان له مال وإنما يكون غنياً إذا عول

على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه ، فإن تعلق باله بشيء من الدنيا ، ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده . قال رسول الله ﷺ : «تعس عبد الدينار » الحديث خرجه البخارى وغيره ،(وقد كتبناه فى كتاب «قمع الحرص بالزهد والقناعة» ورد ذل السؤال بالكسب والشفاعة ، وتكلمنا) عليه وبيناه والحمد لله . وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه وعزه وخضوعه له .

ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً   منا إليك فعزها في ذلها

[حديث صحيح]

١٥٢٩–(فالمعنى المتعلق البال) بالمال الحريص عليه الراغب فيه هوالفقير حقيقة (وعاديه) الذى يقول: ما أبالى به ولا لى رغبة فيه ، وإنما هي ضرورة العيش ، فإذا وجدتها فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة فهو الغنى حقيقة . قال رسول الله ﷺ:« ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس » خرجه مسلم وأخذ عثمان بن سعدان الموصلى هذا المعنى فقال :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى   فإنك لا تدرى أتصبح أم تمسى

فليس الغنى عن كثرة المال ، إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس ، وقد أشبعنا القول في هذا في كتاب :(قمع الحرص) . [حديث صحيح]

١٥٣٠– **قلت** : هنا درجة ثالثة رفيعة وهى الكفاف التي سألها رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا » وفى رواية «كفافًا» خرجه مسلم.

ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات والأعمال ، وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفقر مكروه، وما أبطر من الغنى مذموم . [حديث صحيح]

بابـ منه

١٥٣٣– الترمذى ، عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال : « يا أيها الناس إنى قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال : أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد، ولايستشهد ، ولا يخلون رجل بامرأة لا تحل له إلا كان ثالثهما الشيطان

عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة،فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئته، فذلكم المؤمن ».

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . [**حديث صحيح**]

باب منه

ما جاء في صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وشبابهم وغرفهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم ، وفي لسانهم ،وليس في الجنة عزب .

١٥٣٤- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة ، - وفي رواية : من أمتي- على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء أضاء ، وفي رواية : ثم هم بعد ذلك منازل . لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب . وفي رواية : الفضة ، ورشحهم المسك ومجامرهم وأزواجهم الحور العين ، وفي رواية : لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً » .

قال أبو علي:الألوة:هو العود.وفي رواية:أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم. وفي رواية:على صورة أبيهم ستون ذراعاً في السماء.

وقال أبو كريب :على خلق رجل واحد .وقال أبو هريرة حين تذاكروا : الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟ فقال : لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم ، وما في الجنة عزب . [**حديث صحيح**]

١٥٣٦- عن البخارى عن أنس(رضى الله عنه)عن النبى ﷺ قال:« لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض (الدنيا) لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » . [**حديث صحيح**]

١٥٣٧- الترمذى عن شهر بن حوشب ،عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم» قال:حديث غريب [**حديث صحيح وإسناده حسن من الشواهد**]

١٥٣٨- وخرج عنه أيضاً ،عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ بن جبل

(رضى الله عنـه)أن النبى ﷺ قـال : « يدخل أهل الجنة الجنة جـرداء مـرداء مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة » قال :حديث غريب ، وروى عن قتادة مرسلاً .

[**حديث حسن لغيره**]

١٥٤٠- الترمذى ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبى ﷺ قال : « لو أن ما يقله ظفر مما في الجنة بدا إلى الدنيا لتزخـرف له ما بين خوافق السـماوات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنةاطـلع فبدت أساوره ، لـطمس ضوء الشمس كـما تطمس الشمس ضوء النجوم » قال : حديث حسن غريب . [**حديث صحيح**]

١٥٤٢- **فصل** : فى حديث أبي هريرة : « لـكل واحد منهم زوجتـان» وقد تقدم من حديث عمران بن حصين : « أن أقل ساكنى الجنة النساء » .

قـال : علمـاؤنا : لم يختلفـوا في جنس النسـاء، وإنما اختلفـوا فى نوع من الجنس وهو نسـاء الدنيا ورجـالها أيهـما أكثر في الجنة،فإن كـانوا اختلفـوا فى المعنى الأول وهو جنس النساء مطلـقاً ، فحديث أبي هريرة حـجة ، وإن كانوا اخـتلفوا في نوع من الجنس وهـم أهل الدنيا، فالنساء فى الجنة أقل .

قلت : يحتـمل أن يكون هذا فى وقت كـون النسـاء فى النار ، وأمـا بعد خروجهن في الشـفاعة ورحمة الله تعـالى حتى لا يبقى فيهـا أحد ممن قال : لا إله إلا الله ، فالنساء فى الجنة أكثر ، (والله أعلم) ، وحـينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا ، وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن .

[**حديث صحيح**]

١٥٤٤- وقوله: « وأمـشاطهـم الذهب والفضـة ومجامرهم الألوة ». قـد يقال هنا : أى حـاجة فى الجنة للامـتشاط ولا تتلبـد شـعورهم ولا تتسـخ ؟ وأى حاجـة للبـخـور وريحـهم أطـيب من المسك؟ ويـجـاب عن ذلك : بأن نعـيم أهـل الجنة وكسوتهم ليس عن رفع ألم اعتـراهم فليس أكلهم عن جوع ولاشربهم عن ظمأ ولا تطييبهم عن نتن، وإنما هى لذات متوالية ونعم متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم :﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تـظمأ فيها ولا تضحى**﴾وحكمة ذلك أن الله تعالى نعـمهم في الجنة بنوع ما كـانوا يتنعمون به في الدنيـا ، وزادهم على ذلك مالا

يعلمه إلا الله عز وجل .

١٠٤٥– **قلت** : وقد جاء مثل هذا في أهل النار حيث قال : ﴿ **إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون** ﴾ وقال : ﴿ **إن لدينا أنكالا وجحيما** ﴾ فعذبهم في النار بنوع ما كانوا يعذبون به فى الدنيا ، قال الشعبى : أترون أن الله جعل الأنكال في الرجل خشية أن يهربوا؟ لا والله ، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم .

١٠٤٦– ابن المبارك قال : أخبرنا سعيد بن أبى أيوب قال : حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال : لسان أهل الجنة عربى ، وإذا خرجوا من قبورهم سرياني وقد تقدم، وقال سفيان : بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية ، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية . [**إسناده صحيح والخبر مقطوع**]

باب منه فى الحور العين وكلامهن وجواب نساء الآدميات وحسنهن

ذكر أن الآدميات فى الجنة على سن واحد ، وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة .

١٠٤٩– وقال أبو هريرة : إن فى الجنة حوراء يقال لها (العيناء) إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهى تقول : أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ .

١٠٥٠– وقال ابن عباس : إن فى الجنة حوراء يقال لها (لعبة) لو بزقت فى البحر لعذب ماء البحر كله . مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى ، فليعمل بطاعة ربى عز وجل .

١٠٥٢– وذكر الختلي أبو القاسم قال : حدثنا إبراهيم بن أبى بكر ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثنى محمد بن صالح(الضبى) قال : قال عطاء السلمى لمالك بن دينار : يا أبا يحيى شوقنا . قال يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من حسنها، لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن آخرهم من حسنها ، قال : فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين يوماً .

١٥٥٣- ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأودى ، عن ابن مسعود قال : « إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقيها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء » [**خبر صحيح موقوف**]

باب ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال الله تعالى :﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ إلى قوله :﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ .

١٥٥٧- وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال» ، الحديث وفيه « ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» ، وقد تقدم فى باب ما ينجى من أهوال القبر وفتنته . [**حديث صحيح**]

١٥٦١- وقال أبو هريرة : « يتزوج أحدكم فلانه بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة ».

١٥٦٢- وقال محمد بن النعمان المقرى : كنت قاعداً عند الجلا المقرى بمكة فى المسجد الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقة ، فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا ،فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ؟ فقلنا : لا ، فقال : ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها، فقال : لمن أنت ؟ فقالت : أنا الحور التى ابتعتنى من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة ، هذا الثمن ، فما نحلتى أنا منك ؟ قال : ألف ختمة ، قال الجلا: فهو يعمل فيها بعد.

١٥٦٣- وروى عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له: سعيد، وكانت له أم من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلفه، فإذا غلب عليه النوم ونعس ، تناديه والدته : يا سعيد ، إنه لا ينام من يخاف النار، ويخطب الحور الحسان ، فيقوم مرعوباً .

١٥٦٤- ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله في سواد الليل ،

قال : رأيت ذات ليلة في منامى امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء ، أمة الله ، فقلت لها : زوجينى نفسك ،فقالت : اخطبنى من عند ربى وأمهرنى ، فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التهجد، وأنشدوا :

يا (طالب الحوراء) في خدرها ... وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وخالف الوحدة فى ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... قد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشى بين أترابها ... وعقدها (يشرق) في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي ... تراه في دنياك من زهرها

١٥٦٥- وقال مضرالقارئ : غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى ، فرأيت فى منامى فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت : أتقرأ أيها الشيخ ؟ قلت : نعم ، فقالت : اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب ، فوالله ما ذكرته قط إلا ذهب عنى النوم .

ألهتك اللذائذ والأمانى ... عن الفردوس والظلل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش ... مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقران

١٥٦٦- وقال مالك بن دينار : كان لي (أجزاء) أقرؤها كل ليلة ، فنمت ذات ليلة فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت :نعم فدفعت إلي الرقعة ، فإذا فيها هذه الأبيات :

لهاك النوم عن طلب الأمانى ... وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو فى الخيام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقران

١٥٦٧- وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى ، وكان قد بكى شوقاً إلى الله ستين عاماً قال : رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان . سبحان الموجود بكل مكان. سبحان الدائم فى كل زمان، سبحانه سبحانه ، قال : فقلت : من أنتن؟ قلن : خلق من خلق الله سبحانه، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟فقلن :

يناجون رب العالمين لحقهم وتسرى هموم القوم والناس نوم

ذرانا إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم

فقلت : بخ ، بخ ، لهو من هؤلاء ، قد أقر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟

فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر .

باب إذا ابتكر الرجل امرأة فى الدنيا كانت زوجته فى الآخرة

١٥٧٣- وخطب معاوية بن أبى سفيان أم الدرداء فأبت وقالت:سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺأنه قال : « المرأة لآخر أزواجها فى الجنة ، وقال لى: إن أردت أن تكونى زوجتى في الجنة، فلا تتزوجى من بعدى » .

[حديث صحيح]

باب ما جاء أن فى الجنة أكلا وشربا ونكاحا حقيقة ولا قذر فيها ولا نقص ولا نوم

١٥٧٥- مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ يقول : «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام ؟ قال : جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد » ، وفى رواية : « والتكبير كما يلهمون النفس » . [حديث صحيح]

١٥٧٦- الترمذى عن أنس بن مالك عن النبىﷺ قال: « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع ،قيل : يا رسول الله، أو يطيق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة». وفى الباب عن زيد بن أرقم ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

[حديث صحيح]

١٥٧٧- وذكر الدارمى فى مسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، فقال رجل من اليهود : إن الذى يأكل ويشرب يكون منه الحاجة ، قال : ثم يفيض من جلده عرق ، فإذا بطنه قد ضمر » . [حديث صحيح]

باب المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة

١٥٨٥- الترمذى عن أبى سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة،كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى » ، قال: حديث حسن غريب، أخرجه ابن ماجه وقال :في ساعة واحدة فى الجنة .

قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم في هذا ، فقال بعضهم : فى الجنة جماع ولا يكون ولد . وهكذا يروى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعى ، وقال محمد : قال إسحاق بن إبراهيم ، فى حديث النبى ﷺ : «إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبداً » .

[حديث صحيح لغيره]

باب ما جاء أن كل ما في الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

١٥٨٧- مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وذلك قوله عز وجل﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ » .

[حديث صحيح]

١٥٨٨- وعن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ولا (تبلى) ثيابه ولا يفنى شبابه » ، وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبيد . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا في الدنيا

١٥٩٠- أخرجه الترمذى بمعناه عن معاذ بن جبل(رضى الله عنه)قال: « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين :لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا » ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب خرجه ابن ماجه أيضاً . [**حديث حسن**]

باب ما جاء في طير الجنة وخيلها وإبلها

١٥٩١- الترمذى ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه)قال : سئل رسول الله ﷺما الكوثر؟ ، قال : « ذاك نهر أعطانيه الله، يعنى : فى الجنة ، أشد بياضًا من اللبن،وأحلى من العسل،فيه طير أعناقها كأعناق الجزر» ، فقال عمر : إن هذه لناعمة، (قال):قال رسول الله ﷺ : «أكلتها أنعم منها » قال : هذا حديث حسن .

[**حديث صحيح**]

١٥٩٤- وخرج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى ، قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : «هذه في سبيل الله (تعالى)، فقال رسول الله ﷺ : «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ». [**حديث صحيح**]

باب ما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنة وأن الجنة حفت بالريحان

١٥٩٩- ابن المبارك :(أخبرنا) همام ، عن قتادة ،عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو قال : « الحناء سيد ريحان الجنة ، وأن فيها من عناق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها » . [**إسناده صحيح**]

باب ما جاء أن الشاة والمعز من دواب الجنة

١٦٠٣- ابن ماجه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :« الشاة من دواب الجنة » . [**حديث حسن**]

١٦٠٤- وفى كتاب البزار ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى،فإنها من دواب الجنة » . [**حديث حسن**]

١٦٠٥- وفي التنزيل : ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾ وإنما سمى عظيماً لأنه

رعى فى الجنة أربعين عاماً ، (و)روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه .

[**خبر صحيح**]

باب ما جاء أن للجنة ربضا وريحا وكلاما

١٦٠٦- البيهقى عن أنس عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها :تكلمى ، فقالت :﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ . خرجه البزار من حديث أبي سعيد الخدرى . [**حديث حسن**]

١٦٠٧- عن النبى ﷺ قال : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر ، وقال لها: تكلمى ،فقالت ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ فقال: طوبى لك(من) منزل الملوك » وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد الخدرى قال : « لما خلق الله (تعالى) الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها . قال لها : تكلمى ، فقالت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ فدخلتها الملائكة . فقالت : طوبى لك منزل الملوك » .

١٦٠٨- وروى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «لما خلق الله الجنة، قال لها : تزينى فتزينت ، ثم قال لها : تكلمى فتكلمت ، ثم قالت : طوبى لمن رضيت عنه » . [**حديث حسن**]

١٦٠٩- النسائى عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أنا زعيم – والزعيم : الحميل – لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له في ربض الجنة ، وببيت في وسط الجنة، وببيت فى أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً ،يموت حيث شاء أن يموت » .

[**حديث صحيح**]

١٦١٠- وقال عمر بن عبد العزيز (والزهرى) والكلبى ومجاهد : مؤمنوالجن في ربض ورحاب حول الجنة وليسوا فيها .

١٦١١- وروى مالك عن مسلم بن أبى مريم عن أبى صالح ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه قال : « نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة» هذا موقوف ، قال

أبو عمر بـن عبد البر : وقد رواه عـبد الله بن نافع الصائغ عن مـالك بهذا الإسناد عن النبى ﷺ . [**حديث صحيح**]

١٦١٣- وخرج البـخارى عن عبد الله بـن عمـروعـن النبـى ﷺ قـال: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» .

[**حديث صحيح**]

باب ما جاء فى أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله

١٦١٤- الترمذى ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم عليه (الصـلاة و)السلام ليلة أسـرى بى فقـال : يا محمـد أقرئ أمتـك منى السلام ، وأخبرهـم أن الجنة طيـبة التربة عذبة الماء وأنها قيـعان وأن غراسها سبحـان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

قال : وفى الباب ، عن أبى أيوب . وهذا حديث حسن غريب .

[**حديث حسن**]

١٦١٥- ابن ماجه، عـن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغـرس غرساً فقـال : « يا أبا هريرة ، ما الذى تغـرس ؟ قال : غـرسًا ،قـال : ألا أدلك على غـراس خيـر من هذا ؟ سبـحان الـله ، والحمـد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة » . [**حديث حسن**]

١٦١٦- الترمذى ، عن جـابر بن عبد الله ، عن النبى ﷺ قال : «مـن قال : سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة فى الجنة » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . [**حديث صحيح**]

باب ما لأدنى أهل الجنة [منزلة] وما لأعلاهم

١٦٢٠- مسلم عـن المغيرة بن شـعبـة يرفعه إلـى رسول الله ﷺ قال : «سـأل موسى عليـه(الصلاة و)السلام ربه ، فـقال : يا رب، ما أدنى أهـل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يأتى بعـدما يـدخل أهل الجنة الجنة فيـقـول : أى رب كيف وقـد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم،فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب،فيقول : لك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، (ومثله) فقال فى

الخامسة:رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت (رب)، قال : يا رب ، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب الله (تعالى) ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ وقد روى موقوفاً عن المغيرة قوله.

[**حديث صحيح**]

١٦٢١- البخارى ، عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: « إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر (أهل النار) خروجاً من النار ، رجل يخرج حبواً ، فيقول له ربه : ادخل الجنة فيقول : رب ،الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات ،كل ذلك يعيد عليه.الجنة ملأى ، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات » وقد تقدم هذا . [**حديث صحيح**]

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

١٦٢٦- البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال:قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون:لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول:هل رضيتم ؟فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك،فيقول:أفلا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون:يا ربنا ،أى شىء أفضل من ذلك ؟فيقول :أحل عليكم رضوانى، فلا أسخط عليكم بعده أبداً »أخرجه مسلم ،بمعناه فى حديث فيه طول. [**حديث صحيح**]

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

١٦٢٧- مسلم عن صهيب ، عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى لهم : أتريدون شيئاً أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال : فيكشف لهم الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية : ثم تلا هذه الآية : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ . [**حديث صحيح**]

١٦٢٨- وخرج النسائى عن صهيب قال : قيل لرسول الله هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، (نادى) مناد : يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فقالوا: ألم (يبيض) وجوهنا (ويثقل) موازيننا (ويجرنا) من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فينظروا إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ، ولا أقر لأعينهم » . [**حديث صحيح**]

١٦٢٩- وخرجه أبو داود الطيالسى أيضاً . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله تعالى موعداً فيقولون : ما هو؟ أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة ؟ فيقال لهم ثلاثاً، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه، فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا » . [**حديث صحيح**]

١٦٣٠- أخبرنا الشيخ الراوية : أبو محمد عبد الوهاب قرأ عليه بثغر الإسكندرية حماه الله، قرئ على الحافظ السلفى وأنا أسمع قال : أخبرنا الحاجب أبو الحسن بن العلاف ، حدثنا أبو القاسم بن بشران ،حدثنا أبو بكر الآجرى ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق النيسابورى ، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة بن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنةإذا دخلوا الجنة ، نودوا أن يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً لم تروه ، قالوا : وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ » . [**حديث صحيح**]

١٦٣٣- **فصل** : ما رواه النسائى مرفوعاً ، وكذلك أبو داود الطيالسى، وإسناده عن الآجرى ، وذكره ابن المبارك موقوفاً يبين حديث مسلم ، وأن المعنى بقوله : قال الله تعالى : قال ملك الله : تريدون شيئاً أزيدكم أن يزيدكم . وقوله :

فيكشف الحجاب : معناه أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال ، لا إله إلا هو سبحانه عما يقول الزائفون والمبطلون ، فذكر الحجاب إنما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه وتقدست أسماؤه(منزه) عما يحجبه ، إذ الحجب إنما (تحيط) بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ، ولكن حجبه عن أبصار خلقه وبصائرهم ، وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء .

باب منه فى الرؤية

١٦٣٥- مسلم . عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال: « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل ، إلا رداء الكبرياء على (وجهه) في جنة عدن » . [**حديث صحيح**]

١٦٣٦- وعن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ،فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها . فافعلوا،ثم قرأ: ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى، وقال : حديث حسن صحيح .

[**حديث صحيح**]

١٦٣٨- **فصل** : قوله: إلا رداء الكبرياء على وجهه .الرداء هنا مستعار كني به عن كبريائه وعظمته، يبينه الحديث الآخر:«الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى» يريد بذلك صفتي فقوله: رداء الكبرياء يريد: صفة الكبرياء فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن، والله أعلم، فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه وهم في جنة عدن (والله أعلم) قال معناه : البيهقى وغيره.ليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة ، إنما هي توسعات،ووجه المناسبة أن الرداء والإزار،لما كانا ملازمين للإنسان مخصوصين به، ولا يشاركه فيهما غيره ،عبر عن عظمته وكبريائه بهما ، لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله تعالى فيهما، ألا ترى آخر الحديث فمن نازعنى واحداً منهما قصمته ثم قذفته في النار.

[**حديث صحيح**]

بـاب منه
وفيه سلام الله تعالى عليهم

١٦٤٠- (**فـصل**) قـوله:قـد أشرف عـليهـم أى : اطلع ،كـما يقـال :فـلان مشـرف عليك،أى مطلع عليك من مكان عال ، والله تعـالى لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتـمكن ، وإنما يوصف من جهة العلو والرفـعة،فعبر عن اطلاعـه عليهم ونظره إليـهم بالإشراف ، ولما كـان سبحـانه قائلاً متكلماً وكـان الكلام له صـفة فى ذاته، لم يزل ولا يزال فـهـو يسلـم عليـهم سـلامـاً هو قـول منه ، كـمـا قـال تعـالى: ﴿**سلام قـولاً من رب رحيم**﴾ وقـوله: «فإذا نظـروا إليه نسـوا نعـيم الجنة» أى : لهوا عنه بلـذة النظر إلى وجهه الكريم . وذلك أن مـا دون الله تعالى لا يقـاوم تجليه ، ولولا أن الله تعالى يثبتهم ويبقيهم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى به ، وقوله«حتى يحتـجب عنهم» يجوز أن يكون مـعناه :حتى يردهم إلى نعيـم الجنة الذى نسوه وإلى حظوظ أنفسـهم وشهـواتها التى سـهوا عنها فـانتفـعوا بنعيم الجنـة الذى وعده لهم ، وتنعموا بشهوات النفوس الـتى أعدت لهم ، وليس ذلك إن شاء الله تعالى على معنى الاحتـجاب عنهم الذى هو بمعنى الغـيبـة والاستتـار ، فيكونوا له ناسين وعن شـهوده محجـوبين ، وإلى نعيم الجنة ساكنين ، ولكنه يردهم إلى مـا نسوه ولا تحجبـهم عما شاهده حـجبـة غيـبة واسـتتـار ، يدل على ذلك قوله : بقى نوره وبركـته عليـهم فى ديارهم وكيف يحجبهم عنه وهو ينعت المزيد عليهم وما وعدهم به من النعيم والنظر إذا صح ، والحجـبة إذا ارتفعـت لم يكن بين نظر البصر وشـهود السـر فرق ، ولا بين حـال الشهـود والغيبـة فرق، فيكون مـحجـوباً فى حـال الغيبـة، بل تتفق الأوقـات وتتساوى الأحوال فيكون في كل حال شاهداً ، وبكل جارحة ناظراً ، ولا يكون فى حال محجوباً ، ولا بالغيب موصوفاً .

حكاية

١٦٤١- حكى عن قـيس المجنون أنه قـيل له : ندعـو لك ليلى ؟ فـقـال: وهل غابت عنى فـتدعى ؟ فقيل له : أتحب ليلى ؟ فـقال : المحبة ذريعة الوصـلة (وقد وقعت الوصلة) ، فأنا ليلى وليلى أنا . والله أعلم .

باب منه
وبيان قوله تعالى : ﴿ولدينا مزيد﴾

وقال يحيى بن سلام : كمسارعتهم إلى الجمعة في الدنيا وزاد فيحدث لهم شيئاً من الكرامةلم يكونوا رأوه قبل ذلك ، قال يحيى : وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى ﴿ **ولدينا مزيد**﴾

١٦٤٥- وقال الحسن فى قوله تعالى: ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ قال : الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل ، وليس شيء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد ، لأنهم يرون فيه الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه .

فصل

١٦٤٦- قلت : قوله« في كثيب » . يريد أهل الجنة أى: هم على كثيب كما فى مرسل الحسن أول الباب ، وقيل : المزيد ما يزوجون به من الحور العين ، رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعاً . وذكر أبو نعيم عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم ،فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا ، قال خالد : يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن لها: أمطرينا جوارى مزينات ، وقد تقدم من حديث ابن عمر« أكرمهم على الله من ينظر إلى الله غدوة وعشية» ، وهذا يدل على أن أهل الجنة في الرؤية مختلفو الحال .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

١٦٤٧- وقد روى عن أبي يزيد البسطامى أنه قال : إن لله تعالى عباداً لو حجبهم في الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها ،كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها .

بابـ
نبذ من أقوال العلماء في تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت في ذكر الجنة وأهلها

١٦٤٨- من ذلك قوله تعالى :﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل**﴾ قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غل ، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها ، فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجرى عليهم نضرة النعيم .

١٦٤٩- وقال علي رضى الله عنه في قوله تعالى:﴿ **وسقاهم ربهم شرابا طهورا**﴾ قال:إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما،فتجرى عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا (تشعث) أشعارهم أبداً ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما فى بطونهم من الأذى ، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول لهم :﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ .

١٦٥٢- وقوله تعالى: ﴿ **جنات عدن يدخلونها** ﴾ قال ابن عباس : (الجنان) سبع : دار الجلال ، ودار السلام ، وجنة عدن ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم .

وقيل : إن الجنان أربع لأن الله تعالى قال : ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ . وقال بعد ذلك ﴿ **ومن دونهما جنتان**﴾ ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة، فإن قيل فقد قال :عتبها جنة المأوى، قيل:جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل عليه أنه تعالى قال : ﴿ **فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون** ﴾ والجنة اسم الجنس ، فمرة يقال جنة،ومرة يقال جنات، وكذلك جنة عدن، وجنات عدن،لأن العدن : الإقامة وكلها دار الإقامة،كما أن كلها مأوى المؤمنين ، وكذلك دار الخلد ودار السلام، لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن ، وكذلك جنات النعيم وجنة النعيم، لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم ، ذكره الحليمى في كتاب :

(منهاج الدين)له وقال:(والمعنى) أن يجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى،لأن الله تعالى إن كان سمى شيئاً من هذه الأسماء جنة في موضع،فقد سمى الجنات كلها(بذكر)الاسم في موضع آخر. فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتميز جنة من جنة ، ولكنها للجنان أجمع . لاسيما وقد أتى الله(تعالى) بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعاً، وقد أثبت لهذه الجنان أبواباً فقال: ﴿وفتحت أبوابها ﴾،

وقال عليه الصلاة والسلام:«إن أبواب الجنة ثمانية» فيحتمل أن يكون ذلك ، لأن لكل جنة من الجنان الأربع بابين ، ووصف أهل الجنة فصنفهم صنفين : أحدهما : السابقون المقربون، والآخرون: أصحاب اليمين ، فعلمنا أن السابقين أهل الجنتين العليتين في قوله ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وأهل اليمين أهل الجنتين الدنيتين ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ وبهذا جاءت الروايات .

١٦٥٣- وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ قال : فتلك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين ،وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك.

قوله تعالى :﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾ قال المفسرون : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة : سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وقال هنا :﴿من ذهب ولؤلؤاً﴾ وقال في آية أخرى :﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ .

١٦٥٤- وفي الصحيح : « تبلغ حلية المؤمن حيث تبلغ الوضوء»، وقرئ ﴿لؤلؤاً﴾ بالنصب على معنى ويحلون لؤلؤاً، وأساور:جمع أسورة، وأسورة واحدها سوار فيها ثلاث لغات:ضم السين وكسرها وأسوار ، قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأسوار والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنةإذ هم ملوك قوله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير﴾ . [حديث صحيح]

١٦٥٩- وقوله تعالى ﴿ **ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق** ﴾ وقال ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** ﴾ الإستبرق: الديباج الصفيق الكثيف ، والسندس : الرقيق الخفيف، وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ، لأن البياض يبدد النظر ويؤلم ، والسواد يورم والخضرة لون بين السواد والبياض وتلك تجمع الشعاع .

قوله تعالى :﴿ **متكئين فيها على الأرائك** ﴾ الأرائك : جمع أريكة وهى السرر في الحجل ،وقال﴿**متكئين على سرر مصفوفة**﴾.

١٦٦٤- وقال قتادة في قوله تعالى :﴿ **إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون**﴾ يعنى فى الآخرة فى شغل فاكهون .قال : يعنى افتضاض العذارى فاكهون ، قال الحسن : مسرورون ﴿ **هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون**﴾ قوله تعالى:﴿**أولئك لهم رزق معلوم**﴾ فيه قولان : أحدهما :حين يشتهونه ، قاله مقاتل.الثانى : بمقدار الغداة والعشى قاله ابن السائب . قال الله تعالى: ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا**﴾ قال العلماء : ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنما هم فى نور أبدا ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج بن الجوزى .

١٦٦٦- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا شريك عن أبى إسحاق عن البراء:﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً**﴾ قال : أهل الجنة يأكلون الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوساً ومضطجعين وكيف شاؤوا . واحد القطوف: قطف بكسر القاف . [**خبر صحيح**]

١٦٦٧- وذكر ابن وهب قال : أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إن خلق أهل الجنة إذا دخلوا الجنة ستون ذراعاً كالنخلة السحوق يأكلون من ثمار الجنة قياماً » .

وقال المفسرون : يطوف على أدناهم منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بهـا،فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبتـها ، يأكل من آخرها كمـا يأكل من أولها ويجـد طعم آخرها كمـا يجد طعم أولهـا لا يشبه بـعضه بعـضاً ويراح عليه بمثلها ، ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعـمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها ألوان الطعام ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً ، وأكواب ، أى : ويطاف عليـهم بأكـواب كـما قـال تعـالى ﴿ **ويطاف عليـهم بآنيـة من فضة وأكواب**﴾ قال قـتادة : الكوب : المدور الـقصيـر العنق القـصير العـروة ، والإبريق : المستطيل الطويل العنق الطويل العروة. [**إسناده مرسل وصح بنحوه مختصراً**]

١٦٧٠- وقال ابن عـزيزة :أكواب:أباريق لا عرى لها ولا خـراطيم واحدها: كوب، قاله الأخـفش وقطرب،وقال الجوهرى فى الصحـاح: الكوب: كوز لا عروة له ، ونحوه قول مجاهد والسدى، وهو مذهب أهل اللغة : التى لا آذان لها ولا عرى ﴿**كانت قواريرا * قـواريرا من فضة**﴾ أى : اجتمع فـيها صفاء الـقوارير في بياض الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهـم قوارير ، قال : وإن تراب الجنة فضة فهى قوارير من فضة ، قاله ابن عباس ، وقال : هى فى صفاء الفضة ، وفي ذلك دليل على أن أرض الجنة من فضة ، إذ المعهود(فى)الدنيـا اتخاذ الآنية من الأرض يرى باطنها من ظاهرها ، وظاهرها من باطنـها كـالقوارير يرى الشـراب من جدر القـوارير، وهذا لا يكون في فضـة الدنيا ﴿ **قدروها تـقديرا** ﴾ أى فى أنفـسهم فـأتتـهم على نحو مـا قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط،هذا تفسير قتادة .

١٦٧١- وقال ابن عـباس ومجاهد : أتوا بهـا على قدر رتبهم بغـير زيادة ولا نقصـان ، والمعنى قدرتـها الملائكة التى تطوف عليـهم ويسقـون فيـها كـأسا: أى من كـأس ،كمـا قال فى الآية الأخـرى:﴿ **إن الأبرار يشـــربون من كأس**﴾ يعنـى : الخمر، قال :﴿ **ويطاف عليـهم بكأس من مـعين**﴾ أى من خـمـر ، والمعين : الماء الجارى الظاهر، لافـيها غول ، أى:لا تغـتال عقـولهم ولا يصيبهم منهـا صداع ﴿**ولا**

﴿ولا همر عنها ينزفون﴾ أى لا تذهب عقولهم بشربها. يقال : الخمر غول للحليم ، والحرب غول للنفوس . أى : تذهب بها . وقرأ حمزة ، والكسائى : ينزفون بكسر الزاى من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر ، كما يقال : أحصد الزرع إذا حان حصاده، وأقطف (الكرم)إذا حان قطافه ، وأركب المهر إذا حان ركوبه ، وقيل : المعنى لا ينفدون شرابهم لأنه دأبهم ، والكأس عند أهل اللغة اسم شامل لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس ﴿كان مزاجها كافوراً﴾ قال الكلبي :

كافورا عينا في الجنة يشرب بها أى منها وقيل: الباء زائدة،والمعنى: يشربها ومنه تنبت بالدهن أى تنبت الدهن وقال: ﴿كان مزاجها زنجبيلاً﴾وكانت العرب

تستطيب الزنجبيل وتضرب به المثل وبالخمر ممزوجين ، فخاطبهم الله بما كانوا عارفين ويستحبون كأنه يقول : لكم فى الآخرة مثل ما تستحبون فى الدنيا إن آمنتم ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلا﴾ السلسبيل اسم العين،والسلسبيل في اللغة صفة لما كان غاية في السلاسة، وقال تعالى:﴿ يسقون من رحيق﴾ يعنى الشراب،وهى الخمر ﴿مختوم * ختامه مسك﴾ قال مجاهد: يختم به آخر جرعة ، وقيل : المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما فى الكأس وانقطع الختم ذلك بطعم المسك .

١٦٧٢- وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى:﴿ختامه مسك﴾ خلطه ليس بخاتم يختم . ألم تر إلى قول المرأة من نسائكم : خلطه من الطيب كذا وكذا إنما خلطه مسك ليس بخاتم يختم . ذكره ابن المبارك وابن وهب، واللفظ لابن وهب .

[خبر صحيح]

١٦٧٥-والأبرار هم الصادقون.والمقربون هم الصديقون،قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل . وفى التنزيل :﴿بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين ﴾ أى : لذيذة يقال : شراب لذيذ : إذا كان طيباً . قوله تعالى : ﴿وعندهمر قاصرات الطرف﴾ أى : نساء قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا

ينظرون إلى غيرهم . قال ابن زيد : إن المرأة منهن لتقول لزوجها : وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئاً أحسن منك . وعين : عظام العيون الواحدة منهن : عيناء ﴿**كأنهن بيض مكنون**﴾ أي : مصون .

١٦٧٦- وقال الحسن وابن زيد : شبههن ببيض تكنه النعامة بالريش من الريح والغبار حين خروجها فلونه أبيض فى صفرة، وهو أحسن ألوان النساء . وقيل المراد بالبيض: اللؤلؤ كقوله : ﴿**وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون**﴾ أى : فى أصدافه. وقال ﴿**فيهن خيرات حسان**﴾ يعنى : النساء . الواحدة :خيرة وأصله خيرات، فخفف كهين ولين .

١٦٧٨- وقال ابن عباس: الخيمة : درة مجوفة فرسخ في مثله لها أربعة آلاف مصراع من ذهب،ذكره ابن المبارك: أنبأنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس.

وذكر عن أبى الدرداء قال : الخيمة . لؤلوة واحدة لها سبعون بابا كلها در .

وعن أبى الأحوص : ﴿**حور مقصورات فى الخيام**﴾ قال : الدر المجوف .

[**إسناده صحيح**]

١٦٨١- وعن يحيى بن أبى كثير في قوله تعالى ﴿**فهم فى روضة يحبرون**﴾ قال : الروضة: اللذات والسماع ، وقوله تعالى :﴿**وعبقرى حسان**﴾ العبقرى : الفرش له . قال ابن عباس : الواحدة : عبقرة وهى: النمارق أيضا فى قوله تعالى: ﴿**ونمارق مصفوفة**﴾ والزرابى:البسط، مبثوثة ، معناه :مبسوطة، وقيل : منسوجة بالدر والياقوت ، وقوله تعالى:﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين**﴾ السابقين، وأهل الجنة كلهم أصحاب(اليمين)﴿**فى سدر مخضود**﴾ وهو الذى نزع شوكه وقد تقدم ﴿ **وطلح منضود**﴾ أى بعضه على بعض. وقال المفسرون: الطلح :شجر الموز هاهنا، وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته ، وإنما خص بالذكر لأن قريشاً كانوا يتعجبون من خضرته وكثرة ظلاله من طلح وسدر ،

فخوطبوا ووعدوا لما يحبون مثله ، قاله مجاهد وغيره.

١٦٨٢-قوله تعالى ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ قال مجاهد : مطهرة من البول والغائط والحيض والنخام والبصاق والمنى والولد ، ذكره ابن المبارك .

[خبر صحيح]

١٦٨٣- أنبأنا ابن جريج ، عن مجاهد فذكره ﴿وهم فيها خالدون﴾ أى : باقون لا خروج لهم منها ، وقد تقدم . [خبر صحيح]

١٦٨٤- وقال مجاهد أيضا في قوله تعالى :﴿على سرر متقابلين﴾ قال: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تاصلا وتحابيًا وقيل الأسرة تدر كيف شاؤوا فلا يرى أحد قفا أحد . [خبر صحيح]

١٦٨٥- وقال ابن عباس :على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، السرير منها ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة.وقيل: تدور بأهل المنزل الواحد ، والله أعلم.

باب ما جاء فى أطفال المسلمين والمشركين

١٦٨٦-وذكر أبو عمر في كتاب(التمهيد والاستذكار)، وأبو عبدالله الترمذى فى(نوادر الأصول)والمفسرون عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى:﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ قال:هم أطفال المسلمين ، وزاد الترمذى :لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم.

١٦٨٧- وقال أبو عمرو: الجمهور من العلماء على أن أطفال المسلمين فى الجنة . وقد ذهب طائفة من العلماء إلى الوقف فى أطفال المسلمين وأولاد المشركين أن يكونوا في جنة أوفى نار ، منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق بن راهويه لحديث أبي هريرة رضى الله عنه، قال : سئل رسول الله ﷺعن الأطفال ، فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين »، وهكذا قال الأطفال ولم يخص طفلاً عن طفل.

١٦٨٧م- وقال الحليمى فى كتاب (منهاج الدين) : وقد توقف فى ولدان المسلمين من توقف فى ولدان المشركين وقال : إذا كان كل منهم يعامل بما علم الله

تعالى منه أنه فاعله لو بلغ، فكذلك ولدان المسلمين . واحتج بأن صبيًا صغيراً مات لرجل من المسلمين ، فقالت إحدى نساء النبى ﷺ:طوبى له عصفور من عصافير الجنة . فقال النبى ﷺ:« وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا ، وخلق النار وخلق لها أهلاً » ، قال : فهذا يدل على أنه لا يمكن أن يقطع فى أطفال المسلمين بشيء . [**حديث صحيح**]

١٦٨٨- قال الحليمى : وهذا الحديث يحتمل أن يكون إنكار النبي ﷺ على التى قطعت بأن الصبى في الجنة، لأن القطع بذلك قطع بإيمان أبويه، وقد يحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبى ابن كافرين فيخرج هذا على قول من يقول : قد يجوز أن يكون ولدان المشركين في النار ، وقد يحتمل أن يكون أنكر ذلك،لأنه لم يكن أنزل عليه فى ولدان المسلمين شيء ثم أنزل عليه قوله تعالى :﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾ وقد قرئ :﴿ **أتبعناهم ذريتهم** ﴾ فأخبر تعالى أن الذين آمنوا فى الحياة جعل ذرياتهم أتباعهم في الإيمان وأنه يلحق بهم ذرياتهم في الآخرة ،فثبت بذلك أن ذرارى المسلمين فى الجنة ، وقال النبى ﷺ:«سألت ربى أن يرينى أهل الجنة وأهل النار،فجاءنى جبريل وميكائيل عليهما(الصلاة و) السلام فى النوم فقالا : انطلق يا أبا القاسم...إلى أن قال وأنا أسمع لغط الصبيان ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال :هم ذرية أهل الإسلام الذين يموتون ، قبل آبائهم (يتكفل) بهم إبراهيم عليه(الصلاة و)السلام حتى يلحق آباؤهم » فدل أنهم في الجنة . [**حديث صحيح**]

١٦٨٩- قال المؤلف رحمه الله : الحديث الذى احتجوا به خرجه أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا قيس بن الربيع عن يحيى بن إسحاق .

وعن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ أتى بصبى من الأنصار ليصلى عليه فقلت : يا رسول الله،طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً قط ولم يدره ، فقال : « يا عائشة أو لا تدرين أ ن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وخلق لها أهلاً (خلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم)وخلق النار وخلق لها أهلاً ، وهم في أصلاب آبائهم » . [**حديث صحيح**]

١٦٩٠- وقالت طائفة : أولاد المسلمين في الجنة،وأولاد المشركين في النار ، واحتجوا بما ذكرناه من الآية والحديث بحديث سلمة بن يزيد الجعفى، قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلنا:يا رسول الله ،إن أمنا ماتت فى الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وتصوم وتفعل وتفعل ، فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال: لا » قال : فقلنا :إن أمنا وأدت أختًا لنا فى الجاهلية لم تبلغ الحنث فهل ذلك نافع أختنا ، فقال رسول الله ﷺ:«أرأيتم الوائدة والموؤودة ، فإنهما فى النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها » .

قال أبو عمر : هذا الحديث صحيح (من جهة الإسناد) إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على جواب السائل فى (غير) مقصوده فكانت الإشارة لها . (والله أعلم) .

[حديث صحيح]

١٦٩٣- وروى بقية بن الوليد عن محمد بن يزيد الألهانى قال : سمعت عبد الله بن أبى قيس يقول : سمعت عائشة سألت رسول الله ﷺ عن ذرارى المسلمين فقال : « هم مع آبائهم » قلت : بلا عمل ؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . وسألته عن ذرارى المشركين فقال : « مع آبائهم فقالوا : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » قال أبو عمر عبد الله بن أبى قيس :هذا شامى تابعى ثقة ، وأما بقية بن الوليد فضعيف، وأكثر حديثه مناكير ، ولكن هذا الحديث قد روى مرفوعاً عن عائشة من غير هذا الوجه ، قالت عائشة :سألت رسول الله ﷺعن ولدان المسلمين : أين هم يوم القيامة؟ قال : « فى الجنة » قالت : وسألته عن ولدان المشركين أين هم يوم القيامة ؟قال : « فى النار » فقلت مجيبة له : يا رسول الله ، لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام ، قال: « ربك أعلم بما كانوا عاملين ، والذي نفسى بيده، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار » قال أبو عمر فى طريقه أبو عقيل (يحيى بن المتوكل) صاحب (بهية): لا يحتج بمثله عند أهل العلم (والنقل).

قال المؤلف رحمه الله : كذا ذكر أبو عمر هذا الحديث بهذا اللفظ ، وكذلك ذكره أبو أحمد بن على فيما ذكر أبو محمد عبد الحق . [**حديث صحيح**]

١٦٩٤- وذكره أبو داود الطيالسي قال : حدثنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة قالت : سألت النبى ﷺ عن أطفال المشركين قال : « هم في النار يا عائشة » قالت :

فقلت : فما تقول فى (أطفال) المسلمين ؟ قال : «هم في الجنة يا عائشة » ، قالت : قلت: وكيف ولم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام ؟ قال رسول الله ﷺ: «ربك أعلم بما كانوا عاملين » قال أبو محمد عبد الحق ويحيى بن المتوكل ضعيف عندهم وبهية لم يرو عنها إلا أبو عقيل .

١٦٩٥- وقالت طائفة : إن الأطفال يمتحنون في الآخرة واحتجوا بحديث أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله ﷺ فى الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال : يقول الهالك في الفترة : لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم تلا : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا**﴾ الآية ، ويقول المعتوه : رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ويقول المولود : رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم: ردوها وادخلوها قال: فيردها أو يدخلها من كان فى علم الله سعيداً لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل ، قال : فيقول الله : إياى عصيتم فكيف رسلى لو أتتكم .

قال أبو عمر : من الناس من يوقف هذا الحديث على أبى سعيد ولا يرفعه منهم أبو نعيم الملاي .

قلت : ويضعفه من جهة المعنى : أن الآخرة ليست بدار تكليف، وإنما دار جزاء وثواب وعقاب .

قال الحليمى : وهذا الحديث ليس بثابت ، وهو مخالف لأصول المسلمين ، لأن الآخرة ليست بدار الامتحان ، فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة ولا محنة مع الضرورة ، ولأن الأطفال هناك لا يخلو من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء فإن كانوا مضطرين إلى المعرفة فلا يليق بأحوالهم المحنة، وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة أبعد .

وقال أبو عمر رحمه الله : هذه الأحاديث من أحاديث الشيوخ وفيها علل ، وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء ، وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعيف في العلم والنظر مع أنه قد عارضها ما هو أقوى مجيباً منها .

[حديث صحيح]

١٦٩٦- ذكر البخارى حديث أبى رجاء العطاردى ، عن سمرة بن جندب

عن النبى ﷺ الحديث الطويل حديث الرؤيا، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : « وأما الرجل الطويل الذي فى الروضة،فإبراهيم عليه(الصلاة و) السلام ، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة »(قال):فقيل : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وأولاد المشركين » .

وخرج البخارى أيضًا في رواية أخرى عن أبي رجاء العطاردي : والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه(الصلاة و)السلام والصبيان حوله أولاد الناس ، وهذا يقتضى عمومه جميع الناس . [**حديث صحيح**]

١٦٩٩- وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :« سألت ربى عن اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم » قال أبو عمر : إنما قيل للأطفال : اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم من قولهم: لهيت (عن) الشيء أي لم أعتقده كقوله(تعالى): ﴿ **لاهية قلوبهم**﴾ .

١٧٠٠- وقالت طائفة : أولاد المشركين خدم أهل الجنة ، وحجتهم ما رواه الحجاج بن نصير عن مبارك بن فضالة(عن)على بن زيد ،عن أنس ، عن النبى ﷺ أنه قال : « أولاد المشركين خدم أهل الجنة » ذكره أبو عمر .

قلت : وإسناد هذا الحديث ليس بالقوى،لكن يدل على صحة هذا القول، أعنى: أنهم فى الجنة أوأنهم خدم أهل الجنة ، ما ذكر جماعة من العلماء بالتأويل أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر أقروا له بالربوبية وهو قوله(تعالى): ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**﴾ ثم أعادهم فى صلب آدم بعد أن أقروا له بأنه(الله الذى) لا إله إلا هو ثم يكتب العبد فى بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول فمن كان فى الكتاب الأول شقيا عمر حتى يجرى عليه القلم فينقض الميثاق الذى أخذ عليه فى صلب آدم بالشرك ، ومن كان فى الكتاب الأول سعيدا عمر حتى يجرى عليه القلم فيؤمن فيصير سعيداً ، ومن مات صغيراً من أولاد المسلمين قبل أن يجرى(عليهم) القلم فهم مع آبائهم فى الجنة ، ومن كان من أولاد المشركين فمات قبل أن يجرى عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم فى النار لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذى أخذ عليهم فى صلب آدم ولم ينقضوا الميثاق .

[٤٠٩/ صحيح التذكرة / صحابة]

قلت:وغفر له وهذا أيضًا حسن ،فإنه جمع بين الأحاديث ويكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أولاد المشركين ،فقال:«الله أعلم بما كانوا عاملين» يعني : لو بلغوا ، بدليل حديث البخاري وغيره مما ذكرناه [**حديث صحيح**] .

١٧٠١- وقد روى أبان عن أنس قال:سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين ، فقال : « لم يكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنة ولم يكن لهم سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من أهل النار فهم خدم لأهل الجنة» .

[**حديث صحيح**]

١٧٠٢- ذكره يحيى بن سلام في تفسيره ،وأبو داود الطيالسي في مسنده ، وأبو نعيم الحافظ أيضا عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ عن ذرارى المشركين لم تكن لهم ذنوب يعاقبون عليها فيدخلون النار ، ولم تكن لهم حسنات يجازون بها فيكونوا من ملوك الجنة، فقال النبي ﷺ : « من خدم أهل الجنة » . [**حديث صحيح**]

١٧٠٤- وخرج من حديث عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبته : « إن الله أمرني أن أعلمكم ، وقال :إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي وحرمت عليهم ما أحللت لهم » .

قال أبو عبد الله الترمذي : وهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا ، وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر ، واختلاف الليل والنهار ، فلما غلبت أهواؤهم عليهم أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية (فذهبت) بأهوائهم يمينًا وشمالاً .

قلت : وهذا أيضا يقوي ما اخترناه من(أن) أطفال المشركين في الجنة ، وحديث عياض بن حمار خرجه مسلم في صحيحه وحسبك حسبك . وللعلماء في الفطرة أقوال قد ذكرناها في كتاب (جامع أحكام القرآن) من سورة الروم . والحمد لله . [**حديث صحيح**]

باب منه

وفيه ثواب من قدم ولدا

١٧٠٥- مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبى هريرة رضى الله عنه إنه مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله ﷺ (بحديث) تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : « نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه(يأخذ) بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال : فلا ينتهى حتى يدخله الله وأبويه الجنة » . [**حديث صحيح**]

١٧٠٦- وخرج أبو داود الطيالسى قال : حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه أن النبى ﷺ كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له ، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم : « أتحبه يا فلان » ؟ فقال : نعم (يا رسول الله) قال :أحبك الله كما أحبه. ففقده النبى ﷺ(فسأل)عنه فقالوا:يا رسول الله ، مات ابنه فقال : رسول الله ﷺ : « أما ترضى أولا ترضى أن لا تأتى (يوم القيامة) باباً من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك » فقالوا : يا رسول الله ، أله وحده أم لنا كلنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بل لكلكم » . ذكره أبو عمرو في(التمهيد) أيضًا ، وقال : هذا حديث ثابت صحيح . [**حديث صحيح**]

١٧٠٧- وخرج أبو داود الطيالسى(أيضا)فى مسنده قال :حدثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال : «والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة » . [**حديث صحيح**]

فصل

١٧٠٨- هذا(الباب) يدل على أن صغار أولاد المؤمنين فى الجنة ، وهو قول أكثر أهل العلم كما بينا فى الباب قبل هذا وهو مقتضى ظاهرقول الله عز وجل: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾ كما تقدم .

وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم ، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء عليهم السلام ، فإنه قد تقرر الإجماع على أنهم فى الجنة ، حكاه أبو عبد الله المازرى ، ودعاميص : جمع دعموص وهو دويبة تغوص في الماء والجمع دعاميص ، قال الأعشى :

فما ذنبنا أن جاش لي بحر علمكم وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

وقد قيل : إن الدعموص يراد به: الآذن على الملوك المتصرف بين أيديهم ، قال أمية بن الصلت :

دعموص أبواب الملوك وجانب للخرق فاتح .

وهذا هو المراد بالحديث .(والله أعلم)

١٧٠٩-وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ :« من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجاباً من النار وأدخل الجنة».

قال المؤلف رحمه الله : قوله عليه الصلاة والسلام : « لم يبلغوا الحنث» معناه عند أهل العلم : لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث . [حديث صحيح]

١٧١١- إلا ما روى عن النبي ﷺ من أخبار الأحاديث الثقات العدول وأن قوله ﷺ : « الشقي من شقي في بطن أمه وأن الملك ينزل فيكتب أجله ورزقه » الحديث مخصوص ، وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد وهو في بطن أمه ولم يشق بدليل الأحاديث والإجماع . وكذلك قوله ﷺ لعائشة : «إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم » ساقط ضعيف مردود بالإجماع والآثار ، وطلحة بن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به . وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه .

[حديث صحيح]

باب
ما جاء في نزل أهل الجنة وتحفهم إذا دخلوها

١٧١٢- روي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفئ أحدكم خبزته في السفر ، نزلاً لأهل الجنة . قال :فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال: بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ قال : فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه . قال ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال : بلى . قال:(إدامهم) بالام ونون. قالوا : وما هذا ؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفا» .

[حديث صحيح]

١٧١٣– وخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ :« إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي » فقال اليهودى : جئت أسألك . فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال :أسمع بأذني ،فنكت رسول الله ﷺ بعود معه.فقال:« سل» فقال اليهودى : أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ:« هم في الظلمة دون الجسر» ، قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال: « فقراء المهاجرين ».قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد النون » . قال : فما غذاؤهم ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال : فما شرابهم على إثرها ؟ قال : « من عين فيها تسمى : سلسبيلاً » فقال : صدقت . وذكر الحديث . [**حديث صحيح**]

فصل

قلت : هذا الحديث انفرد به مسلم وهو أبين من الحديث الآخر الذى قبله، لأنه من قول النبي ﷺ جواباً لليهودى ، والحديث الذى قبله آخره من قول اليهودى وهو يدخل في المسند ،لإقرار النبى ﷺ . والجبار اسم من أسماء الله تعالى، قد أتينا على ذكره فى (الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) ، ويكفئها ويقلبها ويميلها من قولك:كفأت الإناء إذا كببته،وقد تقدم أن أرض المحشر كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد . والنزل ما يعد للضيف من الطعام والشراب ، ويقال:نزل أو نزل بتخفيف الزاى وتثقيلها ، وقرئ بذلك قوله ﴿ **نزلاً من عند الله** ﴾ قال أهل اللغة :

النزل ما يهيأ للنزيل و النزيل :الضيف . قال الشاعر :

نزيل القوم أعظمهم حقوقاً وحق الله فى حق النزيل

١٧١٥–وذكر ابن المبارك قال:أخبرنا ابن لهيعة قال:حدثني يزيد ابن أبى حبيب أن أبا الخير أخبره أن أبا العوام مؤذن إيلياء أول رجل أذن بإيليا أخبره أنه سمع كعباً يقول:إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزوراً، وإنى أجزركم اليوم حوتاً وثوراً فيجزر لأهل الجنة[**إسناده حسن والخبر من الإسرائيليات**]

بابـ ما جاء أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله والصلاة

١٧١٨- وفى البخارى : وقيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال : بلى . ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك .

فصل

١٧١٩- **قلت** : الأسنان عبارة عن توحيد الله (تعالى) وعبادته جميعاً وعن توحيده أيضا فقط .

قال الله تعالى: **﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾** وقال تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾** وهو فى القرآن كثير الإيمان مع العمل ، وهو مقتضى الحديث الأول حديث جابر رضى الله عنه وعن توحيد الله فقط .

(كما)فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه وغيره عن النبى ﷺ أنه قال : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة »(قلت) : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : «وإن زنى وإن سرق » . [**حديث صحيح**]

(كمل كتاب الجنة ولله الحمد والفضل والمنة)

(جعلنا الله تعالى ممن يستلذ فيها بالنظر إلى وجهه الكريم

يتلوه كتاب الفتن والأشراط بعون الله تعالى)

(بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة وأول أبواب الفتن)

باب الكف عمن قال : لا إله إلا الله

١٧٢١- مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به ،فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » . [**حديث صحيح**]

باب ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفى تعظيم حرمته عند الله تعالى

١٧٢٢- ابن ماجه ، عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع : « ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا ، وإن أحرم الشهور شهركم هذا ، وإن أحرم البلد بلدكم هذا ، ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام،كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا: نعم . قال : اللهم اشهد ». خرجه مسلم من حديث أبي بكرة وجابر بمعناه .

[**حديث صحيح**]

١٧٢٤- مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » . [**حديث صحيح**]

١٧٢٥- النسائي عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « قتل المؤمن عند الله أعظم من زوال الدنيا » . [**حديث صحيح**]

١٧٢٦- الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة » . قال : حديث حسن صحيح غريب . [**حديث صحيح**]

باب ما جاء فى قتل المؤمن والإعانة على ذلك

قال الله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾ وقال تعالى :﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً**﴾ .

١٧٢٩- أبو داود عن أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً» .

[حديث صحيح]

١٧٣٠- وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال المؤمن معنقًا صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلح » قال الهروى : بلح: أى أعيا وانقطع به. ويقال : بلح الفرس إذا انقطع جريه ، وبلحت الركية إذا انقطع ماؤ ها .

[حديث صحيح]

باب إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل، ومن أين تجىء والتحذير منها ،وفضل العبادة عندها

قال الله تعالى: ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ففى هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن . [حديث صحيح]

١٧٣٣- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم . يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً . يبيع دينه بعرض من الدنيا » . [حديث صحيح]

١٧٣٤- وعن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ قالت : « خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول : « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب،فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعين الإبهام والتى تليها،قالت : فقلت :يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث » . [حديث صحيح]

١٧٣٥- وعن أسامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة، ثم قال : « هل ترون ما أرى ؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » أخرجهما البخارى . [حديث صحيح]

١٧٣٦- البيهقى ، عن كرز بن علقمة الخزاعى قال : سأل رجل النبى ﷺ : هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ : « أيما أهل بيت من العرب أو العجم

أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام » فقال :ثم ماذا؟قال :« ثم تقع الفتن كالظلل»
فقال الرجل:كلا والله إن شاء الله. قال: « بلى والذى نفسى بيده،لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض » قال الزهرى :أساود صبا : الحية السوداء إذا أراد أن ينهش ارتفع هكذا ثم انصب» .

خرجه أبو داود الطيالسى أيضاً . [**حديث صحيح**]

١٧٣٧- قال ابن دحية أبو الخطاب الحافظ : هذا الحديث لا مطعن فى صحة إسناده . رواه سفيان بن عيينة،عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن كرز . قرأته بجامع قرطبة وبمسجد الغدير وبمسجد أبى علاقة على المحدث المؤرخ أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصارى . قال: سمعت جميع هذا الكتاب ، وهو جامع الخير للإمام سفيان بن عيينة عن الشيخين الجليلين الثقة المفتى أبي محمد عبد الرحمن ابن محمد بن عتاب ، والوزير الكاتب الثقة أبى الوليد (رحيم بن عبد الله) أحمد بن عبد الله بن طريف فإلا قرأناه على العدل أبي القاسم حاتم بن محمد التميمى بحق سماعه على الثقة الفاضل أبى الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس -رحمه الله - بمكة- حرسها الله تعالى- بالمسجد الحرام بحق سماعه على الثقة أبى جعفر أحمد بن إبراهيم الديلى ، بحق سماعه على الثقة الصالح أبى عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى ، بحق سماعه من الإمام الفقيه أبى محمد سفيان بن عيينة .

قال المؤلف رحمه الله : وقد حدثنى بهذا السند المذكور الفقيه القاضى أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن إجازة عن أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال والحمد لله ، وكرز بن علقمة بن هلال الخزاعى أسلم يوم الفتح وعمر طويلاً ، وهو الذى نصب أعلام الحرم فى خلافة معاوية وإمارة مروان بن الحكم وفيه ، ثم مه،قال ، ثم تعود الفتن،بدل قال : ثم ماذا، قال : ثم تقع الفتن ،ولم يذكر قول الزهري إلى آخره .

١٧٣٨- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : قول الرجل : ثم مه هى هنا على الاستفهام . أى (ثم ما) يكون . ومه . فى غير هذا الموضع زجر وإسكات، كقوله عليه الصلاة والسلام:« مه إنكن صواحب يوسف» وقوله:

« كلمة الظلل » ، الظلل : السحاب ، والظلة السحابة، ومنه قوله تعالى

﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ وقول الرجل: بجهله كلا والله معناها الجحد بمعنى لا والله .

وقيل : هي بمعنى الزجر فقال رسول الله ﷺ :« بلى والذى نفسى بيده » ، وبلى للنفي استفهاماً كان أو خبراً أو نهياً ، فالاستفهام ﴿ ألست بربكم﴾ ﴿ أليس ذلك بقادر﴾ جوابه : بلى هو قادر، ومثال الخبر ﴿ لن تمسنا النار﴾ جوابه قالوا: بلى تمسكم . ومثال النهي لا تلق زيداً ، جوابه : بلى لألقينه .

١٧٣٩- قال أبو الخطاب بن دحية : وقوله « صبا » هكذا قيدناه بضم الصاد وتشديد الباء على مثال غر . والأساود : نوع من الحيات عظام فيها سوداء وهو أخبثها ،والصب منها التى تنهش ثم ترتفع ، ثم تنصب. شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصب من الحيات.

قال المؤلف رحمه الله : الأساود جمع أسود وهو الحية وصبا جمع صاب كغاز وغز ، وهو الذى يميل ويلتوى وقت النهش ليكون أنكى فى اللدغ وأشد صباً للسم ، ويجوز أن يكون جمع أصب وهو الذى كأنه ينصب عند النهش انصبابا ، والأول من صبا إذا مال ، والثانى من صب إذا سكب (والله أعلم).

١٧٤٠- مسلم عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : استيقظ النبى ﷺ ليلة فزعا مرعوبا يقول : « سبحان الله،ماذا فتح الليلة من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ، من يوقظ صواحب الحجر- يريد أزواجه - لكى يصلين ،رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة » . [حديث صحيح]

١٧٤٢-مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال:يا أهل العراق،ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة،سمعت أبى(عبيد)الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إن الفتنة تجيء من ها هنا، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأ . فقال الله تعالى له : ﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا﴾.

١٧٤٣- وعن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال : « العبادة في الهرج كهجرة إلىّ »

فصل

١٧٤٤- قوله : « ويل للعرب من شر قد اقترب » قد تقدم معنى الويل ، والمراد به هنا الحزن . قاله ابن عرفة ، فأخبر عليه (الصلاة و)السلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب ، وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة ، فصار ذلك فى غيرهم من الترك والعجم ، وتشتتوا فى البرارى بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام، وما جاءهم به من الدين والإسلام ، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً ، وسلب بعضهم أموال بعض ،سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم ،كما قال تعالى:﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم**﴾ ولهذا كما قالت زينب فى سياق الحديث : أنهلك وفينا الصالحون ؟قال : « نعم إذا كثر الخبث » .

فصل

١٧٤٥- قال علماؤنا : رحمة الله عليهم : قولها أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث » . دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون .

فأما إذا كثر المفسدون وقل الصالحون ، هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف، ويكرهوا ما صنع المفسدون ، وهو معنى قوله ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها، هذا بفساده، وهذا برضاه وإقراره، على ما نبينه.

فإن قيل فقد قال الله تعالى:﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾- ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾- ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾. وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب .

وقرئ ﴿ **واتقوا فتنة(لتصيبن) الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة ، وهى قراءة زيد بن ثابت وعلي وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

والجواب : أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر ،فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك ، وإذا أنكر بقلبه،فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك .

١٧٤٦- روى الأئمة عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،ليس عليه غيره،وذلك أضعف الإيمان » . [**حديث صحيح**]

١٧٤٧- روى عن بعض الصحابه أنه قال : إن الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات :اللهم إن هذا منكر لا أرضاه، فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه ، فأما إذا سكت عليه فكلهم عاص ، وهذا بفعله وهذا برضاه كما ذكرنا . وقد جعل الله فى حكمه وحكمته الراضى بمنزلة الفاعل فانتظم في العقوبة. دليله قوله تعالى ﴿ **إنكم إذاً مثلهم**﴾ فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون،وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى وتبرؤوا من ذلك حسب ما يلزمهم ، ويجب لله(تعالى) عليهم غير معتدين سلموا. قال الله تعالى ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم**﴾ وقال (تعالى): ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾.

١٧٤٨- وقال ابن عباس : قد أخبرنا الله عز وجل عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا : ﴿**لم تعظون قوماً الله مهلكهم**﴾ .

١٧٤٩- وروى سفيان بن عيينة قال : حدثنا سفيان بن سعيد عن مسعر قال: بلغنى أن ملكاً أمر أن يخسف بقرية ، فقال : يارب ،إن فيها فلاناً العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ، فإنه لم يتغير وجهه فى ساعة قط .

[**إسناده صحيح لمسعر والخبر من الإسرائيليات**]

١٧٥١- وروى أبو داود عن العرس بن عميرة الكندى ، عن النبى ﷺ قال: « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها- وقال مرة : فأنكرها -كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » وهذا نص في الفرض ، وحسن رجل عند الشعبى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، فقال الشعبى: قد شركت في دمه . [**حديث صحيح**]

١٧٥٢- وفى صحيح الترمذى : «أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » فالفتنة إذا عمت هلك الكل ، وذلك عند ظهور المعاصى وانتشار المنكر وعدم التغير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها ، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما فى قصة السبت حين هجروا العاصين ، وقالوا : لانساكنكم ، وبهذا قال السلف رضى الله عنهم. [**حديث صحيح**]

١٧٥٣- روى ابن وهب ، عن مالك قال : تهجر الأرض التى يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها ، واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالرباء فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها خرجه أهل الصحيح .

وقال مالك في موضع آخر : إذا ظهر الباطل على الحق ،كان الفساد في آخر الأرض وقال : إن لزوم الجماعة نجاة، وأن قليل الباطل وكثيره هلكة وقال : ينبغى للناس أن يغضبوا لأمر الله تعالى فى أن تنتهك فرائضه وحرمه والذى أتت به كتبه وأنبياؤه ، أو قال : يخالف كتابه .

١٧٥٤- قال أبو الحسن القابسى : الذى يلزم الحق ويغضب لأمر الله تعالى على بينة من النجاة، وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله». [**حديث صحيح**]

١٧٥٥- قال أبو عمرو وروى أشهب بن عبد العزيز قال : قال مالك لا ينبغى الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير حق والسب للسلف . قال أبو عمر : أما قول مالك هذا .فمعناه إذا وجد بلداً يعمل فيه الحق فى الأغلب،وقد قال عمر بن عبد العزيز:فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت

الأرض -والله- جوراً وظلما . قال أبو عمر : فأين (المهرب) إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضى بأقل قوت . وقال منصور الفقيه فأحسن :

الخير أجمع في السكوت ... وفي ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا ... فاقنع له بأقل قوت

١٧٥٦- وكان سفيان الثوري يقول : هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخاملين ، فكيف بالمشهورين ، وهذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن .

ويحكى عنه أن قال : والله ما أدري أي البلاد أسكن ، فقيل له: خراسان ؟ فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ، فقيل : الشام ؟ فقال : يشار إليكم بالأصابع أراد الشهرة فقيل له : العراق ؟ قال بلد الجبابرة ، فقيل له فمكة ؟ قال : مكة تذيب الكيس والبدن .

١٧٥٧- وقال القاضي أبو بكر بن العربي: قال (لي) شيخي في (العادة): لا يذهب بك الزمان في مصافاة الأقران ومواصلة الأحزان ، ولم أر للخلاص طريقاً أقرب من طريقين : إما أن يغلق المرء على نفسه بابه ، وإما أن يخرج إلى موضع لايعرف فيه ، إن اضطر إلى مخالطة فليكن معهم ببدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، ولا يفارق السكوت،أنشدني محمد بن عبد الملك الصوفي قال أنشدني أبو الفضل الجوهري : « الخير أجمع في السكوت » البيتان : قال القاضي : ولي في هذا المعنى :

حاز (السلام مسلم) ... يأوي إلى سكن وقوت
ماذا يؤمل بعد ما ... يأوي إلى بيت (وقيت)

١٧٥٨- قال المؤلف رحمه الله : ولأبي سليمان الخطابي في هذا المعنى شعر:

أنست بوحدتي ولزمت بيتي ... فدام الأنس لي ونما السرور
وأدبني الزمان فلا أبالي ... هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيا ... أسار (الجيش)أم ركب الأمير

والشعر في هذا المعنى كثير ، وسيأتي للعزلة له زيادات بيان من السنة إن شاء الله تعالى ، وكثرة الخبث ظهور الزنا وأولاد الزنا .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي ، فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاسقين لقوله عليه الصلاة والسلام : « ثم بعثوا على نياتهم » وفي رواية أعمالهم » . وقد تقدم هذا المعنى : فمن كانت نيته صالحة أثيب عليها ، ومن كانت نيته سيئة جوزى عليها ، وفي التنزيل ﴿ **يوم تبلى السرائر** ﴾ فاعلمه .

باب
ما جاء في رحى الإسلام ومتى تدور

١٧٦٠- أبو داود عن البراء بن ناجية عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين ، أوست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً» قال : قلت : أمما بقي ؟ قال : مما مضى » . [**حديث صحيح**]

فصل

١٧٦١- قال الهروي في تفسير هذا الحديث : قال الحربي : ويروى تزول وكأن تزول أقرب لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها ، وتدور يكون بما يحبون ويكرهون،فإن كان الصحيح سنة خمس، فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه ، وإن كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجمل ، وإن كانت سنة سبع، ففيها كانت صفين ،غفر الله لهم أجمعين .

١٧٦٢- وقال الخطابي : يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت،حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله لذلك الهلاك،يقال: الأمر إذا تغير واستحال دارت رحاه، وهذا -والله أعلم -إشارة إلى انقضاء (هذه) الخلافة ، وقوله ليقم لهم دينهم أي ملكهم وسلطانهم ، وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بني أمية من المشرق نحو من سبعين سنة، وانتقاله إلى بني العباس والدين الملة والسلطان ومنه قوله تعالى ﴿**ليأخذ أخاه في دين الملك**﴾ أي في سلطانه. وقوله « تدور رحى الإسلام » دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال،

شبههـا بالرحى الدائرة التى تطحن لما يكون فيهـا من قبض الأرواح وهلاك الأنفس . (والله أعلم).

بـاب
ما جاء أن عثمان رضي الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة

١٧٦٣–الترمـذى عن ابن أخى عبد الله بن سـلام قال : لما أريد عثـمان رضى الله عنه جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه: ما جاء بك ؟ قال : جئت في نصـرتك . قال : اخرج إلى الناس فاطردهم عني، فإنك خـارجاً خير لي من داخل . قال : فـخرج عـبد الله بن سلام إلى الناس فـقال : أيهـا الناس إنه كان فى الجاهليه اسمى فلان ابن فلان فسماني رسول الله ﷺ عبد الله ، ونزلت في آيات من كـتاب الله تعـالى نزلت :﴿ وشـهد شـاهد من بنى إسرائـيل على مثله فـآمن واسـتكبرتم إن الله لا يـهدى القـوم الظالمين ﴾ ونـزلت فـى:﴿ قل كـفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ إن لله سيفاً مغموداً عنكم ،وإن الملائكة قد جـاورتكم فى بلدكم هذا الذي نزل فيه نبـيكم ، فالله الله فى هذا الرجل أن تقتـلوه، فوالله إن قـتلتمـوه لتطردن جيـرانكم الملائكة وليسلن سـيف الله المغـمود عنكم ولا يغمد إلى يوم القيامة . قال : فقالوا: اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

قلت : ومثل هذا من عـبد الله لا يكون إلا عن علم من الكتـاب– أعنى التوراة – على ما يأتى ، أو سمعه من النبى ﷺ وسيأتى قول حذيفة لعمران: إن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر .

فـصل

١٧٦٤– قال العلماء بالسـير والأخبار : إنه دخل على أمير المؤمنين عـثمان بن عـفان رضى الله عنه فى الدار جـمـاعة من الفـجار، منهم : كـنانة بن بشر التـجيـبى فـأشعـره مشـقصـًا أى قـتله به فافـتـضخ الدم على المصحف، ووقـع على قوله تعـالى ﴿فسـيكفيكهم الله وهو السـميع العليم﴾ وقيل: ذبحه رجـل من أهل مصـر يقال له حمـار ، وقيل رومان، وقيل قتله الموت الأسود يقـال له أيضاً الدم الأسود من

طغاة مصر ، فقطع يده ، فقال عثمان : أما والله إنها لأول كف خطت في المصحف.

١٧٦٥- وهذه البلوى التى ثبتت في الصحيح عن أبى موسى أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرنى بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة،فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة،ثم قال:ائذن له وبشره بالجنة،على بلوى تصيبه ، فإذا عثمان بن عفان . لفظ البخارى ذكره فى مناقب عثمان . [**حديث صحيح**]

١٧٦٦- وقد قيل : إن الصحيح في مقتله رضى الله عنه أنه لم يتعين له قاتل معين بل أخلاط الناس وهم رعاع جاءوا من مصر ومن غير قطر ، وجاء الناس إلى عثمان فيهم عبد الله بن (عمرو) متقلداً سيفه وزيد بن ثابت، فقال له زيد بن ثابت : إن الأنصار بالباب يقولون:إن شئت كنا أنصار الله مرتين ، قال: لا حاجة لى فى ذلك كفوا ، وكان معه فى الدار الحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة وعبد الله بن عامر بن ربيع ومروان بن الحكم كلهم(شاك فى) السلاح ، فعزم عليهم فى وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ،فقال له(ابن)الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح ، فضاق عثمان رضى الله عنه من الحصار، ومنع من الماء حتى أفطر على ماء البحر الملح ، وقال الزبير بن بكار : حاصروه شهرين وعشرين يوماً، وقال الواقدى : حاصروه تسعة وأربعين يوماً ففتح الباب فخرج الناس، وسلموا له راية فى إسلام نفسه ، قال سليط بن أبى سليط : فنهانا الإمام عثمان عن قتالهم ، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها، ودخلوا عليه فى أصح الأقوال ، وقتله من شاء الله من سفلة الرجال.

١٧٦٧- وروى أبو عمر بن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :ادعو لى بعض أصحابى فقلت:أبو بكر ؟ قال : لا . فقلت : عمر ؟ فقال : لا . فقلت: ابن عمك ؟ قال : لا فقلت: عثمان، قال: نعم . فلما جاءه، قال لي بيده،فتنحيت،فجعل رسول الله ﷺ يساره ولون عثمان يتغير،فلما كان يوم الدار وحصر عثمان قيل له ألا نقاتل عنك قال: لا. إن رسول الله عهد إليّ عهداً وأنا صابر عليه . [**حديث صحيح**]

١٧٦٨- وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال :« يا

عثمان لعل الله يقمصك قميصًا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم » قال : هذا حديث حسن غريب . [**حديث صحيح**]

١٧٧٠- واختلف في سنه رضي الله عنه حين قتله من قتله من الفجار- أدخلهم الله بحبوحة النار-فقيل: قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل ابن تسعين سنة ، وقال قتادة : قتل عثمان وهو ابن ست وثمانين وقيل غير هذا ، وقتل مظلوماً كما شهد له بذلك رسول الله ﷺ وجماعة أهل السنة وألقى على مزبلة، فأقام فيها ثلاثة أيام لم يقدر أحد على دفنه ، حتى جاء جماعة بالليل خفية فحملوه على لوح وصلوا عليه، ودفن في موضع من البقيع، يسمى حش كوكب، وكان مما حبسه عثمان رضى الله عنه وزاره في البقيع،وكان إذا مر به يقول:يدفن فيك رجل صالح . وكان هو المدفون فيه، وعمى قبره لئلا يعرف ، وقتل يوم الجمعة لثمانى ليال خلون من ذي الحجة،يوم التروية سنة خمس وثلاثين ،قاله الواقدى ، وقيل: ليلتين بقيتا من ذى الحجة، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة إلا أياماً اختلف فيها رضى الله عنه، وقيل إن المتعصبين على عثمان رضي الله عنه من المصريين ومن تابعهم من البلدان كانوا أربعة آلاف ، وبالمدينة يومئذ أربعون ألفاً .

١٧٧١- وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثل نازلة عثمان ألحقه الله جناح المغفرة والرضوان،هل يلقى بيده أو يستنصر ،فأجاز جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين أن يستسلم وهو أحد قولى الشافعى ، وقال بعض العلماء لا يسلم بيده ، بل يستنصر ويقاتل، ولكل من القولين وجه ودليل وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وقال بعض العلماء : ولو اجتمع أهل المشرق والمغرب على نصرة عثمان لن يقدروا على نصرته ، لأن رسول الله ﷺ أنذره فى حياته،فأعلمه بالبلوى التى تصيبه، فكان ذلك من المعجزات التي أخبر بوقوعها بعد موته ﷺوما قال رسول الله شيئاً قط إلا كان .

وقال حسان بن ثابت :

قتلتم ولي الله في جوف داره	وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فلا ظفرت إيمان قوم تعاونوا	على قتل عثمان الرشيد المسدد

١٧٧٢- وخرج مسلم في صحيحه قال : وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد

بن حاتم قالا : حدثنا معاذ بن معاذ قال : وحدثنا ابن عوف عن محمد قال : قال جندب :جئت يوم (الجرعة) ، فإذا رجل جالس فقلت له ليهراقن اليوم ههنا دم ، فقال ذلك الرجل:كلا والله . قلت : بلى والله. قال: كلا والله . قلت : بلى والله . قال ثلاثاً كلا ،إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه ، قلت : بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعنى أخالفك ، وقد سمعته من رسول الله فلا تنهنى ، ثم قلت : ما هذا الغضب، فأقبلت عليه أسائله فإذا الرجل حذيفة .

والجرعة: موضع بجهة الكوفة على طريق الحيرة قيده الحفاظ بفتح الجيم والراء، وقيده بعض رواة الحفاظ أيضًا بإسكان الراء ،وهو يوم خرج فيه أهل الكوفة متألبين متعصبين ليردوا إلى عثمان بن عفان(رضى الله عنه)، وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكتبوا إلى عثمان لا حاجة لنا في سعيدك ولا وليدك ، وكان رده سنة أربع وثلاثين ، وكتبوا إلى عثمان أن يولى عليهم أبا موسى الأشعرى ، فلم يزل والياً عليهم إلى أن قتل عثمان ولما سمع بقتله يعلى بن أمية التميمى الحنظلى أبو صفوان ، ويقال (أبو)خالد أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً والطائف وتبوك، وكان صاحب الجند بصنعاء أقبل لينصره ، فسقط عن بعيره فى الطريق فانكسرت فخذه، فقدم مكة بعد انقضاء الحج، فخرج إلى المسجد وهو كسير على سرير ، واستشرف إليه الناس واجتمعوا فقال : من (يخرج) يطلب بدم عثمان ، فعلى جهازه أعان الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلاً من قريش ، وحمل عائشة رضى الله عنها على جمل أذب،ويقال أذب لكثرة وبره اشتراه ابن أمية الحنظلى بمائتى دينار . قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ، وقال ابن شبة في كتاب الجمل له : اشتراه بثمانين ديناراً، والأول أصح واسمه عسكر . [**خبر صحيح**]

١٧٧٥- وكانت عائشة رضى الله عنها حاجة في السنة التي قتل فيها عثمان وكانت مهاجرة له ، فاجتمع طلحة والزبير ويعلي وقالوا لها بمكة : عسى أن تخرجي رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، ويرعوا نبيهم، وهى تمتنع عليهم ، فاحتجوا عليها بقوله تعالى ﴿ **لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس**﴾ وقالوا لها : إن المتألبين على عثمان بالبصرة كثير، فبلغت الأقضية مقاديرها،فاصطف الناس للقتال ورموا علياً وأصحابه بالنبال، فقال على : لا

ترموا بسهم ولا تضربوا بسيف ولا تطعنوا برمح ، فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلاً من أصحاب علي ، فأتي به إلى علي فقال :اللهم اشهد، ثم رمى آخر ، فقتل رجلاً من أصحاب علي ، فقال علي : اللهم اشهد، ثم رمى آخر، فقال علي: اللهم اشهد ، وقد كان علي(رضي الله عنه)نادى الزبير(رضي الله عنه)يا أبا عبد الله: ادن إلي أذكرك كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله ﷺ فقال:على الأمان؟ فقال : عليك الأمان ، فبرز فذكره أن رسول الله ﷺ قال له وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلى بعض : « أما إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم » فقال الزبير : اللهم إني ما ذكرت هذا إلا في هذه الساعة، وثنى عنان فرسه لينصرف ، فقال له ابنه عبد الله : إلى أين ؟ قال : أذكرني علي كلاماً قاله له رسول الله ﷺ،قال :كلا ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حداداً ويحملها رجال شداد.قال:ويلك، ومثلي يعير بالجبن هلم الرمح ،فأخذ الرمح وحمل في أصحاب علي ، فقال علي:افرجوا للشيخ فإنه محرج،فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لابنه: لا أم لك، أيفعل هذا جبان وانصرف، وقامت الحرب على ساق ، وبلغت النفوس إلى التراق، فأفرجت عن ثلاث وثلاثين ألف قتيل ، وقيل عن سبعة عشرة ألفاً وفيه اختلاف فيهم ، من الأزد أربعة آلاف ومن بني ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة ، وقتل فيها من أصحاب علي نحو من ألف رجل ،وقيل أقل ، وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر ، وهم ينشدون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت أشهى عندنا من العسل

وكان الجمل للراية إلى أن عقر الجمل ، وكانوا قد ألبسوه الأدراع ، وقال جملة من أهل العلم : إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب، بل فجأة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به ، لأن الأمر كان انتظم بينهم على الصلح والتفريق على الرضا ، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم،فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين ويبدوا في الحرب شجرة في العسكرين

وتختلف السهام بينهم ويصيح الفريق الذي فى عسكرعلى غدر طلحة والزبير والذى فى عسكر طلحة والزبير غدر على ، فتم لهم(بذلك)ما أرادوا ودبروه ونشبت الحرب ، فكان كل فريق دافعاً لمكرته عند نفسه ومانعا من الإشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة الله إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذا السبيل ، وهذا هو الصحيح المشهور ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين .

١٧٧٦- وفى صحيح مسلم من كتاب الفتن عن ابن عمر قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال : « رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرنا الشيطان» يعني المشرق وقيل : هذا بنصف ورقة بأسانيد منها عن عبد الله بن عمر القواريرى ومحمد بن المثنى باضطراب، فى بيت حفصة، ثم قال : وقال (عبيد) الله بن سعيد فى روايته: قام رسول الله ﷺعند باب عائشة فقال بيده نحو المشرق : « الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرنا الشيطان » قالها مرتين أو ثلاثاً ». [**حديث صحيح**]

١٧٧٧- وذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فى الخامس عشر من مسند عائشة رضى الله عنها قال : حدثنى محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أن عائشة رضى الله عنها لما أتت الحوبة سمعت نباح الكلاب، فقالت : ما أظننى إلا راجعة ،إن رسول الله ﷺ قال لنا: « أيتكن تنبح كلاب الحوأب » فقال لها الزبير : ترجعين عسى الله أن يصلح لك بين الناس . [**حديث صحيح**]

١٧٧٨- وروى أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثنا وكيع بن الجراح ، عن عصام بن قدامة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «أيتكن صاحبة الجمل الأذيب يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت » وهذا حديث ثابت صحيح ،رواه الإمام المجمع على عدالته وقبول روايته (الإمام) أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة ، وكذلك وكيع مجمع على عدالته وحفظه وفقهه عن عصام وهو ثقة عدل فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له ، عن عكرمة وهو عند أكثر العلماء ثقة عالم وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ وهو إخباره بالشيء قبل كونه .

وقوله «الأذيب» أراد الأذب ، فأظهر التضعيف، والعجب من القاضى الإمام أبي بكر بن العربي كيف أنكر هذا الحديث في كتبه . منها فى كتاب العواصم من القواصم ، وذكر أنه لا يوجد أصلاً وأظهر العلماء المحدثين بإنكاره غباوة وجهلاً ، وشهرة هذا الحديث أوضح من فلق الصبح وأجلى ، وقد رواه أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فقال : حدثنا سعيد بن نصر قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا محمد بن وضاح قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، فذكره بسنده المتقدم .

[حديث صحيح]

١٧٧٩- وروى أبو جعفر الطبرى قال : لما خرجت عائشة رضى الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها علي رضى الله عنه جهازاً حسناً ، وأخرج معها من أراد الخروج واختار عليها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة ، وجهز معها أخاها محمداً وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها على رضى الله عنه على أميال وسرح معها بنيه يوماً .

فصل

١٧٨٠- فإن قيل : فلم ترك على القصاص من قتلة عثمان ؟ فالجواب أنه لم يكن ولى دم ، وإنما كان أولياء الدم أولاد عثمان وهم جماعة : عمرو وكان أسن ولد عثمان، وأبان وكان محدثاً فقيهاً وشهد الجمل مع عائشة والوليد بن عثمان ، وكان عنده مصحف عثمان الذى كان في حجره حين قتل ، ومنهم الوليد بن عثمان ،ذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه كان صاحب شارب وفتوة ، ومنهم سعيد بن عثمان وكان والياً لمعاوية على خراسان ، فهؤلاء بنوعثمان الحاضرون في ذلك الوقت ، وهم أولياء الدم دون غيرهم ولم يتحاكم إلى علىٍّ أحد منهم ولا نقل ذلك عنهم ، فلو تحاكموا إليه لحكم بينهم إذ كان أقضى الصحابة للحديث المروى فيه عن رسول الله ﷺ .

وجواب ثان : أنه لم يكن في الدار عدلان يشهدان على قاتل عثمان بعينه ، فلم يكن له أن يقتل بمجرد دعوى فى قاتل بعينه ، ولا إلى الحكم فى سبيل ذلك مع سكوت أولياء الدم عن طلب حقهم ، ففى تركهم له أوضح دليل ، وكذلك فعل معاوية حين تمت له الخلافة وملك مصر وغيرها بعد أن قتل على رضى الله عنه لم يحكم علي واحد من المتهمين بقتل عثمان بإقامة قصاص ، وأكثر المتهمين من أهل

مصر والكوفة والبصرة ، وكلهم تحت حكمه وأمره ونهيه وغلبته وقهره ، وكان يدعى المطالبة بذلك قبل ملكه، ويقول : لا نبايع من يؤوى قتلة عثمان ولا يقتص منهم ، والذى كان يجب عليه شرعاً أن يدخل في طاعة علي– رضى الله عنه – حين انعقدت خلافته فى مسجد رسول الله ﷺ ومهبط (الوحى) ومقر النبوة وموضع الخلافة بجميع من كان فيها من المهاجرين والأنصار بطوع منهم وارتضاء واختيار ، وهم أمم لا يحصون(وهم) أهل عقد وحل، والبيعة تنعقد بطائفة من أهل الحل والعقد، فلما بويع له –رضى الله عنه – طلب أهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان ، وأخذ القود منهم ،فقال لهم على (رضى الله عنه): ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه ، فقالوا: لا تستحق بيعة، وقتلة عثمان معك نراهم صباحاً ومساءً ، وكان على فى ذلك أسد رأياً وأصوب قيلا ، لأن عليا لو تعاطى القود معهم (لتعصبت) لهم قبائل وصارت حرباً ثالثة، فانتظر بهم إلى أن يستوثق الأمر وتنعقد عليه البيعة، ويقع الطلب من الأولياء فى مجلس الحكم فيجرى القضاء بالحق .

قال(القاضى) أبو بكر (بن العربى): ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى إلى إثارة فتنة أو تشتيت الكلمة ، وكذلك جرى لطلحة والزبير فإنهما ما خلعا علياً من ولاية ، ولا اعترضا عليه في ديانة، وإنما رأوا أن البداية بقتل (قتلة) عثمان أولى .

١٧٨٢– أخبرنا شيخنا القاضى لسان المتكلمين أبو عامر ابن الشيخ الفقيه الإمام أبي الحسين بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى إجازة عن شيخه المحدث الثقة المؤرخ أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال قال:حدثنا جماعة من شيوخنا –رحمهم الله– منهم الفقيه المفتى أبو محمد بن عنان قال: أنبأنا الإمام أبو عمر بن عبد البر فيما أجازه لنا بخطه قال : حدثنا خلف ابن القاسم (الحافظ) قال : حدثنا عبد الله بن عمر قال :حدثنا (أحمد)بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال : حدثنى خالد أبو الربيع وأحمد بن صالح وأحمد بن عمر ابن السرح ويحيى بن سليمان قال : حدثنى ابن وهب فذكره . وأحمد بن محمد بن الحجاج هو ابن رشدين بن سعد أبو جعفر مصرى قال أبو أحمد بن عدى :كذبوه وأنكرت عليه أشياء ومحمد بن يزيد بن أبي زياد مجهول .قاله الدار قطنى، وباقى السند ثقات

معروفون .

١٧٨٣- وأما وقعة صفين ،فإن معاوية (رحمه الله) لما بلغه مسير أمير المؤمنين على كرم الله وجهه إليه من العراق خرج من دمشق حتى ورد صفين فى النصف من المحرم ، فسبق إلى سهولة المنزل وسعة المناخ وقرب الماء من الفرات وبنى قصراً لبيت ماله. وصفين صحراء ذات كدى وأكمات، وكان أهل الشام قد سبقوا إلى المشرعة من سائر الجهات ولم يكن ثم مشرعة سواها للواردين والواردات ، فمنعت علياً رضى الله عنه إياها (وحمته عنه) تلك الكمأة ، فذكرهم بالمواعظ الحسنة والآيات، وحذرهم بقول النبى ﷺ فيمن منع فضل الماء بالفلاة ، فردوا قوله وأجابوه بألسنة الطغاة إلى أن قاتلهم بالقواضب والسمهريات ، فلما غلبهم عليها رضى الله عنه أباحها للشاربين والشاربات ، ثم بنى مسجداً على تل بأعلى الفرات ليقيم فيه مدة مقامه فرائضَ الصلوات لفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين من الدرجات على ما ثبت فى (الصحيحين) من رواية ابن عمر وغيره من الصحابة العدول الثقات ، وحضرها مع على (رضى الله عنه)جماعة من البدريين ، ومن بايع تحت الشجرة من الصحابة المرضيين ، وكان مع علي رضى الله عنه رايات كانت مع رسول الله فى قتل المشركين ، وكان مقام على رضى الله عنه ومعاوية بصفين سبعة أشهر ، وقيل تسعة ، وقيل ثلاثة أشهر ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفاً وقتل فى ثلاثة أيام من أيام البيض وهى ثلاث عشرة وأربعة عشرة وخمسة عشرة ثلاثة وسبعون ألفاً من الفريقين .

١٧٨٤- وذكره الثقة العدل أبو إسحاق وإبراهيم بن الحسين الكسائي الهمدانى المعروف بابن ديزيل وهو الملقب بسفينة ، وسفينة طائر إذا وقع على الشجرة لم يقم عنها ويترك فيها شيئاً، وهو فى تلك الليالى هى ليلة الهرير جعل يهر بعضهم على بعض . والهرير : الصوت يشبه النباح ، لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت ، وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضت ، ثم نزل القوم يمشى بعضهم إلى بعض قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقى من السيوف وعمد الحديد ، فلا تسمع إلا غمغمة القوم والحديد فى الهام ، ولما صارت السيوف كالمناجل تراموا بالحجارة ، ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ، ثم تكادموا

بالأفواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات، ومرت أوقات أربع صلوات ، لأن القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا إلى نصف الليل ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين . قال الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه، وقال غيره في شهر ربيع الأول .

١٧٨٥- وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألفاً ، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألفاً ،ذكره الزبير بن بكار أبو عبد الله القاضي العدل قال : حدثني عمر بن أبي بكر(الموصلي) ، عن زكريا بن عيسى ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عمرو بن العاص وكان ممن شهد صفين وأبلى فيه ، وفيه يقول :

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يوماً شاب منها الذوائب
غداة أتى أهل العراق كأنهم ... من البحر لج موجه متراكب
وجئناهم نمشي كأن صفوفنا ... سحائب غيث رفعتها الجنائب

ويروى : شهاب حريق رفعته الجنائب .

وقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا ... علياً فقلنا بل نرى أن نضارب
وطارت إلينا بالرماح كماتهم ... وطرنا إليهم بالأكف قواضب
إذا نحن قلنا استهزموا عرضت لنا ... كتائب منهم واشمأزت كتائب
فلا هم يولون الظهور فيدبروا ... فراراً كفعل الخادرات الدرائب

قال ابن شهاب : فأنشدت عائشة رضي الله عنها أبياته هذه ، وقالت: ما سمعت بشاعر أصدق شعراً منه .

١٧٨٦- قال الحافظ بن دحية (أبو الخطاب) : قوله : بل نرى أن نضارب «أن » هنا مخففة من الثقيلة محذوفة الاسم تقديره أننا نضارب ، وقوله «كفعل الخادرات الدرائب » .

الخادرات : الأسود، يقال أسد خادر ، كأن الأجمة له خدر، فمعناه أنهم لا يدبرون كالأسود التي لا تدبر عن فرائسها ، لأنها قد ضربت بها ودريت عليها، والدربة الضراوة . يقال : درب يدرب ، ورفع الدرائب لأنها بدل من الضمير في يدبروا .

قال : والإجماع منعقد على أن طائفة الإمام طائفة عدل ، والأخرى طائفة بغي ، ومعلوم أن علياً رضي الله عنه كان الإمام .

١٧٨٧- وروى مسلم في صحيحه قال :حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار ، اللفظ لابن مثنى قال : حدثنا محمد بن جعفر (قال) :حدثنا شعبة عن أبي سلمة قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدري قال : أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول : «بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية » .

وخرجه أيضًا من حديث إسحاق بن إبراهيم ، وإسحاق بن منصور ، ومحمد ابن غيلان ومحمد بن قدامة : قالوا: أخبرنا النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن أبي سلمة بهذا الإسناد نحوه،غيرأن في حديث النضر قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة وله طريق غير هذا في صحيح مسلم . [**حديث صحيح**]

١٧٨٨- وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له في ترجمة عمار، وتواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : « يقتل عمار الفئة الباغية » وهو من أصح الأحاديث . [**حديث صحيح**]

١٧٨٩- وقال فقهاء الإسلام فيما حكاه الإمام عبد القاهر في كتاب الإمامة من تأليفه ، وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأى منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي ، والجمهور الأعظم من المتكلمين إلى أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته في(قتال) أصحاب الجمل ، وقالوا أيضاً بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم .

١٧٩٠- وقال الإمام أبو منصور التيمي البغدادي في كتاب « الفرق » من تأليفه في شأن القصة عقيدة أهل السنة،وأجمعوا أن علياً كان مصيباً في قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته في(قتال) أصحاب الجمل ، وقالوا أيضا بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم .

١٧٩١- وقال الإمام أبو منصور التيمي البغدادي في كتاب الفرق في بيان عقيدة أهل السنة : وأجمعوا أن علياً كان مصيباً في قتال أهل الجمل : أعني طلحة والزبير وعائشة بالبصرة ، وأهل صفين : أعني معاوية وعسكره .

١٧٩٢- وقال الإمام أبو المعالى فى كتاب الإرشاد فصل : على رضى الله عنه كان إماماً حقاً فى توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه ، فهو آخر فصل ختم به كتابه ، وحسبك بقول سيد المرسلين وإمام المتقين لعمار رضى الله عنه: « تقتلك الفئة الباغية » . وهو من أثبت الأحاديث كما تقدم، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوته عنده قال : إنما قتله من أخرجه ، ولو كان حديثنا فيه شك لرده معاوية وأنكره وأكذب ناقله وزوره .

وقد أجاب على رضى الله عنه عن قول معاوية بأن قال : فرسول الله ﷺ اذن قتل حمزة حين أخرجه ، وهذا من على رضى الله عنه إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها . قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب ابن دحية (رضى الله عنه) .

باب
لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه وفى ظهور الفتن

١٧٩٣- البخارى عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال :« اصبروا فإنه لايأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ ، وخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . [**حديث صحيح**]

١٧٩٤- وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج » قالوا: يا رسول الله ، أيم هو ؟ قال : « القتل القتل » أخرجه البخارى ، ومسلم . [**حديث صحيح**]

فصل

١٧٩٥- قوله :« يتقارب الزمان » قيل معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها ، وقيل هو دنو زمان الساعة ، وقيل هو قصر مدة الأيام على ما روى: «أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كاحتراق السعفة » أخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب ، وقيل في تأويله غير هذا .

وقال حماد بن سلمة : سألت أبا سنان عن قوله:«يتقارب الزمان حتى تكون

السنة كالشهر» وقال : ذلك من استلذاذ العيش . قال الخطابى : يريد- والله أعلم - زمان خروج المهدى ووقوع الأمنة فى الأرض فيما يبسطه من العدل فيها على ما يأتى ، ويستلذ به العيش عند ذلك ، وتستقصر مدته ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت ، وامتدت ويستطيلون أيام المكروه وإن قصرت وقلت ، والعرب تقول فى مثل هذا : مر بنا يوم كعرقوب القطا قصراً . ويلقى الشح بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى عليه ويدعى إليه،ومنه قوله تعالى﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾ أى تقبلها وتعلمها، ويجوز يلقى بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته ، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها على ما يأتي ، ولا يجوز أن يكون يلقى بمعنى يوجد، لأن الشح ما زال موجوداً قبل تقارب الزمان . [**حديث صحيح**]

باب ما جاء فى الفرار من الفتن وكسر السلاح [فيها]وحكم المكره عليها

١٧٩٦-مالك عن أبى سعيد الخدرى قال:قال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن».

[**حديث صحيح**]

١٧٩٧- مسلم أن أبى بكرة قال : قال رسول الله ﷺ :« إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ألا ثم تكون فتن القاعد فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى إليها ألا فإذا نزلت ، ووقعت ، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله،ومن(كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق) بأرضه ، قال:فقال له رجل: يا رسول الله،أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض . قال : يعمد إلى سيفه فيدق عليه بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة .اللهم هل بلغت . اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت . قال: فقال رجل: يا رسول الله،أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بى إلى أحد الصفين أو إحدى الطائفتين فيضربنى رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلنى، قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار » . [**حديث صحيح**]

١٧٩٨- وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى . من يشرف

لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به » قال : حديث حسن صحيح .

[**حديث صحيح**]

باب منه
وفي الأمر بلزوم البيوت عند الفتن

١٧٩٩- ابن ماجه عن أبي بردة قال : دخلت على محمد بن مسلمة، فقال: إن رسول الله ﷺ قال:«إنها ستكون فتنة وخلاف وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فأت بسيفك أحداً فاضرب به حتى ينقطع، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية » فقد وقعت وفعلت ما قال النبي ﷺ . [**حديث صحيح**]

١٨٠٠- (أخبرنا) أبو داود عن أبي موسى قال:قال رسول الله ﷺ:«إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً . القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي، قالوا: فما تأمرنا ؟قال: كونوا أحلاس بيوتكم » . [**حديث صحيح**]

فصل

١٨٠١- قال علماؤنا رحمة الله(تعالى)عليهم : كان محمد بن مسلمة رضى الله عنه ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وأن النبي ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفًا من خشب ففعل وأقام بالربذة ، وممن اعتزل الفتنة أبو بكرة، وعبد الله بن عمر ! وأسامة بن زيد ، وأبو ذر ، وحذيفة ، وعمران بن حصين، وأبو موسى ، وأهبان بن صيفى ، وسعد بن أبى وقاص وغيرهم ،ومن التابعين شريح والنخعي وغيرهما ، رضى الله عنهم.

١٨٠٢- قلت : هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم ، فكان المصيب منهم له أجران ،والمخطئ له أجر ، ولم يكن قتال على الدنيا ، فكيف اليوم الذى تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلباً للملك والاستكثار من الدنيا ، فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن ، نسأل الله السلامة، والفوز بدار الكرامة بحق نبيه وآله وأتباعه وصحبه . وقوله: «كونوا أحلاس بيوتكم » حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه . [**حديث صحيح**]

١٨٠٤- ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج ، وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان ، وتزوج امرأة هناك وولدت له أولاداً ، فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بليال ، فدخل المدينة،فقال له الحجاج : ارتددت على عقبيك؟ قال : لا، ولكن رسول الله ﷺأذن لنا فى البدو .

وخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم قوله ﷺ « يأتى على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ، وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ، ويأتى له من أمره وقد كان العمرى بالمدينة معتزلاً، وكان مالك مخالطاً للناس ، ثم اعتزل مالك آخر عمره رضى الله عنه،فيروى عنه، أنه أقام ثمانى عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ليس كل واحد يمكنه أن يخبر بعذره ، واختلف الناس فى عذره على ثلاثة أقوال ، فقيل : لئلا يرى (المنكر) ، وقيل: لئلا يمشى إلى السلطان ، وقيل :كانت به أبردة، فكان يرى تنزيه المسجد عنها » ذكره القاضى أبو بكر بن العربي فى كتاب سراج المريدين له . [**حديث صحيح**]

باب منه

وكيف التثبت في الفتنة والاعتزال عنها وفي ذهاب الصالحين

١٨٠٥- ابن ماجه عن عديسة بنت أهبان قالت : لما جاء على بن أبي طالب ها هنا بالبصرة دخل على أبى ، فقال:يا أبا مسلم ،ألا تعيننى على هؤلاء القوم ؟ قال : بلى فدعى جاريته،فقال:يا جارية، أخرجى سيفى . قالت:فأخرجته،فسل منه قدر شبر ، فإذا هو خشب ، فقال:إن(حبيبي) وابن عمك ﷺ عهد إلى إذا كانت فتنة بين المسلمين ، فأتخذ سيفًا من خشب ، فإن شئت خرجت معك . قال : لا حاجة لى فيك ولا فى سيفك . [**حديث صحيح**]

١٨٠٦- وعن زيد بن شرحبيل عن أبى موسى الأشعرى ، قال : قال رسول

الله ﷺ: « إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويصبح كافراً، ويمسى مؤمناً ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة ، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخيرا بنى آدم » أخرجه أبو داود أيضاً . [**حديث صحيح**]

١٨٠٧- وخرج من حديث سعد بن أبى وقاص(قال):قلت:يا رسول الله، إن دخل عليّ بيتى وبسط يده إليّ ليقتلنى،قال:فقال رسول الله ﷺ: «كن كخير ابنى آدم، وتلا هذه الآية ﴿**لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى**﴾». [**حديث صحيح**]

١٨٠٨- ابن ماجه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتى فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مزجت عهودهم ،وخفت أماناتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه ، قالوا: كيف بنا يا رسول الله ؟ إذا كان ذلك الزمان ؟ قال : تأخذون بما تعرفون ، وتدعون (ما) تنكرون ، وتقبلون على خاصتكم ،وتذرون أمر عامتكم » أخرجه أبو داود أيضاً . [**حديث صحيح**]

١٨١٠- النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ:إذا رأيت الناس مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه فقمت إليه،فقلت له : كيف أصنع عند ذلك يا رسول الله جعلنى الله فداك ؟ قال : الزم بيتك واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » خرجه أبو داود أيضاً .

[**حديث صحيح**]

فصل

قوله : ويوشك . معناه يقرب ، وقوله : فيغربل الناس فيها غربلة . عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار ،كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله ، والحثالة ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذى قشر إذا بقى ، وحثالة الدهن تفله، وكأنه الردىء من كل شيء ، ويقال : حثالة وحفالة بالثاء والفاء معاً .

١٨١٣- وخرج البخارى عن مرداس الأسلمى قال : قال رسول الله

ﷺ: « يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لايباليهم الله بالة » وفي رواية « لا يعبأ الله بهم » يقال:ما أباليه بالة وبال وبلى مقصور ومكسور الأول مصدر، وقيل :اسم أى ما أكترث به والبال الاكتراث والاهتمام بالشيء ، والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به ، وانتهوا عما نهاهم عنه .

قال (الحافظ) أبو الخطاب بن دحية ومرداس ، وهذا هو مرداس بن مالك الأسلمى من أسلم بفتح اللام سكن الكوفة ، وهو معدود فى أهلها ولم يحفظ له من طريق صحيح سوى هذا الحديث .

قال المؤلف رحمه الله : انفرد به البخارى رحمه الله ، وروى عن قيس بن أبى حازم في الرقاق ومزجت : معناه: اختلطت واختلفت، والمزج: الاختلاط والاختلاف . [**حديث صحيح**]

باب
الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال

١٨١٤- أبو داود ، عن نصر بن عاصم الليثى قال : أتينا اليشكرى في رهط من بنى ليث فقال : من القوم ؟(فقلنا): بنو الليث أتيناك نسألك حديث حذيفة ، فقال : أقبلنا مع أبى موسى قافلين وغلت الدواب بالكوفة . قال : فسألت أبا موسى الأشعرى أنا وصاحب لى ، فأذن لنا فقدمنا الكوفة، فقلت لصاحبى : أنا داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك (قال): قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل واحد،قال :فقمت عليهم ، فجاء رجل فقام إلى جنبى قال : فقلت :من هذا ؟ قال : أبصرى أنت ؟ قال :قلت:نعم . قال : قد عرفت ولو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا ، هذا حذيفة ، فدنوت منه فسمعت حذيفة رضى الله عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر ، وعرفت أن الخير لن يسبقنى،قال:فقلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال:«يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات، قلت:

يا رسول الله،بعد هذا الخير شر ؟ قال : فتنة وشر: قلت:يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟ فقال: يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، قال : قلت: يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟ قال : هدنة على دخن وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها.قلت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هى؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذى كانت عليه . قال:قلت: يا رسول الله،بعد هذا الخير شر؟ قال :(يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات ، قال : قلت : يا رسول الله ، بعد هذا الخير شر ؟ فتنة)عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار ، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم » . [**حديث صحيح**]

١٨١٦- وخرج البخارى ومسلم وأبو داود ، عن إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ،فقلت : يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : « نعم » فقلت: هل بعد ذلك من خير ؟ قال : «نعم وفيه دخن » قلت : وما دخنه؟ قال : «قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر » فقلت : هل بعدذلك الخير من شر؟ قال : «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » فقلت: يا رسول الله،صفهم لنا ، قال: « نعم ، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » فقلت: يا رسول الله، فما تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ قال: « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل (تلك) الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » .

وفى رواية قال : « يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جسمان إنس» قال: (قلت:) فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : « تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع » لفظ مسلم . [**حديث صحيح**]

١٨١٧- وفي كتاب أبى داود بعد قوله هدنة على دخن قال : قلت: يا رسول الله، ثم ماذا ؟ قال: « إن كان لله خليفة فى الأرض فضرب ظهرك و أخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض في جذل شجرة » قلت: ثم ماذا؟ قال : « ثم

يخرج الدجال ومعه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ، ومن وقع فى نهره ، وجب وزره وحط أجره » قال: ثم ماذا ؟ قال : « هى قيام الساعة » .

[حديث صحيح]

فصل

١٨١٨- قوله : على أقذاء ، والأقذاء ، جمع القذى،والقذى:جمع قذاه وهو ما يقع في العين من الأذى، وفى الطعام والشراب من تراب أو نتن أو غير ذلك ، فالمراد به في الحديث الفساد الذى يكون في القلوب، أى أنهم (ينغصون) بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق ، ولكنهم فى باطنهم خلاف ذلك ، والجذل : الأصل كما هو مبين فى كتاب مسلم على أصل شجرة .

باب منه

إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

١٨١٩- مسلم عن الأحنف بن قيس قال : خرجت وأنا أريد هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة فقال : أين تريد يا أحنف ؟ قال : فقلت:أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ يعنى علياً ،قال:فقال لى : يا أحنف ارجع ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما،فالقاتل والمقتول فى النار » قال : فقلت:(أو قيل): يا رسول الله ، هذا القاتل ،فما بال المقتول ؟ قال : « إنه قد أراد قتل صاحبه » أخرجه البخارى، وفى بعض طرقه (قال): « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

[حديث صحيح]

فصل

١٨٢٠- قال علماؤنا(رحمة الله عليهم) : ليس هذا الحديث فى أصحاب النبى ﷺ بدليل قوله تعالى **﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾**

فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغى، لتعطلت فريضة من فرائض الله، وهذا يدل على أن قوله:القاتل والمقتول فى النار، ليس فى أصحاب محمد ﷺ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبرى : لو كان

الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد ، ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبى نسائهم ، وسفك دمائهم ،بأن يتحزبوا عليهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها ، وأمرنا بكف الأيدى والهرب منها، وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام « خذوا على أيدى سفهائكم » .

قلت : فحديث أبى بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا ، قد جاء هكذا منصوصاً فيما سمعناه من بعض مشايخنا : إذا اقتتلتم على الدنيا،فالقاتل والمقتول في النار . خرجه البزار .

١٨٢١- ومما يدل على صحة هذا ما خرجه مسلم فى صحيحه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيما قتل ، ولا المقتول فيما قتل » فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال :« الهرج القاتل والمقتول فى النار » فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا، أو اتباع هوى كان المقتول في النار ، فأما قتال يكون على تأويل دينى فلا ، وأما أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم ، فيجب على المسلمين توقيرهم، والإمساك عن ذكر زللهم،ونشر محاسنهم لثناء الله عز وجل عليهم فى كتابه. فقال وقوله الحق:﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ وقال (تعالى):﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ إلى آخر السورة. وقال (تعالى):﴿ **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل (أولئك أعظم درجة**﴾(إلى قوله ﴿ **وكلاً وعد الله الحسنى**﴾ ، وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق ، وقيل:إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف عن عمومها،فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال،وربما ندم بعضهم على ترك ذاك كعبد الله بن عمر، فإنه ندم على تخلفه عن نصرة على بن أبى طالب رضى الله عنهما، فقال عند موته : ما آسى على شىء ما آسى على تركى

قتال الفئة الباغية– يعنى فئة معاوية– وهذا هو الصحيح . إن الفئة الباغية إذا علم منها البغي قوتلت . قال عبد الرحمن بن أبزى : شهدنا صفين مع على فى ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر . [**حديث صحيح**]

باب
جعل الله بأس هذه الأمة بينها قال الله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾

١٨٢٤– مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض،قال ابن ماجه فى سننه:يعنى الذهب والفضة ، وإنى سألت ربي لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال: يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ،– أو قال من بين أقطارها–حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبى بعضهم بعضاً » زاد أبو داود : «وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي(با)لمشركين، وحين يعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين لا نبى ،بعدى ،ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » . [**حديث صحيح**]

١٨٢٥– ابن ماجه عن معاذ بن جبل قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً صلاة فأطال فيها ، فلما انصرف قلنا أو قالوا : يا رسول الله : أطلت اليوم الصلاة! قال : «إنى صليت صلاة رغبة ورهبة،سألت الله لأمتى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ورد عليَّ واحدة. سألته ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته ألا يهلكهم غرقاً فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردها عليَّ » . [**حديث صحيح لغيره**]

١٨٢٦– وأخرجه مسلم ، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية. وفى رواية في طائفة من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية

دخل فركع ركعتين ، فصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا،فقال:«سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعني واحدة؛سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها،وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» ، وأخرجه الترمذى والنسائى وصححه،واللفظ للنسائى [**حديث صحيح**]

١٨٢٧- وعن خباب بن الأرت ، وكان شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان الفجر ، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاء خباب فقال: يا سول الله، بأبى أنت وأمى لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها ، فقال رسول الله ﷺ: «أجل إنها صلاة رغب ورهب ، سألت الله(عز وجل) فيها لأمتي ثلاث خصال فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة ، سألت ربى ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها ، وسألت ربى عز وجل ألا يظهر عليها عدواً من غيرنا فأعطانيها وسألت ربى عز وجل ألا يلبسنا شيعاً فمنعنيها » .

[**حديث صحيح**]

١٨٢٨- ابن ماجه عن أبي موسى قال : حدثنا رسول الله ﷺ : « إن بين يدى الساعة لهرجاً» قال: قلت:يا رسول الله، ما الهرج ؟ قال : « القتل القتل » فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، إنا نقتل الآن فى العام الواحد من المشركين كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ:« ليس بقتل المشركين، ولكن بقتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته » وذكر الحديث ، والله أعلم .

[**حديث صحيح**]

باب
ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها

١٨٢٩- مسلم عن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به . حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه،ثم إذا رآه عرفه. [**حديث صحيح**]

١٨٣٠- وخرج أبو داود أيضًا عنه قال : والله ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه

ثلاث مائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه،واسم أبيه، واسم قبيلته .

[إسناده لا بأس به]

١٨٣١- مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : حدثنا رسول الله ﷺ مجلساً أنبأنا فيه عن الفتنة،فقال وهو يعد الفتن : منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئاً ، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار ، قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى . [حديث صحيح]

١٨٣٢- أبو داود عن عبد الله بن عمر قال : :كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيها ،حتى ذكر فتنة الأحلاس ،فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس ؟ قال : « هى هرب وحرب ثم فتنة السوء دخنها من تحت قدمى رجل من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى ، وإنما أوليائى المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل كودك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً،ويمسى مؤمنا ويصبح كافراً ، حتى يصير الناس فسطاطين :فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذلكم ،فانتظروا الدجال من يومه أو من غده » .

[حديث صحيح]

فصل

١٨٣٣- قول حذيفة : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً . وفي الرواية الأخرى مجلساً . قد جاء مبيناً في حديث أبي زيد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، فصعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا ، أخرجه مسلم . [حديث صحيح]

وقوله : حتى ذكر فتنة الأحلاس، قال الخطابى : إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس ،لدوامها وطول لبثها ، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه : هو حلس بيته ، ويحتمل أن تسمى هذه الفتنة بالأحلاس ،لسوادها وظلمتها ، والحرب ذهاب الأهل والمال . ويقال حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله ، ومن هذا المعنى أخذ لفظ الحرب، لأن فيها ذهاب النفوس والأموال ، والله أعلم . والدخن :

الدخان يريد أنهـا تثور كالدخان من تحت قـدميه . وقوله :«كـودك على ضلع» مثل ، ومـعناه الأمر الذى لا يثبت ولا يسـتقيم ، يريد أن هذا الرجل غـيـر خليق بالملك ، والدهيماء : تصغير الدهماء على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها كما قال : «دويهية تصفر منها الأنامل » أى هذه الفتنة سـوداء مظلمة ، ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصـحـابة رضى الله عـنهم كـان عندهم من علم الكوائـن إلى يوم القـيـامـة العلم الكثـير، لكن لم يشـيعـوها، إذ ليست من أحـاديث الأحكام، وما كـان فيـه شيء من ذلك حدثوا به وتقصروا عنه .

١٨٣٥- وقد روى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين(من علم) أما أحدهما :فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم . قال أبو عـبد الله : البلعوم :مجـرى الطعام،والفسطاط:الخيمـة الكبيرة، وتسمى مدينة مصر الفسطاط ، والمراد به فى هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفـرقة الأخـرى تشبـيهـاً بانفراد الخيمـة عن الأخرى ، وتشـبيـهـاً بانفـراد المدينة عن الأخرى حملاً على تسمية مصر بالفسطاط ، والله أعلم . [**خبر صحيح**]

باب

ذكر الفتنة التى تموج موج البحر ،وقول النبى ﷺ «هلاك أمتى على يد أغيلمة من سفهاء قريش »

١٨٣٦- ابن مـاجه عن شـقـيق عن حذيفـة قـال : كنا جلوسـا عند عمـر ابن الخطاب فقال:أيكم يحـفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة؟قال حـذيفة:فقلت أنا ، فقال: إنك لجرىء ، قال : كيف سمعته يقول ؟ قلت سمعته يقول : « فتنة الرجل فى أهله وماله وجـاره، يكفرها الصـلاة والصيام والصـدقة والأمر بالمـعروف والنهى عن المنكر،فقال عمر : ليس هذا أريد، إنما أريد التى تموج موج البحر ، قال: مالك ولها يا أمير المؤمنين،إن بـينك وبينهـا بابـاً مغلقـاً ،قـال(فيـفـتح) الباب أو يـكسر؟ قـال : بل يكسر. قال: ذلك أجدر أن لا يغلق ،فقلت لحذيفة : أكان عمر يعلم من الباب؟ قال : نعم ،كـمـا يعلم أن دون غد الليلة إنى حـدثته حديثـاً ليس بالأغاليط ، قال : فـهبنا أن نسـأله من الباب، فـقلنا لمسروق: سله،فـسأله ، فـقال : هو عـمر » أخـرجه البـخارى ومسلم أيضاً. [**حديث صحيح**]

١٨٣٧- وخرج الخطيب أبو بكر أحمد بن على من حديث مالك ابن أنس أن عمر بن الخطاب(رضى الله عنه)دخل على بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فوجدها تبكى،فقال: ما يبكيك ؟ قالت: هذا اليهودى- لكعب الأحبار- يقول : إنك باب من أبواب جهنم ، فقال عمر: ما شاء الله إنى لأرجو(الله) أن يكون خلقنى سعيداً ، قال: ثم خرج ، فأرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه كعب قال : يا أمير المؤمنين : والذى نفسى بيده لا تنسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ، فقال عمر : أى شيء هذا ؟ مرة في الجنة ومرة فى النار ، قال : والذى نفسى بيده، إنا نجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت لم يزالوا يتقحمون فيها إلى يوم القيامة . **[حديث صحيح]**

١٨٣٨- البخارى عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال : أخبرني جدي قال:كنت جالساً مع أبي هريرة فى مسجد النبى ﷺ بالمدينة،ومعنا مروان ، فقال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول:« هلكة أمتى على يد أغيلمةمن قريش » قال مروان:لعنة الله عليهم من أغيلمة . قال أبوهريرة: لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت ، فكنت أخرج مع جدى إلى بني مروان حتى تملكوا بالشام ، فإذا رآهم أحداثاً وغلماناً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا : أنت أعلم .

١٨٣٩- الغلام الطار الشارب، والجمع الغلمة والغلمان ، ونص مسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن عن أبي هريرة (رضى الله عنه)عن النبى ﷺ قال:« يهلك أمتى هذا الحي من قريش » قال : فما تأمرنا ؟ قال:«لو أن الناس اعتزلوهم »

[حديث صحيح]

فصل

١٨٤٠- قال علماؤنا- رحمة الله عليهم-: هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير ، والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير ، ألا تراه يقول لو شئت قلت لكم هم بنو فلان وبنو فلان ، لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد ، وكأنهم والله أعلم يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد ، ومن تنزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية ، فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وسبيهم ، وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة

وبمكة ، وغيرها ، وغير خاف ما صدر عن الحجاج ، وسليمان بن عبد الملك ، وولده من سفك الدماء ، وإتلاف الأموال، وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك ، وبالجملة فبنو أمية قابلوا وصية النبى ﷺ فى أهل بيته وأمته بالمخالفة والعقوق ، فسفكوا دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم، وخربوا ديارهم، وجحدوا فضلهم وشرفهم واستباحوا لعنهم وشتمهم ، فخالفوا رسول الله ﷺ فى وصيته،وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته (فواخجلهم)إذا وقفوا بين يديه،(ويا)فضيحتهم يوم يعرضون عليه ، والله أعلم .

باب
ما جاء في بيان مقتل الحسين رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله

١٨٤٢- وخرج الإمام أحمد فى مسنده قال : حدثنا مؤمل قال : حدثنا عمارة بن زاذان ، حدثنا ثابت عن أنس أن ملك المطر استأذن أن يأتى النبى ﷺ فأذن له ، فقال لأم سلمة : « أملكى علينا الباب لا يدخل علينا أحد قال : وجاء الحسين ليدخل فمنعته،فوثب فدخل ،فجعل يقعد على ظهر النبى ﷺ وعلى منكبيه وعلى عاتقه،قال : فقال الملك للنبى ﷺ: أتحبه ؟ قال: نعم. قال : أما وإن أمتك ستقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه ، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء ، فأخذتها أم سلمة فصرتها فى خمارها » قال ثابت : بلغنا أنها كربلاء . [**حديث صحيح**]

١٨٤٣- وقال مصعب بن الزبير:حج الحسين خمسة وعشرين حجة ماشياً، وقد قال النبى ﷺ فيه وفى الحسن:« إنهما سيدا شباب أهل الجنة». [**حديث صحيح**]

١٨٤٤- وقال : «هما ريحانتاى من الدنيا » . [**حديث صحيح**]

١٨٤٥- وكان النبى ﷺ إذا رآهما هش لهما وربما أخذهما. كما روى أبو داود أنهما دخلا المسجد وهو يخطب ، فقطع خطبته ونزل فأخذهما وصعد بهما . قال : « رأيت هذين فلم أصبر » . [**حديث صحيح**]

١٨٤٦- وكان يقول فيهما :« اللهم إنى أحبهما وأحب من يحبهما » وقتل -رحمه الله، ولا رحم قاتله- يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بقرب موقع يقال له « الطف » بقرب من الكوفة . [**حديث صحيح**]

١٨٤٧–قال أهل التواريخ:لما مات معاوية وأفضيت الخلافة إلى يزيد، وذلك سنة ستين، ووردت البيعة على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ بالبيعة إلى أهلها، أرسل إلى الحسين بن على،وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً فأتى بهما فقال:بايعا . فقالا :مثلنا لا يبايع سراً ، ولكن نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا ، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة ، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب،فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة ، وخرج يوم التروية يريد الكوفة ، فبعث(عبيد)الله بن زياد خيلاً لمقتل الحسين ، وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبى وقاص، فأدركه بكر بلاء، وقيل: إن عبيدالله ابن زياد كتب إلى الحر بن يزيد الرياحى أن جعجع بالحسين . قال أهل اللغة :أراد احبسه وضيق عليه ، والجعجع (و)الجعجاع: الموضع الضيق من الأرض ، ثم أمده (بعمر) بن سعد فى أربعة آلاف ، ثم ما زال عبيد الله يزيد فى العساكر، ويستفز الجماهير إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفاً ، وأميرهم (عمر) بن سعد ووعده أن يملكه مدينة الرى فباع الفاسق الرشد بالغى، وفى ذلك يقول :

أأترك ملك الرى والرى منيتى وأرجع (مأزوراً) بقتل حسين

فضيق عليه اللعين أشد تضييق ،وسد بين يديه وضح الطريق إلى أن قتله يوم الجمعة . وقيل ، يوم السبت العاشر من المحرم ، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : قتل يوم الأحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء ، ويعرف بالطف أيضاً وعليه جبة خز كفاء، وهوابن ست وخمسين سنة . قاله نسابة قريش الزبير بن بكار ، ومولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع، وفيها قصرت الصلاة ، وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة ، واتفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ، ويسمى عام الحزن ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلاً من أصحابه مبارزة ، منهم : الحر ابن يزيد ، لأنه تاب ورجع مع الحسين ، ثم قتل جميع بنيه إلا علياً المسمى بعد ذلك بزين العابدين كان مريضاً (فأخذ) أسيراً بعد قتل أبيه ، وقتل أكثر إخوة الحسين وبنى أعمامه رضى الله عنهم ثم أنشأ يقول :

يا عين ابكي بعبرة وعويل واندبى – إن ندبت –آل الرسول

سبعـــة كلـــهم لصـلب علـــى قـد أصـيبوا وتـسـعـة لعقـــيـل

١٨٤٨- قال جعفر الصادق : وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة بالسيف ، وأربع وثلاثون ضربة ، واختلفوا فيمن قتله . فقال يحيى بن معين : أهل الكوفة يقولون:إن الذى قتل الحسين (عمر) بن سعد.(بن أبى وقاص). (قال يحيى : كان إبراهيم بن سعد يروى فيه حديثاً أنه لم يقتله عمر بن سعد) قال ابن عبد البر : إنما نسب قتل الحسين إلى (عمر) بن سعد ، لأنه كان الأمير علي الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين . وأمر عليهم (عمر) بن سعد ووعده أن يوليه الرى إن ظفر بالحسين وقتله ، وكان فى تلك الخيل -والله أعلم- قوم من مصر ومن اليمن وفى شعر سليمان بن فتنة الخزاعى وقيل: إنها لأبى الرميح الخزاعى ما يدل على الاشتراك فى دم الحسين بن علي وقيل: قتله سنان بن (أنس) النخعى وقال مصعب النسابة الثقة: قتل الحسين بن على سنان أبى سنان النخعى ، وهو جد شريك القاضى ويصدق ذلك قول الشاعر:

وأى رزية عـــدلت حـــسيناً غـــداة تبـــيده كـــفّـــا سنان

١٨٤٩- وقال خليفة بن خياط : الذى ولى قتل الحسين شمر بن ذى الجوشن وأمير الجيش (عمر) بن سعد ، وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولة بن يزيد الأصبحى من حمير حز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال :

أوقـــر ركـــابى فـضـــة أوذهبـــاً إنـــى قـــتلت الملك المحـــجـــبـــا
قـتلـــت خـيـــر الناس أمّـــاً وأبـــاً وخيـرهم - إذ ينسبـون - نسبا

هذه رواية أبي عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وقال غيره : تولى حمل الرأس بشر بن مالك الكندى ودخل به على ابن زياد وهو يقول :

أوقـــر ركـــابى فـضـــة وذهـــبـــا إنـى قـتلت الملك المحـجـبـا
وخـيـــرهم إذ يذكـرون الـنسـبـــا قـتلت خـيـر الناس أمّـــا وأبا
فى أرض نجد وحرا ويثربا

فغضب ابن زياد من قوله وقال : إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته ؟ والله لا نلت منى خيراً أبداً، ولألحقنك به، ثم قدمه فضرب عنقه .

وفى هذه الرواية اختلاف ، وقد قيل إن يزيد بن معاوية هو الذى قتل القاتل .

١٨٥٠- (وذكر)الإمام أحمد بن حنبل :حدثنا عبد الرحمن بن مهدى (قال):حدثنا حماد بن سلمة،عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ نصف النهار أشعث أغبرمعه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبعه فيها . قال : قلت: يا رسول الله ما هذا ؟ قال :«دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم» قال عمار : فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم وهذا سند صحيح لا مطعن فيه، وساق القوم حرم رسول الله ﷺ كما تساق(الأسارى)حتى إذا بلغوا بهم (إلى) الكوفة خرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم، وفى الأسارى على بن حسين، وكان شديد المرض قد جمعت يداه إلى عنقه، وزينب بنت على وبنت فاطمة الزهراء ، وأختها أم كلثوم، وفاطمة وسكينة بنت الحسين ، وساق الظلمة والفسقة معهم رؤوس القتلة .

١٨٥١- روى فطر عن منذر الثورى ، عن محمد بن الحنفية قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من ولد فاطمة عليها الصلاة والسلام.[**إسناده حسن**]

١٨٥٢- وذكر أبو عمر عبد البر عن الحسن البصرى قال : أصيب مع الحسين ابن علي ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم يومئذ شبيه. وقيل : إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً .[**خبر صحيح**]

١٨٥٣- وفى صحيح البخارى فى المناقب عن أنس بن مالك : أتى عبيد الله ابن زياد برأس الحسين ،فجعل في طست، فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئاً، فقال أنس : كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة . يقال : نكت فى الأرض إذا أثر فيها ، ونكت بالحصباء إذا ضرب بها ، وكان الفاسق يؤثر فى رأسه المكرم بالقضيب ، وأمر عبيد الله بن زياد من قور الرأس حتى ينصب في الرمح ، فتحاماه أكثر الناس ، فقام رجل يقال له طارق بن المبارك بل هوابن المشؤوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب دارعبيد الله، ونادى فى الناس وجمعهم فى المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها ، ثم دعا بزياد بن حربن قيس الجعفى فسلم إليه رأس الحسين ورؤوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه ، ودعى بعلى بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء ، والناس يخرجون إلى لقائهم فى كل بلد ومنزل ، حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما وأقيموا على

درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبى ، ثم وضع الرأس المكرم بين يدي يزيد فأمر أن يجعل في طست من ذهب، وجعل ينظر إليه ويقول هذه الأبيات :

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما
نعلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصلب بالشام ، ولما صلبت أخفى خالد ابن عفران شخصه من أصحابه ، وهو من أفاضل التابعين فطلبوه شهرا حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال : ألا ترون ما نزل بنا: (ثم أنشأ يقول) :

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزملاً بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

[خبر صحيح]

١٨٥٤- واختلف الناس في موضع الرأس المكرم ؟ وأين حمل من البلاد ؟ فذكر الحافظ أبو العلاء الهمذانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة، فأقدم عليه عدة من موالى بنى هاشم،وضم إليهم عدة من موالى أبى سفيان ، ثم بعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم ، وجهزهم بكل شيء، ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمرلهم بها ، وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن (سعد) ابن العاص ، وهو إذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إليّ . ثم أمر عمرو بن سعد بن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها الصلاة والسلام . وهذا أصح ما قيل فى ذلك ، ولذلك قال الزبير ابن بكار : إن الرأس حمل إلى المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب، قال : حدثنى بذلك محمد بن حسن المخزومى النسابة .

والإمامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكر بلاء بعد أربعين يوماً من المقتل ، وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين ، وما ذكر أنه في عسقلان فى مشهد هناك أو بالقاهرة فشيء باطل لا يصح ولا يثبت ، وقد قتل الله

قاتله صبراً، ولقى حزناً طويلاً وذعراً وجعل رأسه الذى اجتمع فيه العيب والذم فى الموضع الذى جعل فيه رأس الحسين ، وذلك بعد قتل الحسين بستة أعوام وبعث المختار به إلى المدينة ، فوضع بين يدي بنى الحسين الكرام ، وكذلك عمرو بن سعد وأصحابه اللئام ضربت أعناقهم بالسيف وسقوا كأس الحمام وبقى الوقوف بين يدي الملك العلام فى يوم﴿**يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام**﴾ .

١٨٥٥- وفي الترمذى:حدثنا واصل بن عبد الأعلى،حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش ، عن عمارة بن عميرة قال :لما (جيء) برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت فى المسجد في الرحبة ، فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت(قد جاءت) فإذا هي حية قد جاءت (تتخلل) الرؤوس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله ، فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ، ثم قالوا: (قد) جاءت قد جاءت،ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً . [**خبر صحيح**]

١٨٥٦- قال علماؤنا : وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين ، وهي من آيات العذاب الظاهرة عليه ، ثم سلط الله عليهم المختار فقتلهم حتى أوردهم النار، وذلك أن الأمير(سيد)مدحج بن إبراهيم بن مالك لقى عبيد الله بن زياد على خمسة فراسخ من الموصل ، وعبيد الله فى ثلاثة وثلاثين ألفاً، وإبراهيم في أقل من عشرين ألفاً فتطاعنوا بالرماح وتراموا بالسهام،واصطفقوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام ، فنظر إبراهيم إلى رجل عليه بزة حسنة ودرع سابغة وعمامة خز دكناء وديباجة خضراء ، من فوق الدرع ،وقد أخرج يده من الديباجة ورائحة المسك تشم عليه ، وفى يده صحيفة له مذهبة ، فقصده الأمير إبراهيم لا لشيء إلا لتلك الصحيفة والفرس الذى تحته، حتى إذا لحقه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه ، فتناول الصحيفة وغار الفرس فلم يقدر عليه، ولم يبصر الناس بعضهم بعضاً من شدة الظلمة ، فتراجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى ، فأصبح الناس وقد فقد من أهل العراق ثلاثة وسبعون رجلا ، وقتل من أهل الشام سبعون ألفاً .(وقد قال الشاعر فيهم) :

فيتعشوا منهم بسبعين ألفًا ... أو يزيدون قبل وقت العشاء

فلما أصبح وجد الأمير الفرس رده عليه رجل كان أخذه ، ولما علم أن الذى قتل هو عبيد الله بن زياد كبر وخر ساجداً، وقال : الحمد لله الذى أجرى قتله على يدى ، فبعث به إلى المختار زيادة على سبعين ألف رأس في أولها أشد رؤوس أهل الفساد عبيد الله المنسوب إلى زياد .

قال المؤلف رحمه الله:(نقلت)هذا من كتاب مرج البحرين فى (فوائد) المشرقين والمغربين للحافظ (الإمام) أبى الخطاب بن دحية رضى الله عنه.

فصل

١٨٥٧- ومثل صنيع عبيد الله بن زياد صنع قبله(بسر) بن أرطأة العامرى الذى هتك الإسلام، وسفك الدم الحرام ، وأذاق الناس الموت الزؤام ، ولم (يرع) لرسول الله الذمام ، فقتل أهل بيته الكرام وحكم في مفارقهم الحسام ، وعجل لهم الحمام(و)ذبح (ولدى)عبيد الله بن (العباس)بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أمهما يمرحان ، وهما قثم وعبد الرحمن، فوسوست أمهما وأصابها ضرب من الجان لما أشعله الثكل فى قلبها من (لهيب) النيران .

١٨٦٠- وذكر أبو عمرو الشيبانى قال : لما وجه معاوية بسر بن أرطأة لقتل شيعة علي رضي الله عنه سار إلى أن أتى المدينة ، فقتل ابنى عبيد الله بن العباس وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم ،(وفى) هذه الخرجة التى ذكر أبو عمرو الشيبانى أغار بسر على همدان فقتل وسبى نساءهم ، فكن أول نساء سبين فى الإسلام وقتل أحياء من بنى سعد ، وقد اختلفوا كما ترى فى أى موضع قتل الصغيرين من أهل البيت،هل فى المدينة أو فى مكة أو فى اليمن؟ لأنه دخل هذه البلاد وأكثر فيها الفساد وأظهر لعلى رضى الله عنه العناد وأفرط فى بغضه وزاد وسلط على أهل البيت الكريم الأجناد، فقتل وسبى وأباد ولم يبق(فى بغضه) إلا أن يخدد الأخاديد(ويتد) الأوتاد ، وكان معاوية قد بعثه فى سنة أربعين إلى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس أخو عبد الله بن العباس ، ففر عبيد الله وأقام بسر باليمن وباع دينه ببخس من الثمن فأخاف السبيل،ورعى المرعى الوبيل، وباع المسلمات وهتك المحرمات فبعث على رضى الله عنه فى طلبه حارثة بن قدامة السعدى، فهرب بسر إلى الشام، وقد ألبس بذميم أفعاله ثياب العار والذمام،وبقي الوقوف بين يدى

الملك العلام ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ ورجع الشريف (أبو محمد عبد الله) إلى بلاد اليمن ، فلم يزل والياً عليها حتى قتل علي رضي الله عنه . ويقال : إن بسربن أرطأة لم يسمع من النبي ﷺ حرفاً لأن رسول الله ﷺ قبض وهو صغير، فلا تصح له صحبه . قاله الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وقال آخرون : خرف في آخر عمره. قال يحيى بن معين : وكان رجل سوء . قال المؤلف رحمه الله : كذا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله .

١٨٦١ – وقد ذكر أبو داود ، عن جنادة عن ابن أبي أمية قال : كنا مع بسر ابن أرطأة في البحر،فأتى بسارق يقال له منصور وقد سرق بختية ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقطع الأيدى فى الغزو، ولولا ذلك لقطعته » .

[حديث صحيح]

١٨٦٢– قال أبو محمد عبد الحق : بسر هذا يقال ولد فى زمن رسول الله ﷺ، وكانت له أخبارسوء فى جانب علي وأصحابه ، وهو الذي ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس ، ففقدت أمهما عقلها ،وهامت على وجهها ، فدعا عليه على رضى الله عنه أن يطيل الله عمره ويذهب عقله،فكان كذلك،قال ابن دحية:ولما ذبح الصغيرين وفقدت أمهما عقلها كانت تقف في الموسم تنشد شعراً يبكى العيون، ويهيج بلابل الأحزان والعيون،وهو هذا :

هامن أحس بإبنى اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يقال تشظت العصاة إذا صارت فلقاً ، قاله في المجمل وغيره .

هامن أحس بإبنى اللذين هما ... سمعي وعقلى فقلبى اليوم مختطف

حدثت بشراً وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترف

أحنى علي ودجى ا بنى مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

فصل

قلت : قوله « تستنطف » أى ترمى ، مأخوذ من نطف الماء أي قطر ، والنطفة الماء الصافى قل أو كثر، والجمع النطاف. أى إن هذه الفتنة تقتل قتلاها في النار، أى ترميهم فيها لاقتتالهم على الدنيا واتباع الشيطان والهوى وقتلاها بدل من قوله العرب

هذا المعني الذى ظهر لى فى هذا ولم أقف فيه على شيء لغيرى، والله أعلم . قوله : « اللسان فيها أشد من وقع السيف » أى بالكذب عند أئمة الجور ونقل الأخبار إليهم، فربما ينشأ عن ذلك من النهب والقتل والجلد والمفاسد العظيمة أكثر ما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها (والله أعلم).

١٨٦٥- وفى الصحيحين ، عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » وفي رواية عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » لفظ مسلم . [**حديث صحيح**]

١٨٦٦- وقد روى « أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوى بها فى النار سبعين خريفاً » فقوله : من سخط الله، أى مما يسخط الله ، وذلك بأن يكون (نميمته)كذبة أو بهتاناً أو بخساً أو باطلاً يضحك به الناس .

[**حديث صحيح**]

١٨٦٧- كما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : « ويل للذي تكلم بالكلمة من الكذب ليضحك الناس ، ويل له، ويل له » . [**حديث حسن**]

١٨٦٨- وفى حديث ابن مسعود : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الرفاهية من سخط الله ترديه(أبعد) ما بين السماء والأرض » قال أبو زياد الكلابى : الرفاهية، السعة فى المعاش والخصب ، وهذا أصل الرفاهية ، فأراد عبد الله أن يتكلم بالكلمة في تلك الرفاهية والأتراف فى دنياه مستهيناً بها لما هو فيه من النعمة ،فيسخط الله عز وجل عليه . قال أبو عبيدة: وفي الرفاهية لغة أخرى الرفاعية ، وليس فى هذا الحديث . يقال : وهو فى رفاهية ورفاعية من العيش . وقوله : «صماء بكماء عمياء » يريد أن هذه الفتنة لا تسمع ولا تبصر فلا تقلع ولا ترتفع ، لأنها لا حواس لها فترعوى إلى الحق ، وأنه شبهها - لاختلاطها وقتل البرىء فيها والسقيم - بالأعمى (و)الأصم الأخرس الذى لا يهتدى إلى شيء فهو يخبط عشواء ، والبكم: الخرس في أصل الخلقة ، والصمم : الطرش . [**خبر صحيح**]

باب الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها

والسعيد من جنبها

١٨٦٩- أبو داود عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :« يا أبا ذر» قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، وذكر الحديث قال: «كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت بالوصيف » يعنى القبر ، قلت: الله ورسوله أعلم ، أو قال: ما خار الله لى ورسوله ، قال :« عليك بالصبر » أو قال تصبر ، ثم قال :« يا أبا ذر » قلت:لبيك وسعديك ؟ قال : « كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم » قلت : ما خار الله لي ورسوله . قال : «عليك بمن أنت منه » قال : قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ سيفى فأضعه على عاتقي؟ قال: «شاركت القوم إذاً » قال : قلت : فما تأمرنى ؟ قال:« تلزم بيتك »، قال: قلت: فإن دخل على بيتى ؟ قال : « فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف،فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمة وإثمك »(أ)خرجه ابن ماجه وقال: تصبر من غير شك ، وزاد بعده قال : كيف أنت وجوع يصيب الناس حتى تأتى مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك، أو لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك » ، قال : قلت: الله ورسوله أعلم ،أو ما خار الله لى ورسوله، قال : « عليك بالعفة » ، ثم قال : « كيف أنت وقتل يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم » الحديث .

وقال : « فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار » . [**حديث صحيح بطرقه**]

١٨٧١- أبو داود قال عن المقداد بن الأسود قال : وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فواها » .

[**حديث حسن**]

١٨٧٢- الترمذى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «يأتى على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » قال : حديث غريب .

[**حديث حسن**]

فصل

قوله: بالوصيف. الوصيف الخادم يريد أن الناس يشتغلون عن دفن موتاهم، حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبر الميت ويدفنه إلا أن يعطى وصيفًا أو قيمته، وقد يكون معناه أن مواضع القبور تضيق عليهم فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر

بوصيف، وقوله : غـرقت بالدم أى لزمت والغروق اللزوم فيه، ويروى غـرقت، وأحجار الزيت : موضع بالمدينة .

١٨٧٣- روى الترمذى عن عمير مولى آبى اللحم عن آبى اللحم أنه رأى رسول الله ﷺ «يستسقى وهو مقنع بكفيه يدعو » . [**حديث صحيح**]

فصل

١٨٧٥- وأما حديث ابن مسعود : «كن مثل الجمل الأورق » ، فقال الأصمعى الأورق وهو الذى في لونه بياض إلى سواد . ومنه قيل للرماد أورق والحمامة ورقاء ذكره الأصمعى قال : وهو أطيب الإبل لحما وليس بمحمود عند العرب فى عمله وسيره ، وأما الثقال فهو البطىء قال (أبو)عبيد : إنما خص عبد الله الأورق من الإبل لما ذكر من ضعفه عن العمل ، ثم اشترط الثقال أيضًا فزاده إبطاء وثقلاً فقال : كن فى الفتنة مثل ذلك ، وهذا إذا دخل عليك وإنما أراد عبد الله بهذا التثبط عن الفتنة والحركة فيها .

فصل

١٨٧٦-وأما أمره ﷺ أبا ذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل، فقالتطائفة : ذلك عندجميع الفتن وغير جائز لمسلم النهوض فى شيء منها . قالوا: وعليه أن يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها ، وحملوا الأحاديث على ظاهرها ، وربما احتجوا من جهة النظر بأن قالوا : إن كل فريق من المقتتلين فى الفتنة فإنه يقاتل على تأويل ، وإن كان فى الحقيقة خطأ فهو عند نفسه محق وغير جائز لأحد قتله وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضى بقضاء مما اختلف فيه العلماء على ما يراه صواباً، فغير جائز لغيره من الحكام نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتاباً ولا سنة ولا جماعة . وكذلك المقتتلون فى الفتنة كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره مما يدعون من التأويل فغير جائز لأحد قتالهم ، وإن هم قصدوا (الفتنة) فغير جائز دفعهم ، وقد ذكرنا من تخلف عن الفتنة وقعد منهم عمران بن الحصين وابن عمر ، وقد روى عنهما ، وعن غيرهما منهم عبيدة السلمانى أن من اعتزل الفريقين فدخل (فى) بيته فأتى من يريد نفسه فعليه دفعه عن نفسه، وإن أبى الدفع عن نفسه فغير مصيب كقوله عليه الصلاة والسلام « من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد »

قالوا:فالواجب على كل من أريدت نفسه وماله فقتل ظلماً دفع ذلك ما وجد إليه السبيل متأولاً كان المريد أو متعمداً للظلم . [**حديث صحيح**]

١٨٧٧- **قلت** : هذا هو الصحيح فى القولين إن شاء الله تعالى . وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ، قال : « فلا تعطه مالك »، قال : أرأيت إن قاتلنى ، قال:« قاتله » قال: أرأيت إن قتلنى ، قال: «فأنت شهيد » قال : أرأيت إن قتلته قال : هو فى النار » . [**حديث صحيح**]

١٨٧٨- وقال ابن المنذر: ثبتت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد » وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم ، وهذا مذهب ابن عمر ، والحسن البصرى ، وقتادة ومالك ، والشافعى ، وأحمد وإسحاق ، والنعمان ، قال أبو بكر : وبهذا يقول عوام أهل العلم ،أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلماً ،للأخبار التى جاءت عن رسول الله ﷺ لم يخص وقتاً من وقت ولا حالاً دون حال إلا السلطان ، فإن جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار الواردة الدالة عن رسول الله ﷺ بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم ، وقد تقدم ذلك فى بابه ، والحمد لله . [**حديث صحيح**]

باب جعل الله فى أول هذه الأمة عافيتها وفى آخرها بلاءها

١٨٧٩- مسلم عن عبد الله بن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشره إذ نادى منادى يا رسول الله،الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال :« إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيدفق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ثم تنكشف،وتجيء

الفتنـة فـيقـول هـذه(هـذه)، فمن أراد أن يزحـزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيـته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلي الناس الذى يحـب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفـقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ،فإن جـاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخـر » قـال ابن عبـد الرحـمن بن عـبـد رب الكعبـة : فـدنوت منه فـقلت له: (أنشـدك) الله أنت سمـعت هذا من رسـول الله ﷺ ، فأهوى إلـى أذنيه وقلبه بـيديه وقـال سمـعتـه أذناى ووعاه قلبى فقلت له : هذا ابن عـمك مـعاوية يأمـرنا أن نأكل أمـوالنا بيننا بالبـاطل ونقـتل أنفسنا والـله عز وجل يقـول :﴿يا أيهـا الذيـن آمنوا لا تأكلوا أمـوالكم بينكم بالـبـاطل إلا أن تكون تجـارة عـن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ (الآية) فسكت ساعة ثم قال : أطعه فى طاعة الله واعصه في معصية الله . [**حديث صحيح**]

فصل

١٨٨٠–قوله « ينتضل » الانتضال الرمى بالسهام « والجشر » المال من المواشى التى ترعى أمـام البيـوت والديار ، يقـال : مال جـشر يرعـى فى مكانه لأنه يرجع إلى أهله . يقـال : جـشـرنا دوابنا أى أخـرجناهـا إلى المرعى وأصله البعـد ، ومنه يقـال للأعزب : جشـر وجشير لبعـده عن النساء ، وقوله : « يدفق بعضهـا بعضاً » أى يتلو بعضـها بعضاً ويـنصب بعضها علـى بعض . والتدفق التصـبب ، وهذا المعنى مبين فى نفس الحديث لقـوله وتجيء الفتنة ثم تنكشـف وتجيء الفـتنة وتزحزح أى تبـعد، ومنه قوله تعالى ﴿**وما هو بمزحزحه من العذاب**﴾ أى بمبعده ، وصفقة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة فى الاسـتيثـاق مع النطق باللسـان والالتـزام بالقلب ، وفي التنزيل ﴿**إن الذين يبـايعـونك إنما يبـايعـون الله يد الله فـوق أيديهم**﴾ الآيـة .

وقوله : فـاضربوا عنق الآخـر، قيل : المراد(عزله) وخلعـه وذلك قتله ومـوته ، وقيل : قطع رأسه وإذهاب نفسه يدل عليه قوله في الحـديث الآخر : فاضربوه بالسيف كائناً ما كان، وهو ظاهر الحديث، هذا إذا كان الأول عدلاً ، والله أعلم.[**خبر موقوف**]

باب
جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض خير من ظهرها

١٨٨١- مالك ، عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول : « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون » وقد تقدم هذا في أول الكتاب . قال ابن وهب : وحدثنى مالك قال : كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له: مت إن استطعت فيقول له لم ؟ قال تموت وأنت تدرى على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدرى على ماتموت عليه. قال مالك: ولا أرى عمر دعا ما دعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن . [**حديث صحيح**]

١٨٨٢- **قلت** : وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً عن أبى هريرة . روى النضر بن شميل عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم » وهذا غاية فى التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيراً من مباشرتها.

[**حديث صحيح**]

١٨٨٤- البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال:«لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه » أخرجه مسلم ، وابن ماجه بمعناه ، وزاد مثنى: وليس به الدين إلا البلاء . [**حديث صحيح**]

١٨٨٥- وروى شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الزعراء يحدث عن عبد الله قال « ليأتين على الناس زمان يأتى الرجل القبر فيقول يا ليتنى مكان هذا . ليس به حب الله ولكن من شدة ما يرى من البلاء »

١٨٨٦- **قلت** : وكان هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه ، ومن أكثر الناس أو(قللت) الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن ، وكذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال النبىﷺ «العبادة فى الهرج كهجرة إلى » وقد مضى الكلام في هذا المعنى فى أول الكتاب ، ونزيده وضوحاً إن شاء الله تعالى والله أعلم . [**حديث صحيح**]

باب
أسباب الفتن والمحن والبلاء

١٨٨٨- البزار عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « لم تظهر الفاحشة فى قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» أخرجه ابن ماجه أيضًا فى سننه .

[**حديث صحيح**]

١٨٨٩- وذكره أبو عمر بن عبد البر ، وأبو بكر الخطيب من حديث سعيد ابن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد قال : حدثنا مالك عن عمه أبي سهيل ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عمر أن رجلاً قال للنبى ﷺ :أي المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » قال : فأى المؤمنين أكيس؟ قال : «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً أولئك الأكياس » ثم قال: يا معشر المهاجرين : « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » وذكرالحديث . [**حديث حسن**]

١٨٩١- الترمذى عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ :« إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها » قال : هذا حديث غريب . [**حديث صحيح**]

١٨٩٢- ابن ماجه، عن قيس بن أبى حازم قال : قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول « إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » أخرجه أبو داود في سننه ،والترمذى فى جامعه . [**حديث صحيح**]

١٨٩٣- مسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا فتحت عليكم فارس والروم أى قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف:

نكون كما أمر الله ، فقال رسول الله ﷺ أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » . [**حديث صحيح**]

١٨٩٤- وأخرج أيضًا عن عمرو بن عوف ، وهو حليف بني عامر بن لؤى ، وكان شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : « أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ، قالوا: أجل يا رسول الله:فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط (لكم الدنيا) كما بسطت على من كان من قبلكم (فتنافسوا فيها) كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

وفى رواية : فتلهيكم كما ألهتهم بدل فتهلككم . [**حديث صحيح**]

١٨٩٥- وأخرج ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « ما أدع بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » أخرجه البخارى ومسلم أيضًا .

[**حديث صحيح**]

١٨٩٧- وأخرج أيضًا عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام خطيباً وكان فيما قال : « إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الله واتقوا النساء » خرجه مسلم أيضًا وقال : بدل قوله:فاتقوا الله واتقوا النار واتقوا النساء وزاد « فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء » .

[**حديث صحيح**]

١٨٩٨- الترمذي ، عن كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . [**حديث صحيح**]

١٨٩٩- وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن » قال : وفى الباب عن أبي هريرة .

وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثورى . [**حديث صحيح**]

فصل

١٩٠٠- حذر الله سبحانه وتعالى عباده فتنة المال والنساء فى كتابه وعلى لسان نبيه فقال عز من قائل ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم**﴾ وقال تعالى :﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ ثم قال سبحانه وتعالى :﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم**﴾ فنبه الله على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد فى آى ذكر الله(ذلك)فيها فتنة، وما كان عاصماً من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء . قال تعالى: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**﴾ ثم قال تعالى :﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات**﴾ فوصف تعالى ما للمتقين عند ربهم، ثم وصف أحوالهم بنعتهم إلى قوله ﴿**والمستغفرين بالأسحار** ﴾ وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه، ومثل هذا في القرآن كثير .

والمطيطاء : بضم الميم والمد : المشي بتبختر وهي مشية المتكبرين (المتبخترين) المفتخرين ، وهو مأخوذ من مط يمط إذا مد ، قال الجوهرى : والمطيطاء بضم الميم ممدوداً :التبختر ومد اليدين فى المشى ، وفي الحديث : «إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم » وقوله : ثم ينطلقون فى (مساكين) المهاجرين . قيل فى الكلام حذف أى فى (زى المساكين) المهاجرين ، والمعنى أنه إذا وقع التنافس والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القوى على ما أفاء الله على المسكين الذي لا يقدر على مدافعته ، فيمنعه عنه ظلماً وقهراً بمقتضى التنافس

والتحاسد .

١٩٠١- وقيل : ليس في الكلام حذف وأن المعنى المراد أن (المساكين) المهاجرين وضعفاءهم سيفتح عليهم إذ ذاك من الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض ، وهذا اختيار القاضى عياض ، والأول اختيار شيخنا أبى العباس القرطبى قال : وهو الذى يشهد له مساق الحديث ومعناه ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أخبرهم أنه يتغير بهم الحال وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية تخالف أحوالهم التى كانوا عليها من التنافس والتباغض وانطلاقهم فى مساكين المهاجرين ، فلابد أن يكون هذا الوصف غير مرضى كالأوصاف التي قبله ، وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجيهاً ، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره والله أعلم ، ويعضده رواية السمرقندى فيحملون بعضهم على رقاب بعض أى بالقهر والغلبة .

أبواب الملاحم

باب

أمارات الملاحم

١٩٠٣- أبو داود عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ «عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ،وفتح القسطنطينية خروج الدجال » . [**حديث صحيح**]

١٩٠٤- البخارى عن عوف بن مالك قال : أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال : «أعدد ستاً بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم (كقعاص) الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً » .

[**حديث صحيح**]

١٩٠٥- وخرجه أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله اثنا عشر ألفاً « ففسطاط المسلمين يومئذ فى أرض يقال لها الغوطة فى مدينة يقال لها دمشق » ذكره بإسناده أبو الخطاب بن دحية فى كتاب «مرج البحرين فى فوائد

المشرقين والمغربين » . [**حديث صحيح**]

١٩٠٦- وقال : عوف بن مالك الأشجعي : شهد موت النبى ﷺ (قال): وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتحه صلحا لخمس خلون من ذى القعدة سنة(ستة) عشر من الهجرة ، ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد أمير المؤمنين عمر ، ثم شاهد قتال الجمل وصفين، وشاهد عوف رضى الله عنه أيضاً الموتان الذى كان بالشام قبل ذلك، وهو المسمى بطاعون عمواس مات يومئذ ستة وعشرون ألفًا»وقال المدينى خمسة وعشرين ألفاً . وعمواس : بفتح العين والميم، لأنه « عم وأسى» أى جعل بعض الناس أسوة بعض ، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، والأمير الفقيه أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل . قال الإمام أحمد بن حنبل فى تاريخه : كان الطاعون عمواس سنة ثمانية عشر . رواه عن أحمد أبو زرعة الرازى قال : كان الطاعون سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وفى سنة سبع عشرة رجع عمر من سرغ ، وموتان بضم الميم هى لغة، وغيرهم يفتحونها وهو اسم الطاعون والموت .

وقوله :(كقعاص) الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها قاله أبو عبيدة،لأن (القعاص) الموت (المعجل) ويقال بالسين ،وقيل هو داء يأخذ فى (الصدور) كأنه يكسر العنق، وقد انقضت هذه الخمس ،وعاش عوف بن مالك إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ،وقد أربى بصفين على المائة ، وقال الواقدى : مات عوف بن مالك بالشام سنة ثلاث وتسعين ، فإن صح ما قال فقد مات فى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان إن لم يكن تصحيفاً منه ، والله أعلم .

[**حديث صحيح**]

باب ما ذكر فى ملاحم الروم وتواترها وتداعى الأمم على أهل الإسلام

١٩٠٧- ابن ماجه ، عن عوف بن مالك الأشجعى قال : قال رسول الله ﷺ « يكون بينكم وبين بنى الأصفر هدنة،فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين راية تحت كل (راية) اثنا عشر ألفًا » . [**حديث صحيح**]

١٩٠٨- وعن ذى مخمر ، وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال :

سمعت النبى ﷺ يقول : « ستصالحكم الروم صلحاً آمناً ، ثم تغزون أنتم وهم عدواً فتنصرون وتغنمون وتقتسمون وتسلمون ، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من (أصحاب) أهل الصليب صليبه ، فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه ، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون الملحمة ، فيأتون تحت ثمانين راية كل راية اثنا عشر ألفاً » . [**حديث صحيح**]

١٩٠٩- وأخرجه أبو داود وزاد « ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة » .

وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وإسناده صحيح ثابت ، وذو مخمر بالميم لا غير ، وهو ابن أخى النجاشى ، قاله الأوزاعى ، وقد عده أبو عمر في موالى رسول الله ﷺ قاله ابن دحية . [**حديث صحيح**]

١٩١٢- مسلم عن بشير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هجيرى ألايا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة . قال: فقعد وكان متكئاً فقال : « إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام ، فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام (ويجمع)لهم أهل الإسلام . قلت : الروم تعنى؟قال : نعم،ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة،فيقتتلون حتى يمسوا، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، وإذا كان يوم الرابع (يهل) إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة إما قال : لم ير مثلها ، وإما قال: لا يرى مثلها ، حتى إن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً ،فيتعادى بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد ، فبأى غنيمة يفرح وبأى ميراث يقسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك ، فجاءهم الصريخ ، فقال : إن الدجال قد خرج في ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال : قال رسول الله ﷺ « إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض أو من خير فوارس يومئذ » .

[**حديث صحيح**]

١٩١٣- أبو داود عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ:« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل من القوم : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله، وما الوهن ؟ قال :حب الدنيا وكراهة الموت » . [**حديث حسن**]

فصل

١٩١٤- قوله: بني الأصفر . يعنى الروم ، وفي تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما : أن جيشاً من الحبشة غلبوا على ناحيتهم فى بعض الدهر ، فوطئوا نساءهم فولدن أولاداً صفراً .قاله ابن الأنبارى .

الثانى : أنهم نسبوا إلى (بنى) الأصفر ابن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام قاله ابن إسحاق ، وهذا أشبه من القول الأول . والهدنة : الصلح . والغاية : الراية ، كما جاء مفسراً فى الحديث بعده . سميت بذلك لأنها تشبه السحابة لمسيرها فى الجو ، والغاية والصابة السحابة ، وقد رواها بعض رواة البخارى تحت ثمانين غابة بباء مفردة النقطة، وهى الأجمة شبه اجتماع رماحهم وكثرتها بالأجمة التى هى الغابة ، والصحيح الأول لأنها تظل الأجناد لكثرة راياتهم واتصال أوليتهم وعلاماتهم كالسحاب الذى يظل الإنسان .

١٩١٥- وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن تحت كل غاية اثنى عشر ألفًا ، فجملة العدو تسعمائة ألف وستون ألفاً » ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية . وقد روى مرفوعاً في حديث فيه طول عن حذيفة : أن الله تعالى يرسل ملك الروم وهو الخامس من (آل هرقل) يقال له « ضمارة » وهو صاحب الملاحم ، فرغب إلى المهدى فى الصلح ، وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون ، فلا تبقى لرومى حرمه ، ويكسرون لهم الصليب ، ثم يرجع المسلمون إلى دمشق ، فبينما الناس كذلك إذا برجل من الروم قد التفت فرأى أبناء الروم وبناتهم فى القيود والأغلال فتغيرت نفسه فيرفع الصليب ويرفع صوته فيقول : ألا من كان يعبد الصليب فلينصره ، فيقوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول : الله أغلب وأنصر ، فحينئذ يغدرون وهم أولى

بالغدر ، فيجمعون عند ذلك ملوك الروم فى بلادهم خفية، فيأتون إلى بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون، والمسلمون قد أخذوا منهم الأمن وهم على غفلة أنهم مقيمون على الصلح ، (فيأتون) أنطاكية فى اثنى عشر ألف راية ،تحت كل راية اثنا عشر ألفًا ، فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشام ولا بأنطاكية نصرانى إلا ويرفع الصليب ، فعند ذلك يبعث المهدى إلى أهل الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة والعراق يعرفهم بخروج الروم وجمعهم ، ويقول لهم أعينونى على جهاد عدو الله وعدوكم، فيبعث إليه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على ساحل الفرات، وحل بنا ما شغلنا عنك ،فيأتى إليه بعض أهل الكوفة والبصرة ، ويخرج إليهم المهدى ، ويخرج معهم المسلمون إلى لقائهم فيلتقى بهم المهدى ومن معه من المسلمين ، فيأتون إلى دمشق فيدخلون فيها فتأتى الروم إلى دمشق فيكونون عليها أربعين يوماً ، فيفسدون البلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديار ويقطعون الأشجار ، ثم إن الله تعالى ينزل صبره ونصره على المؤمنين فيخرجون إليه ، فتشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير ، فيا لها من وقعة ومقتلة ما أعظمها، وما أعظم هولها ، ويرتد من العرب يومئذ أربع قبائل سليم ونهد وغسان وطيئ ، يلحقون بالروم ويتنصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسيم ، ثم إن الله تعالى ينزل النصر والصبر والظفر على المسلمين ، فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل فى دمائهم وتشتعل الحرب بينهم ، حتى إن الحديد يقطع بعضه بعضاً ، وإن الرجل من المسلمين ليطعن العلج بالسفود فينفذه وعليه الدرع من الحديد ، فيقتل المسلمون من المشركين خلقاً كثيراً حتى تخوض الخيل فى الدماء ، وينصر الله تعالى المسلمين ويغضب على الكافرين ، وذلك رحمة من الله تعالى لهم، فعصابة من المسلمين يومئذ خير خلق الله

والمخلصين من عباد الله ليس فيهم مارد ولا مارق ولا شارد ولا مرتاب ولا منافق ، ثم إن المسلمين يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن والحصون، فتقع أسوارها بقدرة الله (تعالى) ، فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الأموال ويسبون النساء والأطفال ، ويكون أيام المهدى أربعين سنة: عشر سنين فى المغرب ، واثنتا عشرة بالكوفة، واثنتا عشرة بالمدينة ، وستة بمكة ، وتكون منيته فجأة بينما الناس كذلك إذ تكلم الناس بخروج الدجال اللعين ، وسيأتي من أخبار المهدي ما فيه كفاية إن شاء

الله تعالى .

١٩١٦- وقوله : ليس له هجير . الهجير : الدأب و العادة . يقال : ما زال ذلك هجيراه وإهجيراه وإجيراه أى دأبه وعادته ، وهاجت : أى تحركت ريح حمراء أى شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الأرض ، فظهرت حمرتها ، ولما رأى ذلك الرجل جاء مجيء الخائف من قرب الساعة والشرطة هنا بضم الشين أول طائفة من الجيش تقاتل . سموا بذلك لعلامة تميزوا بها ، والأشراط العلامات ، وتفني الشرطة أى تقتل ، وتفيء : ترجع . ومنه﴿**حتى تفىء إلى أمر الله**﴾ ونهد: تقدم ، ومنه سمى النهد نهداً لتقدمه الصدر ، والدايرة ويروى والدائرة والمعنى متقارب . قال الأزهرى : الدائرة الدولة تدور على الأعداء ، والدائرة:النصر والظفر، يقال : لمن الدائرة ، أى لمن الدولة ، وعلى من الدائرة؟ أى الهزيمة . قاله أبو عبيد الهروى . والجنبات جمع جنبة وهى الجانب ، ويروى بجشمانهم أى بأشخاصهم ، وقوله : إذ سمعوا بناس بنون وسين . هم أكثر بالثاء المثلثة ، ويروى بباس بباء واحدة أكبر بباء واحدة أيضًا ، وهو الأمر الشديد وهو الصواب (كرواية) أبى داود وإذ سمعوا بأمر هو أكبر من ذلك ، والصريخ :الصارخ أى المصوت عند الأمر الهائل ، ويرفضون أى يرمون ويتركون ، والطليعة الذى يتطلع الأمر ويستكشفه ، وتداعى الأمم :اجتماعها ودعا بعضها بعضاً حتى تصير العرب بين الأمم كالقصعة (بين) الأكلة ، وغثاء السيل ما يقذف به على جانب الوادى من الحشيش والنبات والقماش ، كذلك الغثاء بالتشديد . والجمع : الأغثاء . والله أعلم .

باب
ما جاء فى قتال الترك وصفتهم

١٩١٨- البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم ، حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين ، وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر». [**حديث صحيح**]

١٩١٩- وخرج مسلم عن أبى هريرة أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ «يقاتلون بين يدى الساعة قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه صغار الأعين ذلف الأنوف ، وفى رواية يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر »

أخرجه البخارى ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه، والترمذى وغيرهم .

[**حديث صحيح**]

١٩٢٠- وخرجه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ:«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه ، كأن أعينهم حدق الجراد ، وكأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعور ، ويتخذون الدرق يربطون خيولهم بالنخيل » . [**حديث صحيح**]

١٩٢١- أبو داود ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه عن النبى ﷺ فى حديث «يقاتلونكم قوم صغار الأعين يعنى الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب فأما فى السياقة الأولى فينجو منهم من هرب، وأما فى الثانية فينجو بعضهم ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون » . [**حديث حسن**]

فصل

١٩٢٢- قوله : المجان المطرقة . المجان جمع مجن وهو الترس والمطرقة هى التى قد عوليت بطراق وهو الجلد الذى يغشاه،شبه وجوههم فى عرضها ونتوء وجناتها بالترس والمطرقة ، قال معناه الخطابى وغيرد وقيده القاضى عياض رحمه الله فى كتاب مشارق الأنوار له ، فقال : الصواب فيه المطرقة بفتح الطاء وتشديد الراء .

قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، قال لى شيخنا المحدث الكبير اللغوى النحوى أبو إسحاق الحمزى بل الصواب فيه المطرقة بسكون الطاء وفتح الراء أى التى أطرقت بالعقب أى ألبست حتى غلظت وكأنها ترس على ترس ، ومنه طارقت النعل إذا ركبت جلداً على جلد وخرزته عليه . حديث«يقاتلونكم قوم صغار الأعين يعنى الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب،فأما فى السياقة الأولى فينجو منهم من هرب، وأما فى الثانية فينجو بعضهم ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون » .

١٩٢٣-قال المؤلف رحمه الله تعالى:هذا معنى ما نقلناه عن الخطابى، وقال أهل اللغة : وفى الصحاح والمجان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة ، يقال : أطرقت الجلد والعصب أى ألبسته وترس مطرق ، وقولهم : نعالهم الشعر أى يصنعون من الشعر حبالاً ويصنعون منها نعالاً كما يصنعون منه

ثياباً ويشهد بهذا قوله يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر هذا ظاهره ، ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهى إذا أسدلوها كاللباس وذوائبها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال ، والأول أظهر .

١٩٢٤- قال ابن دحية : إنما كان نعالهم من ضفائر الشعر أو من جلود مشعرة لما فى بلادهم من الثلج العظيم الذى لا يكون فى بلد كبلادهم ، ويكون من جلد الذئب وغيره . وقوله : يلبسون الشعر فهو إشارة إلى الشرابيش التى يدار عليها بالقندس ، والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز ، وذوات الصوف كالضأن ، وذوات الوبر كالإبل ، وقوله : ذلف الأنف أى غلاظها ، ويقال : أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح ، والذلف فى اللغة تأخر الأرنبة ، وقيل تطامن فيها ، وقيل فطس الأنوف كما فى حديث البخارى عن أبى هريرة ، فالحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، ويروى دلف الأنوف بالدال المهملة والمعجمة أكثر .

١٩٢٥- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رضي الله عنه: وخوزا قيدناه فى صحيح البخارى ومسلم بالزاى،وقيده الجرجانى فى خور كورمان بالراء المهملة مضافاً إلى كرمان ، وكذا صوبه الدارقطنى بالراء المهملة مع الإضافة ، وحكاه عن الإمام أحمد بن حنبل ، وقال : إن غيره صحف فيه ، وقال غير الدار قطنى إذا أضيف فبالراء المهملة لا غير، وإذا عطفته فبالزاى لا غير ، ويقال : إنهما جنسان .

باب
فى سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم

١٩٢٦-روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده قال:حدثنا أبو نعيم ، حدثنا بشير بن المهاجر قال : حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ فسمعت النبى ﷺ يقول : « إن أمتى يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الحجف ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ، أما السياقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجو بعض ،وأما السياقة الثالثة فيصطلمون كلهم من بقى منهم،قالوا يا نبى الله من هم ؟ قال : هم الترك، قال : أما والذى نفسى بيده ليربطون خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين» ، قال : وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب

مما سمع من رسول الله ﷺ من البلاء من الترك .

قال الإمام أبو الخطاب عمر بن دحية:وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة والصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، عن الإمام العدل المجمع على ثقته أبي نعيم الفضل بن دكين ، وبشير بن المهاجر ثقة، رأى أنس بن مالك وروى عنه جماعة من الأئمة فوثقوه . [**حديث حسن**]

١٩٢٧- قال المؤلف رحمه الله:وخرج أبو داود قال:حدثنا جعفر بن مسافر قال : حدثنا خلاد بن يحيى ،حدثنا بشير بن مهاجر قال :حدثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، عن النبى ﷺ في حديث«يقاتلونكم صغار الأعين يعنى الترك» قال:تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب، فأما فى السياقة الأولى فينجو منهم من هرب ، وأما الثانية فينجو بعض ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون . [**حديث حسن**]

فصل

الاصطلام : الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع . اصطلمت أذنه إذا استوفيت بالقطع ، وأنشد الفراء :

* ثمت اصطلمت إلى الصماخ فلا قرن ولا أذن *

والحديث الأول يدل على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم ، وقد وقع ذلك على نحو ما أخبر ﷺ ، فخرج منهم فى هذا الوقت أنهم لا يحميهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم .

١٩٢٨- قال الحافظ السيد بن دحية رضى الله عنه : يخرج فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستمائة جيش من الترك يقال له(التتر)، عظم فى قتله الخطب والخطر، وقضى له من قتل النفوس المؤمنة الوطر، ولم تهتد إلى دفعه بالحيل الفطر،يقتلون من وراء النهر وما دونه من جميع البلاد بلاد خراسان ومحو رسوم ملك بنى ساسان، وهذا الجيش ممن يكفر بالرحمن ويرى أن الخالق المصور هما النيران ، وملكهم يعرف بخان خاقان ، وخربوا بيوت مدينة نشاور ، وأطلقوا فيها النيران ، وخار عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبأ في المغارات والكهفان ، حتى وصلوا إليها ، وقتلوا وسبوا (وخربوا) البنيان ، وأطلقوا

الماء على المدينة من نهر جيحان ، فغرق فيها مبانى الذرا والأركان ثم صيروا المشهد الرضوى بطوس أرضاً بعد أن كانوا ، وقطعوا ما أمر الله عز وجل به أن يوصل من الدين بأخسر الأديان إلى أن وصلوا بلا قهستان ، فخربوا مدينة الرى وقزوين وأبهر وزنجان ، ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرسى بلاد أذربيجان، واستأصلوا شأفة من فى هذه البلاد من العلماء والأعيان ، واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ، ثم وصلوا إلى العراق الثانى وأعظم مدنه مدينة أصبهان ، ودور سورها أربعون ألف ذراع فى غاية الارتفاع والإتقان، وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن، وكف الكفر عنهم بأيمان الإيمان ، وأنزل عليهم مواد التأييد والإحسان ، فتلقوهم بصدور هي فى الحقيقة صدور الشجعان ، وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان ، واجتمع فيها مائة ألف ألف إنسان ، وخرجوا إليهم كأسد ولكن غاباتها عوامل الخرصان ، وقد لبسوا البيض كثغور الأقحوان ، وعليهم دروع فضفاضة فى صفاء الغدران، وهيئات للمجاهدين درجات الجنان ، وأعدت للكافرين دركات النيران، وبرز إلى الطظر القتل في مضاجعهمْ ، وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم ، فمرقوا عن أصبهان مروق السهم من الرمى وأنشدوا :

* إلى الوادى فطم على القرى *

ففروا منهم فرار الشيطان يوم بدر له خصاص ، ورأوا أنهم إن وقفوا لم يكن لهم من الهلاك محاص ، وواصلوا السير بالسرى وهدوا من همدان الوهاد والذرى، بعد أن قامت الحرب على ساق ، والأرواح فى مساق من ذبح مثله وضرب الأعناق ، وصعدوا جبل أوزند فقتلوا من فيه من جموع صلحاء المسلمين ، وخربوا ما فيه من الجنات والبساتين ، وانتهكوا منهم نسائهم حرمات الدين ، وكانت استطالتهم على مقدار ثلثى بلاد المشرق الأعلى ، وقتلوا فيها من الخلائق مالا يحصى ، وقتلوا فى العراق الثانى عدة تقرب أن يستقصى،وربطوا خيولهم فى سوارى المساجد والجوامع،كما جاء فى الحديث المنذر لخروجهم الشارح الجامع ، وأوغلوا فى بلاد المشرق أي إيغال ، وقادوا الجيوش إليها مقادة أبى رغال فى كلام له إلى أن قال : وقطعوا السبل وأخافوها ، وجاسوا خلال الديار وطافوها،وملأوا قلوب المؤمنين رعبًا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبًا، وحكموا سيوفهم في رقاب أهلها

وأطلقـوا يد التـخـريب فى وعـرها وسـهلـهـا ، ولاشـك أنهم هم المنذر بـهم فى الحديث،وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون في الآخرة منها.

١٩٢٩- قال المؤلف رحمه الله : فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ، ولم يبق إلا قتلهم وقتالهم ، فخرجوا على العراق الأول والثانى كما ذكرناه، وخرجوا فى هذا الوقت على العراق الثالث بغـداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من كـان فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد ، وحصروا ميا فـارقين واستباحوا جميع من فيها من الملوك والمسلـمين ، وعبروا الـفرات إلى أن وصـلوا إلى مـدينة حلب فـخـربوها، وقتلوا مـن فـيهـا إلى أن تـركـوهـا خالية يباباً ، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جمـيع الشام فى مـدة يسيـرة من الأيام، وفلقوا بسـيـوفهم الرؤوس والهـام ، ودخل رعبـهم الديار المصـرية ولم يبق إلا اللحوق بالدار الأخـروية ، فخـرج إليهم من مـصر الملك المظـفر الملقب بقطز رضى الله عنه بجميع من معـه من العسكر ، وقد بلغت الحناجر القلوب والأنفس بعزيمة صادقة ، ونية خـالصة ، إلى أن التقى بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والـظفر ،كمـا كان لطالوت فـقتل منهم جـمع كثير وعدد غـزير، وانجلوا عن الشام من ساعتهـم ورجع جميعه كما كان إلى الإسلام ، وعـبروا الفرات منهزمين ، ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمـان ولا حين ، وراحوا خائبين خاسـرين مدحورين أذلاء صاغرين .

بابـ منه
وما جاء في ذكر البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية

١٩٣٠- أبو داود الطيـالسى قال : حـدثنا الحشـرج بن نباتة الكوفى ، حـدثنا سعـيد بن جمـهان عن عبـد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ :« لتنزلن طائفة من أمتى أرضًا يقال لها الـبصرة ويكثر بها عددهم ونحلهم ، ثم يجيء قوم من بنى قنـطورا عراض الوجوه صغـار الأعين، حتى ينزلوا على جـسر لهم يقال له:دجلة ، فـيتفرق المسلمـون ثلاث فرق : أما فـرقة فتأخـذ بأذناب الأبل فتلحق البادية فـهلكت ، وأما فرقـة فتأخـذ على أنفسهـا وكفرت، وهذه وتلك سـواء ، وأما فرقة فيجعلون عيالاتهم خلف ظهـورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء ، ويفتح الله علي بقيتهم » . [**حديث حسن**]

١٩٣١- وخرجه أبو داود السختياني في سننه بمعناه. فقال : حدثنا محمد ابن يحيى بن فارس ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنا سعيد بن جمهان حدثنا مسلم بن أبى بكرة قال : سمعت أبى يحدث أن رسول الله ﷺ قال: « ينزل ناس من أمتى بغائط يسمونه البصرة، عند نهر يقال له : دجلة ، يكون عليه جسر ، يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين . قال ابن يحيى وهو محمد : قال معمر : ويكون من أمصار المسلمين فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطورا ، عراض الوجوه ، صغار الأعين ، حتى ينزلوا على شط النهر ، فيتفرق أهلها ثلاث فرق : فرقة تأخذ أذناب البقر،والبرية ، وهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذريتهم خلف ظهورهم، ويقاتلون وهم الشهداء». [**حديث حسن**]

فصل

١٩٤٠- قوله : المجان بفتح الجيم جمع مجن بكسر الميم وهو الترس، والمطرقة هى التى قد عدلت بطراق ، وهو الجلد الذى يغشاه شبه وجوههم في عرضها، ونتوء وجناتها بالترسة والمطرقة. وفى الصحاح : والمجان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض : كالنعل المطرقة المخصوفة ، ويقال : أطرقت بالجلد والعصب ، أى لبست ، وترس مطرق ، وقوله : نعالهم الشعر ، أى يصنعون من الشعر حبالاً ويصنعون منها نعالاً كما يصنعون منه ثيابهم ، ويشهد لهذا قوله يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر هذا ظاهره ، ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهى إذا أسدلوها كاللباس وذوائبها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال ، والأول أظهر والله أعلم . وقوله : ذلف الأنف أى غلاظها يقال : أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح وأنوف ذلف ، والاصطلام : الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع .

قوله : بغائط الغائط : المطمئن من الأرض ، والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة ، وبنو قنطورا ، هم الترك يقال إن قنطورا جارية كانت لإبراهيم عليه (الصلاة و)السلام ولدت له أولاداً من نسلهم الترك . وقيل : هم من ولد يافث وهم أجناس كثيرة ، فمنهم أصحاب مدن وحصون ، ومنهم قوم فى رؤوس الجبال والبرارى والشعاب ليس لهم عمل غير الصيد، ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم فى مصران فأكله ، وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين ،

ومنهم من كـان على دين المجوسية ، ومنهم من تهـود وملكهم الذى يقال له خـاقان يلبس الحـرير وتاج الذهب ، ويحتـجب كثيراً ، وفـيهم بأس شـديد ، وفيـهم سـحر وأكثرهم مجوس .

وقال وهب بن منبه : الترك بنوعم يأجوج ومأجـوج يعنى أنهم كلهم من ولد يافث .

وقيل : إن أصل التـرك أو بعضهم من اليمن من حـمير ، وقيل فـيهم : إنهم من بقايا قوم تبع ، والله أعلم . ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإبانة .

باب
ما جاء في فضل الشام وأنه معقل من الملاحم

١٩٤٢- البزار ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :« بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسى، فظننت أنه مـذهوب به فأتبعته بصرى ، فعـمد بـه إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالـشام » خرجه أبو بكـر أحمد بن (سليمـان)النجار ، وقـال عمود الإسـلام . قال أبو محـمد عبـد الحـق : هذا حديث صحيح ، ولعل هذه الفتن هى التى تكون عند خروج الدجال ، والله ورسوله أعلم .

١٩٤٥- أبو داود ، عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:«**قسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب دينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام** »
[**حديث صحيح**]

باب
ما جاء في المدينة ومكة وخرابهما

١٩٤٨- مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:« تبلغ المساكن أهاب أو يهـاب » قال زهير : قلت لـسهيل فكم ذاك من المدينة ؟ قـال: كذا وكذا ميلاً . [**حديث صحيح**]

١٩٤٩- أبو داود عن ابن عمـر قال : قـال رسول الله ﷺ:«يوشك المسلمون أن يحاصـروا إلى المدينة حتى يكون أبعـد مسالحـهم سلاح » قـال الزهرى : وسلاح قريب من خيبر . [**حديث صحيح**]

١٩٥٠- قلت : المسـالـح : المطالع ويقـال القـوم مسـتـعـد بـهم في المراصـد ويرتبون لذلك ، وسـموا بذلك لحملهم السلاح ،وقـال الجوهرى : والمسلحة كالـثغر والمرقب . وفى الحـديث كـان أدنى مسـالح فـارس إلى العرب العـذيب قـال بشـر :

بكـل قـيـاد مـسنفـة عنـود أضـر بهـا المسـالح (والعـوار)

القياد : حبل تقاد به الدابة . والمسنف : المتقدم :يقال : أسنف الفرس أى تقدم الخيل ،فإذا سمعت في الشعر مسنفة بكسر النون ، فهي من هذا وهى الفرس التى تتقدم الخيل فى سيرها ، والعنود : من عند عن الطريق يعند بالضم عنوداً أى عدل فهو عنود، والعنود أيضًا من النوق التي ترعى ناحية ، والجمع عند . ومنه قوله تعالى : ﴿ إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾ أى مجانباً للحق معانداً له معرضاً عنه . يقال عند الرجل إذا عتا وجاوز قدره .

١٩٥١- مسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى ، يريد عوافى السباع والطير ، ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا (بلغا) ثانية الوداع خرا على وجهيهما » . [**حديث صحيح**]

١٩٥٢- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ للمدينة :« ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي يعنى السباع والطير » وعن حذيفة قال : أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة . [**حديث صحيح**]

١٩٥٣- وذكر أبو زيد عمر بن شبة فى كتاب المدينة على ساكنها الصلاة والسلام عن أبي هريرة قال : « ليخرجن أهل المدينة خير ما كانت . نصفها زهو ونصفها رطب » قيل : ومن يخرجهم منها يا أبا هريرة ؟ قال : «أمراء السوء » .

[**خبر موقوف**]

١٩٥٤- قال أبو زيد ، وحدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا الوليد بن مسلم، (قال:)حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير ،عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلئ ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدًا».

١٩٥٥- وخرج عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «ليخرجن أهل المدينة ثم ليعودون إليها ، ثم ليخرجن منها ثم لا يعودون إليها أبداً ، وليدعنها

وهي خير ما تكون مونقة. قيل فمن يأكله ؟ قال : الطير والسباع».[حديث صحيح]

١٩٥٦- وخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « والذى نفسى بيده لتكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد » . [خبر موقوف]

١٩٥٧- وعن الشيبانى قال :« لتخربن المدينة والبنود قائمة ».البنود جمع بند وهو العلم الكبير، قاله في النهاية.قال مسلم ،عن أبي هريرة (رضى الله عنه)عن النبى ﷺ « يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة». [حديث صحيح]

١٩٥٨- البخارى عن ابن عباس(رضى الله عنهما)عن النبىﷺ قال: «كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرا حجراً، الفحج : تباعد ما بين الفخذين .

[حديث صحيح]

١٩٦١- أبو داود الطيالسى،عن أبي هريرة(رضى الله عنه)،عن النبى ﷺ : «يبايع لرجل بين الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلاتسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه » . ذكر الحليمى فيما ذكر أنه يكون فى زمن عيسى عليه (الصلاة و)السلام وأن الصريخ يأتيه بأن ذا السويقتين الحبشى قد سار إلى البيت لهدمه ، فيبعث إليه عيسى عليه (الصلاة و)السلام طائفة من الناس ما بين الثمان إلى التسع . [حديث صحيح]

١٩٦٢- وذكر أبو حامد في كتاب مناسك الحج له وغيره ،ويقال : لا تغرب الشمس يوماً إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر ، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحججها أحد، ثم يرتفع القرآن من المصاحف فيتصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ، ثم ترجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال، وينزل عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و)السلام فيقتل الدجال، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب (يتوقع) ولادتها .

١٩٦٣- وفي الخبر : استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن (يرفع) فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة .

قال المؤلف رحمه الله: وقيل : إن خرابه يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ، وذلك بعد موت عيسى عليه السلام وهو الصحيح في ذلك على ما يأتي بيانه .(والله أعلم). [**حديث صحيح**]

فصل

١٩٦٤- ثبت في الصحيح الدعاء للمدينة والحث على سكناها . فقال رسول الله ﷺ: « يأتي على الناس (زمان)يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء ، هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه إلا أن المدينة كالكير تخرج الخبث. لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » رواه أبو هريرة وخرجه مسلم . [**حديث صحيح**]

١٩٦٥- خرج عن (سعد) بن أبى وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » . [**حديث صحيح**]

١٩٦٦- ونحوه عن أبي هريرة رضى الله عنه، ومثل هذا كثير ،وهو خلاف ما تقدم ، وإذا كان هذا فظاهره التعارض وليس كذلك ، فإن الحض على سكناها ربما كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها ، كما جاء فى حديث سفيان بن أبى زهير.قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:«تفتح اليمن فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح الشام فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح العراق فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » رواه الأئمة واللفظ لمسلم فحض ﷺ على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار ، لأنها مستقر الوحى وفيها مجاورته ، ففى حياته صحبته ، ورؤية وجهه الكريم ، وبعد وفاته مجاورة جدثه الشريف ، ومشاهدة آثاره العظيمة . [**حديث صحيح**]

١٩٦٧- ولهذا قال : « لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت شفيعاً أو

شهيداً له يوم القيامة » . [**حديث صحيح**]

١٩٦٨- وقال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن مات بها، ثم إذا تغيرت الأحوال، واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح والانتقال منها حسناً غير قادح » . [**حديث صحيح**]

فصل

١٩٦٩- وأما قوله : « من أراد أهل المدينة بسوء » فذلك محمول على زمانه وحياته ، كما في الحديث الآخر : « لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه » وقد خرج منها بعد موته ﷺ من الصحابة من لم يعوضها الله خيراً منه ، فدل علي أن ذلك محمول على حياته ، فإن الله تعالى كان يعوض أبداً رسوله ﷺ خيراً ممن رغب عنه وهذا واضح ، ويحتمل أن يكون قوله : أذابه الله كناية عن إهلاكه في الدنيا قبل موته ، وقد فعل الله (تعالى) ذلك بمن غزاها وقاتل أهلها كمسلم بن عقبة إذ أهلكه الله عند منصرفه عنها إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير . (ابتلاه) الله بالماء الأصفر في بطنه، فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث (ليال) .

١٩٧٠- وقال الطبري : مات بهرشى وذلك بعد الوقعة بثلاث ليال ، وهرشى جبل من بلاد تهامة على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة، وكإهلاك يزيد بن معاوية إثر إغرائه أهل المدينة حرم النبي المختار وقتله بها بقايا المهاجرين والأنصار ، فمات بعد هذه الوقعة ، وإحراق الكعبة بأقل من ثلاثة أشهر،ولأنه توفى بالذبحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول بحوارين من قرى حمص ، وحمل إلى دمشق وصلى عليه ابنه خالد . وقال المسعودي : صلى عليه ابنه معاوية ودفن في مقبرة باب الصغير ، وقد بلغ سبعًا وثلاثين سنة فكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً.

فصل

١٩٧١- وأما قوله : « تتركون المدينة » حدثنا المخاطب فمراده غير المخاطبين ، لكن نوعهم من أهل المدينة،أو نسلهم ، وعلى خير ما كانت عليه فيما قبل ، وقد وجد هذا الذي قاله النبي ﷺ وذلك أنها صارت بعده ﷺ معدن الخلافة وموضعها، ومقصد الناس ، وملجأهم ، ومعقلهم ،حتى تنافس الناس فيها، وتوسعوا في

خططها، وغرسوا ، وسكنوا منها ما لم يسكن قبل ، وبنوا فيها وشيدوا،حتى بلغت المساكن أهاب ،فلما انتهت حالها كمالاً وحسنًا تناقص أمرها إلى أن أقفرت جهاتها بتغلب الأعراب عليها وتوالى الفتن فيها ، فخاف أهلها ، وارتحلوا عنها ، وصارت الخلافة بالشام ، ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزى فى جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ،وفيه يقول الشاعر :

فإن تقتلونا يوم حرة واقم ... فإنا على الإسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا لذى الحجة سنة ثلاث (وستين) ، ويقال لها حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد رسول الله ﷺ فقتل بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبع مائة . وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل من قريش، وسبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً فى الحرب وصبراً.

١٩٧٢- وقال الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم فى المرتبة الرابعة: وجالت الخيل فى مسجد رسول الله ﷺ وبالت وراثت بين القبر والمنبر ، أدام الله تشريفها، وأكره الناس على أن يبايعوا ليزيد ، على أنهم عبيد له إن شاء باع، وإن شاء أعتق ، وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة ، البيعة على حكم القرآن والسنة ، فأمر بقتله ، فضربت عنقه صبراً .

وذكر الإخباريون أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها لعوافى الطير والسباع كما قال ﷺ ، ثم تراجع الناس إليها، وفي حال خلوها غدت الكلاب على سوارى المسجد ، والله أعلم .

١٩٧٣- وذكر أبو زيد عمر بن شبة قال : حدثنا صفوان عن شريح ابن عبيد أنه قرأ كتاباً بالكعبة : ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهى مذللة حتى تبول السنانيرعلى قطائف الخزما يروعها شيء ، وحتى تخرق الثعالب فى أسواقها ما يروعها شيء ، وأما قوله فى الراعيين حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجهيهما، فقيل سقطا ميتين . [**إسناده صحيح إلى شريح والخبر مقطوع**]

١٩٧٤- قال علماؤنا : وهذا إنما يكون فى آخر الزمان، وعند انقراض الدنيا،

بدليل ما قال البخاري في هذا الحديث : آخر من يحشر راعيان من مزينة . وقيل : معناه آخر من يموت فيحشر ، لأن الحشر بعد الموت ، ويحتمل أن يتأخر حشرهما لتأخر موتهما .

قال الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر في شرح البخاري له : وقوله في الراعيين ينعقان بغنمهما ، يعني : يطلبان الكلأ .

وقوله:وحشا يعني خالية،وقوله ثنية الوداع موضعاً قريباً من المدينة مما يلي مكة.

وقوله : خرا على وجهيهما، يعني:أخذتهما الصعقة حين النفخة الأولى وهو الموت .

وقوله : آخر من يحشر ،يعني: أنهما بأقصى المدينة فيكونان في أثر من يبعث منها ليس أن بعض الناس يخرج بعد بعض من الأجداث إلا بالشيء المتقارب يقول الله تعالى : ﴿ **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾.

١٩٧٥- وقول النبي ﷺ : « يصعق الناس فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أو كان من الذين استثنى الله »

وقال شيخنا أبو العباس القرطبي : ويحتمل أن يكون معناه: آخر من يحشر إلى المدينة أي يساق إليها ، كما في كتاب مسلم رحمه الله تعالى . [**حديث صحيح**]

١٩٧٦- قال المؤلف رحمه الله : وقد ذكر ابن شبة خلاف هذا كله ، فذكر عن حذيفة بن أسيد قال : آخر الناس يحشر رجلان من مزينة يفقدان الناس ، فيقول أحدهما لصاحبه : قد فقدنا الناس منذ حين،انطلق بنا شخص بني فلان، فينطلقان،فلا يجدان بها أحداً ،ثم يقول:انطلق بنا إلى المدينة ، فينطلقان ، فلا يجدان بها أحداً ، ثم يقول : انطلق بنا إلى منازل قريش ببقيع الغرقد، فينطلقان، فلا يريان إلا السباع والثعالب،فيوجهان نحو البيت الحرام .

١٩٧٧- وقد ذكر عن أبي هريرة قال: « آخر من يحشر رجلان : رجل من جهينة، وآخرمن مزينة،فيقولان : أين الناس؟! فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب ، فينزل إليهما ملكان، فيسحبانهما على وجهيهما حتى يلحقاهما بالناس » .

[**حديث صحيح**]

فصل

١٩٧٨- وأما قوله فى حديث أبي هريرة : يبايع لرجل بين الركن والمقام ، فهو المهدي الذى يخرج فى آخر الزمان،على ما نذكره أيضًا ،يملك الدنيا كلها . والله أعلم .

فروى أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران . فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر ،والكافران: نمروذ وبخت نصر ، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي .

باب فى الخليفة الكائن فى آخر الزمان المسمى بالمهدى وعلامة خروجه

١٩٧٩- مسلم عن أبي نضيرة قال:كنا جلوساً عند جابر بن عبد الله فقال:يوشك أهل العراق أن لا يجيء قفير ولا درهم إليهم.قلنا: من أين؟ قال : من قبل العجم يمنعون ذلك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدى . قلنا من أين لك ذلك ؟قال : من قبل الروم ثم سكت هنيهة ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ:« يكون في آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عداً»قيل لأبى نضرة وأبى العلاء تريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قالا: لا. [**خبر صحيح**]

١٩٨٣- قال : وحدثنا أحمد بن عيسى قال : وحدثنا ابن عيسى قال : وحدثنا عبد الله بن وهب قال : وحدثني ابن لهيعة ، عن بشر بن محمد المعافرى قال: سمعت أبا فراس يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إذا أخسف الجيش بالبيداء، فهو علامة ظهور المهدي .

قلت : ولخروجه علامتان (أخريان) يأتى ذكرهما إن شاء الله تعالى .

فصل

١٩٨٤- قوله : ثم سكت (هنية) بضم الهاء وتشديد الياء أى مدة يسيرة بتصغير(هنّة) ، ويروى بهاءين . ورواه الطبرى هنيئة مهموز، وهو خطأ لا وجه له . فيه دلالة على صدق النبى ﷺ حيث أخبر عما سيكون بعد فكان . ومثله الحديث الآخر :«منعت العراق درهمها وقفيزها» الحديث . أى ستمنع، وأتى بلفظ الماضى فى

الأخبار؛ لأنه ماض في علم الله أنه سيكون كقوله عز من قائل **﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾** والمعنى أنه لا يجيء إليها كما جاء مفسراً في هذا الحديث ، ومعناه- والله أعلم - سيرجعون عن الطاعة ويأبون من إذا ما (وظف)عليهم في أحد الأمر ، وذلك أنهم يرتدون عن الإسلام، وعن أداء الجزية ، ولم يكن ذلك في زمانه ، ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك . وقوله « يحثي المال حثياً » قال ابن الأنباري: أعلى اللغتين حثا يحثي ، وهو أصح وأفصح ، ويقال :حثا يحثو ويحثي وأحث بكسر الثاء وضمها كلها لمعنى اغرف بيديك . [**حديث صحيح**]

باب منه في المهدي وخروج السفياني عليه وبعثه الجيش لقتاله وأنه الجيش الذي يخسف به

١٩٨٦- قلت : حديث حذيفة هذا فيه طول ، وكذلك حديث ابن مسعود(و)فيه :أن عروة بن محمد السفياني يبعث جيشاً إلى الكوفة (فيه) خمسة عشر ألف فارس ، ويبعث جيشا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه ، فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة،فيتغلب عليها، ويسبي من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال، ويأخذ ما يجد فيها من الأموال ، ثم يرجع، فتقوم صيحة بالمشرق ، فيتبعهم أمير من أمراء بني تميم،يقال له شعيب بن صالح ، فيستنقذ ما في أيديهم من السبي ويرد إلي الكوفة ، وأما الجيش الثاني فإنه يصل إلى مدينة الرسول ﷺ فيقاتلونها ثلاثة أيام ، ثم يدخلونها عنوة، ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يسيرون نحو مكة- أعزها الله -لمحاربة المهدي ومن معه ، فإذا وصلوا إلى البيداء، مسخهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى : **﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾** .

١٩٨٧- وقد ذكر خبر السفياني مطولاً بتمامه أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي في كتاب الملاحم له ، وأنه الذي يخسف بجيشه . قال : واسمه عتبة بن هند، وهو الذي يقوم في أهل دمشق،فيقول: يا أهل دمشق أنا رجل منكم، وأنتم خاصتنا ، جدي معاوية بن أبي سفيان وليكم من قبل فأحسن وأحسنتم ، وذكر كلاماً طويلاً إلى أن ذكر كتابه إلى الجرهمي وهو على ما يليه من أرض الشام ، وأتى

البرقي وهو على ما يليه من حد برقة وما وراء برقة من المغرب إلى أن قال : فيأتي الجرهمي فيبايعه، واسم الجرهمي : عقيل بن عقال ، ثم يأتيه البرقي،واسم البرقي:همام بن الورد ، ثم ذكر مسيره إلى أرض مصر وقتاله لملكها(فيقتتلون)على قنطرة الفرما أو دونها بسبعة أيام ، ثم ينصر أهل مصر وقد قتل منهم زهاء سبعين ألفا ونيفا ثم يصالحة أهل مصر، ويبايعونه فينصرف عنهم إلى الشام ، ثم ذكر تقديمه الأمراء من(المغرب) رجل من حضر موت ، ولرجل من خزاعة ، ولرجل من عبس ، ولرجل من ثعلبة ، وذكر عجائب، وأن جيشه الذى يخسف بهم تبتلعهم الأرض إلى أعناقهم وتبقى رؤوسهم خارجة ، ويبقى جميع خيلهم ، وأموالهم ، وأثقالهم ، وخزائنهم ، وجميع مضاربهم ، والسبى على حاله إلى أن يبلغ الخبر الخارج بمكة ، واسمه محمد بن على من ولد السبط الأكبر الحسن بن على ، فيطوى الله تعالى له الأرض، فيبلغ البيداء من يومه ،فيجد القوم أبدانهم داخلة فى الأرض، ورؤوسهم خارجة، وهم أحياء،فيحمد الله عز وجل هو وأصحابه، وينتحبون بالبكاء ، ويدعون الله عز وجل ، ويسبحونه، ويحمدونه على حسن صنيعه إليهم ، ويسألونه تمام النعمة والعافية ، فتبلعهم الأرض من ساعتهم يعنى أصحاب السفياني ، ويجد الحسنى العسكر على حاله، والسبى على حاله ، وذكر أشياء كثيرة ، الله أعلم بصحتها أخذها من كتاب دانيال فيما زعم .

١٩٨٨- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : ودانيال نبى من أنبياء (بنى)إسرائيل ،كلامه عبراني ، وهو على شريعة موسى بن عمران،وكان قبل عيسى ابن مريم بزمان ، ومن أسند مثل هذا إلى نبى عن غير ثقة، أو توقيف من نبينا ﷺ ، فقد سقطت عدالته،إلا أن يبين وضعه،لتصح أمانته، وقد ذكر فى هذا الكتاب من الملاحم ، وما كان من الحوادث، وسيكون ، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أغرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون ، وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها، ويتعذر على المتأول لها تأويلها ، وما يتعلق به جماعة الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق محمد ﷺ أن فى سنة ثلاثمائة يظهر الدجال من يهودية أصبهان ، وقد طعنا فى أوائل سبعمائة فى هذا الزمان وذلك شيء ما وقع ولا كان ومن الموضوع فيه، المصنوع ، والتهافت الموضوع ،الحديث الطويل

الذى استفتح به كتابه ، فهلا اتقى الله وخاف عقابه ، وأن من أفضح فضيحة فى الدين نقل مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين ، فإنه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم ، ولا رواية تؤخذ في ذلك إلا منهم .

١٩٨٩- وقد روى البخارى في تفسير سورة البقرة ، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) ، قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله ﷺ:« لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم ، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا » . [**حديث صحيح**]

١٩٩٠- وقد ذكر فى كتاب (الاعتصام) أن ابن عباس قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء وكتابكم الذى أنزله الله على رسوله أحدث شيء تقرؤونه محضا لم يشب؟! وقد حدثكم:(أن) أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه ، وقد كتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا : هذا من عند الله ،ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا ، والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم . [**خبر صحيح**]

١٩٩١- قال ابن دحية رضى الله عنه : وكيف يؤمن من خان الله، وكذب عليه،وكفر،واستكبر، وفجر، وأما حديث الدابة فقد نطق بخروجها القرآن، ووجب التصديق بها والإيمان . قال الله تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)** ﴾ .

١٩٩٢- وقد روى حديث الزوراء محمد بن زكريا الغلابي ، وأسند عن علي رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ وقال : أما إن هلاكها على يد السفياني كأني والله بها قد صارت خاوية على عروشها ، ومحمد بن زكريا الغلابى قال أبو الحسن الدار قطنى : كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ، وعظم هذه الدابة المذكورة ، وطول يأجوج ومأجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا الحديث بالتصريح ، ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح ، لأن مثل هذا القدر فى العظم والطول يشهد على كذب واضعه فى المنقول ، وأى مدينة تسع طرقاتها دابة عرضها ستون ميلاً ارتفاعاً، وأى سبيل يضم يأجوج ومأجوج ، وأحدهم طولاً وعرضاً مائتان وأربعون ذراعاً .

ولقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبار بما اختلقه على نبيه المختار ، فقد صح عنه بإجماع من أئمة الآثار أنه قال : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ثم يطرق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن توراتهم (أنه سيء ولم يكن سر اتهم يحملون أقوالنا الصادقة عن المحال) ويكذبوننا بسبب ذلك فى كل حال .

١٩٩٣- مسلم ، عن أم سلمة سئلت عن الجيش الذى يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير،فقالت:قال رسول الله ﷺ: « يعوذ بالبيت عائذ فيبعث(الله) إليه بعثاً ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم ، فقل يا رسول الله وكيف(بمن)كان كارهاً ؟ قال : يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته» وقال: أبو جعفر : هى بيداء المدينة . وقال : عبد العزيز ابن رفيع : إنما قال ببيداء من الأرض قال :كلا إنها والله لبيداء المدينة . [**حديث صحيح**]

١٩٩٤- وعن عبد الله بن صفوان قال : أخبرتنى حفصة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :« ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ، ثم يخسف بهم، فلا يبقى منهم إلا الشريد الذى يخبر عنهم » أخرجه ابن ماجه وزاد . فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم،فقال رجل : أشهد أنك لم تكذب على حفصة، وإن حفصة لم تكذب على رسول الله ﷺ . [**حديث صحيح**]

١٩٩٥- وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : « سيعوذ بهذا البيت، يعني: الكعبة، قوم ليس لهم منعة، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش ،حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض ،خسف بهم » قال يوسف بن ماهك: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة. قال عبد الله بن صفوان : أما والله ما هو بهذا الجيش .

[**حديث صحيح**]

فصل

١٩٩٦- قوله : ليس له منعة : بفتح الميم والنون أى جماعة يمنعونه، وهو مانع،وهوأكثر الضبط فيه ، ويقال : بسكون النون أيضًا أى :عزة وامتناع يمتنع بها اسم الفعلة من منع أو الحال بتلك الصفة أو مكان بتلك الصفة ، وأنكر أبو حاتم السجستانى إسكان النون، وليس في هذه الأحاديث أنه يخسف بأمتعتهم ، وإنما فيها

أنه يخسف بهم . (والله أعلم) .

باب منه آخر في المهدي وذكر من يوطئ له ملكه

١٩٩٧- ابن ماجه ،عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ :« يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لايصير إلا واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدى » . إسناده صحيح . [**حديث صحيح**]

باب منه آخر في المهدي وصفته واسمه وإعطائه ومكثه وأنه يخرج مع عيسى عليه [الصلاة و]السلام فيساعده على قتال الدجال

٢٠٠٠- أبو داود عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺقال: «يكون فى أمتى المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع ، تنعم فيه أمتى نعمة لم يسمعوا بمثلها قط ،(حتى) تؤتى أكلها ولا تترك منهم شيئاً والمال يومئذ كرؤوس ، يقوم الرجل فيقول : يا مهدى، أعطنى ، فيقول : خذ » . [**حديث حسن**]

٢٠٠١- وخرج عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ :« المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً فيملك سبع سنين » . [**حديث صحيح**]

٢٠٠٢- وذكر عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أبي هارون العبدى ، عن معاوية بن قرة، عن أبى الصديق الناجى ، عن أبى سعيد الخدري قال :

«ذكر رسول الله ﷺ بلايا تصيب هذه الأمة،حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجلاً من عترتى- أهل بيتى-فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلمًا،يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء شيئاً من قطرها إلا صبته مدرارًا، ولا تدع الأرض من نباتها شيئًا إلا أخرجته،حتى تتمنى الأحياء أن لاموات.يعيش فى ذلك سبع‌سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين » .

ويروى هذا من غير وجه عن أبى سعيد الخدرى وأبو داود .[**حديث حسن**]

٢٠٠٣- وعن عبد الله عن النبى ﷺ قال : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، قال

زائدة فى حديثه لطول الله ذلك اليوم ،حتى يبعث فيه رجلاً من أمتى أو من أهل بيتى يواطيء اسمه اسمى ،واسم أبيه اسم أبى » خرجه الترمذى بمعناه وقال : حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

٢٠٠٥- وخرج الترمذي ، عن أبي سعيد الخدرى قال : خشينا أن يكون بعد نبينا ﷺ(حدث) فسألنا النبى ﷺ قال:« إن فى أمتى المهدى، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً» – زيد للشك (قال):قلنا:وما ذاك؟ قال: «يجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدى أعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله » قال : هذا حديث حسن .

[حديث حسن]

٢٠٠٦- وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن الحنفية ، عن أبيه على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدى منا أهل البيت، يصلحه الله عز وجل فى ليلة أو قال : فى يومين » . [حديث حسن]

باب
ما جاء أن المهدى يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح روميةوأنطاكية وكنيسة الذهب وبيان قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ الآية .

٢٠١٥- ابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله عز وجل،حتى يملك رجل من أهل بيتى جبل الديلم والقسطنطينية » إسناده صحيح . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى فتح القسطنطينية ومن أين تفتح، وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه [الصلاة و]السلام وقتله إياه

٢٠١٧- مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم :خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون :لا، والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتتنون

أبداً فيفتحون القسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم فى أهلكم،فيخرجون، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام، خرج، فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ،فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه فى حربته » .

[حديث صحيح]

٢٠١٩- وخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر ؟ قالوا : نعم يا رسول الله. قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها(سبعون)ألفاً من بنى إسحاق فإذا جاءوها نزلوا،فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم . قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ، قال ثور:لا أعلمه،قال: إلا الذى فى البحر ثم يقولون الثانية:لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم تقول الثالثة : لا إله إلا الله و الله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج ،فيتركون كل شئ ويرجعون » . **[حديث صحيح]**

٢٠٢٠- الترمذى عن أنس قال :«فتح القسطنطينية مع قيام الساعة» هكذا رواه موقوفاً وقال :حديث غريب . والقسطنطينية مدينة الروم ، وتفتح عند خروج الدجال، والقسطنطينية قد فتحت فى زمن بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

[إسناده صحيح موقوف]

٢٠٢١- قلت : هو عثمان بن عفان(رضى الله عنه)ذكر الطبرى فى التاريخ له ، ثم دخلت سنة سبع وعشرين ، ففيها كان فتح أفريقية على يد عبد الله بن أبى سرح ، وذلك أن عثمان رضى الله عنه لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحداً إلا عن شكاية ، وكان عبد الله بن أبى سرح من جند(مصر) ،فأمره عثمان رضى الله عنه على الجند، ورماه بالرجال وسرحه إلى أفريقية ، وسرح معه عبد الله بن نافع بن (عبد القيس)، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهرينى ، فلما فتح عبد الله أفريقية خرج عبد الله وعبد الله إلى الأندلس ، فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان رضى الله عنه إلى من انتدب (من) الأندلس :

أما بعد : فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس ، وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء في الأجر فيقال إنها فتحت فى تلك الأزمان ، وستفتح مرة أخرى كما فى أحاديث هذا الباب ، والذى قبله ، وقد قال بعض علمائنا : إن حديث أبى هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالقتال ، وحديث ابن ماجه يدل على خلاف ذلك مع حديث أبى هريرة ، والله أعلم .

باب
أشراط الساعة وعلاماتها

٢٠٢٤- فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله . وفى حديث جبريل : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » الحديث خرجه مسلم . [**حديث صحيح**]

٢٠٢٥- وكذلك روى الشعبى قال : لقى جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى: متى الساعة؟ فانتفض جبريل عليه(الصلاة و)السلام فى أجنحته وقال: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل **﴿ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾** . [**الخبر من الإسرائيليات**]

فصل

٢٠٢٧- قال العلماء رحمة الله تعالى (عليهم): والحكمة فى تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كى لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم ، فينبغى للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا ، واستعدوا للساعة ، الموعود بها والله أعلم. وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها، فمنها: خروج الدجال، ونزول عيسى، وقتله الدجال ، ومنها خروج يأجوج ومأجوج،ودابة الأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها،هذه هى الآيات العظام على ما يأتى بيانه .

وأما ما تقدم من هذه (من) قبض العلم،وغلبة الجهل، واستيلاء أهله وبيع الحكم ، وظهور المعازف،واستفاضة شرب الخمور، واكتفاء النساء بالنساء، والرجال بالرجال، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد، وإمارة الصبيان، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وكثرة الهرج ، فإنها أسباب حادثة ، ورواية الأخبار المنذر بها بعدما صار

الخبر بها عيانا تكلف، لكن لابد من ذكرها حتى يوقف عليها، ويتحقق بذلك معجزة النبى ﷺ وصدقه فى كل ما أخبر به ﷺ .

باب
قول النبى ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين »

٢٠٢٨- مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :« بعثت أنا والساعة كهاتين ، وضم السبابة والوسطى » .

وروى من طرق أخرجها البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجه رضى الله عنهم ، ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقريب من الساعة التى هى القيامة وسرعة مجيئها وهذا كما قال الله(تعالى) :﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾ وقوله (تعالى): ﴿ **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**﴾ وقوله تعالى :﴿ **اقترب للناس حسابهم**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ وقال (تعالى):﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾. [**حديث صحيح**]

فصل

٢٠٣١- إن قيل ثبت أن النبى ﷺسأل جبريل عن الساعة فقال:«ما المسئول عنها بأعلم من السائل» الحديث فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم، ورويتم عنه أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين » وهذا يدل على أنه كان عالما(بها) فكيف يتألف الخبران؟ قيل له قد نطق القرآن بقوله الحق ﴿ **قل إنما علمها عند ربى**﴾الآية فلم يكن يعلمها هو ولا غيره، وأما قوله«بعثت أنا والساعة كهاتين » فمعناه: أنا النبى الأخير، فلا يلينى نبى آخر، وإنما تلينى (الساعة)كما تلى السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع أخرى ، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها وهى ومع ذلك كائنة لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر الله الأشراط فى القرآن فقال (تعالى): ﴿ **فقد جاء أشراطها**﴾ أى دنت وأولها النبى،لأنه نبى آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبى ،ثم بين ﷺ ما يليه من الأشراط فقال: أن تلد الأمة ربتها إلى غير ذلك مما سنذكره ونبينه بحول الله تعالى فى أبواب إن شاء الله تعالى [**حديث صحيح**]

باب
أمور تكون بين يدي الساعة

٢٠٣٢- البخارى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة،دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ،وحتى يقبض العلم ، ويكثر الزلازل ،ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض ، وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين ﴿ **لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً** ﴾ ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه،ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » . [**حديث صحيح**]

فصل

٢٠٣٣- قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة فى حديث واحد ، ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط فى عموم إنذار النبى ﷺ فساد الزمان، وتغيير الدين، وذهاب الأمانة، ما يغنى عن ذكر التفاصيل الباطلة، والأحاديث الكاذبة فى أشراط الساعة ، من ذلك حديث ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أن فى سنة مائتين يكون كذا وكذا ، وفى العشر والمائتين يكون كذا وكذا ، وفي العشرين كذا وفي الثلاثين كذا ، وفى الأربعين كذا ، وفى الخمسين كذا ، وفى الستين والمائتين تعتكف الشمس ساعة فيموت نصف الجنة والإنس ، فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة ، وهذا شيء يعم سائر الأمور التى ذكرت، قد تكون فى بلدة وتخلو منه أخرى ، فهذا عكوف الشمس لا يخلومنه أحد فى شرق ولا غرب ، فإن كان المائتين من الهجرة فقد

مضت ، وإن كان من موت النبى ﷺ فقد مضت، وأيضًا دلالة أخرى على أنه مفتعل ،لأن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنما وضعوه على عهد عمر رضى الله عنه ، فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يقال فى سنة مائتين أو سنة عشرين ومائتين ولم يكن وضع شيء من التاريخ؟.

٢٠٣٤- وكذلك ما روى عن أبي سعيد الخدرى عن النبى ﷺ:إذا كانت سنة تسع وتسعين وخمس مائة يخرج المهدى فى أمتى على خلاف من الناس، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، ويفتح الله(تعالى) له كنوز الأرض ، وتنزل السماء قطرها ، وتخرج الأرض ثمرها ، ويزرع الزراع فى الأرض صاعاً فيصيب مائة صاع، ويذهب الغلاء والقحط والجوع عن الناس ، ويجوز إلى الأندلس ويقيم فيها ويملكها تسع سنين ويستفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم، ويغنم رومية،وكنيسة الذهب فيجد فيها تابوت السكينة، وفيها غفارة عيسى وعصا موسى عليهما(الصلاة و)السلام ، فيكسرون العصا على أربعة أجزاء ، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم النصر والظفر ، ويخرج عليهم ذو العرف فى مائة ألف مقاتل بعد أن يتحالف الروم أنهم لا يرجعون أو يموتون ، فينهزم المسلمون حتى يأتوا سرقسطة البيضاء ، فيدخلوها بإذن الله تعالى، ويكرم الله من فيها بالشهادة، ولا يكون للمسلمين بعد خراب سرقسطة سكنى ولا قرار بالأندلس ، وينتهون إلى قرطبة فلا يجدون فيها أحداً لما أصاب الناس من شدة الفزع من الروم، يهربون من الأندلس يريدون العدو ، فإذا اجتمعوا على ساحل البحر ازدحموا على المراكب، فيموت منهم خلق كثير،فينزل الله إليهم ملكاً فى صورة إبل فينجو من نجا وغرق من غرق .

قلت : كل ما جاء فى هذا الحديث فمذكور فى حديث حذيفة وغيره، وإنه المنكر فيملك الروم والأندلس إلى خروج الدجال .

٢٠٣٥- ومنه تعيين التاريخ وقد كان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ولم يكن شيء من ذلك ، بل كان بالأندلس وقعة الأرك التى أهلك الله فيها الروم، ولم يزل المسلمون فى نعمة وسرور إلى سنة تسع وستمائة فكانت فيها وقعة العقاب، هلك فيها كثير من المسلمين ، ولم يزل المسلمون فى تلك الوقعة بالأندلس يرجعون

القهقرى إلى أن استولى عليهم العدو وغلبهم بالفتن الواقعة بينهم والتفصيل يطول ، ولم يبق الآن من الأندلس إلا اليسير ، فنعوذ بالله من الفتن والخذلان والمخالفة والعصيان وكثرة الظلم والفساد والعدوان . والذى ينبغى أن يقال به فى هذا الباب: أن ما أخبر به النبى ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان فى ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر ، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أى سنة هى ولا أى شهر، أما إنها (ستكون) فى يوم جمعة، فى آخر ساعة منه، وهى الساعة التى خلق الله فيها آدم عليه (الصلاة و)السلام ، ولكن أى جمعة لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له ، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يعلم ، والله أعلم .

٢٠٣٦- وقد سمعت من بعض أصحابنا : أن ما وقع من التاريخ فى حديث أبى سعيد الخدرى إنما ذلك بعد المائة التى قال النبى ﷺ :« إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » . وفى رواية : قال أنس ذلك الغلام من أترابى يومئذ . خرجه مسلم . [**حديث صحيح**]

٢٠٣٧- وفى حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ:« ما على الأرض نفس منفوسة يعنى اليوم يأتى عليها مائة سنة » .

قال أبو عيسى : هذا الحديث حسن صحيح .

ومعلوم أن أنس توفى فى عشر المائة بالبصرة ، فعلى هذا يكون سنة سبع وتسعين وست مائة ، وهذا لم يجئ بعد ، فالله تعالى أعلم . [**حديث صحيح**]

٢٠٣٨- قال المؤلف رحمه الله: وبحديث أبى(موسى) سعيد الخدرى وابن عمر وجابر استدل من قال:إن الخضر ميت ليس بحي ، وقال الثعالبى فى كتاب العرائس : والخضر على جميع الأقوال نبى معمر،محجوب عن الأبصار .

٢٠٣٩- وذكر عن عمرو بن دينار قال : إن الخضر وإلياس لا يزالان يحييان فى الأرض ، فإذا رفع القرآن ماتا ، وهذا هو الصحيح في الباب على ما بيناه فى سورة الكهف من كتاب جامع أحكام القرآن ، والحمد لله .

فصل

٢٠٤٠- وأما الثلاث عشرة خصلة ، فقد ظهر أكثرها من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :« لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة » يريد فيه معاوية وعلياً -كرم الله وجهه- بصفين ، وقد تقدم الإشارة إليهما، قال القاضى أبو بكر بن العربى: وهذا أول خطب طرق فى الإسلام .

قلت : بل أول أمر دهم الإسلام موت النبى ﷺ ثم بعده موت عمر ، فبموت النبى ﷺ انقطع الوحى وماتت النبوءة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه ، قال أبو سعيد : ما نفضنا أيدينا من الترب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا .

٢٠٤١- وقال أبو بكر الصديق فى أبيات يرثى بها النبى ﷺ :

فلتحدثن حوادث من بعده   تعنى بهن جوانح وصدور

وقالت صفية بنت عبد المطلب فى أبيات ترثى بها النبى ﷺ:

لعمرك ما أبكى النبى لفقده   ولكن ما أخشى من الهرج آتيا

وبموت عمر سل سيف الفتنة وقتل عثمان ، وكان من قضاء الله وقدره ما يكون ، وكان على ما تقدم ، وقوله : حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين .

الدجال ينطلق في اللغة على أوجه كثيرة يأتى ذكرها . أحدها الكذاب كما جاء فى هذا الحديث .

وصحيح مسلم : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون » الحديث ، ولا يجمع ما كان على فعال جمع التكسير عند الجماهير من النحويين لئلا يذهب بناء المبالغة منه ، فلا يقال: إلا دجالون ، كما قال عليه الصلاة والسلام « وإن كان قد جاء مكسراً » وهو شاذ ، أنشد سيبويه لابن مقبل :

إلا الإفادة فاستولت ركائبنا   عند الجبابير بالبأساء (والنعم)

٢٠٤٢- وقال مالك بن أنس فى محمد بن إسحاق إنما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة . قال عبد الله بن إدريس الأودى :وما عرفت أن دجالاً يجمع على دجاجلة حتى سمعتهما من مالك بن أنس .

وقال القاضى عياض : هذا الحديث قد ظهر فلوعد من تنبأ من زمن النبى ﷺ

إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف ، واتبعه جماعة على ضلالته لوجد هذا العدد فيهم،ومن طالع كتاب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا .

٢٠٤٤- وقوله : حتى يقبض العلم ،فقد قبض العمل به ولم يبق إلا رسمه على ما يأتي بيانه . وقوله : وتكثر الزلازل فقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي:أنه وقع منها بعراق العجم كثير ، وقد شاهدنا بعضها بالأندلس وسيأتي .

وقوله : ويتقارب الزمان قيل : المعنى يتقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، كما هو اليوم لغلبة الفسق وظهور أهله .

٢٠٤٦- وقوله : حتى يكثر فيكم المال فيفيض، وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته(و)هذا مما يقع بل يكون على ما يأتي، ورب مفعول يهم ومن يقبل فاعل يهم. ويقال: أهمني ذلك الأمر أحزنني وأقلقني ، وهمه يهمه إذا بالغ في ذلك وقوله: حتى يتطاول الناس في البنيان ، هذا مشاهد في الوجود مشاهدته تغني عن الكلام فيه .

٢٠٤٧- وقوله : حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه . وذلك لما يرى من عظيم البلاء ،وربح الأعداء وغبن الأولياء ، ورئاسة الجهلاء، وخمول العلماء ، واستيلاء الباطل في الأحكام ، وعموم الظلم ، والجهر بالمعاصي ، واستيلاء الحكام على أموال الخلق ، والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حق ، كما في هذا الزمان ، وقد تقدم أول الكتاب حديث أبي عابس الغفاري ، عن النبي ﷺ «بادروا بالأعمال ستاً » الحديث.

٢٠٤٨- وروي الأعمش سليمان بن مهران ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي نضرة ، عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر رضي الله عنه : يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ كما يغبط اليوم أبو عشرة ، ويغبط الرجل باختفائه عن السلطان وجفائه عنه كما يغبط اليوم بمعرفته إياه وكرامته عليه .وحتى تمر الجنازة في السوق على الجماعة، فينظر إليها الرجل تهتز بهذا رأسه ، فيقول يا ليتني مكان هذا ، قال : قلت يا أبا ذر : وإن ذلك من أمر عظيم ؟ قال :(أجل) يا ابن أخي عظيم عظيم . [**خبر صحيح**]

٢٠٤٩- **قلت** : هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق ،

وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق ، فباعوا الأحكام ، ورضى بذلك منهم الحكام،فصار الحكم مكسًا، والحق عكساً ،لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه،بدلوا دين الله وغيروا حكم الله سماعون للكذب،أكالون للسحت﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾و﴿الظالمون﴾ و﴿الفاسقون﴾في الكفار خاصة كلها ، وقيل عامة . فيمن بدل حكم الله وغيره،قال رسول الله ﷺ:«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر،وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا: يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » .

ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات له :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

[حديث صحيح]

٢٠٥٠- وقوله : حتى تطلع الشمس من مغربها إلى آخره، يأتي القول فيه إن شاء الله تعالى، واللقحة : الناقة الغزيرة اللبن ، ويليط: يصلح . ويقال : لاط حوضه يليطه ويلوطه ليطاً ولوطاً إذا لطخه بالطين وأصلحه ، والأكله بضم الهمزة: اللقمة، فإذا كانت بمعنى المرة الواحدة فهى بالفتح لأنها مصدر ، وهى المرة الواحدة من الأكل كالضربة من الضرب ، فأخبر رسول الله ﷺ أن يعالجه من أمر الساعة ما يمنع من تمام فعله ، واقترب من ذلك رفع الأكلة وهى اللقمة إلى فيه، وتقوم الساعة بدون بلوغها إليه، وكذلك القول في المتبايعين من نشر الثوب وطيه ، فاعلمه .

باب منه

٢٠٥٢- قلت : صحيح المعنى لما ظهر في الوجود من ذلك . وقال مكحول : « يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة الحمار» . [إسناده حسن]

باب منه

٢٠٥٦- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ:«لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات دوس حول ذى الخلصة، وكانت صنماً تعبدها دوس فى الجاهلية » . [حديث صحيح]

٢٠٥٧- وعنه أن رسول الله ﷺ قال :« لا تذهب الليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه » فى غير مسلم رجل من الموالى يقال له جهجاه ، فسقط من رواية الجلودى من الموالى وهو خطأ . [حديث صحيح]

٢٠٥٨- وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » . [**حديث صحيح**]

٢٠٥٩- وخرج البخارى ومسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال :«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى ».

[**حديث صحيح**]

٢٠٦٠- الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ:« ستخرج نار من حضر موت قبل القيامة، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالشام » قال: حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر . [**حديث صحيح**]

٢٠٦١- البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:« أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » . [**حديث صحيح**]

٢٠٦٣- وذكر عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر ، عن أشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة(رضى الله عنه)قال:جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال : قعد الذئب على تل فأقعى واستقر، وقال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته منى ، فقال الرجل: بالله (رأيتك اليوم ، ذئب تتكلم)! فقال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم . قال : فكان الرجل يهودياً ، فجاء إلى النبى ﷺ فأخبره وأسلم فصدقه النبى ﷺ ثم قال للنبى ﷺ :إنها أمارات بين يدى الساعة قد يوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده. [**حديث حسن**]

٢٠٦٤- ويروى هذا عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى ، وفيه قال رسول الله ﷺ:«صدق الراعى إلا أن من أشراط الساعة كلام السباع للإنس . والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » . [**حديث صحيح**]

٢٠٦٥- الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ:«والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » قال : هذا حديث حسن

غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : حكم أبو عيسى بصحته ونظرنا سنده دون أن يقلده، فوجدنا له علة. قال أبو عيسى: حدثنا سفيان بن وكيع: حدثنا أبى ، عن القاسم بن الفضل قال : حدثنا أبو نصرة العبدى ، عن أبى سعيد الخدري فذكره . قال ابن دحية : سفيان بن وكيع لم يخرج له البخارى ومسلم حرفاً واحداً فى صحيحهما ، وذلك بسبب وراق كان له يدخل عليه الحديث الموضوع يقال له قرطمة . قال البخارى : يتكلمون فى سفيان لأشياء لقنوه إياه .

وقال أبو محمد بن عدى : كان سفيان إذا لقن يتلقن ، فهذه علة الحديث التى جهلها أبو عيسى الترمذى . [**حديث صحيح**]

٢٠٦٦- مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهاراً » . [**حديث صحيح**]

فصل

حول ذى الخلصة والخلصة

٢٠٦٧- ثبت حديث ذى الخلصة في الصحيحين أن رسول الله ﷺ بعث جرير بن عبد الله البجلى إلى هذا البيت، قال جرير : فنفرت إليها مائة وخمسين من أخمس فكسرناه قتلنا من وجدنا عنده . قال أبو الخطاب بن دحية : وذو الخلصة بضم الخاء واللام فى قول أهل اللغة والسير وبفتحها قيدناه فى الصحيحين ، وكذا قال ابن هشام وقيده الإمام أبو الوليد الكنانى الوقشى بفتح الخاء وسكون اللام ، وكذا قال ابن (دريد) واختلف فيه فقيل: هو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب وقيل: هو صنم كان عمرو بن لحى نصبه بأسفل مكة حتى نصبت الأصنام فى مواضع شتى ، وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده ، وقيل : ذو الخلصة هى الكعبة اليمانية ، فكان معناهم فى تسميتها بذلك ، أن عبادة خالصة ، والمعنى المراد بالحديث أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم فى عبادة الأوثان ، فترسل نساء طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك

فى آخر الزمان ، وذلك بعد موت جميع من فى قلبه مثقال حبة من إيمان وهو كما : [**حديث صحيح**]

٢٠٦٨- جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: « لا تذهب الليالى والأيام حتى تعبد اللات والعزى » الحديث وسيأتى بكماله.(إن شاء الله تعالى) . [**حديث صحيح**]

٢٠٦٩- وقوله : يسوق الناس بعصاه . كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه ، ولم يرد نفس العصا ، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له ، واستيلائه عليهم، إلا أن فى ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم وقد قيل : إنه يسوقهم بعصاه كما تساق الإبل والماشية ، وذلك لشدة عنفه وعداوته، ولعل هذا الرجل القحطانى هو الرجل الذى يقال له الجهجاه ، وأصل الجهجهة:الصياح بالسبع. يقال : جهجهت بالسبع أى زجرته بالصياح، ويقال : جهجه عنى . أى انته. وهذه الصفة توافق ذكر العصا ، والله أعلم .

٢٠٧٠- وثبت عن رسول الله ﷺ من رواية عائذ بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة، قال : سمعت رسول الله ﷺ « إن شر الرعاة الحطمة » والرعاة في اللغة جمع راع ، وضرب رسول الله بهذا مثلاً لوالى السوء ، لأن الحطمة هو الذى يعنف بالإبل فى السوق والإيراد والإصدار ، فيحطمها أى يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شيء ، وسواق حطم كذلك يعنف في سوقه . [**حديث صحيح**]

٢٠٧١- وقوله : حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، فقد خرجت نار عظيمة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة ، وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة،فسكنت وظهرت النار بقرطبة عند قاع التنعيم بطرف الحرة يحيط بها قرى فى صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون(من) البلدان.عليها سور يحيط بها عليه شرافات كشرافات الحصون وأبراج ومآذن ، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد ، يأخذ الصخور والجبال بين يديه ، ينتهى إلى البحرة محط الركب العراقى ، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة ، وكان يلى المدينة ببركة النبى ﷺ

نسيم بارد، ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر ، وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها . قال لي بعض أصحابنا : ولقد رأيتها صاعدة فى الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة .

٢٠٧٢- **قلت** : وسمعت أنها رئيت من مكة ومن جبال بصرى(ثم نشأ)من بعد هذه النار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرقت جميع الحرم حتى إنها أذابت الرصاص التى عليها العمد ، فوقعت ولم يبق غير السور واقفاً ، ونشأ بعد ذلك أخذ بغداد يتغلب التتر عليها ، فقتل من كان فيها وسباه ، وذلك عمود الإسلام وماؤه ، فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن ، فانتشر التتر فى البلاد وبقى الناس حيارى سكارى بغير خليفة ، ولا إمام ولا قضاء ، فزادت المحنة ، وعظمت الفتنة،(لولا) تدارك الله سبحانه بالعفو والفضل والمنة.

أما قوله : ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل القيامة فلعلها النار التى جاء ذكرها فى حديث حذيفة .

٢٠٧٤- **وقوله** : عذبة سوطه . يريد السير المعلق فى طرف السوط .

وفى هذا الحديث ما يرد على كفرة الأطباء والزنادقة الملحدين ، وأن الكلام ليس مرتبطا بالهيبة والبله ، وإنما البارى جلت قدرته يخلقه متى يشاء فى أى وقت شاء من جماد أو حيوان على ما قدره الخالق الرحمن ، فقد كان الحجر والشجر يسلمان عليه ﷺ تسليم من نطق وتكلم ، ثبت ذلك فى غير ما حديث ، وهو قول أهل أصول الدين فى القديم والحديث ، وثبت باتفاق فى حديث البقرة والذئب ، وأنهما تكلما على ما أخبر عنهما ﷺ في الصحيحين . قاله ابن دحية .

وقوله : حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، إخبار عن خروج عادتهم من انتاج الكلأ ومواضع العشب بحفر الأنهار وغرس الأشجار وبناء الديار . (والله أعلم) .

باب منه آخر

٢٠٧٥- أبو عمر بن عبد البر ، عن أبي مسعود عن النبى ﷺ قال : «إن بين يدى الساعة التسليم على الخاصة وفشو التجارة ، حتى تعيب المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام ، وفشو القلم وظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق ، قال

أبو عمر بن عبد البر:أما قوله :وفشو القلم ، فإنه أراد ظهور الكتاب وكثرة الكتاب. خرجه أبو جعفر الطحاوى بلفظه ومعناه، إلا أنه قال : حتى تعين المرأة بدل تعيب ، ولم يذكر : وقطع الأرحام . ذكره أبو محمد عبد الحق . [حديث صحيح]

٢٠٧٦- وخرج أبو داود الطيالسي قال : حدثنا ابن فضالة عن الحسن قال : قال عمرو بن ثعلبة، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة ، وإن من أشراط الساعة أن تكثر التجارة ويظهر القلم ». [حديث حسن]

٢٠٧٧- وذكر المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ، ويفيض المال ويظهر القلم ، وتكثر التجارة » قال الحسن : لقد أتى علينا زمان إنما يقال تاجر بنى فلان ، وكاتب بنى فلان ، ما يكون فى الحى إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد.

٢٠٧٨- وذكره أبو داود الطيالسى ، عن عبد الله بن مسعود قال : كان يقال : إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقاً وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة ، وأن يتجر الرجل وامرأته جميعًا ، وأن تغلو مهور النساء والخيل ، ثم ترخص فلا تغلو إلى يوم القيامة . [حديث صحيح]

باب منه

٢٠٧٩- البخارى عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » أخرجه مسلم من حديث أنس .
[حديث صحيح]

٢٠٨٠- مسلم عن أبي موسى عن النبى ﷺ قال : « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب لا يجد أحداً يأخذها منه ، قال : ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء» . [حديث صحيح]

فصل

٢٠٨١- قوله : « ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة » يريد والله أعلم أن الرجال يقتلون فى الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل ، فيقبلن على الرجل الواحد في

قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن ،كما قال فى الحديث الآخر قبله : حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد الذى يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء، وقد كان هذا عندنا أو قريباً منه بالأندلس . وقيل : إن لقلة الرجال وغلبة الشبق على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل واحدة تقول : انكحنى انكحنى ، والأول أشبه .(والله أعلم). ويكون معنى يلذن: يستترن ويتحرزن من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة .

٢٠٨٢- ولقد أخبرنى صاحبنا أبو القاسم رحمه الله أخو شيخنا أبى العباس أحمد بن عمر رحمه الله : أنه ربط نحواً من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى فى حبل واحد مخافة سبى العدو حتى خرجوا من قرطبة أعادها الله ، وأما ظهور الزنا ، فذلك مشهور فى كثير من الديار المصرية . من ذلك مأثور ، ومن ذلك إظهار الخمر والماخور نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأما قلة العلم ، وكثر الجهل ، فذلك شائع فى جميع البلاد ذائع أعنى برفع العلم وقلة ترك العمل به ، كما قال عبد الله بن مسعود : «ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ، ولكن إقامة حدوده » ذكره ابن المبارك وسيأتى هذا المعنى مبيناً مرفوعاً إن شاء الله تعالى .

باب
كيف يقبض العلم

٢٠٨٣- البخارى ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن (ينتزعه) منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون (فيفتون) برأيهم فيضلون يضلون » .

وفى رواية : حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا . انتزاعاً مصدر من غير اللفظ ، كما قال الله عز وجل : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ .

باب ما جاء أن الأرض تخرج ما في جوفها من الكنوز والأموال

٢٠٨٥- روى الأئمة عن أبي هريرة(رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسرعن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً » وفى رواية : « عن جبل من ذهب » لفظ البخارى ومسلم ، وقال مسلم فى رواية : «(فيقتتل) الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل واحد منهم : لعلى أكون أنا الذي أنجو » وقال ابن ماجه: «فيقتتل الناس عليه ، فيقتتل من كل عشرة تسعة » . [**حديث صحيح**]

٢٠٨٦- وخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجىء القاتل فيقول: فى هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: فى هذا قطعت رحمى ، ويجيء السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » لم يذكر الترمذى السارق وقطع يده ، وقال :حديث حسن غريب .
[**حديث صحيح**]

فصل

٢٠٨٧- قال الحليمى رحمه الله فى كتاب منهاج الدين له ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً » فيشبه أن يكون هذا في آخر الزمان الذى أخبر النبى ﷺ أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد ، وذلك زمن عيسى عليه (الصلاة و) السلام ، فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين ، ويحتمل أن يكون نهيه عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراطه ، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار من ذلك جهل واغترار ، ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا، ويحتمل أن يكون لا يجرى به مجرى المعدن ، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه ، فكان الانقباض عنه أولى .

قال المؤلف رحمه الله : التأويل الأوسط هو الذى يدل عليه الحديث ، والله

أعلم .

باب في ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة

٢٠٨٨- البخاري عن أبى هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ فى مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابى فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ فى حديثه ، فقال بعض القوم : سمع ما قال ، فكره ما قال وقال بعضهم : بل لم يسمع ما قال، حتى إذا قضى حديثه قال « أين السائل عن الساعة » ؟ قال : هاأنا ذا يا رسول الله قال : «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » . [**حديث صحيح**]

٢٠٨٩- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله : الرواية الصحيحة عند جميع رواة البخارى « إذا وُسِّد » ورواه الفقيه الإمام المحدث أبو الحسن القابسى « أسِّد » قال : والذى أحفظ « وُسِّد » وفى نسخة من البخارى إشكال بين وسد أو أسد على ما قيد له،لأنه كان أعمى وهما بمعنى. قال أهل اللغة : ويقال إساد ووساد واشتقاقهما واحد ، يقال : إساد ووسادة ووساد، فمعنى قوله ﷺ : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، أى أسند وجعل إليهم وقلدوه بمعنى الإمارة ، كما جاء فى زماننا اليوم لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله ﷺ:«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»فينبغى لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر فى أمور الأمة ، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى فرض الله عليهم » .

٢٠٩٠- وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال : أخبرنى عن الساعة، قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال:فأخبرنى عن أماراتها؟ قال : «أن تلد الأمة ربتها،وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان» .

وفي رواية : « إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها » .

٢٠٩١- الترمذى عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » قال : حديث حسن غريب .

إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو . [**حديث صحيح**]

٢٠٩٢- وخرج الغيلاني أبو طالب محمد : حدثنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا موسى بن سهل بن كثير ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن عبد الملك بن قدامة عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة .قيل: يا رسول الله، وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه ينطق في أمر العامة » وقال أبو عبيد : التافه الرجل الخسيس الخامل من الناس ، وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه، قال: ومما يثبت حديث الرويبضة الحديث الآخر أنه قال : « من أشراط الساعة أن ترى رعاء الشاء رؤوس الناس ، وأن ترى العراة الحفاة يتبارون في البنيان ، وأن تلد الأمة ربتها » . [**حديث صحيح**]

فصل

٢٠٩٥- قال علماؤنا رحمة الله عليهم : ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب وغيره مما تقدم ، ويأتي قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه،فوسد الأمر إلى غير أهله وصار رءوس الناس أسافلهم عبيدهم وجهالهم (فيملكون) البلاد والحكم في العباد ، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان ، فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية، فهم صم بكم عمى . قال قتادة : صم عن استماع الحق ، بكم عن التكلم به ، عمي عن الإبصار له ، وهذه صفة أهل البادية والجهالة .

والبهم : جمع بهيمة، وأصلها صغار الضأن والمعز ، وقد فسره في الرواية الأخرى في قوله : رعاء الشاة . وقوله وأن تلد الأمة ربها ، وفي رواية ربتها تأنيث رب أي سيدها ، وقال وكيع : هو أن تلد العجم العرب ، ذكره ابن ماجه في السنن.

٢٠٩٦- قال علماؤنا : وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسري ، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين واتساع خطتهم، وكثرة الفتوح وهذا قد كان ، وقيل : هو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك. فيتداول الملاك المستولدة ، فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربها ، وعلى هذا الذي

يكون من أشراط الساعة غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد وهم الجمهور .

وقيل : المراد أن يكثر العقوق فى الأولاد ، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب ، ويشهد لهذا ما جاء فى حديث أبي هريرة (رضى الله عنه) المرأة مكان الأمة . وقوله عليه الصلاة والسلام : حتى يكون الولد غيظاً . وسيأتى إن شاء الله تعالى .

٢٠٩٨- قلت : وقول خامس سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوى المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد القيسى القرطبى المعروف بابن حجة (رحمه الله) يقوله غير مرة ، وهو الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان التى قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان ، فتسبى المرأة وهي حبلى أو ولدها صغير، فيفرق بينهما، فيكبر الولد فربما يجتمعان ويتزوجها كما قد وقع من ذلك كثير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ويدل على هذا قوله : إذا ولدت (الأمة) بعلها ، وهذا هو المطابق للأشراط مع قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض » والله أعلم .

باب منه

٢١٠١- أبو نعيم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يمسخ قوم من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير ، قيل : يا رسول الله، ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ويصومون ؟ قال : نعم . قيل : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال : «يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشربة ، فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير». [**إسناده ضعيف والحديث صحيح**]

٢١٠٢- ابن ماجه عن أبي مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : «ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها(بغير)اسمها يضرب على رؤوسهم بالدفوف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض،ويجعل منهم القردة والخنازير».[**حديث صحيح**]

٢١٠٣- وخرجه أبو داود عن مالك بن أبي مريم قال : دخلنا على عبد الرحمن بن غنم فتذاكرنا الطلاء قال : حدثنى أبو مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » زاد ابن أبى شيبة « يضرب على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض » .

قال أبو محمد عبد الحق : روياه جميعاً من حديث معاوية بن صالح الحمصى، وقد ضعفه قوم منهم يحيى بن معين(بن)يحيى بن سعيد فيما ذكره ابن أبي حاتم وقال أبو حاتم فيه : حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به ، ووثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة . [**حديث صحيح**]

٢١٠٤- البخارى عن أبى مالك الأشعرى أو عن أبي عامر سمع النبى ﷺ قال : « ليكونن ناس من أمتى يستحلون الحر ، والحرير والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ، ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازيـر إلى يوم القيامة » .

قال المؤلف رحمه الله : هذا يصحح ما قبله من الأحاديث . والحر: هو الزنا ، قاله الباهلى ، ويروى الخز بالخاء والزاى ، والصواب ما تقدم . [**حديث صحيح**]

باب منه آخر

٢١٠٦- خرج أبو نعيم (الحافظ)من حديث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة : إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستخفوا بالدماء ، واستعلوا البناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ويكون الحكم ضعفاً ، والكذب صدقاً ، والحرير لباساً ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وائتمن الخائن ، وخون الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً،وفاض اللئام فيضاً ، وغاض الكرام غيضاً ، وكان الأمراء فجرة ، والوزراء كذبة ، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، إذا لبسوا مسوح الضأن ، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر ، يغشيهم الله فتنة، يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء- يعنى الدنانير- وتطلب البيضاء- يعنى الدراهم- وتكثر الخطايا ، وتغل الأمراء ، وحليت المصاحف، وصورت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القلوب ، وشربت الخمور ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربتها ، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكاً ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد ، وسلم (للمعرفة)، وتفقه لغير الدين ، وطلبت

الدنيا بعمل الآخرة ، واتخذ المغنم دولاً والأمانة مغنما والزكاة مغرما، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه ، وجفا أمه ، وبر صديقه، وأطاع زوجته ، وعلت أصوات الفسقة في المساجد ، واتخذت القينات والمعازف ، وشربت الخمور فى الطرق ، واتخذ الظلم فخراً ، وبيع الحكم ، وكثر الشرط ، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاقاً ، والمساجد طرقاً، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات » غريب من حديث عبد الله بن عمير عن حذيفة لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة.

قال المؤلف رحمه الله : وهذه الخصال قد تقدم ذكرها فى أحاديث متفرقة وكلها بينة المعنى إلا قوله وجلود السباع صفاقاً . قال الجوهرى : الصفاق :الجلد الرقيق تحت الجلد الذى عليه الشعر .

٢١٠٧- وخرج الدارقطنى ، عن عامر الشعبى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ:« من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلاً فيقال : لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقا وأن يظهر موت الفجأة » قال الجوهرى معنى قبلا أن يرى ساعة يطلع لعظمه . ويوضحه حديث آخر«من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة» ويقال : رأيت الهلال قبلاً ، وقبلاً أى معاينة. [**حديث حسن**]

باب
فى رفع الأمانة والإيمان [من] القلوب

٢١٠٩- روى الأئمة البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم واللفظ لمسلم عن حذيفة قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا « أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال » قال ابن ماجه: قال الطنافسى: يعنى وسط قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال : « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شىء ، ثم أخذ (حصاة) فدحرجها على رجله فنفط فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل :(ما أجلده) ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه

مثقال حبة من خردل مـن إيمان ، ولقد أتى على زمـا ن ما أبالى أيكم بايعت لئـن كان مسلماً ليردنه على دينه، ولئـن كان نصرانياً أو يهـودياً ليردنه على سـاعيه ، فأمـا اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً » . [**حديث صحيح**]

فصل

٢١١٠- الجذر : بالذال المعجـمة ويقال بفتح الجيم وكسرها وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجـر وغيـره . والوكت : بإسكان الكاف وهو الأثر اليسير يقال : أوكتت البسرة : إذا ظهرت فيها نكتة من الإرطاب، وهو مصدر وكته يكته وكتاً وهو أيضاً مثل نكته فى العين وغيرها . والمجل : هو النفخ الذى يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو محذاف أو نحوه يحتوى على ماء ثم يصلب ويبـقى عقـدا ، قـال ابن دحيـة: قيـدناه فى الحـديث بسكون الجيم وأجاز أهل اللغـة والنحو فـتح الجيم مصدر مـجلت يده تمجل مجلاً بفتح الجيم في المصدر إذا غلظت من العـمل وقوله : فـنفط أى ارتفع جلدها وانتـفخ ، فتـراه منتبراً أى منتـفطاً ومـعناه مرتفعـاً جلده من لحمه وهو افتعـال من النبر ، وهو الرفع ، وكل شيء رفع شيئـاً فقد نبره ومنه اشتق المنـبر وأراد بذلك خلو القلوب من الأمانة كما يخـلو المجل المنتبر عن شيء يحويه كجمر دحرجته يعنى أطلقته (فتطلق) ظهر(البطن) اليدين من ذلك .

وقول حذيفة : لقد أتى على زمان الحديث : يعنى كانت الأمانة موجودة ، ثم قلت في ذلك الزمان ، وقوله ليردنه على ساعيه يعنى من كان رئيساً مقدماً فيهم والياً عليـهم أن ينصـفـنى منه وإن لم يكن له إسـلام وكل من ولـى على قـوم سـا ع لهـم . وقولـه: فما كـنت أبايع إلا فلاناً وفـلاناً . قال أبو عـبيـدة: هو من البيع والشـراء لقلة الأمانة .

باب
فى ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض أول علم يرفع من الناس

٢١١١- ابن ماجه قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبى ﷺ شيئاً (فـقـال): « ذاك عند أوان ذهاب الـعلم » قلت: يا رسـول الله ، كـيف يـذهب العلم

ونحن نقرأ القرآن ونقرئه (أبناءنا)، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : «ثكلتك أمك يا زياد : إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء منهما ؟ » . [**حديث صحيح**]

٢١١٢- وخرجه الترمذى عن جبير بن نفير ، عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : « هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا على شيء منه » فقال زياد بن لبيد الأنصارى: كيف يختلس منا ونحن قد قرأنا القرآن، فوالله لنقرؤه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا، فقال: « ثكلتك أمك يا زياد : إن كنت لأعدك من فقهاء (أهل) المدينة، وهذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغنى عنهم؟» .

قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت ، فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء ، إن شئت لأحدثك بأول علم يرفع من الناس ، الخشوع ، يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلاً خاشعاً . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب. ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث ، ولا أعلم أحداً: تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان .

وروى بعضهم هذا الحديث ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك . [**حديث صحيح**]

٢١١٣- قال المؤلف رحمه الله : خرجه لهذا الإسناد الحافظ أبو محمد عبد الغنى فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال : حدثنا يحيى ابن أيوب (قال): حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث قال : حدثنى إبراهيم ابن أبى عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير قال : حدثنى عوف بن مالك الأشجعى قال: نظر رسول الله ﷺ إلى السماء يوما وقال : « هذا أوان رفع العلم » فقال له رجل من الأنصار-يقال له زياد بن لبيد- يا رسول الله : وكيف يرفع العلم وقد كتب في الكتب ووعته الصدور ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ، وذكر اليهود والنصارى وضلالتهم على ما فى أيديهم من كتاب الله » (فذكرت) ذلك لشداد بن أوس فقال : صدق عوف بن مالك ألا أخبرك بأول ذلك : يرفع الخشوع حتى لا ترى رجلاً خاشعاً . ذكره في باب تقييد الحديث بالكتابة وهو

حديث حسن .

قلت : وقد ذكرناه في مسند زياد بن لبيد بإسناد صحيح على ما ذكره ابن ماجه وهو يبين لك ما ذكرناه من أن المقصود برفع العلم العمل به ، كما قال عبد الله بن مسعود : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده ، ثم بعد رفع العمل بالعلم يرفع الرقم والكتاب ، ولا يبقى في الأرض من القرآن آية تتلى على ما يأتي في الباب بعد هذا . [**حديث صحيح**]

باب
في [درس] الإسلام وذهاب القرآن

٢١١٥- ابن ماجه قال :.أخبرني علي بن محمد قال : أنبأنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي ،عن (ربعي) بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ، ولا نسك ، ولا صدقة ، ويسرى بكتاب الله تعالى في ليلة، فلا يبقى منه في الأرض آية، وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة:لا إله إلا الله، فنحن نقولها، قال له صلة : ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لايدرون ما صلاة ولا صيام ، ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة،فقال : ياصلة تنجيهم من النار ثلاثا ».

قلت : هذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه(الصلاة و)السلام لا عند خروج يأجوج ومأجوج على ما تقدم من رواية مقاتل

وذكر أبو حامد من رفعه ، فإن عيسى عليه(الصلاة و)السلام إنما ينزل مجدداً لما درس من هذه الشريعة فإنه يحججه على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

[**حديث صحيح**]

باب العشر آيات التي تكون قبل الساعة وبيان قوله تعالى :
﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾

٢١١٦- روى عن حذيفة أنه قال : كنا جلوساً بالمدينة في ظل حائط وكان رسول الله ﷺ في غرفة فأشرف علينا، وقال : « ما يجلسكم ؟ فقلنا : نتحدث . فقال في ماذا ؟ فقلنا : عن الساعة. فقال : إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : أولها طلوع الشمس من مغربها ، ثم الدخان ، ثم الدجال ، ثم الدابة ، ثم ثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وخروج عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج ، ويكون آخر ذلك ناراً تخرج من اليمن من حفرة عدن لا تدع أحدًا خلفها إلا تسوقه إلى المحشر»ذكره القتبى فى كتاب (عيون الأخبار) له . [**حديث صحيح**]

٢١١٧- وخرجه مسلم بمعناه عن حذيفة قال : اطلع رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة فقال : « لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، والدجال والدخان والدابة، ويأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن أبين ، تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا» أخرجه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن ، وفى رواية: « الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب،وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم » . [**حديث صحيح**]

٢١١٨- وفى البخارى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :«أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ». [**حديث صحيح**]

٢١١٩- مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ يقول: « إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة علي الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فأخرى على أثرها قريبا منها ».

فصل

٢١٢١- جاءت هذه الآيات فى هذه الأحاديث مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولاً ، فإن الترتيب فيه بثم ، وليس الأمر كذلك على ما نبينه وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضا : كان رسول الله ﷺ فى غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال : « ما تذكرون ؟ قلنا : الساعة . قال : إن الساعة ، لا تكون حتى تروا عشر آيات : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » .

وقال بعض الرواة في العاشرة : « ونزول عيسى ابن مريم ، وقال بعضهم : وريح يلقى الناس في البحر » أخرجه مسلم فأول الآيات على ما فى هذه الرواية الخسوفات الثلاثة ، وقد وقع بعضها في زمن النبى ﷺ .

ذكره ابن وهب وقد تقدم .

وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزى أنه وقع بعراق العجم زلازل وخسوفات هائلة هلك بسببها خلق كثير .

قلت : وقد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعنا من بعض مشايخنا بقرية يقال لها : « قطر طندة » من قطر دانية سقط عليها جبل هناك فأذهبها .

[**حديث صحيح**]

٢١٢٢- وأخبرنى أيضًا بعض أصحابنا أن قرية من أعمال برقة يقال لها «ترسة » أصابها زلزلة شديدة هدت حيطانها وسقفها على أهلها فماتوا تحتها، ولم ينج منهم إلا قليل ، ووقع فى هذا الحديث دابة الأرض قبل يأجوج ومأجوج ولبس كذلك ، فإن أول الآيات ظهور الدجال ، ثم نزول عيسى (ابن مريم)عليه(الصلاة و)السلام ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، فإذا قتلهم الله بالنغف فى أعناقهم على ما يأتى ، وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه(الصلاة و)السلام،وخلت الأرض منه وتطاولت الأيام على الناس،وذهب معظم دين الإسلام، أخذ الناس فى الرجوع إلى عاداتهم، وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق ،كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه ، فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض

فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم ، والفساق عن فسقهم ، ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ،ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون،فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة،وأزيل الخطاب والتكليف عنهم،ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبا لأن الله تعالى يقول:﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ ، فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زماناً طويلاً، هكذا ذكره بعض العلماء .(والله أعلم).

وأما الدخان ،فأما المؤمن : فيصيبه منه شبه الزكام . وأما الكافر : فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره» وقيل : هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة .

٢١٢٤- وروى هذا عن علي وابن عمر وأبى هريرة وابن عباس وابن أبي مليكة والحسن، وهو معنى قوله تعالى﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾.

٢١٢٥- وقال ابن مسعود فى هذه الآية : إنه ما أصاب قريشًا من القحط والجهد حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء كهيأة الدخان من الجهد حتى أكلوا العظام ، وقد مضت البطشة والدخان واللزام ، والحديث عنه بهذا في كتابى مسلم والبخارى وغيرهما ، وقد فسر البطشة بأنها وقعة بدر . [**خبر صحيح**]

٢١٢٦- قال أبو الخطاب بن دحية : والذى يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين : إحداهما وقعت وكانت الأخرى ستقع وستكون، فأما التى كانت فالتى كانوا يرون فيها كهيأة دخان وهى الدخان غير الدخان الحقيقى الذى يكون عند ظهور الآيات التى هى من الأشراط والعلامات ، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾ فيكشف عنهم،ثم يعودون لقرب الساعة ، وقول ابن مسعود لم يسنده إلى النبى ﷺ إنما هو من تفسيره، وقد جاء النص عن رسول الله ﷺ بخلافه .

٢١٢٨- واختلف فى البطشة واللزام ، فقال أبيّ : هو القتل بالسيف يوم بدر. وإليه نحا ابن مسعود، وهو قول أكثر الناس ، وعلى هذا تكون البطشة واللزام شيئا واحدا . قال ابن مسعود : البطشة الكبرى : وقعة بدر . وقيل : هى يوم القيامة وأصل

البطش الاخذ بشدة وقع الالم ، واللزام فى اللغة : الفصل فى القضيه . وفسره ابن مسعود بأن ذلك كان يوم بدر ، وهو يوم البطشة الكبرى فى قوله أيضاً .

٢١٢٩- وقيل : إن اللزام هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ **فسوف يكون لزاما** ﴾ هو العذاب الدائم ، وأما الدجال فيأتى ذكره فى أبواب أخرى ، وأما الدابة فهى التى قال الله تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم** ﴾ .

وذكر أهل التفسير أنه خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد ، فتسم المؤمن فتنير وجهه ، ويكتب بين عينيه مؤمن ، وتسم الكافر فيسود وجهه ، ويكتب بين عينيه كافر ، وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن هذه الدابة هى الجساسة على ما يأتى ذكرها فى خبر الدجال ، وروى عن ابن عباس أنها الثعبان الذى كان ببئر الكعبة ، فاختطفه العقاب ، وسيأتى بيانها .

٢١٣٠- وأما قوله : وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، وفى الرواية الأخرى من قعر عدن .

وفى الرواية الأخرى من أرض الحجاز، قال القاضى عياض : فلعلهما ناران تجتمعان لحشر الناس ، أو يكون ابتداء خروجهما من اليمن ، فظهورهما من الحجاز .

قلت : أما النار التى تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على ما تقدم القول فيها ، وبقيت النار التى تسوق الناس إلى المحشر وهى التى تخرج من اليمن ، وقد مضى القول فى (المحشر)، ويأتى القول فى طلوع الشمس من مغربها .(إن شاء الله تعالى).

٢١٣١- فأما قول الله تعالى:﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ فقد روى أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية،فأراهم القمر منشقاً نصفين والجبل بينهما فقال : اشهدوا. ثبت هذا فى الصحيحين وغيرهما . [**حديث صحيح**]

٢١٣٢-ومن العلماء من قال:إنه ينشق كقوله تعالى:﴿**أتى أمر الله**﴾أى يأتى. قال الحليمى أبو عبد الله فى كتاب(منهاج الدين) له: فإن كان هذا فقد أتى ،

ورأيت ببخارى الهلال وهوابن ليلتين منشقا نصفين، عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ، وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا كما كانا ، ولكنهما فى شكل واحد ، شكل أترجة ، ولم أمل طرفى عنهما إلى أن غابت، وكان معى ليلتئذ كتيبة من شريف وفقيه وغيرهما من طبقات الناس ، وكلهم رأى ما رأيت، وأخبرنى من وثقت به أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقاً نصفين : قال الحليمى : فقد ظهر أن قول الله ﴿ **وانشق القمر** ﴾ إنما خرج على الانشقاق الذى هو من أشراط الساعة دون الانشقاق الذى جعله الله (تعالى) آية لرسوله ﷺ.

باب
ما جاء فيمن يخسف به أو يمسخ

٢١٣٦- أبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال له : « يا أنس إن الناس يمصرون أمصاراً وإن مصراً منها يقال لها البصرة أو البصيرة ، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها ، فإنه يكون بها خسف ورجف ، وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير » .

[حديث صحيح]

٢١٣٧- وخرج ابن ماجه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال : إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال له : بلغنى أنه قد أحدث،فإن كان أحدث فلان فلا تقرئه السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون في أمتي أو فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف ونحوه » .

وعن سهل بن سعد وقد تقدمت الأخبار والأحاديث فى خسف الجيش الذى يقصد مكة لقتال المهدى ، خرجهما مسلم وغيره . **[حديث صحيح]**

باب

ذكر الدجال وصفته ونعته ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه إذا خرج وما ينجد منه وأنه يبرئ الأكمه والأبرص [وأنه] يحيي الموتى .

٢١٣٩- قال ابن دحية : قال العلماء : الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه :

الأول: أن الدجال الكذاب، قاله الخليل وغيره وأنها دجلة بسكون الجيم ودجلة بفتحها كذبة ، لأنه يدجل الحق بالباطل ، وجمعه دجالون ودجاجلة في التكسير، وقد تقدم .

الوجه الثاني: أن الدجال مأخوذ من الدجل،وهو طلاء البعير بالقطران سمى بذلك لأنه يغطى الحق ويستره بسحره وكذبه ، كما يغطى الرجل جرب بعيره بالدجالة وهى القطران يهنأ به البعير، واسمه إذا فعل به ذلك المدجل، قاله الأصمعي.

الوجه الثالث : إنما سمى بذلك لضربه في نواحى الأرض وقطعه لها يقال : دجل الرجل إذا فعل ذلك .

الوجه الرابع : أنه من التغطية ، لأنه يغطى الأرض بمجموعه ، والدجل: التغطية . قال ابن دريد : كل شيء غطيته فقد دجلته ، ومنه سميت دجلة لانتشارها على الأرض وتغطية ما فاضت عليه .

الوجه الخامس : سمى دجالاً لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة ، والدجالة الدفقة العظيمة .

وأنشد ابن فارس في المجمل :

دجالة من أعظم الرقاق .

الوجه السادس : سمى دجالاً، لأنه يغر الناس بشره ، كما يقال : لطخنى فلان بشره .

الوجه السابع : الدجال : المخرق .

الوجه الثامن : الدجال : المموه : قاله ثعلب ويقال : سيف مدجل إذا كان قد طلى بالذهب .

الوجه التاسع : الدجال : ماء الذهب الذى يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أوعود . سمى الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل .

الوجه العاشر : الدجال : فرند السيف ، والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال بالفاء والباء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم ، فعربته العرب ، ولذلك قال سيبويه وهوعندهم خارج عن أمثله العرب ، والفرند أيضاً الحرير . وأنشد ثعلب :

بحلية الياقوت والفرندا مع الملاب وعبير أصردا

أى خالصاً . قال ابن الأعرابى يقال للزعفران الشعر والملاب والعبير والمردقوش(والحبيبا) . ذكر هذه الأقوال العشرة الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله فى كتاب(مرج البحرين فى فوائد المشرقين والمغربين) .

٢١٤٠- مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفى رواية : « من آخر سورة الكهف » . [**حديث صحيح**]

٢١٤١- أبو بكر بن أبي شيبة ، عن الفلتان بن عاصم ، عن النبى ﷺ قال : «أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنحر فيه اندفاء قوله فيه : دفا أى انحناء . [**حديث حسن**]

٢١٤٢- وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار » وعنه قال : قال رسول الله ﷺ « لأنا أعلم بما مع الدجال منه . معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج ، فإما أدركن أحداً فليأت النهر الذى يراه ناراً وليغمض وليطأطىء رأسه فيشرب فإنه ماء بارد وأن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب » .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : كذا عند جماعة ، رواه مسلم فإما أدركن، قال (أبو الخطاب) بن دحية : وهو وهم ،فإن لفظه هو لفظ الماضى ولم أسمع دخول نون التوكيد على لفظ الماضى إلا ها هنا ، لأن هذه النون لا تدخل على الفعل الماضى، وصوابه ما قيده العلماء فى صحيح مسلم منهم (التيمى)أبو عبد الله : فإما أدركه أحد . [**حديث صحيح**]

٢١٤٣- وعن عبد الله بن عمر : قال : ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهرانى الناس(المسيح) الدجال فقال : « إن الله ليس بأعور ألا إن (المسيح) الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » .

قال : وقال رسول الله ﷺ:« أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم (الناس)الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر(تقطر)رأسه ماء،واضعًا يده على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت،فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هو المسيح ابن مريم ، ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعًا يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت، فقلت :من هذا؟ قالوا (هذا المسيح)الدجال » . [**حديث صحيح**]

٢١٤٤- أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «الدجال أعور جعد هجان أقمر كأن رأسه غصنة شجرة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن الخزاعى فإما أهلك الهلك،فإنه أعور وأن الله ليس بأعور». [**حديث حسن**]

٢١٤٥- أبو داود الطيالسى عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « أما مسيح الضلالة فإنه أعور العين أجلى الجبهة عريض المنحر فيه اندفاء مثل قطن بن عبد العزى، فقال له الرجل : أيضر بى يا رسول الله ﷺ شبهه؟ فقال: لا أنت مسلم وهو كافر».

[**حديث حسن**]

٢١٤٦- وخرج عن أبي كعب قال:ذكر الدجال عند النبى ﷺ أو قال ذكر النبى ﷺ الدجال فقال : « إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعوذ بالله من عذاب القبر » . [**حديث صحيح**]

٢١٤٧- الترمذى ، عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة » إسناده صحيح . [**حديث صحيح**]

٢١٥٠–وأخرجه ابن ماجه من حديث أبى أمامة ، وفى بعض الروايات بعد قوله « وفى السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات فما ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتا ، حتى تكون الأرض كالنحاس والسماء كالزجاج ، فيبقى الناس يموتون جوعاً وجهداً،تكثر الفتن والهرج ، ويقتل الناس بعضهم بعضاً ويخرج الناس بأنفسهم،ويستولى البلاء على أهل الأرض، فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حماراً أبتر يشبه البغل ما بين أذنى حماره أربعون ذراعاً،ومن نعت الدجال : أنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم أجعد قطط أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق ، وعينه الأخرى ممزوجة بالدم ، وبين عينيه مكتوب : كافر يقرؤه كل مؤمن بالله ، فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات ليسمع أهل المشرق والمغرب » . [**حديث حسن**]

٢١٥٢– وذكر أبو داود الطيالسى فقال : حدثنا الحشرج بن نباتة قال : حدثنا سعيد بن جمهان عن سفينة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبى إلا وقد أنذر أمته الدجال ، ألا وإنه أعور العين بالشمال وباليمين ظفرة غليظة.بين عينيه كافر يعني مكتوب كافر.ويخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار،فناره جنة وجنته نار،فيقول الدجال للناس: ألست بربكم أحيى وأميت،ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء إنى لأعرف اسمهما واسم آبائهما،لو شئت أن أسميهما سميتهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله،فيقول : ألست بربكم أحيى وأميت ؟ فيقول أحدهما : كذبت فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه،ويقول الآخر: صدقت، وذلك فتنة،ثم يسير حتى يأتى المدينة فيقول هذه قرية ذاك الرجل فلايؤذن له أن يدخلها ، ثم يسيرحتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق. [**حديث صحيح**]

٢١٥٣–وخرجه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى فى الجزء العاشر من مختصر المعجم له بمعناه،فقال : حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال : حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : قال رسول الله ﷺ :« إنه لم يكن نبى قبلى إلاوقد حذر أمته الدجال،إنه أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر،يقرؤه كل مؤمن بالله،معه واديان:أحدهما جنة والآخر نار، ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء، ولو شئت سميتهما بأسمائهما

وأسماء آبائهما ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله،فيقول الدجال : ألست بربكم أحيى وأميت ؟ فيقول أحد الملكين :كذبت،فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه ، فيقول له صدقت ، فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال،فذلك فتنة،ثم يسير الدجال حتى يأتى المدينة فلايؤذن له،فيقول:هذه قرية ذلك الرجل ، ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله(عز وجل)عند عقبة أفيق » .

قال ابن برجان فى كتاب (الإرشاد) له : والذى يغلب على ظنى (والله أعلم) أن النبيين المشبه بهما أحدهما المسيح ابن مريم، والآخر محمد ﷺ ولذلك ما أنذرا بذلك ووصيا . [**حديث صحيح**]

٢١٥٤- وخرج أبو داود في سننه ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « إنى كنت حدثتكم عن المسيح الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء فإن التبس عليكم،فاعلموا أن ربكم عز وجل ليس بأعور » . [**حديث صحيح**]

فصل

٢١٥٥- وصف النبى ﷺ الدجال وصفًا لم يبق معه لذى لب إشكال وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذى حاسة سليمة ، ولكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة ، وحرم اتباع الحق ونور التلاوة، فقوله عليه الصلاة والسلام:« إنه أعور وأن الله(تعالى) ليس بأعور » تبين للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصا فى ذاته عاجزا عن إزالة نقصه،لم يصلح أن يكون إلهاً لعجزه وضعفه،ومن كان عاجزاً عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته، وجاء فى حديث حذيفة: أعور العين اليسرى ، وفى حديث ابن عمر : أعور العين اليمنى ، وقد أشكل الجمع بين الحديثين على كثير من العلماء ، قال:وحتى إن أبا عمر بن عبد البر ذكر ذلك فى كتاب(التمهيد) له .

٢١٥٦- وفي حديث سمرة بن جندب أن نبى الله ﷺ كان يقول : «إن الدجال خارج وهو أعور العين(الشمال)عليها ظفرة غليظة ، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، ويقول للناس : أنا ربكم . فمن قال : أنت ربى فقد فتن ، ومن قال : ربى الله عز وجل حتى يموت على ذلك، فقد عصم من فتنته ولا فتنة عليه

ولا عذاب فيلبث فى الأرض ما شاء الله ، ثم يجيء عيسى عليه (الصلاة و)السلام من قبل المغرب مصدقاً بمحمد ﷺوعلى ملته فيقتل الدجال ، ثم إنما هو قيام الساعة».

قال أبو عمر بن عبد البر : ففي هذا الحديث أعور العين الشمال ، وفى حديث مالك : أعور العين اليمنى . فالله أعلم . وحديث مالك أصح من جهة الإسناد، لم يزد على هذا . [**حديث حسن**]

٢١٥٧- قال أبو الخطاب بن دحية : ليس كما قال ، بل الطرق كلها صحيحة فى العينين ، وقال شيخنا أحمد بن عمر فى كتاب (المفهم) له : وهذا اختلاف يصعب الجمع فيه بينهما ، وقد تكلف القاضى عياض الجمع بينهما فقال : الجمع بين الروايتين عندى صحيح، وهو أن كل واحدة منهما عوراء من وجه ما إذ العور حقيقة فى كل شيء العيب، والكلمة العوراء هى المعيبة، فالواحدة عوراء بالحقيقة ، وهى التى وصفت فى الحديث بأنها ليست بجحراء ولا ناتئة وممسوخة ومطموسة وطافية على رواية الهمز ، والأخرى عوراء لعيبها (الملازم) لها لكونها جاحظة، أو كأنها كوكب درى أو كأنها عنبة طافية بغير همز ، وكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال،أو بمعنى العور الأصلى . قال شيخنا:وحاصل كلامه أن كل واحدة من عينى الدجال عوراء، أحدهما بما أصابها حتى ذهب إدراكها ، والثانية عوراء بأصل خلقتها معيبة ، لكن (يفند) هذا التأويل أن كل واحدة من عينيه قد جاء وصفها فى الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى من العور ، فتأمله.

٢١٥٨- قلت : ما قاله القاضى عياض وتأويله صحيح ، وأن العور فى العينين مختلف كما بيناه في الروايات ، فإن قوله :كأنها لم تخلق هو معنى الرواية الأخرى مطموس العين ممسوخها ليست بناتئة ولا جحراء ، ووصف الأخرى بالمزج بالدم ، وذلك عيب عظيم لا سيما مع وصفها بالظفرة الغليظة التى هى عليها،وهي جلدة غليظة تغشى العين . وعلى هذا فقد يكون العور فى العينين سواء ، لأن الظفرة مع غلظها تمنع من الإدراك فلا تبصر شيئًا،فيكون الدجال على هذا أعمى أو قريباً منه ، إلا أنه جاء ذكر الظفرة فى العين اليمنى في حديث سفينة، وفى الشمال فى حديث سمرة بن جندب ، وقد يحتمل أن يكون كل عين عليها ظفرة غليظة، فإن فى حديث حذيفة : وإن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة، وإذا كانت الممسوخة

المطموسة عليها ظفرة، فالتى ليست كذلك أولى فتتفق الأحاديث ، والله أعلم .

وقيل فى الظفرة : إنها لحمة تنبت عند المآقى كالعلقة ، وقيده بعض الرواة بضم الظاء ، وسكون الفاء ، وليس بشىء . قاله (السيد) ابن دحية رحمه الله .

فصل

٢١٥٩- الإيمان بالدجال وخروجه حق ، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافا لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على إثباته بعض (الجهمية) وغيرهم ، لكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل ، قالوا لأنها لو كانت أموراً صحيحة لكن ذلك إلباساً للكاذب بالصادق ، وحينئذ لا يكون فرق بين النبى والمتنبى ، وهذا هذيان لا يلتفت إليه،ولا يعرج عليه،فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدعى النبوة،وليس كذلك فإنه إنما ادعى الإلهية،ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليس بأعور»تنبيهاً للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيماً فى خلقه،ثم قال:«مكتوب بين عينيه كافر،يقرؤه كل مؤمن ومؤمنة كاتب أوغير كاتب»وهذا الأمر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره.

٢١٦٠- وقد تأول بعض الناس : مكتوب بين عينيه كافر . فقال : معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه قال : ولو كان على ظاهره وحقيقته لاستوى في إدراك ذلك المؤمن والكافر . وهذا عدول وتحريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك ، وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر فى قراءة ذلك لا يلزم ،لأن الله تعالى يمنع الكافر من إدراكه ليغتر باعتقاده التجسيم حتى يوردهم بذلك نار الجحيم . فالدجال فتنة ومحنة من نحو فتنة أهل المحشر بالصورة الهائلة التى تأتيهم فيقول لهم : أنا ربكم . فيقول المؤمنون : نعوذ بالله منك. حسب ما تقدم لاسيما وذلك الزمان قد انخرقت فيه عوائد ، فليكن هذا منها ، وقد نص على هذا بقوله : يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب . وقراءة غير الكاتب خارقة للعادة ،. وأما الكافر فمصروف عن ذلك بغفلته وجهله، وكما انصرف عن إدراك نقص عوره ، وشواهد عجزه ،كذلك يصرف عن قراءة سطور كفره ورمزه .

وأما الفرق بين النبى والمتنبى ، فالمعجزة لا تظهر على يد المتنبى ،لأنه لزم منه انقلاب دليل الصدق دليل الكذب وهو محال .

وقولهم :إن ما يأتى به الدجال ، حيل ومخاريق ، فقول معزول عن الحقائق ؛ لأن ما أخبر به النبى ﷺ من تلك الأمور حقائق ، والعقل لا يحيل شيئًا منها، فوجب إبقاؤها على حقائقها،وسيأتى تفصيلها بعون الله تعالى .

باب
ما يمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذ خرج

٢١٦١- البخارى ومسلم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » وذكر الحديث. [**حديث صحيح**]

٢١٦٢- وفى حديث فاطمة بنت قيس : «فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما » الحديث وسيأتي. [**حديث صحيح**]

٢١٦٤- وفى بعض الروايات:فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكةوالمدينة وبيت المقدس وجبل الطور، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع .[**حديث صحيح**]

باب
منه وما جاء أنه إذا خرج يزعم أنه الله ويحصر المؤمنين في بيت المقدس

٢١٦٥- أبو بكر بن أبي شيبة ، عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ وذكر الدجال قال :« وإنه متى يخرج فإنه يزعم أنه الله ، فمن آمن به واتبعه وصدقه فليس ينفعه صالح من عمل سلف ، ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمل سلف وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ، وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس » .

قال : فيهزمه الله وجنوده حتى إن جدر الحائط وأصل الشجرة ينادى : يا مؤمن هذا كافر يستتر بي (تعال) اقتله قال : ولن يكون ذلك حتى تبدو أمور يتفاقم شأنها في أنفسكم تتساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً ، وحتى تزول جبال عن مراتبها على أثر ذلك القبض. [**حديث صحيح**]

باب منه وفي عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه وصفة حماره وسعة خطوه وفي حصره المسلمين في جبال الدخان وكم يمكث في الأرض وفي نزول عيسى عليه [الصلاة و]السلام وقت السحر لقتل الدجال ومن [معه]

٢١٦٦- مسلم عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » وفي رواية: امرؤ بدل خلق.

وفي حديث تميم الداري قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقًا . الحديث وسيأتي . [**حديث صحيح**]

٢١٦٧- وعن ابن عمر أنه لقي ابن صياد في بعض طرق المدينة، فقال قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة ، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت : يرحمك الله ، ما أردت من ابن صياد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قال : « إنما يخرج من غضبة يغضبها » وسيأتي من أخبار ابن صياد ما يدل عليه أنه هو الدجال إن شاء الله تعالى ، وذكر قاسم بن أصبغ . [**حديث صحيح**]

٢١٦٨- وخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال:حدثنا محمد ابن سابق ،(قال):حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :« يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم » أي قلة من أهله . وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه : كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، يرد كل ماء (وسهل) إلا المدينة ومكة حرمهما الله تعالى ، عليه وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز والناس في جهد إلا من اتبعه ، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر (يقال) له : الجنة ونهر (يقال) له : النار، فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهي النار ، ومن أدخل الذى يسميه النار فهي الجنة قال : وتبعث معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة بأمر السماء،فتمطر فيما يرى الناس،ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى

الناس ،فيقول للناس : أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب،فيفر الناس إلى جبل الدخان وهوبالشام ، فيأتيهم فيحاصرهم ، فيشتد حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ، فيأتي في السحر فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، فيقولون : هذا رجل ، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم عليهما(الصلاة و)السلام ، فيقام للصلاة فيقال له : تقدم يا روح ، فيقول: ليتفضل إمامكم فليصل بكم ،فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء ، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى : يا روح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله » .

قوله : ينماث كما ينماث الملح في الماء ، أى يذهب وينحل ويتلاشى .

وفي بعض الروايات : وذكر أن حماره حين يخطو من خطوة إلى خطوة ميل ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطوه ولا يبقى موضع إلا يأخذه غير مكة والمدينة حسبما تقدم، ويأتى الكلام في حكم أيامه.(إن شاء الله تعالي) [**حديث حسن لغيره**]

باب منه آخر في خروج الدجال وما يجىء به من الفتن والشبهات وسرعة سيره في الأرض وكم يلبث فيها ، وفي نزول عيسى عليه [الصلاة و]السلام ونعته وكم يكون في الأرض يومئذ من الصلحاء ، وفي قتله الدجال واليهود،وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم ، وفي حج عيسى وتزويجه ومكثه في الأرض وأين يدفن إذا مات ﷺ .

وقد تقدم من حديث حذيفة رضى الله عنه أن له جنة ونارا ، فجنته نار، وناره جنة

٢١٧٠- أبو داود عن عمران بن حصين قال:قال رسول اللهﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه،فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات ، أو لما يبعث به من الشبهات » . [**حديث صحيح**]

٢١٧١- مسلم عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج الدجال فيتوجه(قبله رجل) من المؤمنين ، فتلقاه المسالح - مسالح الدجال- فيقولون له : أين تعمد؟ فيقول : أعمد إلى هذا الرجل الذى خرج فيقولون له : أو ما تؤمن

بربنا ؟ فيقول ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه فيقول بعضهم لبعض:أليس ربكم قد نهاكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال،فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ قال : فيأمر به الدجال فيشج، فيقول: خذوه وشجوه فيوجع ظهره وبطنه ضرباً قال:فيقول:أما تؤمن بى؟فيقول : أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال: ثم يمشى بين القطعتين ، ثم يقول : قم فيستوى قائماً فيقول له : أتؤمن بى؟(قال): فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس،قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلايستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به فى النار ، وإنما ألقى به فى الجنة » .

قال : قال رسول اللهﷺ :«هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

[حديث صحيح]

٢١٧٢- قال أبو إسحاق السبيعى يقال:إن هذا الرجل هو الخضر وفى رواية: قال: يأتى وهو محرم عليه أن يدخل المدينة،فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة ، فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه،فيقول الدجال:أرأيتم إن قتلت هذا،أتشكون فى الأمر ؟ فيقولون : لا . قال : فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن ، (قال): فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلطه الله عليه . خرجه البخارى .

٢١٧٣- وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة صافين يحرسونها، فينزل بالسبخة فترجف ثلاث رجفات ، يخرج إليه كل كافر ومنافق » وفى رواية : كل منافق ومنافقة.خرجه البخارى . [حديث صحيح]

٢١٧٤- وعن النواس بن سمعان الكلابى قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل ،فقال:« ما غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست

فيكم،فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم ، إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ،فمن أدركه، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف،إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وشمالاً،يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله، وما لبثه فى الأرض؟ قال: أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر، ويوم كجمعة،وسائر أيامه كأيامكم. فقلنا : يا رسول الله،فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره . قلنا : يا رسول الله،وما إسراعه فى الأرض؟قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له،قال : فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت،وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم ،فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم،ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ،ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك ، فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين،إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتى عيسى عليه(الصلاة و)السلام قوم قد عصمهم الله منه،فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة،فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه(الصلاة و)السلام إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقاتلهم ،فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿**وهم من كل حدب ينسلون**﴾ فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم ،فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم،فيرغب عيسى وأصحابه ، فيرسل الله

طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله فى الرسل أى اللبن ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذ بهم تحت آباطهم ، فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقي شرار الناس يتهارجون فيها كتهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة ، زاد في أخرى بعد قوله مرة ماء : ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس،فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض(فهلم) فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً » أخرجه الترمذى فى جامعه . وذكر رمى يأجوج ومأجوج بنشابهم متصلة بالحديث . فقال : ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض فهلم فلنقتل من فى السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمراً دمًا، ويحاصر عيسى ابن مريم الحديث . وقال بدل قوله : فيطرحهم حيث شاء الله قال : فتحملهم فتطرحهم بالنهبل، قال : ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم سبع سنين قال : ويرسل الله عليهم مطراً .الحديث إلى آخره فى غير الترمذى ، فيطرحهم فى المهيل ، والمهيل البحر الذى عند مطلع الشمس .

[حديث صحيح]

٢١٧٥- وخرجه ابن ماجه في سننه أيضًا ، كما(أ)خرجه مسلم ، ولم يذكر الزيادة التى ذكرها مسلم (منفصلة) ، ولا الترمذى متصلة من حديث النواس بن سمعان ، وإنما ذكرها من حديث أبى سعيد الخدري ، وسيأتى . وذكر ما ذكره الترمذى ، فقال : «حدثنا هشام بن عمار قال :حدثنا يحيى بن حمزة قال :حدثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائى قال : حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول قال رسول الله ﷺ : « يستوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين » . **[حديث صحيح]**

٢١٧٦- قال : وحدثنا على بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن المحاربى ،

عن إسماعيل بن رافع أبي رافع ، عن أبي عمر الشيباني زرعة عن أبي أمامة الباهلي قال :خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله أن قال : « إنه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله تعالى آدم ﷺ أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهوخارج (عليكم) لا محالة،فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم ، وإن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، فيعبث يميناً وشمالاً. يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلي، إنه يبدو فيقول : أنا نبي الله . ولا نبي بعدى ثم يثني فيقول : أنا ربكم .ولا ترون ربكم . حتى تموتوا وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب ، وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا،(فناره جنة ، وجنته نار،) فمن ابتلى بناره فليستعذ بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول الأعرابى : أرأيت إن (أبعث) لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول : نعم ، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان : يا بني اتبعه فإنه ربك ، وأن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، فينشرها بالمنشار حتى يلقى(شقتين)، ثم يقول : انظروا إلى عبدى فإني أبعثه الآن ، ثم يزعم أن له ربا غيرى فيبعثه الله فيقول له الخبيث:من ربك؟ فيقول :ربى الله، وأنت عدو الله ، أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم ». [**حديث حسن**]

٢١٧٨– قال المحاربى : ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال : وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر(فتمطر) ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، وإن من فتنته أن يمر بالحى فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم (في يومهم) ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً ، وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا(يأتيها)من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف المصلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى

منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، فينفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص » .

فقالت أم شريك بنت أبى العسكر : يا رسول الله، فأين العرب ؟ قال : هم قليل ، وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فيرجع ذلك الإمام ينكص القهقرى ليتقدم عيسى يصلى بالناس ، فيضع عيسى عليه السلام يده على كتفه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف ، قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب ، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وسلاح ،فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وانطلق هاربا ، ويقول عيسى عليه السلام : إن لى فيك ضربة ، لن تسبقنى بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقى فيضربه فيقتله فيهزم الله اليهود ولا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء ،لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة– إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق – إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال فاقتله » قال رسول الله ﷺ : « وإن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى .

فقيل : يا رسول الله :كيف نصلى فى تلك الأيام القصار ؟ قال : «تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا » .

قال رسول الله ﷺ « فيكون عيسى عليه السلام فى أمتى حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطًا ، يدق الصليب ، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وترفع الشحناء والتباغض وترفع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده (فى) الحية فلا تضره، وتغز الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء (من) الماء ، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم عليه السلام ، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون

الثور بكذا وكذا من المال ، وتكون الفرس بالدريهمات » .

قيل : يا رسول الله وما يرخص الفرس؟ قال:«(لا تركب الحرب) أبدا » فقيل له : يا رسول الله وما يغلي الثور ؟(قال): تحرث الأرض كلها وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب بها الناس جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ، ثم يأمر الله السماء في(السنة) الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تمطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها ، فلاتنبت خضراً ، ولا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس إلا هلكت إلا ما شاء الله فقيل : فما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟ قال : التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجرى ذلك عنهم مجرى الطعام » . [**حديث حسن**]

٢١٧٩- قال ابن ماجه : سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول : سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول : ينبغي أن يرفع هذا الحديث للمؤدب حتى يعلمه للصبيان في (الكتاب) .

٢١٨٢-وخرج مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص ، فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون الناس إلى المال فلا يقبله أحد » . [**حديث صحيح**]

٢١٨٣- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذا نزل عيسى ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟ » وفي رواية « فأمكم منكم » قال ابن أبي ذئب : تدرى ما إمامكم منكم ؟ قلت : تخبرني ؟ قال : فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم وعنه عن النبي ﷺ قال « والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بنفج من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما » . [**حديث صحيح**]

٢١٩١- وفي حديث عبد الله بن عمرو : « ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام » الحديث خرجه مسلم وقد تقدم بكماله ، وهذا يدل على أنه يمكث في الأرض سبع سنين ، والله أعلم » .

[**حديث صحيح**]

فصل

٢١٩٣- ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه(الصلاة و)السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم ،وهذا أمر مردود بالأخبار التى ذكرناها من حديث أبي هريرة ، وبقوله تعالى﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا نبى بعدى » وقوله:« وأنا العاقب » يريد آخر الأنبياء وخاتمهم ،وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى(عليه الصلاة والسلام) ينزل بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر ﷺ حيث قال لعمر : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعى » . [**حديث حسن**]

٢١٩٤- وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول:سمعت النبى ﷺ يقول:«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و)السلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا فيقول : لا، إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة » خرجه مسلم في صحيحه وغيرُه . فعيسى عليه(الصلاة و)السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها إذ هى آخر الشرائع ، ومحمد آخر الرسل فينزل حكماً مقسطاً، وإذا صار حكماً ، فإنه سلطان يومئذ للمسلمين ، ولا إمام ولا قاضى ولا مفتى قد قبض الله تعالى العلم،وخلا الناس منه، فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له فى السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به فى نفسه ، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم ،إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ، ولأن تعطيل الحكم غير جائز . وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال فى الأرض الله الله، على ما يأتى ، وهذا واضح . [**حديث صحيح**]

فصل

٢١٩٥- فإن قيل : فما الحكمة في نزوله فى ذلك الوقت دون غيره ؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدها : يحتمل أن يكون ذلك،لأن اليهود همت بقتله وصلبه، وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى فى كتابه،وهم أبداً يدعون أنهم قتلوه وينسبونه في السحر وغيره إلى ما كان الله يراه نزهه منه ، ولقد ضرب الله عليهم الذلة،فلم تقم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهر رايته ، ولا كان لهم فى بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ، ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة،فيظهر الدجال، وهو أسحر السحرة ، ويبايعه اليهود، فيكونون يومئذ جنده، مقدرين أنهم ينتقمون به من المسلمين، فإذا صار أمرهم إلى هذا، أنزل الله تعالى الذى عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حياً ،ونصره على رئيسهم وكبيرهم المدعى الربوبية فقتله،وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين،فلا يجدون يومئذ مهرباً ، وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه : يا روح الله ها هنا يهودى حتى يوقف عليه .. فإما أن يسلم ، وإما أن يقتل ، وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر .

٢١٩٦- والوجه الثانى : وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت فى السماء لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى: ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ فينزله الله تعالى(ويقبره)فى الأرض مدة، يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه ، ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره، ويصلون عليه، ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهي الأرض المقدسة ، فينشر إذا نشر معهم ، فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق فى تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد هذا ما وردت به الأخبار، فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية، ولم ينتصب لقتاله أحد لقتاله أحد من المؤمنين (لقتلهم) ،كان هو أحق بالتوجه إليه، ويجرى قتله على يديه،إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته، وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية، فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً.والله أعلم .

٢١٩٧- **والوجه الثالث** : أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺحسب ما قال وقوله الحق ﴿**ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل** ﴾ فدعا الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد ﷺ، فاستجاب الله تعالى دعاءه، ورفعه إلى السماء

إلى أن ينزله آخر الزمان ، مجدداً لما درس من دين الإسلام ،دين محمد عليه الصلاة والسلام ، (فيوافق) خروج الدجال فقتله .

ولا يبدو على هذا أن يقال : إن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهراني الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره ،(فلذلك) يقوم به وذلك داخل في اتباع نبينا محمد ﷺ وبالله التوفيق .

واختلف حيث يدفن فقيل : بالأرض المقدسة ذكره الحليمي ، وقيل : يدفن مع النبي ﷺ على ما ذكرناه في الأخبار . (والله أعلم) .

فصل

٢١٩٨- واختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً،ذكرها أبو الخطاب بن دحية في كتابه (مجمع البحرين) وقال : لم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال .

القول الأول : وهو مَسْيِح بسكون السين وكسر الياء على وزن مفعل، فأسكنت الياء، ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم لهم الكسرة على الياء .

القول الثاني : قال ابن عباس : كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ ،ولا ميتاً إلا حيي ، فهو هنا من أبنية أسماء(الأفعال) الفاعلين مسيح بمعنى ماسح .

القول الثالث : قال إبراهيم النخعي : المسيح : الصديق . وقاله الأصمعي وابن الأعرابي .

القول الرابع : قال أبو عبيد : أظن هذه الكلمة « هاما شيحا » بالشين المعجمة فعربت إلى « مسيا » وكذلك تنطق به اليهود .

القول الخامس : قال ابن عباس أيضا في رواية عطاء عنه : سمي مسيحاً ، لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص ، والأخمص : مالا يمس الأرض من باطن الرجل ، فإذا لم يكن للقدم أخمص قيل فيه قدم رحاء ورجل رحاء . ورجل أرح وامرأة رحاء .

القول السادس : قيل سمي مسيحاً، لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح (الرأس) بالدهن .

القول السابع : قيل سمي مسيحاً، لأنه مسح عند ولادته بالدهن .

القول الثامن : قال الإمام أبو إسحاق الجوانى في غريبه الكبير : هو اسم خصه الله تعالى به أو لمسح زكريا .

القول التاسع : قيل : سمى بذلك لحسن وجهه إذ المسيح في اللغة الجميل الوجه ، ويقال على وجهه مسحة من جمال وحسن، ومنه ما يروى فى الحديث الغريب الضعيف : يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن كأن على وجهه مسحة ملك .

القول العاشر: المسيح في اللغة : قطع الفضة وكذلك المسيحة: القطعة من الفضة ، وكذلك كان المسيح ابن مريم أبيض مشرب حمرة من الرجال عريض الصدر جعداً والجعد ها هنا اجتماع الخلق وشدة الأسر .

القول الحادي عشر : المسيح فى اللغة : عرق الخيل : وأنشد اللغويون

* « إذا الجياد فضن بالمسيح . * يعنى : العرق .

٢١٩٩- ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى بن كعب : « فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشينى ضرب في صدرى (ففضت) عرقا وكأنى أنظر إلى الله عز وجل فرقاً » ذكره الخطابى فى شرحه بالصاد والضاد . وأنشد العجاج :

* إذا الجياد فضن بالمسيح .* يعنى العرق .

القول الثانى عشر : المسيح : الجماع يقال: مسحها إذا جامعها . قاله في المجمل لابن فارس .

القول الثالث عشر المسيح : السيف . قاله أبو عمرو والمطرز .

القول الرابع عشر : المسيح : المكارى .

القول الخامس عشر : المسيح الذى يمسح الأرض أى يقطعها . قاله الثقة اللغوى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ولذلك سمى عيسى مسيحا كان تارة بالشام وتارة بمصر وتارة على سواحل البحر وفى المهامه والقفار . والمسيح الدجال كذلك سميا بذلك لجولانهما فى الأرض .

القول السادس عشر : ذكره بسنده إلى أبى الحسن القابسى وقد سأله الحافظ المقرئ أبو عمرو الدانى : كيف يقرأ المسيح الدجال ؟ فقال : بفتح الميم وتخفيف السين مثل المسيح ابن مريم لأن عيسى عليه(الصلاة و)السلام مسح بالبركة وهذا

قال أبو الحسن : ومن الناس من يقرؤه بكسر الميم وتشقيل السين فيعرف بذلك وهو وجه ، وأما أنا فلا أقرؤه إلا كما أخبرتك ، قال ابن دحية : وحكى الأزهرى أنه يقال: مسيح بالتشديد على وزن فعيل قال : فرقاً بينه وبين عيسى عليه(الصلاة و)السلام ، ثم أسند عن شيخه أبى القاسم بن بشكوال عن أبى عمران (موسى) بن عبد الرحمن قال : سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول : ومنهم من قال بالخاء ، يعنى : المعجمة، وذلك كله عند أهل العلم خطأ لا فرق بينهما ، وكذلك ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نطق به ونقله الصحابة المبلغون عنه .

وأنشد فى ذلك أهل اللغة قول عبد الله بن قيس الرقيات :

وقالوا : دع رقية واجتنبها فقلت لهم : إذا خرج المسيح

يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه ولذلك ذكرناه .

وقال الراجز :

إذا المسيح قتل المسيحا

يعنى عيسى ابن مريم عليه(الصلاة و)السلام يقتل الدجال بنبزك . قرأته في المجلد الأول من شرح ألفاظ الغريب من الصحيح لمحمد بن إسماعيل تأليف القاضى الإمام المفتى أبى الأصبغ بن سهل .

القول السابع عشر : قيل : سمى الدجال مسيحا ، لأن المسيح الذى لا عين له ولا حاجب ، قال ابن فارس : والمسيح أحد شقى وجهه ممسوح لاعين له ولا حاجب ، ولذلك سمى الدجال مسيحا ، ثم أسند عن حذيفة مستدلا عن رسول الله ﷺ « وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة » خرجه مسلم .

القول الثامن عشر : المسيح الكذاب : وهذا يختص به الدجال لأنه يكذب فيقول:أناالله،فهذاأكذب البشر،ولذلك خصه الله بالشوه(والعور).

القول التاسع عشر : المسيح : المارد، والخبيث، وهو التمسيح أيضا (قال) ابن فارس ، ويقال : هو الكذاب ، وكذلك (المساح) بألف .

القول العشرون : قيل الدجال : المسيح لسياحته وهو فعيل بمعنى فاعل، والفرق بين هذا وبين ما تقدم في الخامس عشر أن ذلك يختص بقطع الأرض وهذا بقطع جميع البلاد في أربعين ليلة إلا مكة والمدينة .

القول الحادى والعشرون : المسيح : الدرهم الأطلس بلا نقش .قاله ابن فارس وذلك مطابق لصفة الأعور الدجال، إذ أحد شقى وجهه ممسوح. وهو أشوه الرجال.

القول الثانى والعشرون : قال الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من تأليفه : سمى مسيحاً ، لأن الله (تعالى) مسح الذنوب عنه .

القول الثالث والعشرون: قال الحافظ أبو نعيم في الكتاب المذكور : وقيل: سمى ابن مريم مسيحاً ،لأن جبريل عليه (الصلاة و)السلام مسحه بالبركة وهو قوله تعالى :﴿**وجعلنى مباركاً أينما كنت**﴾ . [**حديث صحيح**]

فصل
فى بيان ما وقع فى الحديث من الغريب

٢٢٠٠- قوله : فيشج أى يمد ، والميشار : مفعال من (أنشرت) ووشرت أشراً ووشراً ، ويقال منشار بالنون أيضا وبالوجهين فى الحديث وهو مفعال أيضا من نشرت .

وقوله : فخفض ورفع بتخفيف الفاء أى : أكثر من الكلام فيه ، فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد ، وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان ، وهذه حالة المكثر في الكلام، وروى بتشديد الفاء فيهما على التضعيف . والتكثير .

وقوله : إنه خارج محلة . يروى بالخاء المعجمة، وبالحاء المهملة ،قاله الهروى، والخلة موضع حزن وصخور، والحلة ما بين البلدين .

وقال الحافظ بن دحية : ورواه ابن هامان والحميدى :حله بفتح الحاء المهملة وضم اللام وكأنه يريد حلوله ،قال : وقرأت فى أصل القطيعى من مسند الإمام (أبى عبد الله) أحمد بن حنبل وأنه يخرج حيلة ، ولا أعلم روى ذلك أحدغيره ، وقد سقطت هذه اللفظة لأكثر رواة مسلم ، وبقى الكلام أنه خارج بين الشام والعراق .

٢٢٠١- وجاء فى حديث الترمذى أنه يخرج بخراسان ، وفى الرواية الأخرى : من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية ، وفي حديث ابن ماجه ومسلم بين الشام والعراق، ووجه الجمع أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان ، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام ، والله أعلم.

وعاث بالعين المهملة، والثاء المثلثة،والتنوين على أنه اسم فاعل ، وروى بفتح الثاء على أنه فعل ماض ، ووقع في حديث أبي أمامة على الفعل المستقبل ، والكل بمعنى الفساد عاث يعيث عيثا ، فهو عاث ، عثى يعثى ، عثى يعثو لغتان ، وفى التنزيل :﴿ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ .

وقوله : ياعباد الله فاثبتوا ، يعنى على الإسلام يحذرهم من فتنته؛ لأنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت .

وقوله : فاقدروا له قدره ، قال القاضى عياض : هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع ، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه (عند) الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام .

٢٢٠٢- قلت : وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضا ما حكمه صاحب الشرع ، وقد حمل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها ، وإنما هي محمولة على المعنى . أى يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء ، وأيام البلاء طوال ، ثم يتناقص ذلك الغم فى اليوم الثانى ثم يتناقص في اليوم الثالث ، ثم يعتاد البلاء كما يقول الرجل: اليوم عندى سنة ومنه قولهم :

وليل المحب بلا آخر

وقال آخر :

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

وهذا القول يرده قولهم : أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : «لا ، اقدروا له قدره» والمعنى قدروا الأوقات للصلوات ، وكذلك لا التفات لطعنه فى صحة هذه الألفاظ ، أعنى قوله : أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا، اقدروا له قدره » فقال : هذا عندنا من الدسائس التى كادنا بها ذوو الخلاف علينا ، ولو كان صحيحاً لاشتهر على ألسنة الرواة كحديث الدجال ، ولو كان لقوى اشتهاره ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربها ، والجواب: أن هذه الألفاظ صحيحة حسب ما ذكره مسلم ، وحسبك به إماما ، وقد ذكرها الترمذى من حديث النواس أيضًا وقال : حديث حسن صحيح ، وخرجها أبو داود أيضا وابن ماجه من حديث أبي أمامة ، وقاسم بن أصبغ من حديث جابر ، وهؤلاء أئمة أجلة من أئمة أهل الحديث ، وتطرق

إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز والثقة بعيد لا يلتفت إليه،لأنه يؤدى إلى القدح فى أخبار الآحاد ، ثم إن ذلك فى زمن خرق العادات وهذا منها .

٢٢٠٣- وقوله : ممحلين أى مسجدبين ، ويروى : أزلين ، والمحل والأزل والقحط والجدب بمعنى واحد . ويعاسيب النحل : فحولها ، وأحدها يعسوب ، وقيل : أمراؤها . ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كل واحدمنهم طائفة من النحل فتراها جماعات فى تفرقة ، فالكنوز تتبع الدجال كذلك .

وقوله : بين مهرودتين أى بين شقى ثوب ، والشقة نصف الملاءة أو فى حلتين مأخوذ من الهرد بفتح الهاء وسكون الراء ، وهو الشق والقطع .

قال ابن دريد : إنما سمى الشق هرداً للإفساد لا للإصلاح. وقال يعقوب : هرد القصار الثوب ، وهردته بالتاءوالمثناة باثنتين من فوق إذا أحرقه وخرقه .

وقال أكثرهم : في ثوبين مصبوغين بالصفرة وكأنه الذي صبغ بالهردىء، ووقع فى بعض الروايات بدل مهرودتين ممصرتين كذلك ، ذكره أبو داود الطيالسى من حديث أبى هريرة ، والممصرة من الثياب هى المصبوغة بالصفرة . والجمان ما استدار من اللؤلؤ والدر ، شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيه واقع وليست بالمشبعة .

٢٢٠٤- وقال ابن الأنبارى : مهرودتان بدال مهملة وذال معجمة معا أى ممصرتين كما جاء فى الحديث الآخر. وقال غيره:الهرود الذى يصبغ بالعروق التى يقال لها الهرد بضم الهاء ، وقال الهروى:هرد ثوبه بالهرد، وهو صبغ يقال له العروق، وقال القتبى : إن كان المحفوظ بالدال فهو مأخوذ من الهرد ، والهرد والهرت: الشق ، ومعناه بين شقين، والشقة نصف الملاءة وقال: وهذا عندى خطأ من النقلة ، وأراد مهرودتين أى صفراوين يقال : هرت العمامة ألبستها صفراً،وكان الثلاثى منه : هروت، فخلف الجماعة من أهل اللغة فيما قالوه ، وقد خطأه ابن الأنبارى وقال : إنما يقول العرب:هريت الثوب لا هروت ولو كان من ذلك لقيل مهراة لا مهروة ، واللغة نقل ورواية لاقياس ، والعرب إنما تجوز ذلك في العمامة خاصة لا فى الشقة ولا يجوز قياس الشقة على العمامة ، وأما رواية الذال المعجمة فهو إبدال من الدال المهملة، فإن الذال والدال قد يتعاقبان فيقال رجل مدل بالدال

المهملة ومذل بالذال المعجمة ، إذا كان قليل اللحم خفى الشخص .

والجمان : ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيه حسن .

وقوله : فحرز عبادى إلى الطور ، أى ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم . والطور : الجبل بالسريانية .

٢٢٠٥- قال الحافظ ابن دحية : قيدناه في صحيح مسلم جوز بالجيم والواو والزاى،كذا قيدنا فى جامع الترمذى ، وقيدناه أيضًا حدر بدال مهملة، فأما حرز فهو الذي رواه أكثرهم ، وصحح بعضهم رواية حدر وكلاهما صحيح ، لأن ما خير فقد أحرز وكذلك جوز بالجيم ، وأما حدر بدال مهملة فمعناه : أنزلهم إلى جهة الطور من حدرت الشيء فانحدر إذا أرسلته فى صبب وحدر .

والنغف : جمع نغفة وهى الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم ، وفرسى أى هلكى ، وهو جمع فريس ، يعنى مفروس ، مثل قتيل وقتلى وصريع وصرعى ، وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أى قتلها كأن تلك النغف فرستهم .

ويروى :فيصبحون موتى ، والزهم : النتن . والبخت : إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام . والزلفة : المصففة الممتلئة، والجمع زلف .

قال ابن دحية : قيدناه فى صحيح مسلم بالفاء والقاف، وهو المرآة كذا فسره ابن عباس ، وقاله اللغويان : أبو زيد الأنصارى وأبو العباس الشيبانى .

واللقحة : الناقة الحلوب . والفئام : الجماعة من الناس . والفخذ : دون القبيلة وفوق البطن ، والفاثور بالفاء : الخوان يتخذ من الرخام ونحوه ، قال الأغلب العجيلى :

« إذا (انجلى) فاثور عين شمس » يقال هم على فاثور واحد أى على مائدة واحدة ومنزلة واحدة، والفاثور أيضًا : موضع . قاله الجوهرى . والله أعلم .

باب
ما جاء أن الدجال لا يضر مسلما

٢٢٠٩- البزار عن حذيفة قال :كنا عند رسول الله ﷺ فذكر الدجال فقال: « لفتنة من بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال،ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا

تضع لفتنة الدجال ، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها، والله لا يضر مسلماً ، مكتوب بين عينيه : كافر » . [**حديث صحيح**]

فصل

٢٢١٠- قلت : إن قيل : كيف قال في هذا الحديث :«لا يضر مسلماً» وقد قتل الرجل الذى خرج إليه من المدينة، ونشره بالمنشار، وذلك أعظم الضرر ؟ قلنا : ليس المراد ذلك ، وإنما المعنى أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيرده عن دينه، لما يرى عليه من سيماء الحدث ، ومن لم يكن بهذه الصفة فقد يفتنه ويتبعه لما يرى من الشبهات كما فى الحديث المذكور فى الباب قبل هذا . ويحتمل أن يكون عموماً يخصه ذلك الحديث وغيره ، والله أعلم .

باب

ما ذكر من أن ابن صياد : الدجال ،واسمه صاف ،ويكنى أبا يوسف وسبب خروجه وصفة أبو يه وأنه على دين اليهود

٢٢١١- مسلم عن محمد بن المنكدر قال : رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد : الدجال ، فقلت له : أتحلف على ذلك ؟ اقال: إنى سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبى ﷺفلم ينكره النبىﷺ. وأخرجه أبو داود فى سننه. [**خبر صحيح**]

٢٢١٢- وعن نافع قال : كان ابن عمر يقول : « والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد » أخرجه أبو داود وإسناده صحيح . [**خبر صحيح**]

٢٢١٣- مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صياد، قال : فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو، فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، قال : وجاء بمتاعه فوضعه على متاعى ، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة،قال : ففعل ، فرفعت لنا غنم فانطلق بعس ، فقال : اشرب أبا سعيد، فقلت : إن الحر شديد واللبن حار،ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده، أو قال : آخذه عن يده، فقال: أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﷺما خفى (عنكم) معشر الأنصار، ألست من أعلم أصحاب رسول الله ﷺ ؟! أليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو كافر وأنا مسلم »(أو ليس قد قال رسولُ الله ﷺ : هو

عقيم لا يولد له ، وقد تركت ولدى بالمدينة) أو ليس قد قال رسول الله ﷺ:« لا يدخل المدينة ولا مكة ، فقد أقبلت من المدينة ، وأنا بمكة » وفى رواية :وقد حججت؟ قال أبو سعيد:حتى كدت أنى أعذره،ثم قال : أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن . قال : قلت: تباً لك سائر اليوم ، وفى رواية : قال أبو سعيد وقيل له:أيسرك أنك ذاك الرجل أى الدجال؟قال: فقال: لو عرض على ما كرهت . [**حديث صحيح**]

٢٢١٤- وعن ابن عمر قال : لقيت ابن صياد مرتين ، فقلت لبعضهم : هل تحدثون أنه هو ؟ قال :لا والله . قال : قلت:كذبتني والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولدًا ،فكذلك هو زعموا اليوم ، قال:فتحدثنا ثم فارقته قال : فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت : متى فعلت عينك ما أرى ؟ قال : لا أدرى . قال : قلت لاتدرى وهى في رأسك . قال : إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه، قال : فنخر كأشد نخير حمار سمعت ، قال : فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت ، وأما أنا فوالله ما شعرت، قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال :(رسول الله ﷺ):إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه؟ وعنه قال : انطلق رسول الله ﷺ وأبى بن كعب إلى النخل التى فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقى بجذوع النخل وهو (يخيل) أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش فى قطيفة له ، فيها زمزمة ، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد : يا صاف وهو اسم ابن صياد، هذا محمد فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ : « لو تركته بين » . [**حديث صحيح**]

٢٢١٥- وفى رواية : ثم قال له رسول الله ﷺ :« إنى قد خبأت لك خبئا » فقال ابن صياد : هو الدخ ، فقال رسول الله ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك ، فقال عمر بن الخطاب : ذرنى يا رسول الله أضرب عنقه ؟فقال رسول الله ﷺ : « إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير فى قتله» أبو داود عن جابر بن عبد الله قال : فقدنا ابن صياد يوم (الحرة) . [**حديث صحيح**]

وقيل : إنه لم يولد بعد وسيولد في آخر الزمان والأول أصح لما ذكرنا ، وبالله توفيقنا .

وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى أن الدجال ابن صياد ، والله أعلم .

فصل

٢٢١٨- قال أبو سليمان الخطابى : وقد اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول ، وقد يسأل عن هذا فيقال : كيف يقارن رسول الله ﷺ من يدعى النبوة كاذباً ويتركه بالمدينة يساكنه فى داره ويجاوره فيها، وما وجه امتحانه إياه بما خبأله من آية الدخان، وقوله بعد ذلك : اخسأ فلن تعدو قدرك .

قال أبو سليمان : والذى عندى أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاءهم ، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتابا وصالحهم فيه على أن لا يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم ، وكان ابن صياد منهم أو دخيلا فى جملتهم وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنوه بذلك ليروا آية أمره (ويخبر شأنه) فلما كلمه علم أنه معطل ، وأنه من جملة السحرة والكهنة (أو بمن) يأتيه رئيب من الجنة أو يتعاهده شيطان ، فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به ، فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال : اخسأ ولن تعدو قدرك يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان ، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحى إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق ، وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطيء فى بعض ، وذلك معنى قوله : « يأتى صادق وكاذب » . فقال له عند ذلك خلط عليك .

والحكمة فى أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ، وقد امتحن الله قوم موسى فى زمانه بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا ، ونجا من هداه الله وعصمه منهم ، وقد اختلفت الروايات فى أمر ابن صياد فى ما كان من شأنه بعد كبره ، فروى أنه تاب عن ذلك القول ، ثم إنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس ، وقيل

لهم اشهدوا . قال الشيخ (رضى الله عنه): الصحيح خلاف هذا الحلف جابر وعمر أن ابن صياد الدجال . وروى أن أبا ذر كان يقول هو الدجال ، وروى ذلك عن ابن عمر ، وقال جابر فقدناه يوم الحرة هذا وما كان مثله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة ، والله أعلم .

وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى أن الدجال ابن صياد عند كلامنا على خبر الجساسة إن شاء الله تعالى .

باب
ما جاء فى نقب يأجوج ومأجوج السد وخروجهم وصفتهم وفى لباسهم وطعامهم وبيان قوله تعالى :﴿فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء﴾

٢٢١٩- ابن ماجه عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفران (فى) كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعيده الله أشد ما كان،حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا،حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوافستحفرونه غدا إن شاء ، فيرجعون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون سهامهم إلى السماء فيرجع(عليها) الدم.الذى أحفظ فيقولون:قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفا فى أقفائهم ،(فيقتلهم)» قال رسول الله ﷺ:«والذي نفسى بيده إن دواب الأرض (لتسمن) وتشكر شكراً من كثرة ما تأكل من لحومهم » .

قال الجوهرى : شكرت الناقة تشكر شكراً فهى شكرة ، واشتكر الضرع امتلأ (لبنًا). [**حديث صحيح**]

٢٢٢١- وخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: « يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى :﴿ **وهم من كل حدب ينسلون**﴾ ، فيعمون الأرض ، وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية

المسلمين فى مدائنهم وحصونهم ، ويضمون إليهم مواشيهم حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربون حتى ما يذروا فيه شيئًا ،فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم : لقد كان بهذا المكان مرة ماء،ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لننازلن أهل السماء،حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم ، فيقولون : قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد ، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضًا ، فيصبح المسلمون لايسمعون لهم حساً . فيقولون : هل من رجل يشترى نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل إليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى ، فيناديهم : ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ، ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم ، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط » . [**حديث صحيح**]

٢٢٢٢- وخرج ابن ماجه أيضًا وأبو بكر بن أبى شيبة واللفظ لابن ماجه، عن عبد الله بن مسعود قال : لما كان ليلة أسرى برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم (الصلاة و)السلام (والتحية والإكرام) فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده علم منها ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده علم منها ، فردوا الحديث إلى عيسى قال : قد عهد إلى فيما دون وجبتها ،فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله،فذكروا خروج الدجال ، قال : فأنزل إليه فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ويأجوج ﴿ **وهم من كل حدب ينسلون**﴾ فلا يمرون بماء إلا شربوه، ولا شيء إلا أفسدوه،فيجأرون إلى الله فأدعو الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعوا الله فيرسل السماء (بالماء) فتحملهم فتلقيهم فى البحر ، ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد إلى إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التى لا يدرى أهلها متى تعجلهم بولادتها . قال ابن أبى شيبة : ليلاً أو نهاراً .

قال أبو العوام : ووجه تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى :﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾ ، فلا يمرون بماء إلا

شربوه ولا شيء إلا أفسدوه ، زاد ابن أبي شيبة ﴿ واقترب الوعد الحق﴾ .

[خبر صحيح]

٢٢٢٣- وروى عن عمرو بن العاص قال : إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم ، ليس فيهم صديق ، وهم على ثلاثة أصناف : على طول الشبر ، وعلى طول الشبرين، وثلث منهم طوله وعرضه سواء ، وهم من ولد يافث ابن نوح عليه (الصلاة و)السلام. **[إسناده حسن والخبر من الإسرائيليات]**

٢٢٢٤- وروى عن عطية بن حسان أنه قال : يأجوج ومأجوج أمتان في كل أمة أربعمائة ألف ليس منها أمة تشبه بعضها بعضاً .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٥- وروى عن الأوزاعي أنه قال : الأرض سبعة أجزاء ، فستة أجزاء منها : يأجوج ومأجوج ، وجزء فيه سائر الخلق .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٦- وروى عن قتادة أنه قال : الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ يعنى الجزء الذى فيه سائر الخلق غير يأجوج ومأجوج ، فاثنا عشر للهند والسند، وثمانية آلاف للصين ، وثلاثة آلاف للروم ، وألف فرسخ للعرب .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٧- وذكر على بن معبد ، عن أشعث ، عن شعبة ، عن أرطأة بن المنذر قال : إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه (الصلاة و)السلام أني قد أخرجت خلقاً من خلقي لا يطيقهم أحد غيرى، فمر بمن معك إلى جبل الطور ومعه من الذرارى اثنا عشر ألفاً ، قال : يأجوج ومأجوج ذرء فى جهنم ، وهم على ثلاثة أثلاث : ثلث على طول الأرز، وثلث مربع طوله وعرضه واحد، وهم أشد ، وثلث يفترش إحدى أذنيه ، ويلتحف بالأخرى ، وهم من ولد يافث بن نوح . **[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]**

٢٢٣٠- وقال كعب الأحبار : خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف: صنف أجسامهم كالأرز ، وصنف أربعة أذرع طولاً وأربعة أذرع عرضاً، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى فيأكلون مشائم نسائهم ذكره أبو نعيم الحافظ

وذكره عبد الملك بن حبيب أنه قال فى قول الله عز وجل فى قصة ذى القرنين : ﴿**فأتبع سببا**﴾ يعنى منازل الأرض ومعاليها وطرقها حتى إذا بلغ بين السدين يعنى الجبلين اللذين خلفهم يأجوج ومأجوج ، وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولاً أى كلاماً ﴿ **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض**﴾ .

[**إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات**]

٢٢٣١- قال عبد الملك : وهما أمتان من ولد يافث بن نوح مد الله لهما في العمر ، وأكثر لهما في النسل، حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد ، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء : يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء ، وسائر ولده كلهم جزء واحد .

٢٢٣٢- قال عبد الملك : كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القوم الذين هم قريب منهم، فلا يدعون لهم شيئاً إذا كان أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا حملوه ، فقال أهل تلك الأرض لذى القرنين : هل لك أن نجعل خرجاً يعنى جعلاً ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً**﴾ قال : ما مكنى فيه ربى خير من جعلكم ولكن ، ﴿**فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما**﴾ قالوا له: وما تريد ؟ قال : ﴿ **آتونى زبر الحديد**﴾ أي قطع الحديد فوضع بعضها على بعض كهيئة البناء فيما بين السدين وهما جبلان ﴿**حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾ يعنى جانبى الجبلين ﴿ **قال انفخوا** ﴾ أى أوقدوا ﴿ **حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطراً * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا** ﴾ أي من تحته . وقال عبد الملك فى قوله : ﴿ **أفرغ عليه قطرا** ﴾ يعنى نحاساً ليلتصق ، فأفرغه عليه فدخل بعضه فى بعض ،قال : ﴿ **فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء**﴾ .

٢٢٣٣- وفى تفسير (الجونى) أبى الحسن : أن ذا القرنين لما عاين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو في منقطع الترك مما يلى مشرق

الشمس ، فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا ،حتى إذا بلغ الماء (ثم) جعل عرضه خمسين فرسخاً ، وجعل حشوه الصخور(وطينته)النحاس يذاب ثم يصب عليه ، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وصرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عرقا من نحاس فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد ، فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عائداً إلى جماعة الإنس والجن. انتهى كلام الحوفى .

٢٢٣٤- وعن عثمان رضى الله عنه قال : وصنف منهم فى طول شبر، لهم مخالب وأنياب كالسباع ، وتداعى الحمام ، وتسافد البهائم ، وعواء الذئب ، وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام إحداهما وبرة يشتون فيها ، والأخرى جلدة يصيفون فيها .

وقال الضحاك : هم من الترك .

وقال مقاتل : هم من ولد يافث بن نوح ،وهذا أشبه كما تقدم ، والله أعلم .

وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمزة فيهما ، وكذلك في الأنبياء على أنهما مشتقان من أجة الحر وهى شدته وتوقده ، ومنه أجيج النار. ومن قولهم: ملح أجاج فيكونان عربيين من أج ومج ولم يصرفا لأنهما جعلا اسمين فهما مؤنثتان معروفتان ، والباقون بغير همز جعلوهما لقبيلتين أعجميتين ،ولم يصرفا للعجمة والتعريف .

باب ذكر الدابة وصفتها ومتى تخرج ومن أين تخرج وكم لها من خرجة وصفة خروجها وما معها إذا خرجت وحديث الجساسة وما فيها من ذكر الدجال قال الله تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾

فصل

٢٢٤٤- هذه الأحاديث وما تقدم من ذكر العلماء فى الدابة ويأتى ، يرد قول من قال من المفسرين المتأخرين : إن الدابة إنما هى إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم ليتقطعوا ، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة . قال شيخنا أبو العباس : وعلى هذا (فلا) يكون فيها آية خاصة خارقة للعادة ولا يكون من جملة العشر آيات المذكورة فى الحديث ، لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة فلا ينبغى أن تذكر مع العشر .

قلت : فساد ما قاله هذا المتأخر واضح ، وأقوال المفسرين بخلافه .

٢٢٤٦– وعن عمرو بن العاص قال : « تخرج الدابة من مكة من شجرة وذلك في أيام الحج فيبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها بعد من التراب » ذكره القتبى فى عيون الأخبار له .(قال الشيخ رضى الله عنه : فساد ما قاله هذا المتأخر واضح)وأصح، أقوال المفسرين بخلاف ما قال : وأنها خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد، فتسم المؤمن فينير وجهه، وتكتب بين عينيه : مؤمن ، وتسم الكافر فيسود وجهه وتكتب بين عينيه :كافر.

٢٢٤٧– وقال عبد الله بن عمر : « تخرج الدابة من جبل الصفا بمكة ينصدع فتخرج منه » وقال عبد الله بن عمرو نحوه ، وقال : لو شئت أن أضع قدمى على موضع خروجها لفعلت . وروى عن قتادة أنها تخرج من تهامة . وروى أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث (فار) تنور نوح (عليه الصلاة والسلام). وقيل : من أرض الطائف . وروى عن ابن عمر أنها على خلقة الآدميين ، وهى فى السحاب وقوائمها فى الأرض .

٢٢٤٩– وحكى النقاش عن ابن عباس : أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التى اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة ، ويروى أنها دابة مزغبة (ذعراً) ذات قوائم طولها ستون ذراعاً ، ويقال : إنها الجساسة فى حديث فاطمة بنت قيس الحديث الطويل . وخرجه مسلم ذكره الترمذى وأبو داود مختصراً ، والسياق لمسلم وفيه ، ثم قال رسول الله ﷺ:«أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكننى جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً (فجاء)فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال،حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم أرفؤوا إلى جزيرة فى البحر حيث مغرب الشمس ،قال : فجلسوا (قرب) السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر » . [**حديث صحيح**]

٢٢٥٠– وقال الترمذى : إن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة فى البحر، فجالت بهم حتى قذفتهم فى جزيرة من جزائر البحر،فإذا هم بدابة لباسة ناشرة شعرها ، فقالوا : من أنت ؟ قالت : أنا الجساسة وذكر الحديث . راجع سياق مسلم ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا: وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال: لما سمت

لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا هو أعظم إنسان رأيناه خلقاً وأشد وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبيه بالحديد . وقال الترمذى : فإذا رجل موثق بسلسلة .

٢٢٥١- قال أبو داود : فإذا الرجل يجر شعره مسلسلاً فى الأغلال ينزو فيها بين السماء والأرض . قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى، فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا : نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم فلعب الموج بنا شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها ، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر . فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . فقلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، وما نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبرونى عن نخل بيسان .

٢٢٥٢- وقال الترمذى :الذى بين الأردن وفلسطين . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا له : نعم . قال : أما أنها يوشك أن لا تثمر . قال : أخبرونى عن بحيرة الطبرية . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هى كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب . قال : أخبرونى عن عين زغر؟ قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا : نعم هى كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم. قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم:قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ،قال : أما إن ذلك هو خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى(إنى) أنا المسيح الدجال . وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، هما محرمتان على كلتاهما ،كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بيده السيف مصلتا يصدنى (عنهما) وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قال رسول الله ﷺ : وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة- يعنى المدينة- ألا

هل كنت حدثتكم ذلك ؟ فقال الناس : نعم . قال : فإنه أعجبني حديث تميم الداري، فإنه وافق الذى كنت حدثتكم عنه ، وعن المدينة ومكة ، ألا إنه فى بحر الشام(أو) بحر اليمن ، لابل من قبل المشرق وما هو من قبل المشرق ، وأومأ بيده إلى المشرق قال : حفظت هذا من رسول الله ﷺ .

٢٢٥٣- وقد خرج ابن ماجه حديث فاطمة بنت قيس قالت:(خرج) رسول الله ذات يوم، وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه مثل ذلك اليوم إلا يوم الجمعة ، فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس ، فأشار إليهم بيده أن اقعدوا ، فو الله ما قمت مقامى إلا لأمر ينفعكم ،لا رغبة ولا رهبة ، ولكن تميماً الدارى أتانى فأخبرنى خبرا منعنى القيلولة من الفرح وقرة العين ، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم ﷺ إلا أن ابن عم لتميم الدارى (أتانى) أخبرنى أن الريح ألجأتهم إلى جزيرة لا يعرفونها ، فقعدوا فى قوارب السفينة فخرجوا بها فإذا هم بشيء أهدب أسود كثير الشعر . قالوا لها : ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا : أخبرينا . قالت : ما أنا (بمخبرتكم)شيئاً ولا سائلتكم ، وليكن هذا الدير قد رهقتموه فائتوه فإن فيه رجلاً بالأشواق إلى أن تخبروه ويخبركم ، فأتوه فدخلوا عليه ، فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق، مظهر الحزن شديد التشكى (فقال) لهم : من أين ؟فقالوا :من الشام . فقال : ما فعلت العرب؟قالوا : نحن قوم من العرب ،عم تسأل؟ قال : ما فعل الرجل الذى خرج فيكم ؟ قالوا : خيراً، أتى قوماً فأظهره الله عليهم ، فأمرهم اليوم جميع ، إلههم واحد ، ودينهم واحد ، ونبيهم واحد . قال : ما فعلت عين زغر ؟ قالوا : خيراً يسقون منها لزروعهم، ويستقون منها لشعبهم. قال : ما فعل نخل بين عمان وبيان ؟ قالوا: يطعم ثمرة كل عام . قال : ما فعلت بحيرة الطبرية ؟ قالوا : تدفق بجنباتها من كثرة الماء قال : فزفر ثلاث زفرات ثم قال : لو انفلت من وثاقى هذا لم أدع أرضاً إلا وطئتها برجلى هاتين إلا طيبة ليس لى عليها سبيل .

قال النبى ﷺ : « إلى هذا انتهى وحيى ، هذه طيبة والذى نفسى بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع ولا سهل ولا جبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة » .

قال المؤلف رحمه الله : هذا حديث صحيح ، وقد خرجه مسلم والترمذى

وأبو داود وغيرهم رضى الله عنهم .

٢٢٥٤- وقد قيل : إن الدابة التى تخرج هى الفصيل الذى كان لناقة لصالح، عليه(الصلاة و)السلام ، فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه ، فانفتح له حجر ، فدخل فيه ، ثم انطبق عليه فهو فيه إلي وقت خروجه حتى يخرج بإذن الله تعالى .

قلت : ويدل على هذا القول حديث حذيفة المذكور فى هذا الباب وفيه وهى ترغوا، الرغاء إنما هو للإبل ، والله أعلم .

ولقد أحسن من قال :

واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والإيمان

فصل

٢٢٥٥- وقد استدل من قال من العلماء : إن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان فى معناه ، والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم(ولا) يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت ، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر إلي أن فقدوه يوم الحرة، وفى كتاب أبى داود فى خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : شهد جابر أنه هو ابن صياد، قلت : فإنه قد مات . قال : وإن مات ؟ قلت:فإنه قد أسلم ، قال : وإن أسلم . قلت : فإنه قد دخل المدينة قال : وإن دخل المدينة .

٢٢٥٧- قال الخطابى والماذرى : والمهلب : الشعر الغليظ ، وقال : أهلب على معنى الحيوان أو الشخص ، ولو راعى اللفظ لقال هلب كأحمر وحمر . والأهلب أيضًا عند بعض أهل اللغة : الذى لا شعر عليه وهو من الأضداد، واستفهامهم منها ظناً منهم أنها ممن لا تعقل ، فلما كلمتهم فرقوا : أى فزعوا ، واغتلام البحر : هيجانه وتلاطم أمواجه ، وبيسان وزغر : موضعان بالشام بين الأردن وفلسطين . كما فى حديث الترمذى .

٢٢٥٨- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : كانت بيسان مدينة وفيها سوق كبيرة وعين تسمى عين « فلوس » يسقى منها ، وبحيرة طبرية هى بحيرة عظيمة طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال وموجها(يضرب) فى سور قلعتها وهى عميقة تجرى فيها السفن ، ويصطاد منها السمك ، وماؤها حلو فرات ، وبين بحيرة طبرية

وبيت المقدس نحو من مائة ميل وهى من الأردن ولزمتها(الهاء)وهى تصغير بحرة لا بحر، لأن البحر مذكر ، وتصغيره بحير ، وعين زغر بضم الزاى وفتح الغين وامتناع صرفه للعلمية والعدل ، لأنه معدول عن زاغر كعمر معدول عن عامر ، وزعم الكلبى أن زغر اسم امرأة نسبت هذه العين إليها ، فإن كان ما قاله حقاً فلأن هذه المرأة استنبطتها(أو) اتخذت أرضها داراً لها . فنسبت إليها ،(والله أعلم).ذكره ابن دحية فى كتاب البشارات والإنذارات له من تأليفه .

٢٢٥٩- وقوله عليه الصلاة والسلام : إلا أنه فى بحر الشام أو(فى) (بحر)اليمن شك ، أوظن منه عليه الصلاة والسلام ، أو قصد الإبهام على السامع ، ثم نفى ذلك وأضرب عنه بالتحقيق فقال : لا بل من قبل المشرق ، ثم أكد ذلك بما الزائدة وبالتكرار اللفظى ، فما زائدة لا نافية ، فاعلم ذلك . [**حديث صحيح**]

باب

طلوع الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة وكم يمكث الناس بعد ذلك ؟

٢٢٦٠- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » . [**حديث صحيح**]

٢٢٦١- وخرج الترمذى والدار قطنى عن صفوان بن عسال المرادى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرته سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

[**حديث صحيح**]

٢٢٦٢- وقال سفيان : « قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً يعين التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

ثم(إن) الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك الضوء والنور ، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كان قبل ذلك يطلعان ويغربان ».

٢٢٦٤- وذكر الميانشى وقال عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ : «ويبقى

الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة » .

[**إسناده لا بأس به والخبر من الإسرائيليات**]

فصل

٢٢٦٥- قال العلماء : وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها، لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى البدن ، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة فى حال من حضره الموت فى انقطاع الدواعى إلى أنواع المعاصى عنهم وبطلانها من أبدانهم ، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته ، كمالا تقبل توبة من حضره الموت .قال ﷺ : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » أى تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله. وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش ، لأن علمه بالله تعالى وبنبيه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة ، فإن امتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان ولا يتحدثون عنه إلا قليلاً فيصير الخبر عنه خاصاً وينقطع التواتر عنه ، فمن أسلم فى ذلك الوقت أو تاب قبل منه ، والله أعلم. [**حديث صحيح**]

٢٢٦٦- وقد قيل : إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود:﴿ **فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر**﴾ وإن الملحدين والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون:هو غير كائن، فيطلعه الله تعالى يوماً من المغرب ليرى المنكرين لذلك قدرته من أن الشمس فى قدرته، إن شاء أطلعها من المشرق،وإن شاء أطلعها من المغرب،وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبى ﷺ فأما المصدق ، فإنه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك،والله أعلم.

فصل

٢٢٦٩- واختلفت الروايات في أول الآيات ، فروى أن طلوع الشمس من مغربها أولها على ما وقع (فى) حديث مسلم فى هذا الباب . وقيل : خروج الدجال ، وهذا القول أولى القولين وأصح لقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الدجال خارج

فيكم لا محالة » الحديث بطوله .

فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عليه(الصلاة و)السلام ، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منه .

وقد تقدم القول مبيناً في هذا ، وأن أول الآيات الخسوفات . فإذا نزل عيسى عليه(الصلاة و)السلام وقتل الدجال خرج حاجاً إلى مكة ، فإذا قضى حجه انصرف إلى زيارة سيدنا محمد ﷺ فإذا وصل إلى قبر الرسول الله ﷺ أرسل الله عند ذلك ريحا عنبرية فتقبض روح عيسى عليه (الصلاة و)السلام ومن معه من المؤمنين ، فيموت عيسى عليه(الصلاة و)السلام ويدفن مع النبى ﷺ فى روضته، ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة وتستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الإسلام ، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها ، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ، ثم تأتى الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجراً حجرا ويرمون بالحجارة فى البحر ، ثم يخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم ، ثم يأتى دخان يملأ ما بين السماء والأرض ، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل فى أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم ، ثم يبعث الله تعالى ريحا من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك ، فتقبض روح المؤمن والمؤمنه، وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لا يشبعون من النساء،والنساء لا يشبعن من الرجال ، ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم فى البحر، هكذا وذكر بعض العلماء الترتيب فى الأشراط وفيه بعض اختلاف ، وقد تقدمت الإشارة إليه فيما تقدم ، والله أعلم .

وقيل : إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة ، خرجت نار من قعر عدن لتسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل معهم، حتى يجتمع الخلق بالمحشر الإنس والجن والدواب والوحوش والسباع والطير والهوام وخشاش الأرض وكل من له روح ، فبينما الناس قيام فى أسواقهم يتبايعون وهم مشتغلون بالبيع والشراء إذا هم بهدة عظيمة من السماء ، يصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام ، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين

قياما على أرجلهم وهو قوله تعالى :﴿**وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق**﴾ فبينما هم كذلك إذا هذة أخرى أعظم من الأولى ،غليظة فظيعة كالرعد القاصف ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات . كما قال ربنا جل وعلا: ﴿**ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله**﴾

فتبقى الدنيا بلا آدمي ولا جني ولا شيطان ، ويموت جميع من في الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شيء له روح ، وهو الوقت المعلوم الذى كان بين الله تعالى وبين إبليس الملعون .

باب
ما جاء في خراب الأرض والبلاد قبل الشام ومدة بقاء المدينة خرابا قبل يوم القيامة وفي علامة ذهاب الدنيا ومثالها وفي أول ما يخرب منها

٢٢٧١- وذكر أبو نعيم الحافظ ، عن أبى عمران الجونى ، وأبى هارون العبدى أنهما سمعا نوفاً البكالي يقول : إن الدنيا مثلت على طير ، فإذا انقطع جناحاه وقع وإن جناحى الأرض مصر والبصرة ، فإذا خربتا ذهبت الدنيا .

٢٢٧٢- وذكر أبو زيد عمر بن شبة ، حدثنا موسى ابن إسماعيل قال : حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير قال : ذكر لى عن عوف ابن مالك أن النبى ﷺ قال : « أما والله يا أهل المدينة لتتركنها قبل يوم القيامة أربعين ».

[حديث حسن وإسناده منقطع]

باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله الله

٢٢٧٥- مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله » . **[حديث صحيح]**

٢٢٧٦- وفى رواية أخرى : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله الله » .

[حديث صحيح]

فصل

٢٢٧٧- قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قيد الله برفع الهاء ونصبها، فمن

رفعها فمعناه ذهاب التوحيد ، ومن نصبها فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. أى : لا تقوم الساعة على أحد يقول:اتق الله .

فإذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين وفاجأهم عند ذلك الحق اليقين ، وهو(معنى) قوله عليه الصلاة والسلام : «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول:الله » .

باب
على من تقوم الساعة ؟

٢٢٧٩- مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهدى قال : كنت عند مسلمة ابن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال عبد الله : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم ، فبينما هم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له ابن شماسة يا عقبة : اسمع ما يقول عبد الله ، فقال عقبة : هو أعلم ، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » فقال عبد الله : أجل: « ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك مسها كمس الحرير لا تترك نفسًا فى قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضتها ثم تبقي شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة » . [**حديث صحيح**]

٢٢٨٠- وفى حديث عبد الله بن مسعود : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، من لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، يتهارجون كما تتهارج الحمر » .

قال الأصمعى : قوله : يتهارجون يقول : يتسافدون يقال : بات فلان (يهرجها)، والهرج فى غير هذا : الاختلاط والقتل . [**حديث صحيح**]

٢٢٨١- وخرج مسلم ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تذهب الليالى والأيام حتى تعبد اللات والعزى ، فقلت : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله:﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ أن ذلك (تام). قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتتوفى كل من كان فى قلبه

مثقـال حبة من إيمان ، فيبقى من لا خـير فيه، فيرجـعون إلى دين آبائهم » والله أعلـم .
[حديث صحيح]

فصل

٢٢٨٢- ذكر أبو الحسن بن بطال رحمه الله فى حديث فى شرح البخارى له مبيناً لحديث البخارى عن أبي هريرة قال:سمعت رسول الله ﷺ يقـول:«لا تقوم الساعـة حتى تـضطرب أليات نساء دوس علـى ذى الخلصـة»الحديث وقـد تقـدم ، وقـال:هذه الأحـاديث ومـا جاء فـيهـا مـعناها الخـصــوص ، وليس المراد بهـا أن الدين(كله)ينقطع كله فى جـميع أقطار حـتى لا يـبقى منه شـيء ، لأنه قـد ثبت عن النبى ﷺ « أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريبا كما بدأ » .
[حديث صحيح]

٢٢٨٣- روى حـماد بن سلمـة ، عن قـتادة ، عن مـطرف ، عن عمـران ابن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتى يقـاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهـم المسيخ الدجال » وكـان مطرف يقول : هم أهل الشام .

قلت : مـا ذكره من أن الدين لا ينقطع ، وأن الإسـلام يبقى إلى قـيام السـاعة يرده حديث عـائشة وعـبد الله بن عمـرو ، وما ذكره من حـديث عمـران بن حصين وقد تقدم أن عيـسى عليه(الصلاة و)السلام يقتل الدجال ويخـرج يأجوج ومأجـوج ويموتون،ويبقى عيسى عليه(الصلاة و)السلام ودين الإسلام ، لا يعبد فى الأرض غير الله كما تقدم ، وأنه يحج ويحج مـعه أصحاب الكهف فيما ذكـره المفسرون ، وقد تقدم أنهم حواريوه إذا نزل، فإذا توفى عيسى عليه(الصلاة و)السلام بعث الله تعالى عند ذلك ريحًا باردة من قـبل الشام ، فتـأخذ تحت آباطهم ، فتقـبض روح كل مؤمن وكل مـسلم ، ويـبقى شـرار الناس يتـهـارجون فـيهـا تهـارج الحمر فـعليـهم تقــوم الساعة،كذا فى حديث النواس بن سمعان الطويل ، وقد تقدم . [حديث صحيح]

٢٢٨٤- وفى حديث عـبد الله بن عـمرو : ثم يرسل الله ريحـًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو دخل أحدكـم فى كبد جبل (لدخلته)عـليه حتى تقبضه، قال : سـمعتها من رسول الله ﷺ وذكر الحديث. وقد تقدم بكماله. وفيه ذكر النفخ والصعق والبعث ، فهـذا غاية فى البيـان فى كيفـية انقراض هذا الخلق وهذه الأزمـان ، فلا تقوم السـاعة

وفى الأرض من يعرف الله ولا من يقول : الله الله . [**حديث صحيح**]

(كمل كتاب التذكرة بحمد الله تعالى وعونه وصلواته على محمد خاتم أنبيائه وصحبه وسلم تسليماً .)

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم ، أن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين ، وأن يجعلنا من عباده المتقين (المفلحين) الفائزين، (الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،نفع الله به من عنى بتحصيله وغفر لنا وله ....ولمن كتبه وقرأه وسمعه . آمين آمين آمين . إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه أجمعين ، وسلم إلى يوم الدين ، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون آمين ، آمين ، آمين) ويجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم، بمنه وكرمه ، وأن ينفعنا به ووالدينا ، وغفر الله لصاحب هذا الكتاب ، ولوالديه ، ولسائر المسلمين أجمعين . آمين يا رب العالمين .

تم الكتاب وربنا محمود ولـه المكارم والعلا والجود

وعلى النبى محمد صلواته ما ناح قمرى وأورق عود

ووافق الفراغ من نسخه ، فى منتصف شهر رمضان المعظم قدره ، من شهور سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

على يد أقل عباد الله وأحوجهم إلى لطفه الخفى :

الحسن بن على بن منصور بن ناصر الحنفى .

غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأ فيه ، ودعا له بالتوبة النصوح ، والمغفرة والرحمة يا رب العالمين ، ولسائر المسلمين أجمعين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً . حسبنا الله ونعم الوكيل.

تم التحقيق والتعليق والحمد لله أولا وآخرا

وعلى رسوله مصليا ومسلما والحمد لله

الذى بنعمته تتم الصالحات

أبو مريم / مجدى فتحى السيد

طنطا - مصر

فى غرة رجب من عام ألف وأربعمائة وأربعة عشر

من الهجرة النبوية

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة
	٢٧٦

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

اســم البـــــــــــــــاب	الصفحة

اسم الباب	الصفحة

من منشورات
دار الصحابة للتراث بطنطا

صحيح السيرة النبوية

لابن هشام

أعده
مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧٣/١٩٩٥







